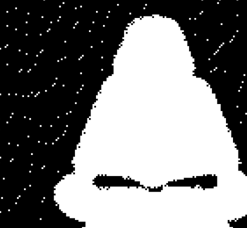


# الصهيونية

## بين الدين والسياسة

عبد السميع الهراوى



الهيئة المصرية العامة للكتاب




اهداءات ٢٠٠٣
أسرة أ.د/رمزي ذكي
القاهرة




عبد السميع سالم الهراوي




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

ما برحت المذاهب الاجتماعية والسياسية تخامر الفكر البشرى وتطور حياة الانسان منذ الأزل ، تتبدى فى نظريات فلسفية مثالية تساوره فيصبو اليها عاكفا فى رفق وأناة ، أو تبدو صدى لضواغط واقعية يؤود اصرها مجتمعه ، يثاوره رجعها لاهبا فيؤز ايده ويستنفر كيده ، ابتغاء تقويمها يسرا أو قسراً .

والعهد بهذه الأنماط المذهبية أن تتوخى ـ اصالة ـ خير المجتمع وتقويمه ، سواء بوحى انسانى مطلق فى المجتمع الدولى العام ، أو بدافع انسانى مغلق فى المجتمع الوطنى الخاص، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض .

وبالاضافة الى المذاهب القويمة الهادفة فقد حفل التاريخ الانسانى على رحبه ومداه بالحركات الاجتماعية والسياسية المتطرفة والنظريات الجانحة ـ انبعثت منفسا هادرا لما تعانيه الجماهير المكبوتة من ارهاق فكرى ومفارقات اجتماعية جائرة ، وقد تكون مجرد تعبير منظم لأنماط من الطغيان المذهبى والصراع الطبقى .

غير أن هاته الشوارد المتطرفة لا تعدو ـ فى مجملها ـ أن تكون مناهج فجة لنزوات انتقامية رعناء ، تتبدى شعواء جائحة ، ثم تنفثىء وشيكا عقيمة الأثر فى المجتمع الانسانى وفى السلوك الاجتماعى ، لما أن مثارها الحفائظ المهتاجة دون الفكر الممحص السوى ، ومناطها فورات عاطفية موتورة وضواغط نفسية مضطغنة ، تعوزها الحنكة والحصافة واصالة القيم وسلامة الهدف واستواء المنهاج ، كجذوات باهرة الوهج تتلظى فتحرق وتحترق ، ثم تخبو فتستحيل رماداً خامداً يمور فى طباق من ظلام مدلهم .

بيد أن ما اتصلت أسبابه بالعقائد الدينية من جماع الزبد والفصيح من تلك المذاهب على السواء ـ تتعمق أصولها فى أطواء النفوس فتأخذ بمجامعها

وتستبد بمناشط الفكر وتدرع بقداسة مرهوبة تحول دون الاجتراء على مبادئها بالتعقيب والتطاول عليها بالمحاجة ، فتتميز بخلود محافظ ، فان لم يكن من التطور بد ففيما لايمس الجوهر والفكرة الرائدة .

ومن دون النظريات الجانحة ــ على مر العصور ــ بقيت الصهيونية ، وهدفها التسلط المستبد وأداتها النقض والدمار ــ بيد أن الفكرة الدينية التي استمدت منها أصولها هي التي مكنتها من الصمود لأمد مديد استغرق قرونا طوالا ــ منذ انبثاق فكرتها مستخفية حتى أسفرت طلائعها أخيرا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

ولا جرم ان الصهيونية أخطر المذاهب الدينيه والسياسية التي منيت بها البشريه ، بما تعرس من قهر سياسي وقسر فكري وتمايز عنصري واحتكار للقوى المادية والفكرية على مستوى البسيطة ، وبما تنزغ بين البشر أبدا بالشحناء والبغضاء ، تنزع بهم كل منزع في الاحن والكيد والملاحاة ، وترين على الكون غاشيات مدلهمة تنبهم في قتامها معالم الانسانية ، وتستفشى القيم الاخلاقية التي تواضعت عليها الديانات السماوية والمذاهب الفكرية والفطرة البشرية على السواء .

فهي ليست قاصرة على افتعال دولة يهودية في فلسطين أيا كانت تخومها ــ قذى في عين المشرق ــ على ماقد ينقدح في الاذهان بداهة من ظاهر الدعوة لها .

وانما هي تستهدف سيادة الدنيا بأقطارها قاطبة ، واسترقاق شعوبها كافة ، واخضاعها لنير اليهود والشرائع اليهودية .

وفي مبنى هذه النظرية الطاغية ، وفي أطواء ذلك الهدف الخيالي الجانح ، وفي مناهجه العملية الرهيبة ، تكمن مخاطر مروعة تتفزع العالم وتقض امنه وسلامته وتعدو على قيمة الانسانية جميعا .

فالصهيونية في جوهرها ومناطها عقيدة دينية متطرفة ، يذعن لها أشياعها مسلمين يستافهم التعصب والغرور العنصري قسرا سليبي الوعي والارادة .

ذلك أن مبناها ــ في عرفهم ــ تعاليم التوراة التي تنص على أن الله سبحانه وتعالى قد وعد اليهود بملك عالمي أبدي ، واستخلفهم في الأرض خالصة لهم تراثا أزليا .

ثم ان السبيل الى هذا الهدف كما رسمتها مناهجهم العملية ــ بروتوكولات حكماء صهيون ــ مخوفة منكرة ، فهي تعتمد أساسا على تقويض أركان المجتمع العالمي وبث عناصر الانحلال تعيث في خلاله وتستشري في أوصاله ، واشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية الغامرة حتى اذا ماتداعت قيمه وفقد مقوماته واستجنت دونه المعالم فتهاوى خائرا مستسلما في خواء فكري وفراغ سياسي ، ابعث اليهود من غمار الفوضى المدلهمة العاتية التي يتردى العالم في غاشياتها ليأخذوا بأزمته ونواصيه ويختلقوا دولة عالمية تضم أطراف الدنيا قوامها طبقتان ــ اليهود في عل يتربعون على عرش السيادة وفي يدهم صولجان الحكم ، ومن دونهم من الأناسي ــ قاطبة ــ عبيد يترددون في المواطىء الدنيا من الحضيض ، يعنون لهم الهام قد استرقتهم التعاليم اليهودية وقفا على خدمة اليهود ــ شعب الله المختار فيما يزعمون .

تلك هي الصهيونية الداء العضال الذى يتخرم الانسانية . والبلاء الوبيل الذى يقض منها مطمان الأمن والسلام .

فليست الصهيونية على هذا فكرة حديثة وان لم تتكشف سماتها وتنفتح للعالم الا فى غضون القرن التاسع عشر تحت اسم اليهودية العالمية الى ان عرفت منذ أخرياته باسمها الحالى . فانها بما تستوحى من مبادىء وعقائد وماتستهدف من اطماع وآمال تعاصر نشأة الدين اليهودى ذاته، لأنه ركيزتها ودعامتها ، فهى مابرحت فكرة تساور اخلاد اشياعها منذ العصور اليهودية الباكرة ، وعقيدة تختمر فى افئدتهم جيلا من بعد جيل يتكتمونهاخورا وقصورا وتحينا للفرص ويعملون لها مصابرين مستوفزين،لايفتأ احبارهم وكهنتهم يزكون جذوتها انا فأنا فلا تخبو بين جوانحهم ولا تفتر وأن تقاصر بهم العجز والاستخذاء دون الاسفار والجهر ، حتى اذا ما وافى القرن التاسع عشر وآنسوا من خلال مايعانى أوزاع اليهود من اضطهاد واعنات فرجة يستصرخون من خلالها الضمير العالمى . فيستشرف عليهم حانيا آسيا وقد هزته المآسى التى حاقت بهم فى أوربا وفى روسيا خاصة والتى جسمتها الدعاية المدوية الرتيبة .

ثم منذ ان استشعروا طائفا من الأمل بعد اندلاع الثورات الوطنية مؤكدة حقوق الانسان ، ومعترفة للقوميات الوطنية بحق تقرير المصير ، وكانت شوكتهم قد تماسكت من بعد طول سبات وانحلال بما استمالوا من انصار غرروا بهم بالدعوة المموهة وأغروهم برشا المال والمتاع، ووطئت لهم السبيل التى طالما تعثروا فى غضونها فكبكبوا على وجوههم اعياء واستخذاء .

ومن ثم ونتيجة لهذا كله ، واتتهم الجرأة للاسفار هونا ما وفى حذر مريب عن وجه من الصهيونية الكالحة ، وناحية من اطماعها العدوانية الباغية تستشرى فى المجتمعات متسللة مسترقة الخطى المستريب ، تنفث من سمومها فى أوصالها وتنخر دعائمها كيما تتداعى متهاوية . فتشيد على انقاضها صروحا من البغى والطغيان .

وحتى يصيخ العالم الى دعوى الصهيونيين ويسيغ ما يستهدفون فى ظاهر دعوتهم، فقد حرصوا على ان ينسجوها على ذات المنوال الذى اصطنعته سائر الشعوب والقوميات التى هبت تطالب بحريتها وتنشد الاعتراف بكيانها، وطرازه المسوغات السياسية والاجتماعية دون الذرائع الدينية الأصيلة .

★★★

هذا ، ومنهاج بحثنا فيما دبجنا من أبواب وفصول . الدراسة المستأنية للنظرية الصهيونية فى ذاتها ، تميط القناع عن اهدافها القريبة والبعيدة — ليس باعتبارها عقيدة دينية فحسب ، ولكن من حيث هى مذهب اجتماعى وسياسى بدأ يفرض وجوده ويتغلغل فى المجتمع الدولى ويقسره على الاعتراف به .

واذ كانت الفكرة الدينية هى ركيزة الصهيونية ومثار الدعوة لها ، فقد تناولتها بالتمحيص الجذرى المتئد ، متوخيا اسلوب البحث العلمى المنهجى الذى يعتمد على المصادر الأصلية والنصوص المسلمة ، فتعقبت أسفار التوراة مستشفا من ثناياها كل ما يمت الى مزاعم الصهيونيين بسبب ، ومعقبا على ماالتخذوه منها تكأة لمخادعة الراى العام وتطويع اذهان الشيع اليهودية المناهضة لها .

وكان مابين ايدينا من نصوص التوراة ( النسخة البروتستانتية المعول عليها من اليهود ) العمدة لما استشهدت به ، ماكان منها للصهيونيين أو عليهم ، حتى لا تكون مظنة للتجنى وحتى أقطع كل سبيل للمحاجة والمماراة .

ومؤدى هذا الشق من الدراسة ان الصهيونية بدعة ما انزل الله بها من سلطان ، وان مناطها أصالة انما هى اساطير الكهانة وليست شرائع الديانة .

فالديانات السماوية قاطبة ــ واليهودية بالضرورة ــ لا تقر البغي والفسوق والعدوان والفساد فى الأرض ، كما انها لا تعترف بالعنصرية الجنسية بحال ، فالبشر من حيث الفطرة الأولى سواسية كلهم من آدم وآدم من تراب .

بينما تدعو الديانات جميعها الى السماحة والحق والعدل والاخاء ، وتنادى بالمساواة ، الا أن يكون معيار المفاضلة والتفضيل الحفاظ على المعانى الانسانية الفاضلة والتحلى بالقيم الروحية الكريمة .

هذا ، ثم تناولت بالتمحيص الأسانيد السياسية والاجتماعية والقانونية التى يدعيها الصهيونيون ، وعالجت الظروف والملابسات التى دعت الى اصطناعها .

ومن ثم ، فلست فى صدد تأريخ للصهيونية ، وانما هو تحقيق علمى خالص أعالج به النظرية فى ذاتها ، مبادئها ومناهجها وأسانيدها ، وأستظهر مراميها القريبة ، وأستبطن أهدافها البعيدة ــ توعية وتبصرة ــ ثم أعقب عليها بالتحليل والتقييم سواء من مشارفها الدينية أم الاجتماعية أم السياسية أم القانونية ، على ضوء البحث المنهجى والمنطق المجرد ، بنجوة من النزوات السياسية والنوازع الدينية والعصبيات المذهبية فى شتى صورها .

وتيسيرا للاطلاع والمتابعة وتنسيقا لمواد الكتاب ومباحثه ، فقد ألممت بأطراف الموضوع فى أربعة مباحث رئيسية ، خصصت الاول منها للتعريف بالصهيونية ، كما فصلت فى الأخير مكانتها فى المجتمعات الدولية ، اما المبحثان الثانى والثالث فقد أفردتهما لمقومات الصهيونية الدينية والسياسية ، وعالجت كلا من هاته المقومات فى شقين متكاملين ، استوعبت فى الشق الأول فحوى هذه المقومات من وجهة النظر الصهيونية ، ثم تصديت لها فى الشق الثانى بالتقييم فقفيت عليها بالتحليل والتمحيص والتعقيب .

★★★

وبعد ، فتلك قضية مزمنة عضال ، طفقت تعتلج فى أعماء التاريخ وتجيش فى أحشائه داء ممضا كظيما ، حتى اذا ما أشجاه الغثيان لفظها بين ظهرانينا مجاجة مستكرهة ، تبدت فى جبين الانسانية قرحة دوية شوهاء .

ثم ، هذا ملاك ما استيسر لي فى مخاوض الراى ، ازجيه غب توفر وتمرس وتمحيص ، جهد الطوق ، اتحسب به محض الحق وفصل المقال ، واتغيا النصفة والمعدلة . فان أكن أصبت فيما عنيت وعانيت ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، سبحانه المستعان ولى التوفيق .

عبد السميع سالم الهراوى

المبحث الأول

# نشأة الصهيونية وأهدافها وتطور مقوماتها



## المبحث الأول

# الباب الأول

# التعريف بالصهيونية

## الفصل الأول

## اليهودية واليهود

اليهودية ـ مهد الصهيونية وركيزتها ـ هي الدين السماوي الذي بعث الله به سيدنا موسى عليه السلام وفصلت أحكامه في التوراة شريعته المقدسة ، وهي دين عام متاح للكافة يرحب بمن يؤمن به دون اثرة أو ايثار او استئثار لجنس بعينه أو وطن بذاته شأن جماع الأديان السماوية .

ومن ثم فاليهود هم معتنقو الدين اليهودي واتباع الشريعة الموسوية أيا كانت أجناسهم وجنسياتهم وانى كانت أوطانهم ومنازحهم .

وقد عرف اليهود بالعبرانيين ابتداء ثم لقبوا بالاسرائيليين أو بني اسرائيل ثم عرفوا أخيرا باليهود ، ـ ويمثل كل من هذه الأسماء مرحلة مميزة من مراحل التاريخ اليهودي .

فينسب العبرانيون الى عابر الجد الخامس لسيدنا ابراهيم الخليل الذي ينتمي اليه أنبياء اليهود والذي كانت عشيرته مثابة الدين اليهودي ومهده .

وقد تعزى هذه التسمية الى لفظ « عبر » (على وزن الفعل الماضي نصر) أي اجتاز ، وهو في اللغة العبرية وبذات النطق العربي ـ يؤدي نفس المعنى في العربية ـ أو الى لفظ (عبر) (على وزن الاسم فكر) ـ بمعنى شاطيء أو ناحية ، ذلك ان سيدنا ابراهيم أبا الانبياء كان ينتمي الى قبيلة سامية عريقة (١) تقطن صحراء شبه جزيرة العرب ، ورحلت منها الى بلاد الكلدان المعروفة حاليا بالعراق حيث أقامت في مدينة « أور » عند شط العرب ثم انفصلت عنها احدى العشائر بزعامة تارح وعبرت نهر الفرات صاعدة شمالا الى مدينة «حاران» بين النهرين حيث توفى تارح وخلفه ابنه سيدنا ابراهيم الذي واصل الترحال مهاجرا مع زوجته ساراي ولوط ابن أخيه ومن تبعه من قومه ، فطوف في الآفاق متجولا بين تخوم العراق وكنعان (٢) ومصر ، اذ

(١) ـ يجمع الباحثون على أن سيدنا ابراهيم ينتمي الى قبيلة سامية الأرومة وان اختلفوا فيما اذا كانت هذه القبيلة السامية كلدانية أم اموريه أم آرامية .

(٢) تشمل بلاد كنعان الجزء الجنوبي من سوريا الى الغرب من نهر الأردن وهي منطقة فلسطين الحالية .

عبر بهم نهر الفرات الى الضفة الغربيــة منــه حيث نزل فى بلدة «شكيم» (١) مكان نابلس الحالية ، ــ ثم هبط مصر لياذا من قحط الم بأرض كنعان ، ولم يلبث أن قفل منها عائدا أدراجه حيث استقر به المقام فى مدينة «حبرون» من بلاد كنعان وهناك وافته منيته .

وفى ذلك تقول التوراة فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع برقم ٢ر٣ « وقال يشوع لجميع الشعب . هكذا قال الرب الى اسرائيل . فى عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح ابو ابراهيم وابو ناحور وعبدوا الهة أخرى فأخذت ابراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به فى كل أرض كنعان واكثرت نسله واعطيته اسحق » .

ومن ثم فقــد عرف آل ابراهيم بالعبرانيين لأنهم عبروا النهر أو لأنهم وفدوا من عبره أى من ورائه ، سواء أكان ذلك النهر هو نهر الفرات منــذ عهد تارح أبى ابراهيم أو نهر الاردن فى عهد سيدنا ابراهيم على قول آخــر يرجحه جمهرة العلماء .

ويقال أيضا ان كلمة « عبرى » معناها البدوى الضارب فى الصحراء (٢) لما فى مضمونها الأصلى من معنى التنقل والترحال ، فالعبرانيون تعنى الرحل ــ وتأييدا لذلك فقد وردت كلمة « عبرى » بلفظ « خبرى » بمعنى القبــائل الرحل ــ فى الرسائل الأثرية المتبادلة بين والى القدس وفرعون مصر والتى عثر عليها أخيرا فى أنقاض تل العمارنة ، وكان يقصد بها القبائل النازحة من الصحراء والتى كانت تهدد الأمن فى فلسطين بالسلب والنهب .

ولفظ « خبرى » يقابل لغوياً لفظ « عبرى » المعروف لنا الآن اذ أن حرف الخاء المعجمة من أعلى « خ » يقابله حــرف العين المهملة « ع » كمــا أثبت ذلك رجال اللغات السامية من دراستهم لتلك الرسائل (٣) .

وهكذا تباينت الآراء فى أصل التسمية العبرانية ، حتى زعم البعض أن اسم العبرانيين فى اللغات الافرنجية Hebrew مشتق من كلمة حبرون Hebron وهو اسم مدينة عريقة من مدن فلسطين ذات ارتباط وثيق بالتاريخ اليهودى الباكر ويعنو لها اليهود بالتقديس والاجلال ، ففى ربوعها رسا المطاف بسيدنا ابراهيم وعشيرته بعد أن جابوا أرجاء الشام ومصر، وفيها دفن سيدنا ابراهيم ثم ابنه اسحق ثم حفيده يعقوب واخيرا يوسف الصديق ــ فى قول ــ وقد كانت عاصمة المملكة اليهودية الاولى فى عهد داود ولمدة سبع سنوات ونصف حتى استبدل بها مدينة يبوس (أورشليم) بعد ان استولى عليها . وكانت مدينة حبرون تعرف من قبل باسم قرية اربع ابى عناق نسبة الى اربع الكنعــانى الذى انشأها قبل الميلاد بأمد سحيق . ولما ان غزاها يوشع بن نون منحها لكالب بن يفنه من بنى هرون قطيعة له ثم أطلق عليهــا كالب هــذا اسم ابنه

---

(١) تعرف مدينة شكيم فى التوراة أيضــا باسم صوغر .

(٢) كتاب تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون صفحة ٧٧ و ٧٨ .

وكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف الدكتور جواد على الجزء الثانى صفحة ٢٤٤ .

(٣) كتاب المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده تأليف الدكتور فؤاد حسنين على ــ مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ٥ .

حبرون ( انظر سفر التكوين اصحاح ٤٩ من رقم ٢٨ — ٣٣ وسفر صموئيل الثانى الاصحاح الخامس رقم ٥ وسفر يشوع الاصحاح ٢١ من رقم ١ — ٣ ) .

وتعرف مدينة حبرون حاليا بمدينة الخليل نسبة الى سيدنا ابراهيم الخليل .

بيد أن نسبة العبرانيين الى مدينة حبرون مابرحت — فيما أرى — زعما مرجوحا يعوزه الدعم العلمى المقنع .

وايا ماكان مصدر هذه التسمية فان العبرانيين هم عشيرة سيدنا ابراهيم ثم ذريته من بعده ، وهم رواد الدين اليهودى والرعيل الاول من الطائفة اليهودية ، واليهم تنسب اللغة العبرية التى اشتقت من امتزاج اللغة الآرامية باللغة الكنعانية والتى تكتب بالحروف الكنعانية القديمة ، اذ كانت لغة سيدنا ابراهيم فى الأصل اللغة الآرامية ، وقد تخللت اللغة العبرية آثار لغوية أخرى سامية وغير سامية .

ولقد عرف العبرانيون منذ عهد سيدنا يعقوب بالاسرائيليين أو بنى اسرائيل ، نسبة الى سيدنا يعقوب أبى الأسباط الاثنى عشر وحفيد ابراهيم عليهما السلام ، اذ لقبه الله «اسرائيل» كما جاء فى الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر التكوين برقم ٢٨ : —

« فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت »» .

وتعنى كلمة اسرائيل فى العبرية «المنتصر على الله» وذلك ان الله منح يعقوب هذا اللقب — فيما تقص التوراة — بعد صراع نشب بينهما طوال الليل انتصر فيه يعقوب على الله — جل شأن الله — بيد أن اليهود يحاولون تزييف هذا المعنى بقولهم ان المقصود باسرائيل هو «المنتصر الى الله» وليس «على الله» (١) — وذلك مع تسليمهم بما تقص التوراة عن الصراع ونتيجته .

وأخيرا عرف اتباع الدين الموسوى باليهود — الاسم الشائع — منذ عودتهم من السبى البابلى فى عهد ارتخشستا ملك الفرس ابان خضوع مملكة يهوذا لحكمه ، كما يبين من الاصحاح الرابع من سفر عزرا برقم ١٣ .

وتنسب هذه التسمية الى مملكة يهوذا ، اذ عرف رعاياها باليهود كما عرف رعايا مملكة اسرائيل القديمة من الموسويين بالاسرائيليين .

وقد ظلت مملكة يهوذا قائمة نحو قرن وثلث قرن بعد سقوط مملكة اسرائيل ، انفردت خلالها بزعامة اليهود فى فلسطين قاطبة ، وان تكن من الناحية السياسية غير كاملة الاستقلال وانما تدين بالطاعة لفرعون مصر .

ويعزى اسم هذه المملكة بدورها الى يهوذا أو يهودا رابع أبناء سيدنا

---

(١) — كتاب أصول الصهيونية فى الدين اليهودى للدكتور اسماعيل راجى الفاروقى — من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية بالقاهرة سنة ١٩٦٣ صفحة ١٧ — هذا ويقال أيضا ان كلمة اسرائيل تعنى فى اللغة العبرية « عبد الله » من كلمتى « اسرا » بمعنى « عبد » و « ايل » بمعنى « الله » — كما يقال كذلك ان « اسرائيل » تعنى « شعب الله » أو بمعنى آخر « صفوته من خلقه » حيث تعنى كلمة « اسرا » — أسرة أو قبيلة .

يعقوب والجد التاسع لسـيدنا داود الذى انتهى اليه والى ذريته الوعد الالهى بملك فلسطين على ماترddه التوراة . وليهوذا بن يعقوب هذا منزلة جليلة لدى اليهود لأن الله ــ فيما يزعمون ــ احبه واختاره ، حيث يقول المزمور الثامن والسبعون برقمى ٦٨ ، ٦٩ « ان الرب رفض خيمة يوسف ولم يختر سبط افرايم (وهو ابن يوسف) بل اختار سبط يهوذا جبل صهيون الذى احبه» .

وقد كان نصيب اسرة يهوذا من الارض التى استولى عليها بنو اسرائيل بقيادة يوشع بن نون وقسمها بين اسباط يعقوب من قبل أن تجمعهم حكومة موحدة ــ المناطق المرتفعة حول أورشليم ــ المدينة المقدسة ــ ومنـذ حينئذ اشتهرت قبيلته وعلا صيتها حتى اطلق اسمها على مملكة يهوذا .

وعلى هذا فان كلمة يهود كلمة محدثة لم يعرفها العبرانيون الأوائل ، كما لم تكن متداولة فى أيام سيدنا يعقوب ولا فى عهد أى من اسباطه الاثنى عشر (١) وانما اطلقت ابتداء على رعايا مملكة يهوذا من اليهود ، ثم عرف بهـا اتبـاع الشريعة الموسوية بعامة منذ القضاء على ملكهم فى فلسطين بسقوط أورشليم فى أيدى البابليين وأسر اليهود فى عام ٥٨٦ قبل الميلاد .

ومن اسم يهوذا كما يعرف فى اللغة الانجليزية Judah اشتق اسم اليهود فى تلك اللغة Jew كما عرفت اليهودية باسم Judaism

---

(١) أنجب سيدنا يعقوب أبناءه الاثنى عشر المعروفين بالأسباط من أربع نسوة : فانجب من زوجته ليئه كلا من راءوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ؛ وأنجب من زوجته راحيل كلا من يوسف وبنيامين . وأنجب من زلفة جارية ليئة كلا من جاد وأشير ، كما أنجب من بلهة جارية راحيل ابنيه دان ونفتالى .

## الفصل الثـانى

## الصهيونية دين اليهود القومى

يزعم فريق من اليهود أن قومية موحدة تنتظم أوزاعهم كافة مهما حط بهم القرار فى مناكب الأرض ، ولا تنفك كتبهم المقدسة تعمق هـذه العقيدة فى اخلادهم بحسبانهم شعبا ممتازا اصطفته العناية الالهية لخلافتها فى الارض من دون العالمين ، وباعتبارهم سلالة أصلاب مقدسة تنتمى الى سيدنا يعقوب ـ المعروف باسرائيل ـ وتنتهى الى سيدنا ابراهيم أبى الانبياء .

ومابرحت أجيال اليهود فى تعاقبها تمنى نفسها بأرض الميعاد أو المعاد التى طفقت نصوص التوراة تعدهم بها مثابة لهم ومجمعا لتفاريقهم ، وتتحين القدرة على تحقيقها وطنا طائفيا يدين لسلطانهم ويمارسون فيه قوميتهم التى أهدرها الشتات .

ومن خلال هذه العقيدة المقدسة انبثقت الصهيونية دينا قوميا لليهود يتبلور فيها جماع التراث العنصرى اليهودى(١) بأوقاره الأسطورية العريقة ، وبما يرين عليه من اثرة وتعال وصلف . وحيث تلتحم العقـائد الروحيـة المتزمتة ، والتقاليد الاجتماعية المتعصبة ، والمبادىء السياسية المتطرفة ، فى مشيج وجدانى لاهب ، يعنو له أشياعه ويصيبهم بالفتنة والهوس فى تكييف سياستهم العنصرية على الصعيد الدولى ، وعلاقاتهم الاجتماعية مع الاغيار فى المجتمع البشرى .

ومن ثم فقد نصب الصهيونيون انفسهم سـدنة لهـذا الدين القومى ، يلتفون حول مبادئه متكالبين ، دعاة لأهدافه وقامة عليها ، يتولونها بالحدب والرعاية ، تحدوهم النصوص الدينية المقدسة ، ويزدهيهم غرور عنصرى طاغ ، وتستاقهم نعرة متعصبة ضارية ، وتحتثهم عقدة نفسية هوجاء ممـا عانوا من هوان رزحوا تحت نيره أعصرا مديدة ، فتنزع بمناشطهم كل منزع ، مشروعا سائغا أو منكرا ممجوجا ، ابتغاء تجسيد هذه القومية للملأ وابرازها فى المجال الدولى حقيقة واقعة .

---

(١) صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بجلسة ١٠ نوفمبر سنة ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى .

وبوحى من هذا الايمان المطلق بالقومية اليهودية وما وسعته اطماعها الخالبة فى نبوهابالأحلام الاقليمية العريضة عن محجة الممكن والمعقول ، تتوخى الصهيونية هدفا اساسيا معينا تتوفر على تحقيقه جاهده مصابره ، مؤداه امتلاك العالم والسيطرة على شعوبه خالصة لليهود وحدهم تحت امرة حاكم من نسل داود .

وقد استوحى هذا الهدف الجرىء من الوعود الالهية التى حفلت بها التوراة تعززها مبادىء التلمود وتعاليم أحبار اليهود التى تبشرهم بملك العالم وميراثه ، اذ يؤمنون بأنها قد خولتهم حقوقا ربانية مكتسبة لا محيص عنها ولاسبيل الى انكارها ، ثم القت على كواهلهم عبء اقتضائها وانتزاع اقطار المعمورة من الحكومات القائمة التى تتولاها فعلا ، — طوعا أو كرها — بل كرها وعنوة اصالة ، لانه لا سبيل لهذه الحكومات الى الاذعان لهم والتسليم بحقهم طواعية .

وفى غضون العصر الحديث شفع الصهيونيون حقهم الالهى ذاك بثلاثة مصادر أخرى للحقوق ، تاريخية وانسانية واجتماعية ، تؤكد لهم حقوقهم فى ملك فلسطين بالذات .

وهكذا اهتاجت الصهيونية لوثة استعمارية عارمة وعنجهية عنصرية غاشمة وتعصب دينى أعمى ، ترمى الى السيطرة على العالم بأسره واخضاعه لسلطان اليهود وحكمهم وسيادة الدين اليهودى وحده فى أركان المعمورة ، على الوجه الذى أوضحه دستورها المعروف ببروتوكولات حكماء صهيون ، التى انجاب عنها الستر فى أواخر القرن التاسع عشر فى أعقاب انبعاث الدعوة الصهيونية واقتحامها المعترك السياسى الدولى .

## اهداف الصهيونية

لقد اقتضت الظروف الاجتماعية والأحداث السياسية التى لابست ظهور الصهيونية جهرة فى خوضها خضم الحياة السياسية ، — معالجة أهدافها على مرحلتين أساسيتين ، تضم أولاهما الهدف القريب الظاهر كمرحلة تمهيدية تقتصر على المطالب التى يمكنهم اقناع الموالين لهم بالتسليم لهم بها ، بينما تستهدف المرحلة النهائية النتيجة العامة الشاملة التى يكرسون جهودهم لتحقيقها خفية مصابرين فى استخفاء وسرية وفى داب مريب حتى تتهيأ لهم الفرصة لقسر العالم على الخضوع لها حتما مقضيا .

وهم يعملون — توطئة لأطماعهم السياسية وشدا لأزرهم فى تحقيقها — على ان يرتبط اليهود فى مختلف أصقاع العالم برابطة قومية فضلا عن الرابطة الروحية المنبثقة من الدين ، — حتى يستمدوا من تلك الرابطة القومية جنسية دولية مشتركة يدينون لها وتوثق صلتهم بفلسطين وطنهم الروحى ووطنهم السياسى المنشود ايان تناءى بهم المقام .

وسبيلهم الى ذلك اذكاء العصبية اليهودية والنعرة القومية باحياء اللغة العبرية لغة التراث الدينى والفكرى — اذ يرون فيها الوشيجة المثلى التى تجمع اسباب الروابط الروحية والسياسية معا ، فتواصوا بالتعامل بها وركزوا جهودهم فى نشرها بينهم لغة للتفاهم الثقافى والتعامل الاجتماعى .

## ١ ـ المرحلة التمهيدية (دولة اسرائيل الكبرى)

وتهدف الى نتيجة عاجلة مؤداها اقامة وطن قومي لليهود مركزه مدينة أورشليم حيث منطقة صهيون ـ ارض الميعاد ـ التى بشرتهم التوراة بالعودة اليها سادة وحكاما بعد تشريدهم فى اقطار الأرض أيدى سبا ـ يضم أوزاعهم وتتولاه دولة يهودية فى العنصر وفى اللغة وفى الدين ، وتتبنى تحقيق هـذا الهدف حاليا « المنظمة الصهيونية العالمية » .

وقد كانت المقررات العلنية للمؤتمر الصهيونى الاول المنعقد فى عـام ١٨٩٧ م بمدينة بال بسويسرا هى الدستور العملى لهذه المرحلة من الآمال الصهيونية .

كما كان مشروع تيودور هرتزل الذى وضعه فى عام ١٩٠٤ الاطار الذى يضم آمال اليهود ويحدد اطماعهم الاقليمية فى أرض الميعاد (١) .

وقد دبر الصهيونيون أمرهم لتحقيق هذه المرحلة من آمالهم على خطوات رتيبة يتم من خلالها استيعاب أطراف أرض الميعاد .

وأرض الميعاد المنشودة والتى يعتبرها اليهود ـ وعلى رأسهم هرتزل ـ نواة لدولتهم العالمية الكبرى لاتقتصر على منطقة فلسطين ، سـواء فى نطاقها المحدود بتخوم اسرائيل الحالية او حتى فى النطاق الجغرافى الشامل لما اضطمت عليه الحدود الاسرائيلية وماتبقى منه فى حوزة العرب فيما وراء هـذه الحدود ، ـ بل ان هذه المنطقة فى عرف الصهيونيين تتسـع لتشـمل دولة اسرائيل الكبرى التى يصبون اليها فتضم مابين النيل والفرات على مافصلته بعض الوعود التى منى الله بها بنى اسرائيل فى توراتهم كما جاء فى الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين من رقم ١٨ الى ٢١ والاصحاح الاول من سفر يشوع رقم ١ و ٣ و ٤ و ٧ والاصحاح السابع من سـفر التثنية رقم ٢ والاصحاح العشرين من ذلك السفر من رقم ١٠ الى ١٧ والاصحاح السادس من سفر الخروج من رقم ٣ الى ٥ والاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد رقم ٥٠ و ٥١ .

وقد استهدى هرتزل نصوص التوراة فى تعيين الاقاليم التى يطالب بها وطنا قوميا لليهود ، فحددها فى يومياته بما بين نهر مصر ونهر الفرات .

وفى أغسطس سنة ١٩٠٥ حدد المؤتمر الصهيونى السابع الوطن اليهودى المنشود بالمنطقة التى تضم فلسطين وسوريا وأى قسم آخر من تركيا الأسيوية وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص .

وفى المؤتمر الصهيونى الثامن المنعقد فى لاهاى سنة ١٩٠٧ طالب الزعيم الصهيونى ماكس نوردو Max Nordau بمد الحدود الشرقية حتى نهر الفرات (٢) .

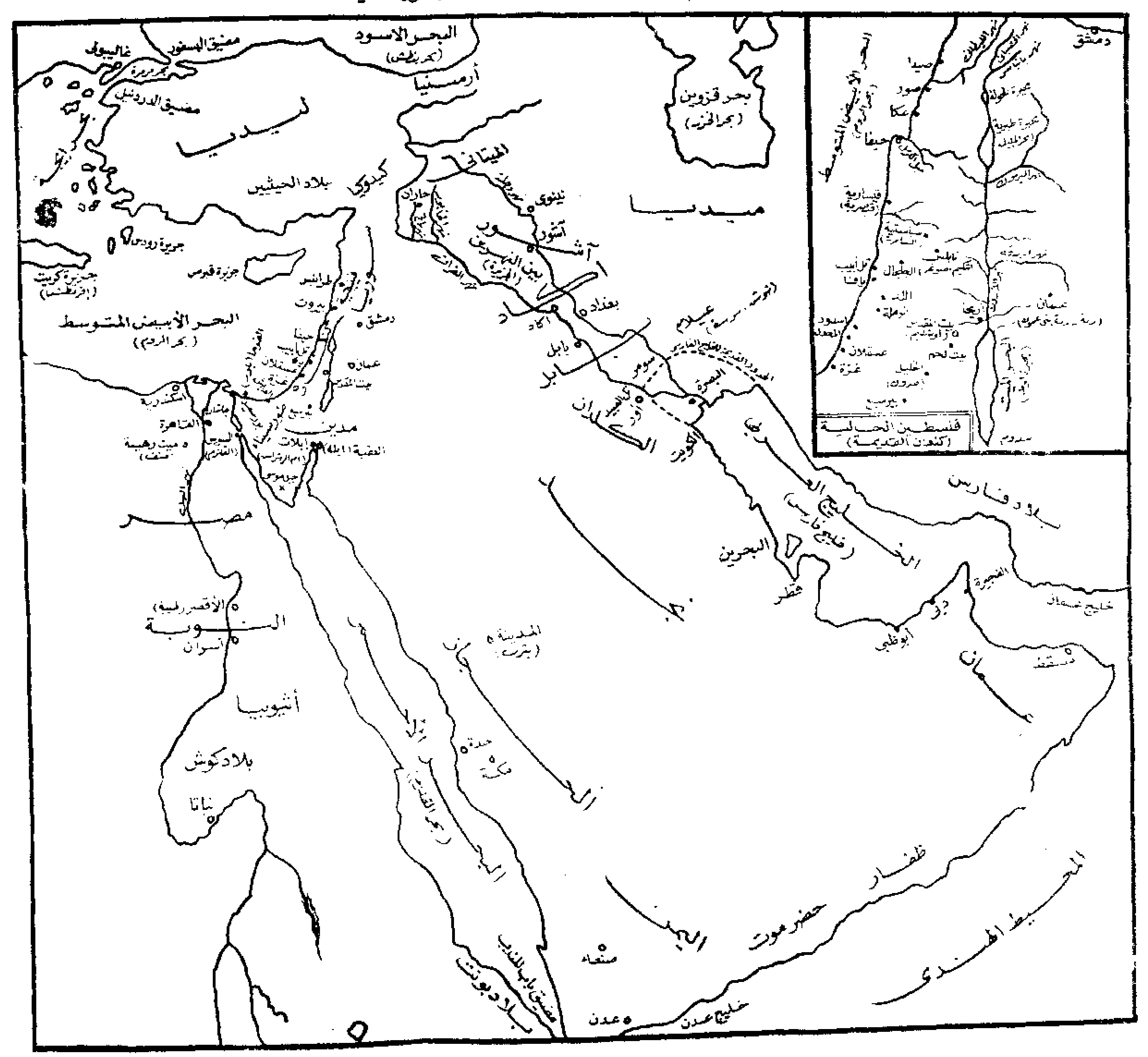
---

(١) مذكرات تيودور هرتزل الجزء الثانى صفحة ٧١١ الترجمة الانجليزية لهارى زرهن طبع نيويورك سنة ١٩٦٠ .

(٢) كتاب اسرائيل الكبرى تاليف الدكتور اسعد رزوق اصدار منظمة التحرير الفلسطينية .

# خريطة الشرق الأوسط

تبين أهم المواقع التاريخية في العصور القديمة





ولقد أسفر الصهيونيون عن أطماعهم الاقليمية فى الشرق الاوسط فى المفاوضات التمهيدية التى سبقت اصدار وعد بلفور بتوطين اليهود فى فلسطين ـ والتى تولاها سير مارك سايكس عن الحكومة البريطانية ، ومثل اليهود فيها الدكتور حاييم وايزمان واللورد روتشيلد وسير هربرت صمويل وغيرهم من اقطاب الصهيونيين ، وسجلت المحاضر الرسمية لتلك المفاوضات ان المنطقة التى يطالب بها الصهيونيون ابتداء تمتد من البحر الابيض المتوسط الى نهر الفرات (١) ، وقد صرح حاييم وايزمان أمام اللجنة الملكية البريطانية سنة ١٩٣٧ بأنه يتمسك بالارض التى وعد الله بها بنى اسرائيل وطنا قوميا لليهود (٢) .

وبتاريخ ٩ يولية سنة ١٩٤٧ قدم الحاخام فيشمان Fischmann عضو الوكالة اليهودية بفلسطين ـ الى لجنة التحقيق الدولية التى شكلتها هيئة الامم المتحدة ـ خريطة لأبعاد الدولة الاسرائيلية المأمولة ، يزعم أنه استمد اصولها من مشروع هرتزل ووعود التوراة ، بيد أنه قد جاوز فى أطماعه حتى ذلك المشروع الخيالى ، وتمادت أحلامه لتضم كافة الاقاليم التى حط فيها أشتات اليهود رحالهم ـ يوما ما ـ فى العصور الخالية ، وهى مناطق رحيبة تبدأ تخومها من مدينة الاسكندرية وتحيط بدلتا النيل من الغرب ثم تنحدر مع محرى النيل جنوبا بطول ضفته الشرقية حتى نهاية الحدود المصرية ومنها تتجه شرقا فى خط مستقيم ينتهى بمصب نهر الفرات ثم تصعد مع مجراه شمالا حتى تلتقى بالحدود التركية حيث تنعطف غربا بمحاذاة الحدود السورية حتى البحر الابيض المتوسط .

وبذلك تتسع مطامع فيشمان لتستلب من مصر اقليم الدلتا والحوض الشرقى لنهر النيل والصحراء الشرقية وسيناء ، وتفتلذ من شبه الجزيرة العربية شطرها الشمالى ومن العراق شطره الغربى ثم تستوعب بادية الشام والأردن وفلسطين ولبنان وسوريا .

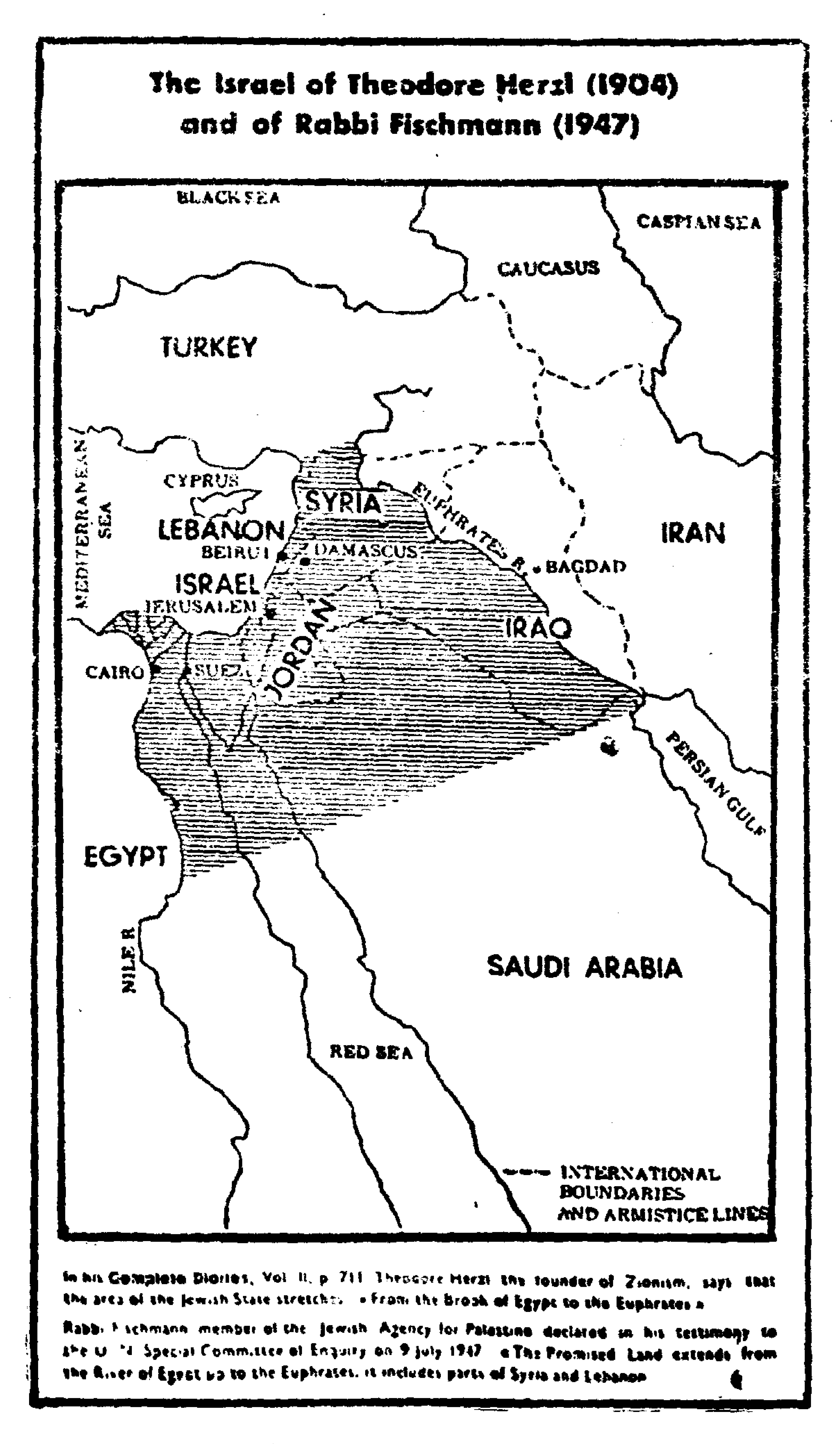
ويستند مشروع هرتزل ـ وبالتالى الحاخام فيشمان ـ للدولة الاسرائيلية التى يصبو اليها اليهود ـ فى ضم اقليم دلتا النيل الى تخومها ، ـ الى أن أرض الميعاد ، كما حددها النص العبرى لسفر التكوين ، تمتد «من نهر مصرايم الى النهر الكبير نهر الفرات » . وكلمة «مصرايم» صيغة للمثنى فى اللغة العبرية ، وبذلك يعنى نهر مصرايم ـ فى زعمهم ـ فرعى النيل اللذين يضمان أقليم الدلتا أو الوجه البحرى .

على أن هذا التفسير الصهيونى ينطوى على مغالطة تاريخية صارخة ، فان مرد تسمية مصر باللفظ العبرى «مصرايم» بصيغة التثنية ـ أن المصريين القدامى كانوا يطلقون على بلادهم اسم «القطرين» أو «الأرضين»

---

(١) كتاب الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس الجزء الثانى فى عدوان الغرب تاليف الأستاذ محمد على الغتيت صفحة ٢٩٣ .

(٢) عن مقال بعنوان « بنو اسرائيل وأرض اسرائيل » بقلم ر.ج. زفى فيريلوفسكى المنشور فى كتاب « فى الفكر الصهيونى المعاصر » طبع بيروت سنة ١٩٦٨ نشر مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية صفحة ٢٦ .




الأطماع الصهيونية فى الشرق الأوسط كما يفصلها المشروع المقدم من الحاخام فيشمان عضـــو الوكالة اليهوديـــة بفلسطين الى لجنة هيئة الأمم المتحدة .

بصيغة المثنى نسبة الى قطريها المعروفين : الوجه البحرى والوجه القبلى أو مصر السفلى ومصر العليا ، اللذين كان كل منهما يكون وحدة سياسية وادارية مستقلة الى ان وحدهما الملك مينا مؤسس الاسرة الفرعونية الاولى . وقد حافظ المصريون على هذه التسمية المثناة طوال العصر الفرعونى . ومازالت لها آثار باقية حتى الآن .

فصيغة المثنى للاسم العبرى « مصرايم » ليست فى الواقع الا ترجمة للاسم المصرى القديم (١) .

ومع هذا ، فان التوراة تذكر ان القطر المصرى حمل اسم « مصرايم » نسبة الى « مصرايم بن حام » الذى كان أول من حل بها من نسل نوح بعد الطوفان ثم عمرها خلائفه من بعده .

وقد طالما جاهر زعماء اليهود المسئولون بأن الاطماع الصهيونية تستهدف الاستيلاء على أرض التوراة ، وتضم فى اعتقادهم القطر الفلسطينى كله والاردن وسوريا ولبنان والعراق ، ومن الاراضى المصرية سيناء والدلتا ، ومن شبه الجزيرة العربية مناطق خيبر وبنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع وغيرها من الأراضى الحجازية المجاورة للمدينة المنورة بما فيها قسم كبير من المدينة المنورة نفسها ، بحجة أن هذه الاقطار كانت مواطن للعبرانيين فى العصور الماضية (٢) . وهم يستشهدون على ذلك بأن ماترنو اليه أبصارهم من الأراضى الحجازية تنسب أسماؤها الى قبائل يهودية قديمة تحدث عنها التاريخ ، وأن المدينة المنورة كانت تعرف قبل الاسلام بالاسم العبرى «يثرب» . أما عن العراق فقد كانت مهد سيدنا ابراهيم وموطن عشيرته الاول .

كما أنهم يبنون حقهم فى ضم مدينة الاسكندرية الى ملكهم المزعوم على وجود جالية يهودية كبيرة بها فى العصر البطلمى ، كانت قد أهرعت اليها لواذا منذ عام ٣٢٠ قبل الميلاد فى ركاب القائد الاغريقى بطليموس بن لاجوس مؤسس الدولة البطلمية فى مصر ، عقب غزوه لبلاد الشام .

ذلك ، على الرغم من أن هذه الجالية اليهودية قد انقرضت منذ دخول

---

(١) يرى الأستاذ جورج بوست ان المقصود بنهر مصر ( وبالتالى نهر مصرايم ) هو نهر العريش وليس نهر النيل كما يتبادر الى الذهن وبذلك يحدد أرض الميعاد كما وردت فى التوراة بأنها « من نهر مصر العريش الى النهر الكبير نهر الفرات » وهو تاويل يشذ عن المألوف والمعروف ؛ نثبته ليكون موضع نظر .

(انظر صفحة ١٧١ من الجزء الثانى من كتاب « قاموس الكتاب المقدس » تأليف جورج بوست - المطبوع باللغة العربية فى بيروت سنة ١٨٩٠ ) .

( وانظر أيضا البحث المعنون « أسماء فلسطين » الذى ألقاه الدكتور اسحق موسى الحسينى فى مؤتمر الدورة السابعة والثلاثين لمجمع اللغة العربية المنعقد بالقاهرة فى الفترة من ١٥ فبراير الى أول مارس سنة ١٩٧١ ) .

(٢) كتاب « حقائق عن قضية فلسطين - تصريحات وأحاديث للسيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا بفلسطين » اصدار مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين طبع القاهرة سنة ١٩٥٧ صفحة ٣٤ وما بعدها .

المسيحية مصر ، كما انقرض الدين اليهودى من أراضى الحجاز منذ فجر الاسلام .

وهكذا تمتد أطماع الصهيونيين فيما وراء أرض التوراة ــ الى البلاد التى كانت ــ يوما ما ــ موئلا للاجئين اليهود الذين تفزعتهم محن الشتات ، فآوتهم من شرود وأطعمتهم من جوع وآمنتهم من خوف وضياع .. يجزونها اليوم على ماأسلفت لهم من صنائع جزاء سنمار : السطو عليها واغتصابها واهدار حقوق أهلها فيها .

وقد اطلع السيد محمد امين الحسينى مفتى فلسطين الاسبق على خريطة كانت محفوظة فى خزانة روتشيلد بمدينة فرانكفورت فى المانيا ــ معنونة «مملكة اسرائيل » وتضم جميع الاصقاع السالفة تفصيلا (١) .

ولقد حاول الصهيونيون التسلل الى الاقطار الحجازية بالفعل تحقيقا لأطماعهم فيها وتوسلوا فى ذلك بالمستر فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، فانتهز فرصة اجتماعه بالملك عبد العزيز آل سعود فى مصر فى أواخر الحرب العالمية الثانية ، وطلب منه السماح لليهود بالهجرة الى شمال الحجاز وعرض عليه فى مقابل ذلك عشرين الف ليرة ذهبا ، الا أن الملك العربى رفض هذا الطلب وأبلغه انه لن يسمح ليهودى بأن تطأ قدماه أرض الحجاز(٢) .

ولقد تأتى لليهود أخيرا أن تنشب مخالبهم فى فلسطين ويعلنوا قيام دولتهم اسرائيل فى شطر منها بتأييد من الدول الاستعمارية الضالعة معها ، والتى يسيطر اليهود بأموالهم على سياستها ، وذلك على أمل ان تكون الدولة اليهودية الصنيعة تكأة للاستعمار فى الشرق ، ونصلا حادا مغمدا بين ظهرانى العرب لايفتأ يحتزهم ويستنزف قواهم حتى تخور فتتداعى ، ويخلدوا الى الخنوع والاستسلام ولاتقوم لهم قائمة .

ولم يكن ما بلغه الصهيونيون من نجاح فى خلق دولتهم اسرائيل أو اختلاقها بحامل لهم على الأناة والأخذ بأسباب الحكمة والتعقل ، ولو مداورة للرأى العام العالمى ولهيئة الأمم المتحدة التى كان مابلغوه منتهى مظاهرتها لهم وتأييدها لأطماعهم .

فأعلنوا رسميا فى تحد ومكابرة تمسكهم بامتداد سلطانهم الى ما بين مصر والعراق من اقطار شاسعة ــ حتى انهم وضعوا فى الكنيست ــ المجلس النيابى الاسرائيلى ــ خريطة تبين حدود دولتهم المنشودة ودونوا تحتها عبارة « من النيل الى النهر الكبير أرضك يا اسرائيل » التى اتخذوها شعارا رسميا لهم ماثلا لأنظارهم يستهدونه ويحفز أطماعهم ويستثير حميتهم .

وما برحت الفكرة الصهيونية الجريئة وما تنطوى عليه من اطماع اقليمية فى البلاد العربية تستجيش اسرائيل وتستثير كلبها وضراوتها ، فتشن اعتداءاتها المتكررة على الأقطار العربية المتاخمة تبغى صرعها والتهامها ، لولا مجن القومية العربية المنيع الذى تدرع به تلك الأقطار والذى يأخذ على

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٢٢ .

(٢) كتاب المؤامرة الكبرى للاستاذ اميل الغورى صفحة ١١٩ .

اسرائيل السبيل فيرد كيدها ويفل مضاربها ويحول دون انقضاضها على تلك الأقطار وافتلاذها فرادى فرائس مستضعفة سائغة .

ولقد أعلن بن جوريون فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ فور قيام دولة اسرائيل :

« ان الصهيونية قد حققت هدفها فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقا عليه وبفضل قوات الهاجاناه . وليست هذه نهاية كفاحنا بل اننا اليوم قد بدأنا وعلينا أن نمضى لتحقيق قيام الدولة التى جاهدنا فى سبيلها من النيل الى الفرات » ويعنى بن جوريون أن دولة أسرائيل قامت على مساحة أكبر مما منحتها مشروعات التقسيم .

كما أعلنت اسرائيل فى كتاب الحكومة الرسمى عن عام ١٩٥٥ التزامها الرسمى بالسياسة التوسعية بالعبارة التالية :

« ان خلق الدولة الجديدة لا ينقص بحال من الأحوال اطار الحدود التاريخية لأرض اسرائيل » .

وما انفكت اسرائيل تغتنم كل فرصة لتنفيذ الأهداف الاقليمية الصهيونية التى كانت هى نواة لها وتمهيدا لتحقيقها ، فلما ان نشب الخلاف بين انجلترا وفرنسا من جهة وبين مصر من جهة أخرى اثر تأميم شركة قناة السويس ، اشتركت معهما فى مغامرة العدوان العسكرى على مصر فى عام ١٩٥٦ ، وحاولت جاهدة أن تظفر بمكاسب اقليمية من خلال هذا العدوان فتضم اليها الأراضى التى احتلتها فى سيناء ، وقد حاولت السيطرة على منطقة شرم الشيخ والاحتفاظ لنفسها بحرية الملاحة فى خليج العقبة ، وكان اصرار مصر على حقها فى منع السفن الاسرائيلية من المرور عبر مضيق تيران فى عام ١٩٦٧ منطلق الشرارة التى اندلعت منها حرب يونيو من ذلك العام ، وذريعة اسرائيل فى عدوانها المرسوم من قبل على البلاد العربية ، وقد اتاحت المباغتة الاسرائيلية للقوات العربية احتلال سيناء والضفة الغربية لنهر الاردن والقدس العربية وغزة ومنطقة جولان السورية .

ورغما عن استنكار الراى العام العالمى وصدور قرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ بضرورة انسحاب اسرائيل من المواقع التى احتلتها ، الا انها تحدت هذا القرار ولم تذعن له لأنه يتعارض مع أطماعها التى استهدفتها أصلا من عدوانها المبيت .

وكان أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل قد واجه هيئة الأمم المتحدة بالتحدى والعناد من قبل ، حين صرح فى جلسة الجمعية العامة المنعقدة فى ١٧ يونية سنة ١٩٦٧ « ان اسرائيل سترفض اية محاولات فى الجمعية العامة للعودة الى الأوضاع التى كانت سائدة قبل ٥ يونية سنة ١٩٦٧ » .

وأيده وزير الدفاع الاسرائيلى بتصريح فى ذلك التاريخ قال فيه « اننا سوف لا نتراجع بوصة واحدة عن المناطق التى استولينا عليها » .

كما أعلن رئيسا الحاخامات الاشكنازيم والسفارديم — آنذاك — أن اعادة أى جزء من الأراضى العربية المحتلة يعتبر خطيئة .

وما برحت الحكومة الاسرائيلية — تحت تأثير الضغوط الرسمية والرأى

العالم العالمي ـ تراوغ لاغتصاب أقصى ما تستطيع من الأرض العربية في صورة مموهة قد تبدو للنظرة السطحية العابرة مقبولة ومشروعة .

فاشترطت لتنفيذ قرار مجلس الأمن اجراء مفاوضات مباشرة مع الدول العربية المتاخمة وتعيين حدود جديدة آمنة معها .

فأما طلب تعديل الحدود فانه مداورة غير مستورة لمد رقعتها الجغرافية على حساب الدول العربية . ولا عبرة بما تدعيه اسرائيل من حاجتها الى حدود آمنة . ذلك لأن الأجدر بطلب الأمن والامان انما هم العرب . فاسرائيل هى المعتدية دائما ، ولم يحدث قط ان بدأها العرب بعدوان . أما حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ التى شنتها مصر وسوريا ، فكانت فى حقيقتها كرة موصولة بالعدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ لاسترداد ما احتلته من اراضيهما وما استأنت فى ميقاتها الا التقاطا للانفاس ، وتوفرا على دعم القوى ، وتحينا للمبادرة فى ابانها .

ومما يدحض حجة الحدود الآمنة ، أن اسرائيل استطاعت فى عام ١٩٦٧ أن تحتوى جيوشا عربية ثلاثة وأن تنزل بها هزيمة قاصمة رغم انها واجهتها من تخوم كانت اسرائيل تعتبرها حدودا مكشوفة غير آمنة ـ وعلى النقيض من ذلك ، فقد تأتى للقوات المسلحة المصرية السورية فى عام ١٩٧٣ أن تهزم الجيش الاسرائيلى وتحطم حصونه المنيعة وتلحق به افدح الخسائر ، مع انها واجهته من منطلقات اعتبرتها اسرائيل حدودا طبيعية آمنة اطمأنت اليها وأوقفت عندها زحفها فى سيناء ومرتفعات الجولان فى ثقة بالغة توهمت معها انها مانعتها من بأس العرب ، وشيدت على شاطىء قناة السويس حصن بارليف المنيع مرقبا تترصد منه أعداءها ، ودرعا لحاميتها المرابطة تمتنع به فوق امتناع . الا أن تلك الحدود التى أنست اليها والتمست فيها الأمان سرعان ما انقشعت كالسراب الخالب وتداعت الحصون المشيدة بددا ، وواتتها الهزيمة عجلى من حيث لاتحتسب .

ثم ان تمسك اسرائيل باجراء مفاوضات مباشرة انما هو حيلة ماكرة تبتغى بها اختلاس المشروعية لما تغتصبه من أرض تحت ستار الحدود الآمنة ، وتحايل على ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى لا يجيز لأى عضو من اعضائها الاستيلاء على أرض عضو آخر عن طريق الغزو والقهر ، الا أن يكون الاستيلاء تنازلا عن تراض وباتفاق معقود بين الطرفين .

ولايعزبن عن البال أن وجود اسرائيل على ارض فلسطين اصلا انما هو اقحام غير مشروع ، وفضول عاد على الكيان العربى الأصيل فى المنطقة لا يعترف به على أى وجه ، ولاتسوغه لديه أية ذريعة يتشبث بها الصهيونيون وتؤيدهم فيها الامبريالية العالمية لمصالح ذاتية تنشدها .

***

ولا يتعارض مع هذا الذى نراه ونشهد عليه ونلفت اليه باصرار ، من كلب صهيونى استعمارى ضار ـ ما تم اخيرا فى اعقاب معارك أكتوبر سنة ١٩٧٣ من تراجع اسرائيل عن بعض ما احتلته من الأراضى العربية بعد هزيمة العرب فى يونية سنة ١٩٦٧ ، فواقع الأمر ان اسرائيل قد أكرهت على ذلك

الانسحاب تحت ضغط السلاح المصرى والسورى . ولم يكن انسحابها قط عن تراجع فى العقيدة الصهيونية وعدولا عن اهدافهـا التقليدية المقدسـة . اوفيئا الى الصواب والمعدلة ، او حتى مجرد اذعان للراى العام الدولى وامتثالا لقرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن بوجه خاص . فما هو الا تقهقر عسكرى بحت اضطرتها اليه القوة القاهرة تحت ضغط الخسائر الفادحة التى منيت بها فى العنصر البشرى خاصة ـ وتؤكد الطابع العسكرى لهذا الانسحاب نصوص اتفاقات فض الاشتباك بين الجيوش المصرية والسورية من جانب ، والاسرائيلية من الجانب الآخر والمبرمة فى عامى ١٩٧٤و١٩٧٥ .

هذا ، وأيا ما كانت نتيجة الاتفاق النهـائى بين العرب واسرائيـل ـ المزمع عقده فى مؤتمر جنيف المرتقب حسما للمشكلة برمتها ـ ولو افضى الى مزيد من انحسار المد الصهيونى وانسحاب اسرائيل عن بلاد اغتصبتها . أو بالأحرى غنمتها فى غزواتها المتلاحقة كما يدور فى خلدها عن يقين ، فاننـا نرى أن الصهيونيين لن ينفكوا أسرى عقيدتهم العنصرية الهوجاء التى تسيطر على عقولهم وعلى وجدانهم الدينى المتعصب ، حتى غدت فطرة مميزة وطبيعة لازمة وملزمة لهم ، ولن يثنيهم عن مآربهم المقدسة الا الشعور بالعجز الذاتى والقصور المادى ، حتى اذا ما انسـوا من جيرانهم موهنـا وواتتهم القـوة للانقضاض نزعوا اليها بدارا غير حافلين بعهود أبرموها أو قرارات تصـدرها المنظمات الدولية ، فديدنهم الغدر ونكث العهود ونقض المواثيق ، والانصياع للقوة وحدها اقداما واقبالا أو احجاما وادبارا .

* * *

وهكذا تبدت اسرائيل على الصعيد الدولى ، محور الارتكاز بالنسـبة للحركة الصهيونية بعامة ، وقاعدة لمناشطها العدوانيـة المتعـددة ، كمكمن التسلل السياسى والاقتصادى ، ومجاز للوثوب الغازى الجامح ، وطليعة للزحف الصهيونى العالمى الى آفاق الدنيا العريضة مطمح آمالها واطماعهـا الخيالية الرهيبة .

وقد استراب ادولف هتلر ـ مستشار المانيا النازية ـ فى أهداف اليهود البعيدة من وراء انشاء الوكالة اليهودية والاسـتيلاء على فلسـطين ، حيث يقول فى كتابه « كفاحى » مندداً ومحذرا :

« بينما يحاول الصهيونيون أن يقنعوا بقية العـالم بأن الوعى القـومى اليهود يتحقق بخلق دولة فى فلسطين ، فهم أيضـا ماكرون يخدعون غيرهم من الأمم ، فلن يدخل فى رؤوسهم أن يبنوا دولة يهودية فى فلسطين من أجل الحياة هنالك ، وكل مايبتغون هو اقامة تنظيم مركزى لخداعهم الدولى للعالم تكون له حقـوق السـيادة الخاصـة به ويكون بعيـدا عن تدخـل الدول الأخرى (١) » .

---

(١) مشار اليه فى كتاب « الصهيونية فى المجال الدولى » الدكتور محمد عبد المعز نصر ـ من مجموعة اخترنا لك العدد رقم ٣٦ طبع واصدار دار المعارف بمصر صفحة ٩٣ .

## ٢ ـ المرحلة النهائية ( الدولة اليهودية العالمية )

يتوفر اليهود فى هذه المرحلة على اشاعة الفساد وبث الفوضى فى حكومات العالم وشعوبه ، فوضى سياسية وفوضى فكرية وروحية على النحو الذى رسمته لهم بروتوكولات حكماء صهيون وهى القرارات السرية للمؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال بسويسرة .

حتى إذا ما تهاوت الحكومات متداعية ورضخت الشعوب مستسلمة متحللة من عقائدها الدينية وقيمها الاجتماعية ، تأتى لليهود أن يقوموا بالانقلاب الشامل ويقيموا دولتهم العالمية الكبرى ، وأن يسيطروا على شعوب العالم سيطرة سياسية واقتصادية وروحية ، وبذلك يتحقق الهدف المنشود الذى يعتقد اليهود ان الله قد آثرهم به من دون البرايا جميعا ، بحسبانهم شعب الله المختار الذى خوله الحق فى سيادة العالم وحكمه ، وبحسبان دينهم هو الدين الحق وحده الذى ينبغى لشعوب الأرض أن تدين به وتدين لتعاليمه .

وقد اضطلع « المؤتمر اليهودى العالمى » بمسئولية هذه المرحلة من أحلام اليهود ، من خلال أجهزته المنبثة فى شتى بقاع الارض متمثلة فى العديد من المنظمات اليهودية المختلفة النماذج والمناشط والأهداف .

## الفصل الثالث

## الصهيونية منهب دينى ودعوى سياسية

### (١) الأصل الدينى

تنسب الصهيونية Zionism الى جبل صهيون بفلسطين ، وهو أحد جبال اربعة اقيمت عليها مدينة اورشليم (١) العاصمة الروحية لليهود .

وقد أضفت التوراة هالة من القداسة على جبل صهيون خاصة ففيه يقيم «يهوه» اله اليهود فيما يزعمون ، وفى رحابه يظهر المسيح المخلص الذى ينتظره اليهود بشيرا بغفران الله وتوبته عليهم وخلاصهم مما يقاسون من بأس واعنات بعد تطهرهم من أدران الموبقات والمعاصى التى ظلوا عليها عاكفين لآماد طوال .

ومن ثم فقد استطارت شهرة صهيون وسمت مكانته لدى اليهود حتى غدا رمزا لمنطقة أورشليم المقدسة .

والصهيونية مذهب دينى استعمارى متطرف يتمذهب به غلاة اليهود ، فحواها السيطرة السياسية الجائحة والغرور العنصرى الغشوم والتعصب الدينى الجانح ، قد شط بها التعصب حتى جاوزت كل خيال فى الجموح والغلو ، فهى ترمى الى تقويض النظم السياسية للمجتمع الدولى بأسره واخضاعه لنير اليهود وحكم آل داود المباشر واصطناع شعوبه رقيقا منكر الانسانية مغموط الحقوق ، ثم بسط السلطان الروحى للدين اليهودى على شعوب الارض طرا من دون سائر الأديان ، سماوية كانت أم وضعية ، وسبيلها الى أهدافها البطش الدموى والارهاب الفكرى والاجتماعى واهدار القيم الانسانية جميعا .

ومبنى النظرية الصهيونية الايمان بما تردد التوراة من أن الله قد استخلف اليهود فى الأرض وأورثهم أقطارها وشعوبها حقا مقدسا مقضيا ، وأن الدول والحكومات القائمة كافة ـ دعية مغتصبة ، وأن على اليهود المجاهدة لاقتضاء حقهم الهضيم فى فلسطين أرض الميعاد تحت امرة حاكم من نسل داود ، فاذا ما استتب لهم الأمر فيها عملوا على تنفيذ الشق الثانى من

---

(١) اورشليم اى مدينة السلام وهو الاسم القديم لبيت المقدس .

الوعود الالهية واتخاذ ملكهم فى فلسطين قاعدة لملكهم العالمى السرمدى ، وقسر الحكومات والدول على التسليم لهم والاستسلام لمشيئتهم المستمدة من مشيئة الله وارادته .

ويتصل نفاذ هذا الشق العالمى بظهور المسيح المنتظر الذى افاضت التوراة فى ذكره .

ويلاحظ أن الرغبة فى بسط السلطان اليهودى على فلسطين مبدأ مسلم به من طوائف اليهود جميعا . كما انهم يؤمنون كذلك بأن المسيح المنتظر سوف يخلص أوزاع اليهود المشتتين فى أقطار الأرض مما يعانون من هوان وتشريد ويعيدهم الى فلسطين، حيث يتخذونها قاعدة يبسطون منها سلطانهم السياسى والروحى على فجاج الارض . تلك مبادىء يسلم بها اليهود على اختلاف نحلهم ومذاهبهم ، بيد أن ما يميز الصهيونية عن غيرها من المذاهب اليهودية هو اعتقاد أشياعها الجازم بأن الخلاص على يد المسيح خلاص مادى وليس خلاصا روحيا فحسب كما يعتقد البعض ، ـ ثم انهم لا يصطنعون السلبية حيال الوعود الالهية انتظارا لمشيئة الله وتصرفات القدر كى تعيد اليهود الى فلسطين سواء من قبل ظهور المسيح أو من بعد ظهوره . وانما عليهم فرضا أن يعملوا من جانبهم بما أوتوا من قوة وجهد وأيا كانت السبل باغية وعادية للعودة الى أرض الميعاد والتمهيد للمسيح المنتظر لاكمال رسالته التى فصلتها نبوءات التوراة .

وعلى ذلك فان السبل التى تسلكها طوائف اليهود جميعا لتحقيق الوعودالالهية سلسة كانت أم عدوانية باغية ـ تلتقى بهم جميعا فى النهاية عند هدف واحد مجمع عليه تزكيه نصوص التوراة التى يؤمن بها اليهود كافة.

ومصداقا لذلك نجد ان كثيرا من الطوائف التى كانت تتظاهر بمناهضة الصهيونية قد سارعت الى الانضواء تحت لوائها والتشيع لها بعد أن تم انشاء دولة اسرائيل فى فلسطين قبيل ختام النصف الأول من القرن الحالى .

ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ منظمة « اغودات اسرائيل » ـ التى كانت تعارض الصهيونية ثم استسلمت لها أخيرا واصبحت فى اسرائيل من الأحزاب الدينية الهامة .

ويقول أوسكار هاندلين الأستاذ اليهودى للتاريخ الامريكى بجامعة هارفارد فى محاضرة القاها بالمؤتمر الصهيونى الدولى «أنا واحد من اليهود الذين ذابوا فى المجتمع الامريكى لم أكن صهيونيا قط ، وكنت أعارض قيام دولة اسرائيل فكريا ، وان كنت الآن أتمنى لها النجاح (١) » .

كما يقول المؤرخ اليهودى سيسيل روث «ان هؤلاء اليهود الذين عارضوا قيام دولة اسرائيل يتمنون الآن نجاحها ولا شك بعد ان قامت بالفعل(٢)» .

هذا ـ وبالنسبة للمرحلة الأولى من اهداف الصهيونية ـ والتى تتلخص فى العودة الى فلسطين ، فانه ثابت من أحداث التاريخ انها لم تتخلى مظهرا

---

(١) كتاب اسرائيليات تاليف الأستاذ احمد بهاء الدين الطبعة الثانية بدار الهلال بالقاهرة صفحة ٦٧ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٦٤ .

ايجابيا الا كلما كان اليهود بمنأى من فلسطين وامتنعت عليهم ، أو كانوا فيها مخذولين ترهقهم الذلة والهوان .

ومن ثم فان محاولة سيدنا موسى دخول فلسطين مع العشائر اليهودية الهاربة من مصر ، ومن بعده غزوة يوشع لتخوم فلسطين . ثم تأسيس مملكة اليهود الأولى فى عهد شاؤول ، ثم عودة اليهود من بابل بعد السبى بزعامة زروبابل ، ثم ثورات اليهود فى فلسطين ضد الحكم البطلمى وضد الحكم الرومانى ، ثم محاولات اليهود فى العصور الحديثة شراء أراض فى فلسطين يمارسون فيها حياة الاستقرار ، ثم انشاء دولة اسرائيل الحالية ، ــ كلها حركات صهيونية خالصة .

كما انه ــ بالنسبة للشق الثانى من الوعود الالهية ــ فان من الحركات الصهيونية البحت حركة سبتاى زيفى الذى قام فى سالونيك فى عام ١٦٦٦ الميلادى مدعيا انه المسيح المنتظر ابتغاء تجميع اليهود تحت زعامته لتحقيق نبوءات التوراة .

وعلى هذا فان جذور الصهيونية تمتد الى أصول الدين اليهودى وترجع الى نشأته ، كما يبين من مطابقة أهدافها على نصوص التوراة ومن استقراء التاريخ اليهودى والحركات الوطنية اليهودية .

فالطابع الدينى هو السمة الأصلية لنظرية الصهيونية ، ويعترف الدكتور سولمون شختر (١٨٤٧ ــ ١٩١٥) بهذه الحقيقة حيث يقول (١) « حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشيطين تكون اليهودية حية عاملة » .

ولما أن حاول بير بوروشوف علاج مشكلة الاضطهاد اليهودى عن طريق أرض التوراة التمس السند المقنع لهذا التخصيص فأعياه ولم يستجب له المنطق فى ايجاد الصلة المعقولة بين اليهود وبين فلسطين ــ واستبان له أن هذه الصلة لا يمكن أن تدرك الا بالرجوع الى بعض الخفايا الروحانية (٢) التى لا يدركها العقل المجرد فلا مناص من التسليم بما جاء فى التوراة على علاته .

وعلى أثر اندلاع ثورة العرب فى فلسطين فى عام ١٩٣٦ ضد المطامع الصهيونية فيها ، شكلت حكومة الانتداب البريطانى «اللجنة الملكية البريطانية» لعلاج المشكلة وكان هدفها تقسيم البلاد بين العرب واليهود . وقد صرح الزعيم الصهيونى وايزمان امام هذه اللجنة سنة ١٩٣٧ أن مبنى حق اليهود فى فلسطين انما هو « وعد الله بأرض اسرائيل » فهو قد اضطر الى الاسفار عن السند الدينى الأصيل الذى لا سند لليهود سواه بعد أن تقطعت به الأسباب وخذلته سائر المزاعم والأسانيد المنطقية والقانونية . وتأييدا لذلك يقول دافيد بن جوريون مؤسس دولة اسرائيل « أن الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بال ولابوعد بلفور ولا بقرارات الامم المتحدة عام ١٩٤٨ لكنها بدأت يوم وعد الله ابانا ابراهيم وعده » .

---

(١) The Odyssey of an American Zionist by Julius Haber, p. 49.

(٢) من مقال بعنوان « بنو اسرائيل وأرض اسرائيل » بقلم ر.ج. فيربلوفسكى ــ منشور فى كتاب « فى الفكر الصهيونى المعاصر » نشر مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية طبع بيروت سنة ١٩٦٨ صفحة ٢٥ .

## ٢ ـ المطامع السياسية

وما فتئت الصهيونية منذ استئصال شأفة اليهود من فلسطين عقيدة مستخفية تختمر فى أخلاد أنصارها من غلاة اليهود ، وأماني تساور أحلامهم فى منظمات سرية يجنها الضعف والخور ويكبتها الهوان وقصور العزيمة ، حتى اتخذت لها مظهرا ايجابيا نظيما لأول مرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فى أعقاب المذابح المروعة التى رزىء بها اليهود فى روسيا فى عام ١٨٨٢ فى عهد القيصر اسكندر الثانى ثم اجتاحت سائر دول أوربا الشرقية والتى استثارت اشفاق الضمير الانسانى لبشاعتها ، واستغلها اليهود فى استدرار العطف عليهم وتهيئة أذهان المجتمع الامريكى والاوروبى للاصغاء الى مطلبهم بضم شتاتهم فى مأوى قومى يلوذون به بمنجاة من الاضطهاد والهوان . ولقد ابتغوا بهذا المطلب المتواضع الاستهلال لأطماعهم الكظيمة والتوطئة لآمالهم المكبوتة لاتاحة منفس لغلوائهم وثغرات يطلون منها على دنياهم الموعودة ، دنيا الاستعمار الدينى والسياسى على أوسع مدى .

وقد ظلت الصهيونية مجرد مبادىء يعتنقها طائفة من اليهود ، لا تجرؤ على أن تسفر عن نفسها ولا عن اهدافها تحت اى اسم ، حتى تأتى لها أن تظهر تحت اسم اليهودية العالمية ومن دونه مارست نشاطها بحجة تبنيها لصالح اليهود ، وباعتبارها منظمة يهودية انسانية تتوفر على رعاية اليهود المنبثين فى انحاء العالم .

وبعد أن كان المظهر الحيوى للصهيونية حتى مطلع القرن التاسع عشر قاصرا على التدبير السرى والتسلل الخفي الى فلسطين ، دوى صوت اليهود فى عجيج الفورة الفكرية والقومية الغامرة التى استجاشها المفكرون الاحرار واستطارت الشعوب نقعها صخابة هدارة ، فطالبوا جهرا بفلسطين وطنا قوميا ، ثم هبوا بزعامة تيودور هرتزل يطالبون بدولة يهودية فى فلسطين موطنا قوميا لأوزاع اليهود فى أرجاء العالم كحل سياسى لمشاكلهم العنصرية ، حتى اذا ما اشتد ساعدهم وقويت شوكتهم سخروا دول أوروبا وامريكا ـ انجلترا والولايات المتحدة خاصة ـ لتحقيق أهدافهم المنشودة .

ويرجع استعمال اصطلاح « الصهيونية » بمفهومها السياسى الشامل ـ منذ عام ١٨٩٣ الميلادى ـ الى الصحفى اليهودى الالمانى ناثان بيرنباوم Nathan Birnbaum رئيس جمعية كاديناح كبرى الجمعيات اليهودية التى تألفت فى النمسا لتشجيع الهجرة الى فلسطين ، وهو اول من نادى بعقد مؤتمر صهيونى عالمى للتداول فى امر اليهود والاجماع على رأى موحد يلتزمون به .

وكأنما كان يتوخى فى نسبة هذه الحركة السياسية الى منطقة صهيون فى أرض فلسطين ـ وهى مناط القداسة فى أرض المعاد والميعاد ـ أن يستغل هذا الاسم المقدس فى استنهاض العزائم الفاترة وابتعاث تعبئة روحية فائرة ، لما له من مغزى دينى خالب يضفى على الحركة هالة باهرة تأخذ بمجامع الألباب وقوة دعائية مدوية تصك السامع وتهز المشاعر اينما انطلقت . كما يستمد من هذه التسمية طاقة روحية تستهوى عواطف اليهود تهفو اليها من مشارق الأرض ومغاربها ، وتستثير حميتهم الدينية فتحفزهم على الانضواء تحت لوائها واعتناق مبادئها متهافتين فى حماس وتكالب .

المبحث الأول

# الباب الثاني

# نشأة الصهيونية وتطور مقوماتها

## الفصل الأول

## الصهيونية الدينية

### نشأة الصهيونية الدينية

الواقع أن الصهيونية تعاصر فى انبعاثها نشأة الدين اليهودى ذاته حيث تستمد من تعاليمه قوامها وفكرتها .

واذ كانت نصوص التوراة قد وضعت منجمة فى أسفار على فترات زمنية متباعدة ، فقد تكونت المبادىء الصهيونية على هينة تبعا لوضع تلك الأسفار ثم تبعا لتطور الظروف والأحداث وتطور العقلية الصهيونية ذاتها .

ولقد كانت نواة الصهيونية وعود التوراة لليهود بملك فلسطين ، وكان نطاقها حينذاك محليا فى الحدود التى فصلتها آيات التوراة التى تضمنت هذه الوعود .

ويعتبر الصهيونيون سيدنا موسى أول زعيم صهيونى حاول العودة باليهود الى فلسطين وتحقيق الوعود الالهية لولا أن خذله الشعب اليهودى .

ولقد تتابعت محاولات اليهود لانشاء دولة اسرائيلية فى فلسطين حتى تم لهم ما أرادوا على يد شاؤول بن قيش .

وكانت الفكرة الصهيونية حتى حينذاك عقيدة دينية عامة يؤمن بها الشعب اليهودى كأية عقيدة أخرى تتضمنها تعاليم التوراة ، ويتولاها عن الشعب رجال الدين كشعيرة من الشعائر المقدسة . فلم تتركز فى مذهب محدد المعالم وتتخذ لها مظهرا ايجابيا شعبيا الا كلما أصبحت اقامة اليهود فى فلسطين فى خطر داهم وتهددهم الطرد والتشريد . وعلى ذلك وكما يقول جولويس هابر Juluis Haber فان فكرة الصهيونية (1) . فى الواقع ـ ولدت فى اللحظة الأولى من اليوم الاول لتشريد اليهود من فلسطين ومع الزمن تمت هذه الفكرة وتطورت عبر الأجيال خلال الصلوات والأدعية ومن خلال المشاريع والاعمال أيضا » .

وهو يقصد بالفكرة الصهيونية هنا تلك الفكرة السياسية المتطورة والمنبثقة عن العقيدة الدينية الخالصة .

(1) The Odyssey of an American Zionist, by Iulius Habez, n. 23.

ولقد ظلت مبادىء الصهيونية جزءا من الدين اليهودي مذ كانت شرائعه وشعائره وطقوسه موحدة لم تتشعب بها المذاهب الاسرائيلية . حتى كان عصر السبي وعودة أسرى اليهود من منفاهم فى بابل الى أورشليم بزعامة زروبابل (أى المولود فى بابل) وعزرا ونحميا وماتبع ذلك من غشيان البلبلة الفكرية للعقيدة اليهودية . فمنذ حينذاك بدأت معالم المذهب الصهيوني تتميز وتتبلور فى الاضواء التى عكستها الافكار الجديدة ، واهمها الخلاف فى تفسير الوعود الالهية بالملك اليهودى تفسيرا ماديا أو روحانيا ، ثم فى الايمان بقواعد التلمود وماحوى من تعاليم اجتماعية ومناسك دينية ، ثم فى التنبؤ بظهور المسيح المنتظر وأثره فى امتداد الاهداف الاقليمية للملك اليهودى لتسع أقطار الدنيا وشعوب الارض قاطبة ، واختلاف اليهود فى كنه هذا الملك هل هو ملكوت روحانى فحسب أم اقليمى وروحانى معا .

وقد أخذت الصهيونية من هذه العقائد أشدها تعصبا للدين وتطرفا للفكرة وبغيا فى الاعمال وعنفا فى التنفيذ .

وتركزت المعالم الصهيونية فى الايمان بملك فلسطين حيث يعيدون بناء هيكل سليمان المقدس ، ثم ملك العالم بأسره ملكا ماديا وروحيا ، ثم الايمان المطلق بتعاليم التلمود ، وأخيرا — وعلى هدى من هذه التعاليم — اتباع كافة السبل السوية والحزون والملتوية — مادامت توصلهم الى أهدافهم المقدسة .

الا أن الصهيونية — رغم تحديد نظريتها — لم تحمل اسمها المعروفة به حاليا الا منذ القرن التاسع عشر على مابينا آنفا .

ولقد اختلفت وسائل التنفيذ الصهيونية تبعا لقدرات انصارها وامكانياتهم ، وكانوا يخضعون فى أمورهم العامة لجمعية دينية (١) أسسها الكاهن عزرا — وهو من نسل داود — عقب عودته على رأس سبايا بابل ، وكانت تضم مائة وعشرين من الانبياء والكهنة والعلماء بالاضافة الى كهنة بيت المقدس ، وكان الكاهن الاعظم بمنزلة الرئيس الأعلى للشعب اليهودى كافة .

وبعد أن غزا الاسكندر المقدونى بلاد الشام خضعت لحكم الاغريق الى أن ترفى ، ثم قسم ملكه على قواده وكانت بلاد الشام من نصيب سليوقس مؤسس الدولة السلوقية ، وفى عهدها استعرت الفتنة التى أشعلها اليهود فى أنحاء البلاد بزعامة أسرة المكابيين التى استطاعت ان تظفر بحكم ذاتى — وان يكن غير وطيد ولا مستقر — فى خلال الفترة من عام ١٠٤ قبل الميلاد الى ان خضعت البلاد لحكم الرومان فى عام ٦٣ قبل الميلاد .

## قرارات مجلس حكماء اليهود ( مجمع السانهدرين )

لقد اتسمت الحركات الصهيونية طوال العصر الرومانى بالثورة الدموية العنيفة ، ولما ان نشبت الثورة اليهودية فى عام ٧٠ للميلاد اغلظ

---

(١) عن مقدمة كتاب الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للاسرائيليين تاليف مسعود حاى بن شمعون وكيل حاخامخانة مصر طبع القاهرة سنة ١٩١٣ .

الامبراطور الروماني تيطس فى قمعها واحرق هيكل سليمان ونكل بالثوار حتى لم يسعهم الا الفرار فى اقطار الأرض لواذا من عذابه ونقمته ، مما هال مجلس حكماء اليهود (مجمع السانهدرين) وحمله على المسارعة الى تدبر الخطب قبل استفحاله حفاظا على كيان اليهود ، فأصدر قرارات تعتبر نواة للبرنامج الصهيونى من بعده وعهدا يتوارثه اليهود جيلا بعد جيل ، اذ تواصوا بالحفاظ على لغتهم العبرية ، وثقافتهم اليهودية ، وعنصريتهم الاسرائيلية ، وعلى التعلق بوطنهم المنشود فى بلاد صهيون مثابة اورشليم وهيكلهم المقدس لايؤثرون عليه أيا من أقطار الارض مهما وفرت لهم من الدعة والرغد ومهما يسرت لهم من سبل العيش الهانىء المستقر ، كما دعا مجلس حكماء اليهود ذاك الى الامتساك بروح التضامن والتعاون بين اليهود فى مهاجرهم ودوام التواصل الفكرى فيما بينهم .

***

وفى عام ١٣٢ للميلاد ثار اليهود على حكم الامبراطور هادريان الرومانى فصب عليهم جام غضبه وأمعن فيهم ذبحا وتنكيلا ودمر أورشليم عن آخرها وهدم الهيكل المقدس وطمس معالمه كلية فأقام على اطلاله هيكلا للمعبود الوثنى جوبيتير واستأصل شأفة اليهود وحرم عليهم دخول أورشليم .

ومن ثم توزعتهم الخطوب والاحن فى مناكب الارض أفلاذا أبأديد فوقرت العقيدة الصهيونية فى أخلاد أشياعها يؤمنون بها فى أطواء نفوسهم اسرارا وخفية ، اذ كانوا فى مهاجرهم فى أقطار الارض مستضعفين مخذولين لا حول لهم ولا طول .

ولقد حاول بعض اليهود أن يطفر بالمنهاج الصهيونى طفرة تحقق أهدافه جملة ، فانتحل شخصية المسيح المنتظر وادعى أنه مبعوث الرب لتحقيق وعوده التى تعلقت بها آمال اليهود والى أقصى مدى يضم أطراف الدنيا ويستوعب اقطار العالم بأسره فى النطاق الدينى والدنيوى معا ـ مثل بركوكيا فى فلسطين (١٣٢ م) وسبتاى ليفى فى سالونيك (١٦٦٦ م) بيد أن هذه المحاولات كان مصيرها الاخفاق .

ومابرحت دعوة اليهود فى سبيل احياء آمالهم مستخفية طوال العصور الوسطى ، حفاظا على عهودهم السرية ان تفتضح فيتعرضوا للبطش والمناهضة فكانوا يعقدون الاجتماعات السرية حيث يتذاكرون العهود ويتدارسون الخطط لتحقيقها بنجوة عن العيون والأرصاد .

ولقد حافظ اليهود على أن تجمعهم أينما كانوا ـ منظمة عنصرية عليا تضم حكماءهم وتدين بالطاعة والولاء لقيادة سرية موحدة يأتمرون بأمرها وتوجه نشاطهم وترعى شئونهم ـ وتتبع هذه المنظمة العالمية شتى الجمعيات اليهودية السرية المنبثة فى انحاء المعمورة .

ولقد نشرت مجلة (فرنسا القديمة) (١) وثيقة هامة تؤكد وجود هذه المنظمة وتكشف عن طرف من نشاطها ومدى ولايتها على اليهود حيث تقول :

---

(١) عن كتاب مؤامرة اليهود على المسيحية تأليف اميل الغورى حرب طبع بيروت سنة ١٩٤٧ صفحة ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

«فى عام ١٨٨٠ نشرت مجلة الدروس اليهودية التى تتقاضى نفقاتها من جيمس روتشيلد استنادين يوضحان أن حكماء صهيون يعملون منـذ القرن الخامس عشر فى سبيل الفتح اليهودى » .

ففى ١٣ كانون الثانى سنة ١٤٨٩ كتب شامور ربانى يهود مدينة آرل (من اعمال مقاطعة البروفنس الفرنسية) الى المجمع اليهودى العالمى القائم فى الآستانه يستشيره فى بعض حالات حرجة قال : ان فرنساويى اكس وآرل ومرسيليا يتهددون معابدنا فماذا نعمل ؟ فورده الجواب الآتى :

« أيها الأخوة الأعزاء بموسى ، تلقينا كتابكم وفيه تطلعوننا على ماتقاسونه من الهموم والبلايا فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا واليكم رأى المرازبة (الحكام) والربانيين : بمقتضى قولكم أن ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحى فاعتنقوه فانه لايسعكم أن تقاوموا . غير انه يجب عليكم أن تبقـوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم » .

« بمقتضى قولكم انهم يأمرونكم بالتجرد من أملاككم فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم » .

« بمقتضى قولكم انهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم أطبـاء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم » .

« بمقتضى قولكم انهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل وليتداخلوا دوما فى مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم فتستولون على زمام السلطة العالمية وبذلك يتسنى لكم الانتقام » .

«سيروا بموجب أمرنا هـذا فتتعلمون بالاختبار انكم من ذلكم وضعفكم تتوصلون الى ذروة القوة والعظمة فى ٢١ كاسلو (ت ٢) ١٤٨٩ .

التوقيـع
V.S.S. V.F.F.
أمير اليهـود

## السـبى البابلى
## وأثره فى ابراز المقومات الصهيونية الدينية

### ١ ـ الانفعالات الفكرية والمذهبية :

اغار بختصر ملك بابل على مملكة يهوذا فى عام ٥٨٥ قبل الميلاد ودمر مدينة أورشليم وهيكل سليمان ، وساق أهلها من اليهود الى بلاده أسرى وأسكنهم فى مدينة تل ابيب ( أى تل السنابل ) بمقربة من مدينة بابل حيث ظلوا بها يعانون ذل السبى حتى سمح لهم قورش ملك الفرس بعد احتلاله بابل بالعودة الى بلادهم فى عام ٥٣٨ قبل الميلاد .

ولقد كان السبى البابلى نقطة تحول خطير فى الافكار والعقائد اليهودية كما كانت رحاب المنفى مزدرعا خصيبا للآراء الجانحة والمذاهب الهدامة ومثابة للركائز الدينية العميقة التى اعتمدت عليها نظرية الصهيونية .

فان تشريد اليهود بعد تقويض ملكهم فى أطراف فلسطين ثم اقامتهم فى منفاهم بابل سبايا مهيضة ورقيقا مهينا قد تردى بهم فى وضع اجتماعى مضيم ، وابتعث فيهم مشاعر نفسية معقدة أوغرت صدورهم وبث فى نفوسهم الحقد والغل للمجتمع البشرى الذى تعقبهم بالمطاردة والاضطهاد أينما ثقفوا ، حتى راحوا ينشدون بدأب وحرص أسباب الكيد للبشرية ويلتمسون طرائق الانتقام تشفيا منها ودرءا لفتنها وجورها وشفاء لغليلهم منها .

كما أن اقامتهم فى بابل كانت مثارا لانفعالات فكرية عنيفة ، اذ أتاحت لعقائدهم وتقاليدهم أن تتفاعل مع العقائد والتقاليد البابلية وان تحتك بالفلسفة البابلية الوثنية عن كثب ، فتهيأ للتطور الجذرى أن يغشى الفلسفة اليهودية وأن يتناول المجتمع اليهودى فيتوزعه شيعا متباينة العقائد والمثاليات .

ولقد ضاعف السبى والتشريد من تعلق اليهود بوطنهم وحنينهم اليه ، مما دفعهم الى تلمس أسباب الأمل فى العودة الى بلادهم والخلاص مما يعانون من ذل الاسر ومحنة السبى ورهق التشريد ، أمانى يتعللون بها وينفسون بها عن غلوائهم ومشاعرهم المضطربة .

وفى هذه الغاشيات المدلهمة فزعوا الى كتبهم المقدسة يستهدونها والى كهانتهم يلوذون بها عساهم يجدون مخرجا لهم تطمئن اليه نفوسهم الحيرى .

ولقد كان لهذه الظواهر القلقة والأحوال الاجتماعية المضطربة والمشاعر النفسية الجياشة انعكاس واضح الاثر فى العقائد والشعائر الدينية ، بل وفيما اصطلحت عليه أمهات كتب الدين ذاتها فحفلت الاسفار التى وضعها حينذاك متنبئو اليهود وكهنتهم بالمرثيات الشعرية الضافية تندب حظ اليهود العاثر وتعبر عن آمالهم فى الخلاص من السبى والعودة من المنفى ، نبوءات خلابة مستوحاة من أمانى الشعب اليهودى وآلامه تأسية له وسلوانا وتنفيسا عن ألمه المكبوت .

فكانت النصوص الدينية المحدثة ـ بوجه عام ـ صورة دقيقة للواقع المرير الذى يضطرب اليهود فى اعمائه ، وانعكاسا صادقا لما قر فى جوانحهم من انطباعات ، وقد عزت هذه النصوص اخضاعهم لنير الاسر الى الانغماس فى الشرور والآثام والمروق عن طاعة الله حتى حقت عليهم نقمته ، ثم منتهم بالخلاص من السبى والعودة من المنفى الى وطنهم المقدس ان هم أخلصوا الطوية واقلعوا عن غيهم والتزموا احكام الدين ـ وجعلت لهذا الخلاص علامات وشواهد فصلتها امعانا فى التطمين .

ثم عكف رجال الدين على تفسير نصوص الكتاب المقدس على ضوء تلك الاحلام التى ماانفكت تثاور شتات اليهود .

ولقد انشعبت هذه التفاسير والشروح مذاهب متباينة تبعا لمدى الانفعالات التى تختلج فى الصدور وتأثرها بالافكار السائدة فى بيئة المنفى ، وماغشى اليهود فى منفاهم من ظروف وانفعالات تجاذبتها الآلام والآمال .

ومن هذا تتكشف الاضواء والظلال التى انعكست على ماوضع من أسفار التوراة فى فترة السبى البابلى ومن بعده ـ تلك الاسفار التى تردد الظواهر والملابسات التى عاشها اليهود فى منفاهم والانفعالات التى تكظ نفوسهم والانطباعات التى دمغتهم ، فنجد أن الاصول التشريعية التى تضمنها سفر التثنية مقتبسة من تشريعات حمورابى ، بل ان كثيرا من الالفاظ اللغوية البابلية ذاتها قد تخللت نصوص هذه الاسفار حتى أن فريقا من الباحثين يجزم بأن أسفار التوراة جميعها قد دونت بعد السبى .

وهكذا خلف يهود السبى التراث الفكرى والدينى والاجتماعى الذى يعتبر المصدر الوثيق للافكار والنظريات اليهودية العريقة من بعد وعلى مدى التاريخ ، والتى اكتسبت صفة القداسة الملزمة .

ولقد لقيت الآراء الدينية المحدثة تفاوتا فى تقبلها من يهود أورشليم الذين تخلفوا عن السبى . بيد أن طوائف اليهود بشتى نحلهم قد أجمعت على الاضطغان على المجتمع البشرى كافة ، لما لقوا على يديه منذ فجر التاريخ اليهودى ومنذ نزوحهم من مصر الفرعونية وأينما حلوا فى فجاج الأرض ـ كل اضطهاد وعنت وشر مستطير طالما استمسكوا بتعاليمهم العنصرية المقيتة المنكرة .

## ٢ ـ تطور الفكرة الالهية فى الدين اليهودى

لقد تطورت فكرة اليهود عن الذات الالهية منذ بواكير العقيدة اليهودية تطورا جذريا بلغ غايته فى عصر السبى البابلى .

ويبين ذلك بجلاء من مطالعة أسفار التوراة ، حيث تكيفت الذات الالهية خلالها فى صور متخالفة وطبيعة مضطربة لاتستقيم مع العقائد السماوية وتنأى بها عن قدسية الربوبيــة وجـــلالها ، وتبدأ من حضيض الوثنية باعتبـاره ـ سبحانه ـ الها محليا ينفرد اليهود بعبادته ويختص بهم وحدهم على النحو الذى كان شائعا فى المجتمعات الوثنية الطوطمية من عكوف كل قبيلة أو مدينة على رب يحميها .

ومظهر محليته صورتان :

١ ـ انه اله قومى خاص باليهود دون سواهم ولهذا تشير اليه التوراة بأنه « اله اسرائيل » .

٢ ـ انه اله اقليمى يختص بالبلاد التى يقيم فيهـا اليهود بحيث تصبـح لهم عبادته خارجها .

وقد شدد يوشيا ملك يهوذا ( ٦٢٢ ق.م ) النكير على رعيته حفاظا على شعائرهم الدينية معلنا أنه لاتجوز عبادة الههم يهوه وتقديم القرابين له الا فى مدينة أورشليم ( عاصمة مملكة يهوذا ) وفى هيكل سـليمان بالذات الذى أوصى به الرب واختاره بيتا له ( سفر التثنية الاصحاح ١٢ من رقم ٥ الى ٧ ـ وسفر الملوك الثانى الاصحاح ٢٢ رقم ٨ ومابعده ـ وسفر أخبار الايام الثانى الاصحاح ٣٤ رقم ١٤ ، ١٥ ) .

ومن ناحية أخرى ، فقد اختص يشوع الهيكل المقدس المقام على جبل جرزيم (المطل على مدينة شكيم) بعبادة اليهود من أهل مملكة اسرائيل ( سفر يشوع الاصحاح ٨ رقم ٣٣ ) .

ويتفرع عن الاصالة المحلية للاله عند اليهود مبدأ الشرك بالله كنتيجة حتمية لصفة المحلية .

فلم يكن ايمان اليهود بالههم مانعا ـ فى اعتقادهم ـ من وجود ارباب مختلفة لشعوب أخرى ، وكانت قوة الههم وجبروته هما مناط تميزه على تلك الآلهة .

ولم يروا ثمة مايتعارض مع ايمانهم بالههم ـ ان يشتركوا فى عبادة آلهة الشعوب الاخرى ويشيدوا لهـا المعـابد والمحاريب حيث يقدمون القرابين وفروض الولاء .

وتذكر التوراة كثيرا من جلة اليهود وملوكهم بل ومن انبيائهم ممن عبد بعـل وعشتروت وكموش وملكوم وغـيرها من المعبودات الوثنية التى كانت عبادتها شائعة فى بلاد كنعان ـ ومنهم على سبيل المثال : ـ سليمان الحكيم وأخاب بن عمرى ملك اسرائيل وأبيام بن داود ملك يهوذا ومنسى بن حزقيا ملك يهوذا وكثير جدا غيرهم . كما يروى الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الأول أن أربعمائة وخمسين نبيا اسرائيليا كانوا فى خدمة الاله بعل الوثنى .

ففكرة الاله عند اليهود كانت فكرة وثنية تشترك فى كثير من صفاتها مع المعتقدات الوثنية السائدة حينذاك ، ومن مظاهر هذه الوثنية ــ فضلا عن مظاهر المحلية ، القومية والاقليمية ــ التى أشرنا اليها آنفا :

١ ــ انه اله متخصص ــ فهو لديهم اله الحرب «ورب الجنود» كما تدعوه التوراة ، ولعل هذه الصفة هي مصدر قوته وهى التى أهلته لمكانة الزعامة لدى اليهود بالنسبة للآلهة الاخرى .

٢ ــ صورته التوراة فى هيئة بشرية لها كل صفات البشر بما تتضمن من نقائص يتنزه عنها جلال الربوبية ، حتى لقد نسبت اليه أن يعقوب صارعه وهزمه وأنه ــ سبحانه ــ ظل صريعا بين ذراعيه حينا حتى استجاب لتوسلاته وأطلق صراحه .

٣ ــ بلغ من اغراق اليهود فى الفكرة الوثنية انهم حاولوا تجسيد الذات الالهية فى عهد سيدنا موسى ، فسبكوا من حليهم عجلا صنما يؤدون له شعائر العبادة اسوة بالشعوب الوثنية الاخرى . وتروى التوراة فى الاصحاح الثانى من سفر الخروج ان سيدنا موسى لم ينكر عليهم ذلك بل انه حبذه وشاركهم فيه هو وأخوه هارون .

***

وهكذا تأصلت صفات الشرك والمحلية فى اله اليهود ولم يكونوا يؤثرونه بالعبادة الا رهبا من بطشه وفرقا من جبروته ، مادام يقودهم الى النصر على أعدائهم وطالما كانت له الغلبة على الآلهة الاخرى ، ثم ماداموا فى متناول يده كلما تمردوا عليه عجل لهم القصاص والنكال .

غير أن هذه الصورة المهيبة الرهيبة لاله اليهود مالبثت أن تصدعت وشاهت حالما غزا بختنصر الثانى ملك الكلدان ــ مملكة يهوذا وخرب عاصمتها أورشليم ودمر الهيكل المقدس واستاق أهلها الى بابل أسرى وسبايا .

هنالك ابتلى اليهود وبلبلوا بلبلة طاغية عصفت بايمانهم بمعبودهم وثقتهم فيه ، لما استبان من عجزه وقصوره حتى استبيح حماه ودمر بيته وتشتت شعبه مزقا ذليلة حسيرة طريدة .

ثم لافتقادهم معبدا يفزعون فى رحابه اليه يستنصرونه ــ لبعدهم عن هيكله الذى ارتضاه لعبادته وعن مناطق نفوذه فى بلادهم أصالة .

وبذلك أحسوا فراغا روحيا كبيرا ، حتى غامت الآفاق من حولهم وغمضت من خلالها صورة معبودهم التى طالما اختلبتهم ، فاستحال معبودا مهيضا مقهورا بينما بدت لأنظارهم معبودات بابل فى هذه الاحلاك ثاقبة متألقة عملاقة تبهرهم وترهبهم .

واذ لم يكن لهم من محيص لسد هذا الفراغ الروحى فى منفاهم الا اللياذ بألهة بابل المظفرة ، فقد فتنوا بها واقبلوا عليها مشدوهين ، وتهيأت اذهانهم للانصراف عن الهم الذى خذلهم ، ولنبذ عقائدهم وشعائرهم التى لم يكن من سبيل لممارستها ، ولتقبل التشريعات والنواميس الفاشية فى المنفى .

ولقد هال هذا التحول الخطير حكماء اليهود واحبارهم فتوفروا على راب الصدع الذى أصاب العقيدة اليهودية من أساسها بتطوير الفكرة الالهية عند اليهود تطويرا يناسب الاوضاع التى ابتعثها السبى ويسد الثغرات التى تردى فى متاهاتها اليهود . وحمل أشعيا الثانى لواء التطوير ومشعل الاصلاح العقيدى فنادى بالوحدانية الالهية وتجريد معبود اليهود من صفة القومية والاقليمية ، بحسبانه رب العالمين دون تحديد ، وسع ملكوته السموات والارض دون حدود ، حيث تتاح عبادته للمؤمنين به حيثما كانوا ، ـ ثم بحسبانه الها واحدا صمدا لاشريك له ولامعبود سواه .

وبهذه الفكرة السلسة الواضحة أماط اليهود عنهم ادران الوثنية ولوثة الشرك ، وتهاوت فى خلادهم أنصاب بابل ومعبوداتها صرعى باطلة ، وزايلتها الفتنة الخالية التى كانت تحفها بهالة من الرهبة أوشكت أفئدة اليهود ان تصبو اليها وتعنو لها .

ودرءا لوصمة الضعف والاستكانة التى ألصقها اليهود بالههم عقب هزيمتهم وتشتتهم ، فقد عزا حكماء اليهود تلك الهزيمة الى اليهود أنفسهم ، فما فتىء الله قادرا قويا غالبا على أمره ، وماتخلى عنهم الا انتقاما منهم لمروقهم وقصاصا لعصيانهم ، بيد أنه مابرح يعدهم بمغفرته ورضوانه وعودتهم الى بلادهم حينما يتوبون اليه توبة نصوحا ويستجيبون لهديه ويتقون سخطه بالاقلاع عما هم فيه سادرون .

وبذلك مهدت السبيل للتركيز على فكرة المسيح المنتظر التى استوحاها يهود المنفى من العقائد البابلية ، والتى تتلاءم مع النظرة الجديدة للفكرة الالهية على ماسنفصله بعد .

وهكذا كانت فترة السبى مثابة لفكرتين أساسيتين طورتا العقيدة اليهودية تطويرا جذريا : فكرة التوحيد وفكرة المسيح المنتظر ، اللتين اطمأن بهما سبايا اليهود الى الحل الناجع للمشكلات التى أعضلتهم فى منفاهم وكادت تعصف بمقوماتهم الدينية وتجتثها من أصولها .

### ٣ ـ فكرة المسيح المنتظر

لقد كانت فكرة الخلاص على يدى المسيح المنتظر من أهم العقائد التى دان بها اليهود والتى وجدوا فيها تأسية لبرحائهم وتثبيتا لقلوبهم واحياء لآمالهم فى مستقبل ممهد مستتر .

ويعنى اليهود بالمسيح ـ الملك والسلطان ، كما كانوا يقصدون به من يخلصهم من أيدى أعدائهم وينتقم لهم منهم ولو كان على غير دينهم كما كان الشأن مع كورش ملك الفرس الذى انقذهم من شرور البابليين (١) .

وذلك لان العرف جرى على أن يمسح اليهود بالزيت المقدس من يريدون تقديسه واسباغ البركة الربانية عليه من الملوك والأنبياء والكهنة ويلقب كل

---

(١) سفر اشعيا الاصحاح ٤٥ رقم ١ .

منهم حينئذ «بالمسيح»(١) ، بل انهم كانوا يباركون الأماكن والأشياء بمسحها بالزيت المقدس كذلك (٢) ، ولم يرد فى أسفار التوراة الخمسة الأولى المنسوبة الى سيدنا موسى ذكر صريح للمسيح المنتظر ــ بيد انهم يقولون بأن «شيلون» المذكور فى الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين رقم ١٠ هو المقصود بالمسيح المنتظر اذ يقول النص :

« لايزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » واشعيا هو اول من تنبأ ببعث المسيح المنتظر من بيت داود ليخلص اليهود من ذل الأسر ويعيدهم الى وطنهم ، وقد أفاض فى صفته وارهاصات ظهوره فى السفر الموسوم باسمه .

ولقد صادفت هذه النبوءة صدى عميقا فى نفوس اليهود فى منفاهم وأصبحت أملا لايفتأ يراود أحلامهم كلما آدتهم وطأة النفى واستبد بهم الحنين الى العودة الى أورشليم .

بيد أن عجزهم فى منفاهم وقصورهم المادى كانا ينتهيان بآمالهم الى مجرد الرجاء من الله أن يبعث اليهم من لدنه مخلصا ينقذهم من هوان الاسر ويعيدهم الى وطنهم بمعجزات ربانية تعوض عنهم قصورهم وعجزهم .

ولقد ثبت من دراسة العقائد الدينية العريقة أن فكرة الخلاص على يدى المسيح المنتظر لها نظائر فى العقائد الوثنية القديمة فى بلاد المشرق وخاصة فى بابل وبلاد الفرس .

فقد كان البابليون يعتقدون أنه كلما استشرى الفساد فى الارض واستغرقت البشر حمأة الشرور والآثام عاد اليهم مردوخ اله الحرب ليطهرهم ويشيع الخير فيهم .

وتبشر الديانة الزرادشتية التى وضع مبادئها زرادشت (٦٦٠ ق‌م ــ ٥٨٣ق‌م) بظهور مخلص من بيت زرادشت مرة كل الف عام لكي يناصر هرمازدا اله الخير ، وأتباعه على أخيه الهرمان اله الشر وأنصاره كلما أمعن الفساد فى الارض ــ ومايلبث أنه الشر أن يستعيد سلطانه فيتردى بالعالم فى مهاوى الانحلال والفساد ، ثم يعاود اله الخير نضاله فى تمام السنة الألف ، وهكذا دواليك يظلان فى صراع متصل بصفة دورية رتيبة حتى تتم الغلبة النهائية لاله الخير ويسود حكمه أرجاء العالم .

ولقد كان ثم حافز لليهود على النظر الى الديانة الزرادشتية الفارسية بعين الاعتبار بعد أن سمح الفرس ــ بعد احتلالهم لبلاد كنعان ــ بعودة سبايا بابل الى أورشليم .

ومن الزرادشتية تأكدت لدى اليهود فكرة المسيح المنتظر، كما أخذوا عن هذه الديانة فكرة البعث والحياة الآخرة ووجود الجنة والنار ، فهذه الافكار لم تكن تعرفها الديانة اليهودية من قبل ، اذ كان الاعتقاد لدى اليهود أنه ليس

---

(١) انظر فى ذلك سفر صموئيل الأول الاصحاح ٩ رقم ١٦ والاصحاح ١٠ رقم ١ والاصحاح ١٢ رقم ٣ والمزمور ١٠٥ رقم ١٥ .

(٢) سفر التكوين الاصحاح ٨ رقم ١٠ الى ١٣ .

بعد الحياة الدنيا بعث ولا نشور ، أما الثواب والعقاب الالهيان عن اعمال الانسان فمجالهما هذه الحياة الدنيا فحسب (١) .

هذا ، وان فكرة توحيدالعالم بأسره تحت سيطرة ملك واحد انما هي فكرة بابلية الاصل استوحاها البابليون على غرار سيطرة مردوخ كبير الآلهة على الكون ، ثم اقتبس هذه الفكرة غيرهم من الشعوب وحاول الاسكندر المقدونى تحقيقها بالفعل (٢) .

## ٤ – المبادىء الاشتراكية

لقد كان من آثار السبى البابلى ومعقباته شيوع الافكار الاشتراكية بين بنى اسرائيل كنتيجة حاتمة .

ذلك أن سبايا اليهود حين شردوا من ديارهم سيقوا محرومين من أملاكهم تملأ الحسرة قلوبهم ، ثم عادوا اليها حين أذن لهم بالعودة معوزين لايملكون أرضا ولا مالا تعلوهم غبرة ترهقها قترة ، ينتظرون العون من اخوانهم الذين لم يشاطروهم ويلاتالأسر سواء برد أملاكهم اليهم أو بامدادهم بالمساعدة المادية .

بيد انهم صادفوا فى اوبتهم تقاعسا من اخوانهم وتخلفا منهم عن كل عون ، واصرارا على اغتصاب ارضهم وأملاكهم التى تركوها عند النفى .

ولقد طالما نددت التوراة بتلك الحال ونعت على المتقاعسين عن المساعدة أنانينهم وأثرتهم وشحهم ، عند ذلك نادى حزقيال بالمبادىء الاشتراكية ، وكان يرمى من ذلك الى القضاء على مظاهر الظلم الاجتماعى فى المجتمع الاسرائيلى وكفالة حياة اشتراكية عادلة للعائدين من السبى . وكان مبنى هذه المبادىء أن الارض وماعليها ملك لله تعالى وليس للخلق عليها الا حق الاستغلال والانتفاع فحسب دون حقوق الملكية الكاملة ، مصداقا لقول الرب فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر اللاويين برقم ٢٣ :

« والأرض لاتباع بتة لأن لى الارض وأنتم غرباء ونزلاء عندى (٣) » .
وكان على المنتفعين بالأرض حينذاك أداء عشر ما تغله من ريع لرجال الدين اعترافا بتلك الملكية المقدسة (٤) .

غير أن هذه المبادىء وان شغلت حيزا اثيرا من الشريعة اليهودية بيد انه لم يتح لها التطبيق العملى وظلت مجرد عقيدة دينية بالنظر لما اثارته من

---

(١) قصة العقائد للأستاذ سليمان مظهر صفحة ٣١٨ وكتاب
Judaism, by Arthur Herzeberg, p. 205.

(٢) كتاب المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده تأليف الدكتور فؤاد حسنين على طبع مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ٩٢ .

(٣) من الغريب أن التلمود فى مبحث يباموث ص ٦٣ أ يناقض هذا النص حيث يقول : «ان الرجل الذى لا يملك ارضا لا يعتبر انسانا» .

(٤) كتاب نظرية الدولة The Theory of the State تاليف بلنتشلى Bluntschli الطبعة الثالثة الانجليزية صفحة ٣٥٠ و ٣٥٢ .

خلاف كبير بين حزبى اليهود فى ذلك العهد : الصادوقيين ويمثلون الطبقة الموسرة المتحللة والفريسيين ويمثلون الطبقة المتدينة المتعصبة .

وبهذا ظلت الفوارق الاجتماعية قائمة حتى قام كارل ماركس — وهو يهودى الارومة — ونادى بالشيوعية لتحطيم القومية والملكية كلتيهما اللتين افتقدهما اليهود ، اذ كان انعزالهم عن المجتمع الذى يعيشون فيه سببا فى حرمانهم من حقوق المواطنين وبالتالى حائلا دون حقهم فى تملك الأرض

وهذا النظام هو أساس العمل فى المزارع الجماعية سواء منها القرى التعاونية المعروفة باسم الموشاف Moshav أو المستعمرات الاشتراكية المسماة كيبوتز Kibbutz التى قام عليها المجتمع الصهيونى فى فلسطين من قبل ثم قبيل قيام دولة اسرائيل الحالية ومن بعد قيامها ، وعلى اساسها بنى نظامه الاشتراكى الحالى والذى يستأثر القطاع فيه بستين فى المائة فى مجال الزراعة وعشرين فى المائة فى مجال الصناعة — والفرق بين مجتمع الكيبوتز الاشتراكى فى اسرائيل وبين مجتمع الكولخون (١) Kolkhon السوفيتى أن الكيبوتز نظام اختيارى بينما الكولخون اجبارى لذلك فقد رفض الكيبوتز الفكرة السوفييتية الشيوعية .

## ٥ — التعصب العنصرى والعزلة الاجتماعية

عاد عزرا من منفاه فى بابل الى أورشليم بتفويض كامل من ملك الفرس لتولى ازمة الحكم واعادة بناء هيكل سليمان فيها .

وقد كان عزرا كاهنا شديد التعصب يؤمن بفلسفة عنصرية متطرفة كانت فترة السبى مناخا ملائما لاثارتها ودعمها ، مقتضاها ان اليهود شعب الله المختار فهو شعب ممتاز لايجوز له أن يهبط الى مستوى الشعوب الاخرى فيمتزج بها ويصهر اليها .

وقد التقط هذا المبدأ من تضاعيف التوراة وتعهده بالصقل والتأييد والاثارة ، فوطأ له من اسفار التوراة مايضفى عليه قداسة ملزمة ، وكانت مناسبة عكوفه على تجميع أسفار التوراه فرصة انتهزها لتطوير العقائد الدينية بما يتسق مع فلسفته المتطرفة ، باضافة ما يؤيدها من أقوال وتعاليم منسوبة اليه شخصيا أو منسوبة الى غيره من أصحاب الاسفار من الانبياء والكهنة .

وكان مؤدى فلسفته تعميق فكرة الاستعلاء العنصرى فى أطواء اليهود ، وحملهم على الانطواء والاخلاد الى العزلة الاجتماعية ترفعا وحفاظا على جنسهم من الدنس ومن الانصهار والتبدد .

---

(١) كتاب المجتمع الاسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم تاليف الدكتور فؤاد حسنين على — مطبعة الرسالة سنة ١٩٦٧ صفحة ١٠٣ — وقد عربت كلمة « كيبوتز » فى هذا الكتاب بلفظ « قبوص » .

وقد بسط عزرا فلسفته فى الاصحاح التاسع من السفر الموسوم باسمه برقم ١٠ و ١١ حيث يقول :

« والآن فماذا تقول باالهنا بعد هذا لاننا قد تركنا وصاياك التى أوصيت بها عن يد عبيدك الأبياء قائلا ان الأرض التى تدخلون لتمتلكوها هى أرض متنجسة بنجاسة شعوب الاراضى ، برجاساتهم التى ملأوها بها من جهة الى جهة بنجاستهم ، والآن فلاتعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ولاتطلبوا سلامتهم وخيرهم الى الابد لكى تتشددوا وتأكلوا خير الارض وتورثوا بنيكم اياها الى الأبد » .

واستعان عزرا على تنفيذ هذه السياسة العنصرية بالسلطات الادارية المطلقة التى خولها له مرسوم ملك الفرس ، والذى ينص ـ كما تروى التوراة فى الاصحاح ٧ من سفره برقم ٢٦ على أن «كل من لايعمل شريعة الهك وشريعة الملك فليقض عليه عاجلا اما بالموت او بالنفى او بغرامة المال او بالحبس» .

وقد نفذ عزرا هذا الوعيد واعترف فى الاصحاح السادس من سفره برقم ١١ بقوله «وقد صدر منى أمر أن كل انسان يغير هذا الكلام تسحب خشبة من بيته ويعلق مصلوبا عليها ويجعل بيته مزبلة من أجل هذا » .

ومن ذلك أيضا انه حين أصدر الى اليهود أمره بالاجتماع فى ساحة المدينة هددهم بقوله : «وكل من لايأتى فى ثلاثة أيام حسب مشورة الرؤساء والشيوخ يحرم كل ماله وهو يفرز من جماعة أهل السبى» (سفر عزرا أصحاح ١٠ رقم ٨) .

وبذلك استطاع عزرا ان يفرض آراءه على يهود أورشليم حتى بادروا الى التخلى عن زوجاتهم الاجنبيات بالطلاق طوعا أو كرها .

كما أتيح له ان يجعل من هذا المبدأ عقيدة دينية مقدسة ، بما اضافه الى التوراة من آراء تؤيده ساعدت على تقبلها والانصياع لها بوجدان دينى عميق ورفعت من مكانته لدى اليهود حتى أسموه ابن الله .

ولقد كان من نتيجة هذه الفلسفة المتطرفة اثارة نوازع الاستعلاء والنعرات العنصرية فى نفوس اليهود ، ثم حملهم على الاعتكاف عن الشعوب الاخرى واصطناع العزلة الاجتماعية بين أسوار الجيتو والاحياء اليهودية الخاصة .

## ٦ ـ تدوين التلمود

يلى التوراة فى القداسة لدى فريق من اليهود كتاب التلمود ، وقد كان له انطباع دامغ فى تاريخ اليهود وفضل كبير فى الحفاظ على مأثوراتهم ، ـ ويقول المؤرخ اليهودى سلفادور «اذا كانت تعاليم الدين اليهودى قد استطاعت أن تقاوم الزمن بأحداثه فقد كان لتعاليم التلمود أكبر الفضل فى ذلك لانها كانت الحاجز الواقى من ويلات الزمن» .

والتلمود كلمة عبرية معناها التعليم (١) فهو على هذا المعنى مجرد تعاليم وضعها علماء اليهود وأحبارهم تتضمن تشريعات دينية وسياسية واجتماعية ــ وهو يتكون من قسمين : «المشنا» أو «المثنى» ومعناها الكتاب الثانى أى الثانى بعد التوراة ــ وهى ــ فيما يزعمون ــ خلاصة الشريعة والمبادىء الشفوية التى أنزلت على سيدنا موسى وحيا من عند الله شرحا لأحكام الأسفار الخمسة الأولى من التوراة وايضاحا لما غمض من تعاليمها ــ وقد حمل سبايا اليهود معهم الى المنفى فى بابل ما كان حاضرا من تعاليم المشنا ، وكان البدء فى جمعها بعد عودة السبى البابلى الى أورشليم ــ حيث أسس الكاهن عزرا جمعية دينية كبرى من مائة وعشرين من الأنبياء والكهنة والعلماء ، قاموا بترتيب الصلوات وسائر الشعائر الدينية من عهد موسى حتى عهد القضاة (٢) واتم جمعها الحاخام يوضاس فى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد، ثم أضاف حاخامات فلسطين زيادات على مادون يوضاس كما أضاف حاخامات بابل كثيرا من الزيادات على النسخة الاصلية .

بيد أن المشناة بما حوت من تعاليم واضافات كانت من الايجاز بحيث انبهمت معه معانيها مما تطلب اضافة تفسيرات وتعليمات توضح ما التبس منها وهذه هى موضوع القسم الثانى من التلمود والمعروف بالجمارا .

والجمارا Gemara معناها الاتمام أو الاكمال ، وهو معلومات وشروح وتعليقات على «المشنا» وأحاديث مروية عن حاخامات اليهود من طائفة الربانيين فى عصور مختلفة وفى شتى الموضوعات .

فالمشنا تعتبر النص بالنسبة للتلمود وقد وضعت قبل السبى وتناقلها الرواة جيلا من بعد جيل حتى تم تدوينها ، ــ أما الجمارا فهى بمثابة الشروح والتفسيرات لذلك النص ، وقد بدىء فىوضعها فى المنفى وكان لظروف السبى وملابساته أثر بارز فى أفكارها ومبادئها .

ويلاحظ بصفة عامة أن التلمود قد أخذ عن البابليين كثيرا من العقائد والافكار ، ومنها نظرية تناسخ الارواح التى انتقلت الى بابل من فلاسفة الهند وعنها اقتبسها أحبار التلمود .

هذا ، وقد عرفت نسخة التلمود المحتوية على اضافات حاخامات فلسطين بتلمود أورشليم وقد تم تصنيفها فى الربع الاخير من القرن الرابع الميلادى، بينما عرفت النسخة المحتوية على زيادات حاخامات بابل بتلمود بابل وقد تم تصنيفها فى النصف الثانى من القرن الخامس الميلادى وهى النسخة المتداولة بين جمهرة اليهود .

ويعتقد اليهود الربانيون أن التلمود كتاب منزل من عند الله كالتوراة ويؤمنون بما جاء فيه من أن الله سبحانه وتعالى حين كلم سيدنا موسى على الجبل فى سيناء بعثه الى اليهود بشريعة مزدوجة : التوراة ، والتلمود بشقيه

---

(١) كتاب الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس للأستاذ محمد على الغتيت الجزء الثانى فى عدوان الغرب صفحة ٢٧٤ ــ العدد ٣٩ من سلسلة من الشرق والغرب .

(٢) عن مقدمة كتاب الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للاسرائيليين تأليف مسعود حاى بن شمعون وكيل حاخامخانة مصر طبع القاهرة سنة ١٩١٢ .

المشنا والجمارا ، غير أن تشريعات التلمود كانت شفوية بينما نقشت الوصايا — وهى صلب التوراة — على الألواح بيد القدرة الالهية ودون سيدنا موسى ماأنزل عليه من التوراة فى كتاب أودعه تابوت العهد .

وتعاليم التلمود وشروحه هى التى أذكت جذوة التعصب العنصرى فى قلوب اليهود وحملت فى ثناياها أسباب الكره المتبادل بينهم وبين سائر الشعوب ، وكان لصبغتها الدينية قداسة ساعدت على تقبلها — بالنسبة لمعتنقيها — بايمان عميق يسمو عن كل تعقيب والتسليم بها دون روية أو تفكير .

## موقف المذاهب الدينية اليهودية من المبادىء الصهيونية

فى عصر السبى وفى أعقاب تلك الفترة الحرجة من التاريخ اليهودى تركزت القواعد الاساسية للمذاهب اليهودية المختلفة ، وكان للتعاليم التى دعا لها فريقان من واضعى أسفارالتوراة بعد السبى ابلغ الاثر فى تطور العقائد الدينية والاجتماعية التى تفرعت عنها الأفكار والمذاهب اليهودية بعامة والصهيونية بصفة خاصة .

فلقد بدأت عودة بنى اسرائيل من السبى البابلى الى بلادهم منذ عام ٥٣٦ قبل الميلاد بزعامة زروبابل ويشوع وكان الكاهنان نحميا وعزرا على رأس العائدين من السبى فى القرن الخامس قبل الميلاد وقد تزعما طائفة المحافظين الذين كانوا يتمسكون بالعقائد والشرائع الدينية كما وردت فى شريعة موسى .

وقد كان عزرا نائبا للملك الفارسى فى أورشليم يجمع بين السلطتين الدينية والمدنية ، وتتسم أفكاره بالتعصب العنصرى الدينى الشديد والدعوة للعزلة الاجتماعية حفظا لنقاء العنصر الاسرائيلى .

أما فريق المتحررين الذين كانوا يرون ضرورة تطور المجتمع اليهودى وشرائعه بتطور الزمن فقد تزعمهم اشعيا الثانى فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وكانوا يؤمنون بالنبوءة التى نادى بها والتى بشر فيها بخلاص اليهود من التشرد والهوان وعودتهم الى أرض المعاد على يدى المسيح المنتظر ، وخضوع شعوب الارض لسلطانهم .

***

وفى غمار الافكار والعقائد الجياشة التى بعثها السبى واثارها رجال الدين ، تبلورت الفكرة الصهيونية تحت وطأة الظروف العصيبة التى عاشها اليهود فى بوتقة الحياة الاجتماعية القاسية التى انصهرت فيها عقائدهم ونظرتهم الى الحياة والى المجتمع البشرى بعد انهيار ملكهم ومعاناتهم ذل السبى من قبل ومرارة الاحتلال الاجنبى من بعد .

فلقد انقسم اليهود فى تقبلهم لمبادىء الدين وتفسيرهم لاحكامه وعقائده فى ضوء العقائد والافكار التى نشأت فى ظروف السبى وفى أعقابه فرقتين رئيسيتين ، الصاديكيم أى الصديقين والخاسيديم أى الأتقياء ، كل فرقة تتمسك بعقائدها وتتعصب لها وتنافح دونها .

١ ــ **الصاديكيم** : وهم يتمسكون بما جاء فى الكتب المقدسة ، وهى فى عرفهم الأسفار الخمسة الاولى المنسوبة الى سيدنا موسى ، ولايعتدون بما عداها من شروح وتعاليم اضافها رجال الدين .

غير أن الصاديكيم لم يلبثوا أن انقسموا الى شعبتين : «السامريين والصادوقيين» .

( أ ) السامريون : وهم خليط من بقايا يهود مدينة السامرة ومن الاشوريين الوثنيين الذين نزحوا اليها بعد الفتح الأشورى ، وهم يعتقدون بظهور المسيح المنتظر الا انهم ينكرون خلاص اليهود من الذل والاضطهاد على يدى ملك من آل داود ، ويفسرون الخلاص بأنه خلاص روحى وأنه موقوت بموعد ربانى يقدره الله وحده ، وقد اتهمهم يهود أورشليم بالكفر والوثنية وحرموا عليهم الاشتراك فى اعادة بناء الهيكل المقدس ، فبنوا لأنفسهم هيكلا خاصا على جبل جرزيم يمارسون فيه طقوسهم وشعائرهم الدينية .

(ب) الصادوقيون : وينسبون الى زعيمهم الاول صادوق الذى اسس هذا المذهب فى عام ٢٨٠ قبل الميلاد ، وهم اليهود المحافظون لانهم لايؤمنون الا بأصول الدين التى وردت فى التوراة ويرفضون كل زيادة ابتدعها الكهان فى العقيدة أو العبادة . وهم لا يؤمنون الا بأسفار سيدنا موسى الخمسة ولايعترفون بباقى الاسفار لانها لديهم غير موحى بها ، كما أنهم لايعترفون بتفسير الكهان ورجال الدين وما وضعوا من تعاليم التلمود ، وهم يعتقدون بآراء أبيقور الفيلسوف اليونانى ولايعتقدون بالبعث ولا بالثواب والعقاب فى الآخرة ، لانها لم ترد فى أسفار موسى ، الا انهم يعتقدون بظهور المسيح المنتظر وأن بعثه مرهون بامتلاكهم أسباب الحكم والسلطان .

٢ ــ أما فريق **الخاسيديم** أى الاتقياء فكانوا شعبتين : « الفريسيين (الأحبار أو الأخوة فى الله ) والأسينيين » .

( أ ) الاحبار أو الاخوة فى الله ــ وهم الفريسيون أى المعتزلة المنشقون(١) كما يدعوهم أعداؤهم وكما عرفوا فى التاريخ ، وهم شديدو الاعتداد بالنعرة العنصرية يؤمنون بأنهم بالذات شعب الله المختار ، ولذلك امتازوا بالكبر والترفع والصلف العنصرى ، وكانوا يغالون فى اعتقادهم بالخلاص على يدى المسيح المنتظر وقيام لدولة اليهودية .

وقد نشأ المذهب الفرسى تحت وطأة السبى وما أثاره فى نفوس أشياعه من الغل والحقد على البشرية ، ويعتمد فى تعاليمه على المعانى المادية الظاهرة لنصوص التوراة وعلى مايقرره رجال الدين من الشروح والتعاليم لايضاحها وتسويغ مايجافى العقل والواقع منها . فكان أساس العقيدة الدينية لديهم

---

(١) The Jewish World in the Time of Jesus, by Guignebert, p. 164.

الايمان المطلق بكل مايرد فى الكتب المقدسة من معـان مادية ظاهرة تتناول الاحوال التاريخية وشعائر الدين وطقوسه والالهيات عموما مهما خالفت العقل وجانبت المنطق والحس الفعلى ، ثم عليهم بعد التسليم بها تسلميا لايقبل المماراة أن يجتهـدوا فى تفهم النصـوص الدينية عن طـريق الشرح الذى يتلقونه عن رجال الدين الذين يحتكرون شرحها ويستأثرون به من دون العالمين بمقتضى سلطاتهم الكهنوتية .

ولقد كان الفريسيون يعتقدون فى أنفسهم قداسة خاصة ولذلك نشأ من بينهم كثير من الكهنة ورجال الدين الذين تولوا شرح التوراة والكتب الدينية. وهم ينزلون هـذه الشروح والتعاليم منزل القداسـة حتى أنهم كانوا أكثر احتفالا بها وايمانا من أسفار التوراة ذاتها .

وقد وضع رجال الدين الفريسـيون تعاليمهم وشروحهم على مـدى الاجيال وتداولوها شفاها جيلا من بعد جيل ، حتى دونت أخيرا فى كتـاب عرف بالتلمود وضمنوها مبادئهم وعقائدهم ومنهاجهم فى عـلاقاتهم بغيرهم لتحقيق أحلامهم الاستعمارية التى يركزونها فى دولتهم العالمية المنشودة .

وقد حصر الفريسيون نشاطهم المذهبى فى بث هذه الأفكار والتعاليم . ولم يميلوا الى اصطناع العنف والعمل الايجابى لتحقيق أهدافهم الدينية(١) .

بيد أن الفريسيين لم يلبثوا أن انحرفوا فى سـلوكهم ، وتهـافتوا على الشهوات وحب المال تحت أثواب من الرياء والخداع ، حتى أصبح الانتساب اليهم عارا ووصمة .

(ب) الأسينيون أو الأساة جمع آس أى طبيب روحانى . وهم فريق من غلاة الفريسيين المتنسكين ذوى الآراء الشاذة المتطرفة ، يدعون الى التقشف ويحرمون ذبح الحيوان ويلتزمون السرية فى ممارسة طقوسهم الدينية ويعيشون عيشة جماعية شيوعية ، وهم يؤمنون بالبعث والخلاص الروحى على يدى المسيح المنتظر ، غير انهم لا يقبلون انضمام أحد الى عشيرتهم الا بعد أن يثبت جدارته لذلك بعد اختبار طويل مداه ثلاث سنوات . وهم يشترطون عليه أن لايخفى عن العشيرة شيئا من أسراره ، بينما يحرمون عليه افشاء أسرارهم للغير ولو كلفه الحفاظ عليها التضحية بحياته .

هذا ، ولقد كانت تعاليم التلمود مثارا لخلاف عقائدى شديد بين اليهود، بالنظر الى مدى قداستها بالنسبة للتوراة وحتمية التسـليم بما جاء فيهـا مجافيا للعقل منافيا للخلق .

ولقد كان لاحتكاك اليهود فى المشرق بالأفكار الاسـلامية عن قرب تأثير جوهرى فى الشريعة اليهودية وفلسفتها ، حدت بالمفكرين من اليهود الى عدم الاعتداد بغير العقل فى تفهم نصوص التوراة دون التسـليم البات بتـأويل حاخامات اليهود .

ولقد اطمأن المتحررون من ربقة التلمود الى مواطن كثيرة من الشريعـة

---

(١) The Jewish World in the Time of Jesus, by Guignebert, p. 167.

الاسلامية فاقتبسوا منها فى عام ٧٠٩ للميلاد كثيرا من الأحكام الشرعية اليهودية (١) .

وفى عام ٧٦٠ للميلاد قام فى بغداد العالم اليهودى داود عنان ممن بهرتهم الحرية الفكرية التى أشاعها الاسلام ، وأعلن تمرده على تعاليم التلمود وقداسته ، وتبعته طائفة من اليهود أنكرت التلمود ورأت أن مافيه مجرداجتهاد فقهى غير معصوم ولا ملزم ، وعرفت هذه الطائفة بالقرائين أو أهل الظاهر ، لأنهم لم يوافقوا أصحاب التلمود فى تفهمهم لأحكام التوراة عن طريق الايغال فى التأويل واستظهار معان باطنة يحتكر الحاخامات فهمها واستنباطها .

فأما من آمن بالتلمود واخلد الى أحكامه وتعاليمه فأولئك هم فريق الربانيين ، الذين أشربت نفوسهم مبادىء الصهيونية التى تبنتها تعاليم التلمود بكل ما فيها من نكر وغلظة وزادتها عمقا وتفصيلا وأضفت عليها رهبة وقداسة . وقد تزعمهم حينذاك الحاخام سعديا سعيد بن يوسف الفيومى وتصدى للدفاع عن عقيدته بكتابه الذى ألفه بالعربية الفصحى باسم « كتاب الأمانات والاعتقادات » .

وواضح من استعراض موقف اليهود من التلمود أن الربانيين أنصار التلمود ينتمون الى المذهب الفريسى بينما ينتمى القراءون الى الصادوقيين .

وهكذا نجد أن مثار الخلاف بين طوائف اليهود ينحصر فى مدى تقبلهم لفكرة المسيح المنتظر وخلاص اليهود من التشريد والهوان وعودتهم على يديه الى فلسطين أرض الميعاد ، فبعضهم يقف منها موقفا سلبيا ويدعها لمشيئة الله ، والبعض الآخر يفسر الخلاص بأنه خلاص روحى يتناول العقيدة ذاتها وتطهير النفوس من نوازع الشر والاثم ، والبعض الثالث يعتقد أن الخلاص المادى موكول الى الشعب اليهودى ذاته وأنه يلتزم بالعمل على العودة الى فلسطين عنوة واقتدارا .

★★★

ويتضح من ذلك كيف أن كثيرا . من اليهود يتحمسون لمعاضدة دولة اسرائيل وتأييدها والاحتفال بها ـ وهى ربيبة الصهيونية ـ رغم ماعرف عنهم من قبل من مناهضة الصهيونية ونفور من أساليبها .

---

(١) كتاب المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده تأليف الدكتور فؤاد حسنين على مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ١٤١ .

## الفصل الثانى

## الصهيونية السياسية

### تمهيد

تمتاز الصهيونية فى العصر الحديث بطابع سياسى اصطنعته قناعا توارى به أطماعها الخفية وتعالج من دونه هذه الاطماع باعتبارها مشكلة قومية يهودية ، وذلك مجاراة لروح العصر وتياراته الفكرية والسياسية واتساقا مع أوضاع اليهود فى العالم اقليات مهيضة مبعثرة فى ارجائه ، وحتى تتاح لها حرية العمل لتحقيق أهدافها الدينية من غير ريبة تثير من حولها الشعور الدينى العالمى قد يكون انفجاره ماحقا لها ولآمالها .

ولا يعنى ذلك أن الصهيونية قد تخلت عن أصلها الدينى ، فانه ما انفك المعين الذى تنحدر منه وتعول عليه وتستمد منه تأثيرها وفاعليتها بين أوزاع اليهود فى فجاج الأرض .

وقد مرت الصهيونية السياسية بمرحلتين أساسيتين تتميز كل منهما بالمنهاج الذى اتخذته سبيلا الى أهدافها فى المجتمع الدولى .

**المرحلة الأولى :** وسبيلها محاولة استعمار فلسطين من الداخل عن طريق تهويدها ، بالهجرة المنظمة وشراء الاراضى لاستغلالها وتوطين اليهود فيها .

**المرحلة الثانية :** وسبيلها استعمار فلسطين من الخارج وتعتمد على الغزو السياسى باستصدار اعتراف دولى بالوطن القومى لليهود فى فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها تحميها الضمانات القانونية الدولية ـ وهى السياسة التى وضع اساسها تيودور هرتزل وأصبحت المنهج العملى للصهيونية الحديثة ـ والتى أسفرت بمجهود الدكتور حاييم وايزمان من بعد ـ عن انشاء اسرائيل دولة مستقلة وعضوا فى هيئة الأمم المتحدة .

## اولا ـ محاولة استعمار فلسطين بالمهاجرين اليهود

لقد كانت موجات الاضطهاد التى اجتاحت اليهود فى أوروبا ، ثم الحركات القومية والتحررية التى حفل بها القرن التاسع عشر ، حافزا لأقطاب اليهود على العمل لدفع الأرزاء عنهم والحفاظ على كيانهم فى وطن قومى يلوذون به .

كما أتاح لهم ما رحب من آفاق الحرية الاجتماعية التى توفرت لهم آنذاك ، منفسا يجارون فيه بالبث والشكوى مما يعانون ويجهرون فيه بآرائهم الخاصة التى كان ممتنعا عليهم الجهر بها .

غير انهم لم يطلبوا دفع الحيف عن اليهود وضمان سلامتهم وطمأنينتهم فى بلادهم التى يقيمون فيها ، أو النص فى دساتيرها على كفالة المساواة الاجتماعية والسياسية لليهود بسائر المواطنين فى الدول التى لم تنص عليها واعمال هذه النصوص فى الدول التى أهدرتها .

وانما وجد اليهود أن الفرصة متاحة لتحقيق أطماعهم الصهيونية التى ما فتئت تخامر مشاعرهم الدينية ويصبون اليها مصابرين منذ أمد مديد ، بالعودة الى فلسطين أرض الميعاد بحسبانها الحل الناجع لمشكلتهم التقليدية المتفاقمة تضم أشتاتهم وتعصمهم من الذل والهوان .

فنشطت الحملات الدعائية لتجسيم المشاكل اليهودية والدعوة الدائبة لأرض الميعاد ، ايقاظا للشعور الدينى والوعى القومى لدى اليهود ، وتشجيعا لهم على الهجرة اليها لواذا من الضغط والضيم واستجابة للوعود الالهية التى حفلت بها التوراة .

وانحصر النشاط المادى فى تشجيع الهجرة وتيسير وسائلها ، بيد أن هذه الجهود كانت مبعثرة يتولاها أفراد ومنظمات مختلفة فى غير رتابة ، تجمعها بين الحين والحين مؤتمرات غير منتظمة محدودة النطاق .

ولقد طور الزعيم اليهودى « موسى هيس » عبارة أرض الميعاد تطويرا سياسيا لتصبح « الوطن القومى » وهو تطوير فى التعبير فحسب يتضمن ذات المدلول الذى ترمى اليه العبارة التقليدية القديمة .

كما حدد أقطاب اليهود فى هذه المرحلة سبيلهم الى تحقيق هدفهم ، بتشجيع الهجرة مع توفير أسبابها ومتطلباتها ، وتيسير الحياة للمهاجرين بشراء الأراضى من أموال اليهود الخاصة .

وعلى هذا الأساس لايكون لهذا الوطن القومى الصفة الرسمية التى تضمن له الاعتراف الدولى ، وما قد ينشأ عن هذا الاعتراف من حقوق مطلقة للهجرة أو وجود جنسية سياسية مستقلة .

ولم يسجل التاريخ من الأفكار الثورية اليهودية العنيفة فى العصر الحديث سوى ماأثر عن دافيد روبينى فى القرن السادس عشر اذ دعا اليهود الى غزو فلسطين واحتلالها قهرا ، غير أن اليهود كانوا من الضعف والاستكانة والتمزق بحيث لم يستجب لدعوته أحد حتى ذهبت دعوته أدراج الرياح .



ولقد كان اللورد شافتسبرى ( ١٨٠١ ـ ١٨٨٥ م ) أول من نادى علانية بالعودة الى أرض الميعاد فى كتابه الذى تناول فيه تاريخ أورشليم وارض الميعاد ، وفى خلال انعقاد مؤتمر لندن فى عام ١٨٤٠ م لبحث المسألة الشرقية قدم مذكرة الى اللورد بالمرستون وزير خارجية انجلترا ـ الذى يمت اليه بصلة القربى ـ يطالب فيها بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، بيد أن الظروف السياسية الدولية لم تساعد على تحقيق هذا المطلب او حتى تأييده .

ولقد تحمس السير موسى مونتيفور محافظ لندن لآراء اللورد شافتسبرى ، وعرض على والى مصر محمد على باشا مشروعا لتوطين اليهود فى فلسطين بضمانة الدول العظمى ، غير أن جهوده ذهبت سدى . فانصرف الى الناحية العملية من المشروع وسعى فى عام ١٨٥٤ م لانشاء مستعمرات زراعية يهودية فى فلسطين ، واستطاع أن يجمع مبلغا من المال لتمويل هذا المشروع بمعاونة الحاخام الأكبر لليهود فى انجلترا .

بيد أن هذا المشروع كان عديم الجدوى فلم يأت بالنتائج المرجوة منه . وتسجيلا للواقع نذكر أن تلك لم تكن أول محاولة لاستعمار فلسطين عن طريق شراء الآراضى فيها ، ففى عام ١٥٦٦ م حاول المليونير الأسبانى اليهودى دوم جوزيف ناس أن يحصل على موافقة السلطان العثمانى على بيع مساحة واسعة من الارض بالقرب من بحيرة طبرية .

ويعتبر موسى هيس Moses Hess اليهودى الألمانى ( ١٨١٢ ـ ١٨٧٥م ) اول من أضفى الصفة السياسية على الحركة الصهيونية تحت ستار القومية اليهودية التى نادى بها ودعا اليهود الى التمسك بأهدابها وطالب الدول بالاعتراف بها وحمايتها ، وأودع أفكاره تلك كتابه « روما وأورشليم Rome and Jerusalem » الذى وضعه بعد هربه الى فرنسا فى عام ١٨٦٢ م .

ولقد أسهم كثير من المفكرين اليهود فى بعث الحركة الصهيونية فى لبوسها الجديد ومعالجتها على هذا الأساس عن طريق الهجرة الى فلسطين واستيطانها ، حتى اذا ما أصبحت لهم الأغلبية فيها دانت لهم مقاليدها دون جهد لقمة سائغة .

ومن أشهرهم الطبيب الروسى ليوبنسكر ( جودالوب بنسكر ) Leo Pinsker ( ١٨٢١ م ـ ١٨٩١ م ) زعيم جمعية عشاق صهيون ومؤلف كتاب « التحرير الذاتى » ، والصحفى الالمانى ناثان بيرنباوم رئيس جمعية كاديناح اليهودية النمسوية الذى خلع على الدعوة اسم الصهيونية فأصبح شعارها المميز ، وهو أول من نادى بعقد مؤتمر عالمى لليهود يجمعون فيه رايهم ويوجهون مناشطهم .

وقد كان للمقتلة الرهيبة التى اجتثت آلاف اليهود فى روسيا القيصرية فى عام ١٨٨٢ م بصفة خاصة آثار عملية هامة ، اذ كان لها فضل تشجيع اليهود على الاسفار عن احلامهم ، وهيأت الرأى العام للعطف عليهم والاستماع الى بثهم وشكايتهم ومظاهرتهم فى طلب الهجرة من أوروبا والتكتل بنجوة من الهوان والعذاب والاضطهاد .

فقامت فى مدينة اودسا فى عام ۱۸۸۲ م « جمعيــة عشــاق صهيون » ( شيبات زيون ) Chibbath Zion بزعامة الدكتور ليو بنسكر واحد هاعام لتعمل على انقاذ اليهود مما يعانون ومســاعدتهم على الهجرة الى فلســطين وامدادهم بالأموال لشراء الأراضى الزراعية واقامة مستعمرات يهودية عليها ، ثم لتعمل على احياء اللغة العبرية لتكون لغتهم القومية ، وقد انبثقت عنهــا جمعية مساعدة الصناع والمزارعين اليهــود فى سوريا وفلســطين بزعامــة ليو بنسكر .

كما قامت فى المانيا حركة التنوير ( الهاسكالاه ) فى بداية القرن الثامن عشر بزعامة موسى مندلسون تهيب باليهود أن يخرجوا من عزلتهم التقليدية ويندمجوا فى المجتمعات التى يعيشون فيها ليصبحوا مواطنين صالحين ، ومن ناحية أخرى فانها تدعو من لفظتهم أوطانهم من فرط الاضطهاد الى الهجرة الى فلسطين دون اى هدف سياسى تصبو اليه من وراء هذه الهجرة .

ولقد كان وراء هذه الجمعيات كبار الشخصيات اليهــودية فى انحــاء أوروبا تروج لها وتظاهرها بنفوذها وأموالهــا . وكان البــارون ادمون دى روتشيلد أكبر معوان لهذه الحركة يشد أزرها ويمدها بماله بسخاء وفير ، وقد أسس شركة « بيكا » لتتولى شراء الأراضى الفلسطينية وتشجيع هجرة اليهود لاستثمارها والاستقرار فيها . كما انشأ البارون ادموند دى هيرش Edmond de Hirsch جمعية الاســتعمار اليهودى لتحقيق هــذه الأهــداف أيضا ، وأوصى بمبلغ خمسة وعشرين مليونا من الفرنكات الذهبية بعد وفاته لتشجيع هجرة اليهود من أوروبا الشرقية الى فلسطين .

ومن ثم نشطت حركة الهجرة الى فلسطين ، فهاجر اليها فى عام ۱۸۸۱م ثلاثة آلاف يهودى وأقاموا مستعمرة ريشيون لزيون فى عام ۱۸۸۱ م بالقرب من مدينة يافا كما اقاموا غيرها من المستعمرات بجوار حيفا والقدس .

وتعرف هذه الهجرة لدى الصهيونيين بالهجرة الأولى ، وكان مثــارها أصالة الفرار من الاضطهاد ثم توثيق الصلة بين المهاجرين وبين فلسطين عن طريق ربطهم بالأرض والاعتماد على زراعتها .

واذ لم تكن لهؤلاء المهاجرين دراية بالفلاحة فقد كان اعتمادهم فى زراعة الأرض على الفلاحين العرب من أهل فلسطين ــ وبذلك وهت الصلة المنشودة بين اليهود المهــاجرين والارض ، ولم يتحقق الهــدف الذى يســعى اليــه الصهيونيون من الهجرة .

وفضلا على ذلك فقد كان الســلوك الاجتماعى للمهــاجرين فى هــذه المستعمرات مثارا للريبة ، اذ حافظوا على عزلتهم ومظاهرهم الطائفية التى تنأى بهم عن المجتمع الذى تطفلوا عليه وتتنكر لسلطات الدولة التى يعيشون فى رحابها ، فأنشأوا لهم مدارسهم الخاصة حيث يستخدمون اللغة العبرية ، كما أقاموا مؤسساتهم الاجتماعية ومحاكمهم الخاصة التى يحتكمون اليهــا دون المحاكم الرسمية ، بل انهم اتخذوا لهم عملة خاصة يتداولونها ، ومن ثم فقد بادر سلطان تركيا الى التصدى لهذه الحركة الاستعمارية الجريئة قبل استفحالها ، فأصدر فرمانا فى عام ۱۸۸۸ م يحظر هجرة اليهود الجماعية الى بلاده ويحدد اقامة حجاج اليهود فى فلسطين بمدة لاتتجاوز ثلاثة أشهر ؛ مما أصاب الحركة الصهيونية بالفتور والركود .

وكانت الجمعيات اليهودية المنتشرة فى أرجاء العالم نواة للمؤتمرات التى كانت تعقد فى أوروبا يلتئم الصهيونيون فى اكنافهم على مستوى عالمى ، لتوحيد كلمتهم وتركيز جهودهم وتوجيه النشاط الصهيونى فى أنحاء العالم ، وكان أهمها المؤتمر الذى ضم أقطاب جمعية عشاق صهيون فى عام ١٨٨٤ م ، ثم مؤتمر عام ١٨٨٧ م الذى تقرر فيه تنظيم الهجرة الى فلسطين وشراء أراض جديدة فيها يستعمرها اليهود المهاجرون .

وبعد تنظيم الحركة الصهيونية على يدى تيودور هرتزل وتوحيد نشاطها فى المؤتمرات الدورية اتخذت الهجرة الى فلسطين صورة تعاونية واشتراكية لتكون أجدى فى توطين اليهود ، بتوفير أسباب العيش لهم ورعاية المعوزين منهم واستغلال طاقاتهم استغلالا نظيما مجزيا والافادة منها جماعيا ، ثم تنظيم كل مجتمع منهم تنظيما عسكريا يكفل لهم الأمان والمنعة ويجعل من هذه المجتمعات مرابض للقوات المسلحة حتى اذا جد الجد كانت ركائز للوثوب واغتصاب مزيد من الأرض .

وقد كان أساس هذه التنظيمات المهاجرين اليهود الذين انثالوا على فلسطين منذ أوائل القرن العشرين والذين عرفوا بالرواد — وقد أسسوا مع أبناء المهاجرين اليهود السابقين المولودين فى فلسطين والمعروفين بالصابرا Sabra نظاما اقتصاديا اشتراكيا يهيمن فيه القطاع العام على مصادر الثروة الزراعية ويتمثل فى نوعين من المستعمرات الجماعية الزراعية فى فلسطين يتبعان مؤسسات الهستدروت الاسرائيلية ( اتحاد عمال اسرائيل ) — هما الموشاف ( المستوطنة الزراعية التعاونية ) ( والكيبوتز المستوطنة الزراعية الجماعية ) وهما يعتمدان على العنصر اليهودى وحده ولا محل للعنصر العربى فيهما اطلاقا ، كما يتفقان فى أن ملكية الأرض فيهما ملكية عامة وليس للمستوطنين عليها الا حق الانتفاع فحسب .

١ — **الموشاف (١)** Moshav : ( المستوطنات الزراعية التعاونية ) وتتمثل فى قرى تعاونية توزع فيها الأرض على العائلات بالتساوى حيث تكون كل عائلة وحدة سكنية استثمارية واستهلاكية مستقلة ، وعليها القيام بكافة الأعمال اللازمة للمزرعة ، والعمل والتسويق فى قرى الموشاف يتم على أسس تعاونية ، والمسئولية فيها مشتركة ، ويضمن مجتمع الموشاف لأعضائه حدا أدنى للمعيشة .

وتجمع وحدات الموشاف اتحادات وطنية تتولى التنسيق بين جهودها والتخطيط الاقتصادى لها للمدى الطويل ، وتوفير وسائل التنمية الاقتصادية الحديثة واستقبال أفواج المهاجرين الجدد وتوزيعهم وتوفير أسباب العيش لهم .

٢ — **الكيبوتز** Kibbutz ( المستوطنات الزراعية الجماعية ) وهى

---

(١) راجع فى ذلك كتاب « الموشاف — القرى التعاونية فى اسرائيل » تأليف الأستاذ ابراهيم العابد .

(٢) راجع فى ذلك كتاب « الكيبوتز أو المزارع الجماعية فى اسرائيل » تأليف الاستاذ عبد الوهاب كيالى »

كلمة من لغة اليديش المزيج من العبرية والالمانية وتعنى الجماعة ، وهى فى اسرائيل تطلق على مزارع اشتراكية تضم طائفة من اليهود يعيشون فيها معيشة جماعية حيث يشتركون فى زراعتها وتسويق محاصيلها وادارة مرافقها وسد حاجاتهم المعيشية بنظام اشتراكى كل بقدر حاجته .

وهم يتساهمون أعمال المزرعة المختلفة حسبما تقتضيه ضرورة العمل وحاجة مجتمعهم وليس بحسب رغباتهم الشخصية ، ويجتمعون بهيئة مؤتمر اسبوعى لتصريف شئونهم ويتولى السكرتارية سكرتير عام متفرغ ، وتضم المزرعة أفرادا من الجنسين يقيمون فى مساكن جماعية حيث يستقل كل منهم بحجرة خاصة الا أنهم يشتركون فى سائر مرافقها جميعا كالحمامات والمطابخ وغرف الغسيل كما أنهم يتناولون الطعام معا فى مكان واحد ، وتسود مجتمعهم الاباحية الجنسية فلكل رجل وامرأة أن يستقلا معا بغرفة مشتركة متى طلبا ذلك ودون أى قيد أو التزام ، وتظل علاقتهما معترفا بها عرفا الا أن المرأة تسمى حينذاك رفيقة لا زوجة ، فاذا ما حملت المرأة وأبديا رغبتهما فى اضفاء الصفة القانونية على هذه العلاقة كان لهما الحق فى اكتسابها وذلك حتى يتمتعا بالميزات والحقوق الرسمية المقررة .

والتعليم فى مجتمع الكيبوتز اشتراكى منذ ولادة الطفل ، حيث يعزل عن والديه فى دور خاصة ويدرب على حياة التقشف حتى سن الثامنة عشرة حيث تنتهى المرحلة الثانوية وهى آخر مراحل التعليم المتاحة لأبناء المزرعة والتى لا تؤهلهم للالتحاق بالجامعة وانما تكتفى بتأهيلهم لحياة الجندية .

وتمتاز الكيبوتز بمناعتها حيث يراعى اقامتها على ربى عالية تشرف على الأراضى الزراعية من حولها كما تتحكم فى الطرق الموصلة اليها ، فضلا عن تمتعها بالاكتفاء الذاتى ليس فى الزراعة فحسب ولكن فى الصناعات التى تتطلبها الزراعة أيضا وفى غيرها من الصناعات التى يحتاجها مجتمع الكيبوتز كالأثاث والأدوات الكهربائية ومنتجات البلاستيك .

وهكذا بدت مستعمرات الكيبوتز كالقلاع الحصينة المتناثرة وسط المزارع فى طول البلاد وعرضها ومن حرسها الخاص المتمرس على فنون القتال والمزود بالأسلحة الحديثة تكون الجيش السرى الصهيونى فى فلسطين ابان الانتداب البريطانى ــ والمعروف بالهاجاناه ــ والذى كان له دور كبير فى قيام دولة اسرائيل وتثبيت دعائمها واصبح نواة لجيشها الرسمى .

***

ولقد تناول المؤتمرون اليهود فى اجتماعاتهم الدورية تنظيم الحركة الصهيونية وأهدافها القريبة والبعيدة وانتهت الى مقررات مفصلة أملتها اطماع طائشة جمحت بهم فى شطط أحلام الضعيف المهيض ، توطىء لهم ملك العالم بأسره باعتبارهم شعب الله المختار وصفوة خلقه والقوامين على سائر البشر ، وكأنما كان يدفعهم الى ذلك عقدة نفسية مردها هوانهم وذلتهم واضطهادهم وما اثارته فيهم من رغبة التشفى والانتقام من العالم بأسره «فالطموح الجامح ــ كما يقول علماء النفس ــ مظهر خارجى من مظاهر مركب

النقص ونتيجة له وان« (١) الاندفاع للتقدم فى معترك الحيـاة من شـأنه اخراج آخر من سباق الحياة » .

وهكذا تفتقت أذهانهم المضطغنة عن أفكار جامحـة وتعـاليم جانحة ، يثيرها الغل والحقد مصاغة فى مشروع مقررات عدوانية عملية لتحقيق آمالهم وأحلامهم الصهيونية ، وهى المقررات التى عرفت فيما بعد ببروتوكولات حكماء صهيون ، والتى تعتمد أساسا على الأصل الدينى للصهيونية الذى يقرر ان فلسطين ارض الميعاد والمعاد والقاعدة المؤثلة للدولة اليهودية العالمية .



**يتولى شباب اليهود من الجنسين حراسة المستعمرات الاسرائيلية فى فلسطين .**

---

(١) كتاب « كيف تكون سعيدا » تأليف بيران وولف أستاذ علم النفس صفحة ١٣٩ و ١٤٠ .

## ثانيا – مشروع الدولة اليهودية فى فلسطين

لقد اقتصرت جهود الصهيونية الحديثة – حتى ظهور تيودور هرتزل – على احياء المبادىء الصهيونية واقتراح الحل السياسى الناجع للمشكلة اليهودية العنصرية التى لا تفتأ تتجدد وتنكىء جراحها من آن لآخر، واصطناع الأسباب المبررة لها يمارون بها الراى العام العالمى . ولقد تبلورت هذه الحلول فى احياء امل الصهيونيين الاثير بالعودة الى فلسطين وطنهم القومى الموعود ، على أن تتم هذه العودة بتشجيع الهجرة الجماعية اليها وشراء الأراضى الزراعية لتمكين المهاجرين من استعمارها والاستقرار فيها .

غير ان جهودهم فى المجال العملى تعثرت ولم تسفر عن طائل يشبع نهمهم وينقع غلتهم ، فالباب العالى – وهو مناط آمالهم فى فتح أبواب فلسطين للمهاجرين اليهود – وكانت حينذاك ولاية عثمانية تضمها امبراطوريته الواسعة – قد رابته سياستهم فأوصد الأبواب فى وجه الهجرة اليهودية ، كما أن قصارى حصيلتهم فى المجال الأوروبى ان أعلنت انجلترا حمايتها لرعاياها من اليهود المهاجرين الى فلسطين وكانوا من قبل لا يتمتعون بأية رعاية دبلوماسية ، ومن ثم كان اهم ما انتهت اليه تلك الجهود – وضع المنهاج العملى للدعوة الصهيونية فى المقررات التى عرفت فيما بعد ببروتوكولات حكماء صهيون .

وما برحت الحركة الصهيونية قاصرة تتولاها جهود متعثرة مبعثرة تبذلها منظمات مختلفة وتجمعها بين الحين والحين مؤتمرات غير مركزة ولا منتظمة ، الى أن آلت زعامتها الى الصحفى النمساوى تيودور هرتزل ( ١٨٦٠ – ١٩٠٤ ) رئيس جمعية صهيون النمسوية فزج بالحركة الصهيونية فى المعترك السياسى الدولى كقضية سياسية دولية ، مبناها – فيما يزعم – حقوق قومية مهدرة ، على الدول أن تتضافر لحسمها بعد أن كانت مشكلات عنصرية محلية فى كل دولة من الدول الأوروبية التى عانى اليهود من العنت والاضطهاد فيها .

### قضية الفريد دريفوس :

كان الضابط اليهودى الفريد دريفوس Alfred Dreyfus عضوا فى هيئة أركان حرب الجيش الفرنسى ثم اتهم بنقل أسرار فرنسا العسكرية الى الحكومة الألمانية ، وحوكم أمام المجلس العسكرى بتهمة الخيانة العظمى فى عام ١٨٩٤ م وصدر الحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة مع تجريده من رتبته العسكرية .

ولقد شهد تيودور هرتزل المحاكمة باعتباره مراسلا لجريدة «الصحيفة الجديدة الحرة » التى تصدر فى فينا – كما شهد تنفيذ الحكم بتجريد دريفوس من رتبته العسكرية ، وشعر بالحملات المريرة التى اجتاحت فرنسا ضد اليهود ورمتهم بالخيانة وحرضت على ازدرائهم واضطهادهم وانكرت عليهم ما حصلوا عليه من حريات مدنية تطبيقا لمبادىء الثورة الفرنسية – ولم يشفع لدريفوس ولا لليهود ما ثبت من براءته مما نسب اليه عند اعادة محاكمته بعد ذلك بعامين .

كانت هذه المحاكمة نقطة تحول خطير بالنسبة لأفكار تيودور هرتزل وجهوده الصهيونية ثم بالنسبة للحركة الصهيونية ذاتها .

فكما استغل الفرنسيون هذه القضية ) اثارة روح التعصب ضد اليهود ، فلقد استغلها هرتزل — خصوصا بعد ثبوت البراءة — فى التشهير بروح العداء ضد اليهود ، وفى استدرار العطف العالمى عليهم وتجميع الرأى اليهودى من حوله على سياسة عملية موحدة .

**آراء هرتزل وسياسته :**

رأى هرتزل ان لا ضابط لحريات اليهود ولا عاصم لهم مما قد يتعرضون له من اضطهاد وحيف الا بانشاء دولة يهودية ، يمارسون فيها حرياتهم بمنجاة من أى انتكاس يحيق بهذه الحريات أو يهددها .

وقد خالف أسلافه من زعماء الصهيونية فى وسائل تحقيق هذه الدولة :

فبينما كانوا يرون احتلال فلسطين بالمهاجرين وشراء الأراضى الزراعية لتوطينهم وبذلك يتم استعمارها من الداخل استعمارا مجزأ حتى تكون لهم الغلبة ويستقيم لهم الأمر فيها .

فقد كان هرتزل يرى — فضلا عن ذلك — أن يكون استعمار فلسطين من الخارج أى عن طريق الدبلوماسية والمفاوضة السياسية مع الدول المعنية ، لاستخلاص حق شرعى فى احتلالها وانشاء دولة يهودية فى ربوعها بضمان تلك الدول ، على أن يتم التوطيد الفعلى لهذا الاحتلال باستجلاب مزيد من المهاجرين .

وبذلك يستتب الأمر لليهود فى دولة مستقلة يعترف بها المجتمع الدولى وتحميها القوانين الدولية .

ففى اعتقاد هرتزل (١) :

« ان الطريقة الوحيدة لحل « المشكلة اليهودية » هى أن تحصل هذه الأمة على بلد خاص بها وذلك فى غضون حقبة من الزمن لتركيز قواها ومواردها على أرض تتمتع « بالضمان القانونى » وبذلك يكون على من يرغب أن يظل يهوديا أن يذهب الى ذلك البلد اليهودى ، ولا يصبح هؤلاء الذين اختاروا لأنفسهم البقاء فى الدول الأخرى» .

وهكذا كان يعتمد فى مطالبته بالدولة اليهودية على وجود القومية اليهودية المتميزة التى سبق أن نادى بها موسى هيس .

**محاولات تيودور هرتزل**

لقد ضمن هرتزل آراءه وسياسته فى حسم المشكلة اليهودية الخالدة وفى تحقيق الدولة اليهودية التى ينادى بها — كتابه « الدولة اليهودية » الذى وضعه فى عام ١٨٩٥ م فى صورة رسالة مسهبة .

---

(١) عن كتاب «اليهودية دين لا قومية» تأليف المر برجر طبع دار المعارف بالقاهرة صفحة ١٢ .

وقد حاول أن يقنع البارون دى هيرش مؤسس جمعيــة الاســتعمار اليهودى بأن يأخذ مشروعه المنهــاج الســياسى ، الا أن دى هيرش مضى فى مشروعه على أساس انشاء مستعمرات يهودية فى فلسطين على أراض زراعية تتعاون الأموال اليهودية فى شرائها .

ثم واصل هرتزل جهوده السياسية فحاول فى عام ١٩٠١ الحصول على موافقة الدولة العثمانية على التنازل لليهود عن فلسطين أو حتى العدول عن القيود التى فرضها فرمان عام ١٨٩٢ م على هجرة اليهود اليها .

وحاول استغلال نفوذ الامبراطورية الالمانية لدى الحكومة العثمانيـــه ليحقق عن طريقها آمال الصهيونية فى فلســطين ، فأغــرى الامبراطور ولهلم الثانى بالمساهمة فى شركة امتياز يمــولها اليهــود لتعمير فلسطين فى مقــابل مسعاه لدى السلطان العثمانى ، الا أن السلطان عبد الحميد أصر على الرفض رغم ذلك ورغم الاموال الطائلة التى عرضت عليه .

كما حاول هرتزل الحصول على موافقة الحكومة البريطانية فى مصر على توطين اليهود فى سيناء ومنطقة العريش ، وزار مصر لهذا الغرض فى عام ١٩٠٤ ، الا أنه لم يجد لمطلبه أذنا صاغية سواء من الحكومة المصرية أو من سلطات الاحتلال البريطانى .

وتعددت اتصالاته الدبلوماسية بالحكومة البريطانية ، فلما ان عرضت عليه انشاء وطن قومى فى أوغندة لم ير بأســا فى عرض المشروع على المؤتمر الصهيونى السادس ، الا ان المؤتمرين انقسموا على أنفسهم عنــد نظره بين مؤيد ومعارض ، الى أن قرر المؤتمر السابع صراحــة فى عام ١٩٠٥ ــ بعــد وفاة هرتزل ــ أن تكون فلسطين ــ دون سواها ــ الوطن القومى لليهود .

وهكذا تشعبت بهرتزل سبل المفاوضات السياسية لتحقيق أمله ، بيد أن المنية عاجلته دون أن يوفق فى أى منها .

الا أنه نجح فى التئام الرأى العام اليهودى فى مؤتمرات عالمية ــ كانت مطمح آمال ناثان بيرنباوم من قبل ــ وقد انعقــد أول مؤتمر فى مدينــة بال بسويسرة فى ٢٩ أغسطس من عام ١٨٩٧ م وشهده ٢٠٤ من أقطاب اليهود فى العالم ، وكانت أهم آثاره تقرير انعقاد المؤتمرات العالمية سنويا بصفة دورية وانتهت الى تقرير فلسطين وطنا قوميا لليهود تناط به سياستهم العامة ــ ثم اعتماد التعاليم والمقررات التى سبق أن اقترحتها المؤتمرات اليهودية منذ عام ١٨٨٤ م ــ والتى فصلت الأهداف الصهيونية العــامة التى حددتهــا وعود التــوراة والوســائل العملية لتحقيقهــا ــ وقد عرفت هــذه المقررات باسم بروتوكولات حكماء صهيون .

وقد توفى هرتزل فى ٣ يولية سنة ١٩٠٤ بعد أن طور المشكلة اليهودية المزمنة من مشكلة انسانية الى قضية سياسية عالمية ، ووحد الرأى العــام الصــهيونى ووضــع الاسس النظــرية والعملية لتأسيس الدولة اليهودية المرجوة .

## بروتوكولات حكماء صهيون

لقد كانت السياسات والمناهج التى نادى بها وعمل لها علانية كل من تيودور هرتزل وغيره ممن تصدى لتحقيق الاهداف الصهيونية من أقطاب

اليهود ـ قاصرة على المرحلة التمهيدية من الاهداف الصهيونية التى تتضمن عودة اليهود الى فلسطين .

أما المرحلة النهائية التى تنتهى بها تلك الاهداف ويتم فيها سيطرة اليهود على العالم بأسره ، فقد ظلت سرية لايجرؤ أحد على الجهر بها وان ظلت مقدسة فى يقين اليهود يستهدونها دائما .

وحفاظا على هذه الاهداف واعمالا لها ، فقد حرصت مؤتمرات اليهود التى انعقدت منذ عام ١٨٨٤ م على تسجيلها ، وتفصيل المناهج العملية لتحقيقها سرا على حين غفلة من الشعوب والدول التى تتهددها .

وقد عرضت هذه المقررات على المؤتمر الصهيونى الاول المنعقد فى مدينة بال بسويسرة فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ برئاسة تيودور هرتزل حيث تمت دراستها فى جلسات سرية ثم اعتمدت فى بنود مفصلة عرفت باسم «بروتوكولات حكماء صهيون» وبلغت عدتها أربعةٍ وعشرين بروتوكولا ، تحدد الامانى الصهيونية لاذلال العالم واخضاعه لسيطرتهم ، وترسم مناهجها بقسوة المكبوت الكظيم وشراهة النهم المحروم ، فتعين طرائق اعمالها بزلزلة قواعد المجتمع الدولى ومقوماته حتى يتم انهياره واستسلامه .

وقد ظلت هذه البروتوكولات سرية حتى تمكنت ابنة أحد الدبلوماسيين الروس فى فرنسا من الحصول على نسخة منها من أحد الماسونيين الفرنسيين فى باريس فى عام ١٨٩٥ وقد أعدها للنشر العالم الروسى سرجى نيلوس ، ولما نشرت لأول مرة فى عام ١٩٠٥ بادر اليهود الى انكارها والتنصل منها مراء وتضليلا بالنظر لما فيها من ضراوة وعدوان انسانى بشع ، وادعوا أنها من وضع الشرطة القيصرية فى عام ١٨٩٠م ، بيد أننا اذا تتبعنا مناهج الصهيونية ودرسنا أصولها وأهدافها ، يتضح جليا أنها ترسم ذات البرامج التى حددتها تلك البروتوكولات وتنحو نحوها وتستهدف ذات الاغراض التى توختها .

وقد شهد بصحة هذه البروتوكولات كثير من ذوى الرأى ، منهم جون بتى مدير المخابرات الامريكية فى كتابه «الستار الحديدى حول الولايات المتحدة الامريكية» وهنرى فورد الكبير فى كتابه «اليهودى العالمى» الصادر فى عام ١٩١٩ ثم الكولونيل جورج كريج فى كتابه «الحكومة السرية فى بريطانيا» .

كما حكم القضاء السويسرى العالى بصحة هذه البروتوكولات وطالب الحكومة السويسرية بتعقب أصحابها وطردهم من البلاد (١) .

---

(١) كتاب « أضواء على الصهيونية » تاليف الأستاذ مصطفى السعدنى واصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٩ صفحة ٨ .

وفى مقابل ذلك نجد بعض الكتاب يرتابون فى نسبة هذه البروتوكولات الى اليهود عامة والى الصهيونيين خاصة ويدعون الى التحفظ فى عرضها وفى دراستها ، وحسم بعضهم تردده ـ ومنهم كتاب عرب فجزم بزيفها وأنكرها أصالة وحذر من التردى فى أحابيلها بحسبانها فرية مزورة اصطنعها حاقد موتور أوعز بها اليه فرط الموجدة نكاية بالصهيونيين وامعانا فى التاليب عليهم .

( أنظر فى ذلك كتاب « قضايا الدين والمجتمع فى اسرائيل » تاليف الدكتور أسعد رزوق واصدار معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧١ صفحة ٨ ) .

ولقد احتوت الطبعة التى نشرت فى لندن عام ١٩١٧ على اضافات قيل ان تيودور هرتزل هو الذى اضافها بعد المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى مدينة بال .

وبهــذه البروتوكولات اكتملت للصــهيونية معالمها وقيمها الاصيلة التى مارست نشاطها على هداها فى العصر الحديث .

وتعتبر بروتوكولات حكماء صهيون احدى النتائج النظرية الهامة التى تمخضت عنها اجتماعات أقطاب الصهيونية ، كما تعتبر فى موضوعها برامج عملية مكملة لقرارات مجلس حكماء اليهود الصادرة فى عام ٧٠ للميلاد ، ومفصلة للوسائل والمشروعات المؤدية الى تنفيذها وتعمل على تعبئة الجهود وتنظيمها للانطلاق والعمل الحركى .

واعمالا لهذه القرارات والبروتوكولات ، توفر دعاة اليهود على تنفيذها بدهاء عميق وحذق بارع ودأب متصل ، حتى دان لهم من رجــالات الحــكم واقطاب السياسة فى اقطار العالم من فتنتهم احابيلهم فاستسلموا صاغرين مؤيدين . ومن ثم اشتد أيدهم وجهر صوتهم فجمعوا كيــدهم وشــهروا أسلحتهم مشرعة عادية ، وأحالوا دعوتهم السرية وأمانيهم العنصرية حقوقا مشروعة ، ومطالب يجهرون بها علانية ويعملون لها دائبين ، يشد أزرهم من دان لهم من الصنائع المغررة المفتونة .

ولقــد نشطت الحــركة الصــهيونية تنفيــذا للمؤتمرات الصــهيونية خصوصا بعد المؤتمر الصهيونى الســابع الذى عقــد فى عام ١٩٠٥ وتقريره فلسطين وطنــا قوميا لليهــود ، فتوالت الهجرات المنظمــة اليها حتى بلغت مستعمراتهم فى عام ١٩١٤ ــ مستهل الحرب العالمية الاولى ــ ٥٩ مستعمرة تضم حوالى اثنى عشر ألفا من مهاجرى اليهود .

## ثالثا ــ قيام دولة اسرائيل ركيزة للصهيونية

لما أن أعيا الصهيونيين اقناع الدولة العثمانية صاحبة فلسطين بالتنازل عنها لليهود أو مجرد أطلاق الهجرة اليهــودية اليها ــ ولوا وجوههم شــطر الدول الاستعمارية يستعينونها على انشاء دولة يهودية على الارض الفلسطينية (أرض الميعاد) ، تكون ركيزة للاستعمار فى الشرق الأوسط ، وحــائلا دون تجمع القوى العربية التى كانت مصدر الخطر على مصالح الغرب الاستعمارية لو قد أتيح لها التفاهم والاتحاد ، ثم لتكون هذه الدولة اليهودية موئلا لليهود يحققون بها أطماعهم الخاصة نفاذا لوعود التوراة .

---

= غير أنه حتى مع الاغضاء ــ جدلا ــ عن صحة هذه البروتوكولات أو زيفها فانه من المجزوم به انها فى فحواها تتفق تماما مع ما تضمنته أسفار التوراة وفصول التلمود ؛ بل ومع المنهاج العملى الذى راض الصهيونيون أنفسهم على تحقيقــه على مدى التاريخ . وفى هذا برهان دامغ يتصدى لما دار حولهــا من مزاعم مستريبة أو منكرة . أو على الأقل فيها مايبرر الاحتفال بموضوعها ويســوغ دراسته بعناية وامعان .

وبفضل الجهود الدائبة المتصلة التى توفر عليها خلفاء هرتزل من زعماء الصهيونية المتحمسين لفكرته ــ خصوصا الدكتور حاييم وايزمان ــ قامت دولة اسرائيل الحديثة بالفعل فى منتصف مايو سنة ١٩٤٨ على شطر من أرض فلسطين العربية ، ودانت للصهيونية مواطىء المرحلة الاولى من أهدافها بعد طول انتظار تراخى أمده عشرات القرون .

ومن ثم فقد كان لزاما أن تتطور النظرية الصهيونية وسياساتها التنفيذية حتى تستطيع المضى لتحقيق جماع أهدافها على هدى من البرامج التى فصلتها بروتوكولات حكماء صهيون .

وكان طبيعيا أن تكون اسرائيل هى قاعدة الصهيونية ومناط قواها ومجمع أنصارها حيثما أقاموا ، فهى أرض الميعاد التى بشرتهم التوراة بالعودة اليها ، والتى بنيت عليها الفكرة الصهيونية التى يدينون بها والتى كرسوا جهودهم لتحقيقها .

ويعتبر انشاء دولة اسرائيل نقطة البداية فى المرحلة الاولى من الاطماع الصهيونية ، وبؤرة تستجمع فيها أيدها وكيدها ، وتعبىء عناصر الانطلاق وطاقاته وتركز ارادتها الموزعة ، حيث تتوفر على انمائها وشحذها توطئة لفرضها على شعوب الارض عنوة فى المرحلة النهائية التالية ــ بالضغط السياسى أو بالعدوان المسلح .

وتحقيقا لذلك فقد عملت حكومة اسرائيل على تيسير عودة اليهود الى أرض الميعاد نفاذا لوعود التوراة ثم لتزداد بهم قوتها وتتضاعف قدراتها .

ثم مضت فى طريقها الصهيونى المرسوم فتضمنت تشريعاتها الاعتراف بالقومية اليهودية اعترافا رسميا ، وهى القومية التى يدعى الصهيونيون أن اليهود جميعا ينتمون اليها ايان توزعتهم تصاريف الحياة فى شعاب الارض .

وفضلا عن ذلك ، فقد أرادت اسرائيل أن تجمع اليهود خارج أراضيها تحت لوائها السياسى مهما شط بهم المقام ، فأضفت عليهم الجنسية الاسرائيلية ــ بناء على مراسم صورية بسيطة ، ليتمتعوا بحمايتها الدبلوماسية اسوة برعاياها المقيمين على أرضها .

على أنه يلاحظ فى قواعد مشروعيتها أنه وان كانت هذه الجنسية قد اتخذت السمة الاسرائيلية نسبة الى دولة اسرائيل ــ فانها فى الواقع جنسية صهيونية لايحملها الا من يعتنق المذهب الصهيونى ويرضخ للشرائع الاسرائيلية على هذا الأساس .

## الفصل الثالث

## مجمل مقومات الصهيونية

ترد فكرة الصهيونية فى مبناها ودوافعها ــ على مابينا ــ الى عوامل دينية قديمة هى التى ابتعثتها وأنبتتها ، وأخرى سياسية محدثة قد أثارتها واستجاشتها ، ثم تذرعت بها تمويها لنواياها وتبريرا لأهدافها فى المعترك السياسى .

فهى تند عن مفاعلات شتى وتبدو مشيجا مقتبسا من وحى التوراة ونبوءات أنبياء اليهود ومتنبئيهم ، وانفعالات السبى البابلى المضطربة . ومضاعفات التشريد المتوالى الاطراد بما يثيره من أصداء اليمة ، ثم انطباعات الآراء الفلسفية القديمة ، ثم النظريات الاجتماعية والسياسية المحدثة . وأخيرا الحق القانونى فى انشاء دولة اسرائيل والمستمد من وعد بلفور وميثاق عصبة الامم .

### أولا ــ المرحلة التمهيدية

**( أ ) المقومات الدينية :**

١ ــ الوعد الالهى لليهود بالعودة الى بلاد فلسطين وامتلاكها الى الأبد مع ماتاخمها من أقطار تمتد من نهر الفرات شرقا الى نهر النيل غربا .

٢ ــ الزعم بأن فلسطين أرض المعاد حيث يجمع الله فى ربوعها شتاتهم من أقطار الارض على يدى المسيح المنتظر ، فيؤمهم اليها حاملا لواء اليهودية دينا للبشرية كافة .

٣ ــ وجود المعالم الدينية المقدسة فى بلاد فلسطين والرغبة فى وضعها تحت سيطرتهم السياسية واشرافهم الادارى المباشر .

٤ ــ النعرة الدينية الجانحة التى تحث اليهود على اعتزال المجتمع الذى يعيشون فيه خارج فلسطين ، باستعمال اللغة العبرية

واقامة الشعائر والطقوس اليهودية والخضوع لشرائعها وتعاليمها .

ومبنى هذا التزمت الجامح تمسكهم برسالتهم الدينية التى يزعمون أن مقتضاها عدم الاعتراف بغير اليهودية دينا للبشرية ثم التوفر على نشرها بين الشعوب . بينما يمارى اليهود فيدعون ان تلك النعرة الدينية ان هى الا ظاهرة من مظاهر القومية اليهودية المشتركة التى تجمع اليهود تحت لوائها ، والتى يحرصون على شعائرها ومظاهرها ومقوماتها مهما تناءت بهم الاقطار .

**(ب) المقومات التاريخية**

الزعم بأن فلسطين مهد اليهود وأنهم أصحابها القدامى ، ولذلك فهم ينشدون العودة اليها احياء لتراثهم العاتى وامتدادا لملكهم المندثر ، الذى انبتت أسبابه ودرست معالمه منذ أن قوضه الاشوريون والبابليون لأكثر من ثلاثين قرنا خلت .

**جـ ـ المقومات الانسانية :**

الرغبة فى التكتل العنصرى فى وطن قومى يلوذون به ويعصمهم من ويلات الاضطهاد الذى طالما رزحوا تحت نيره فى أقطار الارض دهرا طويلا ـ متناسين فى ذلك بواعث ذلك الاضطهاد وصلتهم السببية به .

ويزكى أوار تلك انعقدة النفسية الضارية التى خلفها الاضطهاد ، نزعة استعمارية جامحة قوامها حب السيطرة والتملك وبسط النفوذ ومثارها الحرمان السياسى الطويل .

**د ـ المقومات الاجتماعية :**

التعصب الطائفى اليهودى الذى يعزوه الصهيونيون الى تمتع اليهود فى بقاع الارض جميعا بقومية يهودية مشتركة تخلع عليهم هذه العصبية ، وضرورة تثبيت تلك القومية فى دولة يمارسون فيها تقاليدهم وشرائعهم وطقوسهم الخاصة . هذه القومية التى يلتزم بها اليهود ويتحمسون لها أينما ثقفوا ، والتى فرضت عليهم الانانية والتعصب العنصرى الطائفى المتزمت ، وايثار بنى جلدتهم على من سواهم فى المعاملات وفى العلاقات العامة فى البلاد التى يقيمون فيها ، والتى كان مؤداها الانطواء عمن سواهم والعزلة الاجتماعية التى اخذوا انفسهم بها اختيارا ، كمظهر مبين لقوميتهم المميزة أو بالاحرى لتعصبهم العنصرى الطائفى الذى تحثهم عليه تعاليمهم الدينية .

**(هـ) المقومات القانونية :** ومبناها الحق الذى يزعم اليهود انه يخولهم اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لهم .

ذلك الحق الذى استمدوه من وعد بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ثم من نصوص الصك الصادر من عصبة الأمم فى ٢٤ يونيه سنة ١٩٢٢

بانتــداب بريطانيا لادارة شئون فلسطين فى اعقاب الحرب العالمية الأولى .
وأخيرا اعتراف هيئة الامم المتحدة بقيام دولة اسرائيل .

## ثانيا : المرحلة النهائية على المستوى العالمى :

بالاضافة الى المقومات الدينية والتاريخية والاســانية والاجتماعيــة والقانونية مناط المرحلة الجزئية التمهيدية على ماسبق ، ترتكز الصهيونية العالمية على عناصر ثلاثة أساسية هى مناط المرحلة النهائيــة من أطماعهــا الرهيبة الرحيبة : ــ

١ ــ اعتقاد اليهود بأن دينهم هو وحده الدين الحق وأن الرســالة الدينية التى بعث الله بها أنبياءهم ونيط بسائر اليهود اتمامها مؤداها العمل على سيادة اليهودية أرجاء العالم .

٢ ــ نظرية التفوق العنصرى التى يقدسها اليهود ويتشيعون لها بوصــفهم شعب الله المختار من دون العالمين وخلفاء الله فى الارض ووارثى ملكها ومن ثم وجب ان يخضع سائر البشر لسلطانهم وأن يدينوا لهم بالطاعة والولاء أبد الدهر .

٣ ــ الرغبة الجامحة فى الانتقام من شعوب العالم طرا لما سيموا فى أكنافه من الذل والهوان وذاقوا من صنوف العذاب والاضطهاد .



# الباب الثالث

## مناهج الحركة الصهيونية ووسائل تنفيذها

الفصل الأول : مناهج الحركة الصهيونية
الفصل الثانى : وسائل تنفيذ المناهج الصهيونية
الفصل الثالث : الدستور العملى للسياسة الصهيونية
الفصل الرابع : بروتوكولات حكماء صهيون .

## الفصل الأول

## مناهج الحركة الصهيونية

يعتمد اليهود فى تحقيق آمالهم وتنفيذ سياستهم الاستعمارية على ركائز أربعة كرسوا لها نشاطهم وأوقفوا جهودهم على شحذها وتوفروا على اعدادها وتهيئتها ، حتى تكون ساعة الفصل ماضية قاضية حين الانطلاق الحاسم والاجهاز البات الباتر .

### ١ ـ السيطرة الفكرية

وسبيلها الدعاية العريضة المنظمة عن طريق أجهزة الاعلام الفعالة لتهيئة الاذهان وتطويعها لأهوائهم ـ سواء أكانت هذه الأجهزة منظمات يهودية سافرة أم منظمات اجتماعية مموهة ، سرية كانت أم علنية ، كالجمعيات الماسونية (١) وفرسان المعبد وجماعات الصليب الوردى وشهود يهوه والكبالا (٢) وغيرها من الهيئات والمنظمات والجمعيات التى بثوها فى أقطار العالم مكامن لهم ـ يعملون فيها على وأد الشعور الدينى والوطنى لدى المنتمين اليها من شتى الاجناس والاديان ، ومباءات لعملائهم الذين سخروهم عيونا لهم وأرصادا ـ ثم سائر وسائل الاعلام الصحفية والدعائية كالاذاعة والسينما ووكالات

(١) نظرا لأهمية الماسونية وشهود يهوه فى منهج النشاط الصهيونى وتغلغلهما فى انحاء العالم فقد أفردنا لكل منهما بحثا مستقلا .

(٢) الكبالا أو القبالة طريقة صوفية يعتنقها غلاة المتدينين من اليهود حيث يتلقون عن حاخاماتهم أسرار العلم الباطنى الذى يعتمد على طائفة من البدع والخرافات وفنون السحر والتنجيم والاتصال بأرواح الموتى وبالشياطين وتسخيرها لأغراضهم الرهيبة ؛ وهم يستخدمون الدماء البشرية قربانا فى طقوسهم وأسحارهم ويحصلون عليها من ضحاياهم من ذوى الديانات الاخرى وخاصة من المسيحيين .

وهم فيما يؤمنون به من عقائد وما يمارسون من طقوس يعتمدون على كتابهم السرى الرهيب المعروف باسم « الكبالا » أيضا ولتعاليمه فى نفوسهم منزلة القداسة ـ وسوف نعرض له فيما بعد تبيانا وتعقيبا .

الانباء التى أخضعوها لنفوذهم المالى (١) يشنون بها على اعدائهم حربا نفسية شعواء ، توهينا لقواهم وتصديعا لشملهم واضعافا لروحهم المعنوية ، باثارة الفتن الجامحة واشاعة الفوضى الفكرية والبلبلة الذهنية وافساد العقائد وافقاد الثقة بالنفس وبالقيم الاخلاقية .

وهم يمارسون نشاطهم الاعلامى بدهاء وحذق ، فلايكتفون باذاعة وجهات نظرهم فى اطار مغر مدو ، وانما يترصدون بحرص شديد مايذاع فى الصحف ووسائل الاعلام الاخرى ، فيحولون بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة — من ضغط وتشهير ورشوة واغراء — دون اذاعة مايسيىء اليهم أو يخالف وجهة نظرهم أو مايفيد منه أعداؤهم بوجه عام .

ويعتمد الصهيونيون اعتمادا كبيرا على وسائل الاعلام ، ويرون فى الدعاية الصاخبة المدوية مفاعلا أبلغ تأثيرا واقوى نفوذا .

ويؤكد ذلك تيودور هرتزل رائد الصهيونية فى العصر الحديث ، — حيث يقول فى مذكراته «الضجة هى كل شىء . والحق ان الضجيج يؤدى الى الاعمال الكبيرة» .

ذلك لانها تستلفت الأنظار وتعبىء الانصار وتوهن الاعداء وتبث فى نفوسهم الخور وفقدان الثقة بالنفس ، وتنقل المعركة بذلك الى جو عالى تتوفر لها فيه مزايا ماضية حاسمة .

## ٢ — السيطرة المالية

وتتحقق هذه السيطرة عن طريق البنوك وبيوت المال ، التى يهيمنون عليها ويوجهون بها النشاط الصناعى والتجارى لمصلحتهم ، ويتحكمون فى الاقتصاد الفردى والاقتصاد الجماعى بما يدعم نفوذهم السياسى ، فيبتزون بها الثروات الخاصة والعامة ، ويمتصون الاموال من المجالات الحيوية — وهى عصب الحياة فى المجتمع حتى يتحطم وينهار ، وذلك عن طريق الاحتكار والمضاربات المالية ، والاقراض الربوى الفاحش ، واشاعة الفقر والدمار والافلاس ، وشراء ضمائر الساسة والحكام توصلا الى مايبتغون من مآرب واطماع .

ووسيلتهم الى احتكار الاسواق العالمية اغراق الاسواق الجديدة بالمنتجات بسعر يقل عن سعر التكلفة ، على أن يعوضوا خسارتهم برفع الاسعار فى الاسواق التى تم لهم احتكارها من قبل ، مما يعرض منافسيهم للكساد والافلاس ، حتى اذا ما خلا لهم الجو الاحتكارى فى السوق الجديدة رفعوا الاسعار فيها الى درجة فاحشة تجزل لهم الربح أضعافا مضاعفة .

---

(١) وهم فى سبيل تحقيق هذا الهدف قد حرصوا على أن يسيطروا على وسائل الاعلام ذات الدور الفعال فى توجيه الرأى العام والتأثير عليه .

ففى الولايات المتحدة الامريكية مثلا يرأس اليهود تحرير جرائد : النيويورك تايمز ؛ وواشنطن بوست ، و وول ستريت ، وهى كبرى الجرائد الامريكية على الاطلاق ، كما انهم يديرون أكبر محطات الاذاعة والتليفزيون التى تغطى اذاعتها أنحاء الولايات المتحدة .

وهكذا كان المال فى ايدى اليهود اداة طيعة تمهد لهم كل حزون وتذلل كل عصى ، فهو تارة وسيلة مؤثرة للاغراء وتارة أخـــرى ســــلاح مشرع للتهديد .

فان سيطرتهم على مصادره ومـوارده مكنتهم من مخـانق الاقتصـاد والسياسة معاً ، كوسيلة للتهديد بالكساد والافلاس وانهيار الاقتصاد الخاص والعام ، مما يؤثر على كيان الدولة ذاته عن طريق تأثيره على حجم العمالة والدخل القومى والايراد العام .

ثم انه من ناحية أخرى سبيل للاغراء تســتمال به الدول عن طـريق القروض ابان الازمات والحاجة الى تمويل المشروعات الاقتصادية والحربية . وأخيرا فان المال فى أيديهم اداة فعالة لشراء الذمم والضـمائر والاصـوات فى المجتمعات المحلية والمحافل الدولية .

## ٣ ـ السيطرة السياسية

وسبيلهم اليها التغلغل فى الاوساط السياسية واكتساب التأييد الدولى وضم كبار الساسة والمسئولين الى صـفوفهم بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة ، فتراهم فى الدول الراسمالية يمالئون النظام الراسمالى ليكونوا من دعائمه وزعمائه ، ثم هم فى روسيا الشــيوعية دعاتهـا المتحمسون رواد الثورة البلشفية الحمراء ، وذلك كله وفقا لمصلحتهم ومجـاراة للتيـارات الغلابة .

وهم رغم حرصهم على اعتزال الحياة الاجتماعية والسياسية الا من شئون المال والاقتصاد التى توفروا عليها وتخصصوا فيهـا وملكوا زمامها ، ـ فانهم ماكانوا يظهرون على مسرح الحياة الدوليـة العـامة الا فى وظائف السلطان التى يتسللون اليها بدهاء خارق وفقا لسـياسة مرسـومة حتى تتاح لهم السيطرة على دفة الحكم فيوجهوها الوجهة التى يبتغون والتى تحقق مناهجهم الصهيونية سواء بتسخير سلطات الدولة لتأمين الحياة الرخيـة لليهود وتوفير الطمأنينة لهم ، أو بافساد مجتمع الجوييم واشاعة الانحلال فى أوصاله تمهيدا لسيطرة اليهود وسيادتهم .

ولذلك نلاحظ أنهم ـ عبر التاريخ الطـويل ـ كانوا يتســللون الى المناصب الادارية العليا والمراكز السياسية المرموقة فى كل العصور ، سواء فى الدول الاسلامية أو المسيحية ، فى المشرق أو فى المغرب ، مما لايستقيم مع ماأخذوا أنفسهم به من الانطواء والعزلة .

فكما كان منهم خواص الاطباء فى بلاط الملوك والامراء منذ القدم كان منهم المستشارون والسياسيون والخبراء الماليون حينذاك ثم من بعده حتى عصرنا الراهن .

ولقد استطاعوا عن طريق رجالهم الرسميين فى المناصب الدولية الهامة أن يحصلوا من الحكومة البريطانية على وعد بلفور بقيام وطن قومى يهودى فى فلسطين ، وأن يهيئوا لانفسهم فى ظل حكومة الانتداب على فلسطين ـ الدعامات السياسية والعســكرية والاقتصـــادية التى قامت عليهـا دولة اسرائيل .

كما استطاعوا أن يحصلوا عن طريق رجالهم وعملائهم على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لكل مشروعاتهم وسياساتهم ، وأن يظفروا باصوات الكثرة من اعضاء هيئة الامم المتحدة حين طرح عليها الاعتراف بدولة اسرائيل المغتصبة .

ذلك فضلا عن أن النفوذ المالي اليهودي الذي دانت له الحكومات عن طريق القروض المالية والسيطرة على مقدراتها الاقتصادية كان يلازمه بالضرورة نفوذ سياسي ضاغط تعنو له الحكومات وتنصاع به لمشيئة اليهود وتوجيهاتهم .

## ٤ ــ السيطرة العسكرية

وهي المرحلة الأخيرة من مراحل الكفاح الصهيوني ، ومؤداها العمل على اعداد جيش يهودي مزود بأحدث العدد والعتاد ، يذود عنهم ويحمي دعوتهم ، قادر على الفتح العدواني والغزو المسلح عند الضرورة .

### مراحل تكوين الجيش الاسرائيلي الحديث :

لقد انبثقت الدعوة الصهيونية منذ نشأتها دينية خالصة ، فلما أن تبلورت مقوماتها بعد عصر السبي نشط أنصارها لاحيائها في صورة مذهبية متميزة ، بدوام المذاكرة ، أماني يتوفرون على انبعاثها في أخلادهم ، اذ لم يكونوا يملكون من وسائل المنعة والقوة مايغريهم بالتحدي السافر ويشجعهم على اصطناع العنف والمنافحة عنوة دون مايأملون ، فيما خلا فترة عابرة من تاريخهم في عصر المكابيين خاصة ، حتى اذا ماشردهم الرومان وقضوا عليهم في فلسطين قضاء مبرما عاودتهم أحلامهم ولكن في صورة أماني يتبادلونها ويعملون لها اسرارا وخفية وتوجسا عن ضعف واستكانة ، اذ أن الظروف لم تتهيأ لهم في مهاجرهم لتكوين منظمات عسكرية مسلحة تدرع بها دعوتهم ويستعدونها حين الوثوب والانطلاق ، فما برحت عيون الدول التي تؤويهم ترصدهم وتخضد شوكتهم وتحول بينهم وبين كل نشاط حربي ، وكان تشريدهم أيدي سبا أقليات مبعثرة في شتى الدول مما باعد بينهم وبين كل تكتل عنصري يجمع أيدهم .

فلم يبد لهم من مظاهر البأس والقوة المادية والانفعال العنيف على مدى التاريخ الطويل سوى بضع ثورات فاشلة في أعقاب انهيار مملكتي اسرائيل ويهوذا ، خصوصا في عهد الحكم الروماني ــ كانت نتائجها وبالا عليهم ، وكانت سببا في امعان التنكيل بهم وتشريدهم لكبح جماحهم أولا بأول ، بما حال بينهم وبين التنظيمات العسكرية أو الانخراط في سلك الجندية .

وفي العصر الحديث ، منذ السماح لليهود بممارسة نشاطهم العنصري على المسرح العالمي ، التمسوا كل مناسبة لتبرير انشاء جيش يهودي يكون نواة لقوتهم المادية يحتمون بها .

ففي ابان الحرب العالمية الاولى عرضت الوكالة اليهودية على الحكومة البريطانية مساعدتها بالمال والرجال في نضالها مع الالمان ، وقد رحب الانجليز بهذا العرض وتحمسوا له اذ كانوا في مسيس الحاجة لكل عون .

فشكل فيلق يهودي من تسعمائة جندي انضم الى فرقة النقل ، وعرف

باسم «فرقة البغالة الفلسطينية» واشتركت فى عملية غاليبولى الى ان سرحت فى مارس سنة ١٩١٦ وعلى اثرها انضم الآيان من اليهود الى فرقة حملة البنادق الملكية البريطانية ، كما انضمت فصائل من اليهود الى جيوش اللورد اللنبى التى غزت فلسطين فى الحرب العالمية الاولى .

ولقد وجدوا فى ظروف الحرب العالمية الثانية فرصة مواتية للتنفيس عن غلوائهم والانتقام من الالمان الذين اذاقوهم سوء العذاب ، ثم لتكوين نواة للجيش اليهودى المنشود .

فلما ان غزا الالمان الشرق الادنى بقيادة روميل وباتت فلسطين مهددة بذلك الغزو ، شكل اليهود فى عام ١٩٤١ من المنظمة العسكرية المعروفة باسم «هاجاناه» فرقة عسكرية عرفت باسم «البالماخ» اى الصاعقة لتساعد فى المقاومة خلف خطوط القتال فى حالة احتلال فلسطين . وينتسب الى هذه الفرقة كثير من زعماء اسرائيل مثل موشى ديان واسحق رابين وحاييم بارليف .

وقد ساهمت القوات اليهودية مع الجيوش الانجليزية ، والفرنسية الموالية للحلفاء ، فى غزو سوريا ولبنان فى يونيو سنة ١٩٤١ ، — وفى عام ١٩٤٤ انشئت الفرقة اليهودية الملحقة بالجيش البريطانى باسم Jewish Brigade واشتركت فى الحملة الايطالية التى تمت فى ذلك العام .

وهكذا اتيح لليهود المبرر الرسمى لتكوين كتائب عسكرية مدربة تدريبا حديثا ومزودة بالسلاح والعتاد .

وفى ظل الانتداب البريطانى تمكن يهود فلسطين من تحويل مستعمراتهم الى ثكنات عسكرية يحميها حرس يهودى مسلح معترف به من حكومة الانتداب بل وبتشجيع منها وتأييد حماسى رسمى .

كما رخصت حكومة الانتداب لليهود فى فلسطين بتشكيل منظمات عسكرية تحمل طابعااجتماعيا او رياضيا او كشفيا ، مثل المكابى ، والترمبلد، وشباب اسرائيل ، والطلائع ، وابناء صهيون .

وقد انبثقت عن مجموع التشكيلات العسكرية اليهودية التى تكونت فى خلال الحرب العالمية الاولى منظمة «الهجاناه» التى اسست عام ١٩٢٠ واصبحت فيما بعد الجيش الاسرائيلى النظامى لدولة اسرائيل — تساندها منظمتا «ارجون زفاى ليومى» اى التنظيم القومى الحربى المشكلة من اليهود الغربيين ، ومنظمة «شتيرن» المكونة من اليهود الشرقيين — وهما المنظمتان اللتان تولتا اعمال الارهاب وشنتا حرب العصابات لحماية مولد دولة اسرائيل ، حتى اذا ماانتهى الانتداب البريطانى على فلسطين فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ اعلن الصهيونيون فى مدينة تل ابيب قيام دولة اسرائيل واتخذوا هذه المدينة عاصمة لهم ، — وكان لديهم حينذاك جيش مدرب يعتمدون عليه ، ومستعمرات محصنة يحتمون بها ، وعصابة من الدول الاستعمارية تؤيدها وتعترف بها . ومن منظمة الهاجاناة انبثقت فرقة البالماخ اى الصاعقة كما بينا آنفا .

ومازال الجيش الاسرائيلى موضع الحدب والرعاية من دول الغرب تمده بأحدث الأسلحة بدعوى حفظ توازن القوى فى الشرق الاوسط — وبما

يجعل هذا الجيش وحده مضارعا لمجموع قوى الدول العربية يستطيع ان يصمد لها ندا لند .

* * *

ولسوف نفصل القول فى مظاهر النشاط الصهيونى بشتى صوره فى شتى الدول وعلى مر العصور عند الكلام عن الاضطهاد العنصرى ضد اليهود .

## الفصل الثانى

## وسائل تنفيذ المناهج الصهيونية

### تمهيـد
### طبيعة النشاط الصهيونى

قد تتفق الصهيونية مع كثير من المذاهب اليهودية فى الأهـداف التى تصبو اليها وتسعى لتحقيقها ، ـ بيد أنها تختلف عنها فى الاسـلوب الذى توطن نفسها على انتهاجه لتحقيق هذه الاهداف .

فالصهيونية ابتداء مدفوعة الى العمل الايجابى ماوسـعها الطـوق ، فلاسبيل لديها الى التواكل والتقاعس انتظاراً لتصاريف القدر ومشيئة الله. ثم ان العمل من أجل تلك الاهداف أيا كانت طبيعته حل مشروع لا جنـاح عليه ولاتثريب ، مهما اشتط ومهما غلا فى قسوته وعنفه ومهما جافى قواعد العدل وتنكب المسار الانسانى الرشيد ، بل ان نصوص التوراة قد حددت طبيعة هذا العمل فحضت المؤمنين على الفتك بالاعداء والتمثيل بهم والامعان فى القسوة والنكال ارضاء للرب ، وقد زكت تعاليم التلمود أحكام التـوراة كما فصلتها بروتوكولات حكماء صهيون تفصيلا مقننا نظيما .

واذ كان من أبلغ مميزات الصهيونيـة الالتزام بأحكام التـوراة التزاما حرفيا ثم الايمان المطلق بتعاليم التلمود ـ فقـد تميزت بامعانهـا فى الشر واغراقها فى العنف والتنكيل وولوغها فى الدماء بضراوة ووحشـية ، تبتغى من ذلك أولا ـ القضاء على كل مناواة مادية وابادة أعدائها من طريقها ، ثم اشاعة الهلع وبث الرعب فى القلوب لتفتيت القوى المعنـوية ودفعهـا الى الاستسلام لمشيئتها والتسليم بمطالبها .

فان تقاصر بها الاستخذاء والضعف دون ممارسة هذا النهج العنيف ، اصطنعت الختل والنفاق والغدر والغيلة ، وهى أسلحة خبيثة لايستعينها الا الضعيف المهيض المخذول .

### الغاية تبرر الوسيلة

لقد كان اليهود أول من وضع قواعد الفلسفة المكيافيلية الوصولية التى تبرر كل وسيلة تحقق الهدف دون اعتداد بالقيم الخلقية أو احتفال بالفضائل الانسانية .

وذلك قبل أن ينادى نقولا مكيافلى نفسه بهذه الفلسفة النكراء بعشرات القرون .

وانه ليبين من مطالعة تاريخ اليهود فى أسفار التوراة ، ثم من استظهار علاقاتهم الاجتماعية والسياسية على مدى العصور القديمة والمحدثة على السواء ، أن السمة المميزة لهذه الطائفة هى الاجتراء على كل قيم مشروعة فى سبيل صالحها العام أو الخاص ، فأيا ماكانت السبل التى تنتهجها ، دامية أو ملتوية أو مشينة مزرية ، فهى كلها مشروعة يطمئن اليها الضمير اليهودى بل ويسبغ عليها الدين اليهودى بركة سخية رخية .

ولقد تبلورت هذه الفلسفة الباغية فى بروتوكولات حكماء صهيون كما سنرى فيما نعرض من بنودها .

وقد كان الاغراء النسائى أقدم الوسائل التى سجلت التوراة على العبرانيين استغلالها لتحقيق مآربهم ، وعزت اصطناعها ابتداء الى أقدس شخصية ينتسب اليها اليهود ويأتسون بها .

فلقد روت التوراة — مع خالص التأييد وفرط الاعجاب — فى الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ، كيف تخلى سيدنا ابراهيم طواعية عن شهامته وكبريائه وتحلل من رجولته عن طيب خاطر — لقاء أجر من ماشية واغنام وحمير ، اذ قدم زوجته سارة الى فرعون مصر واغراها على قبول التضحية بعرضها ، فأوعز اليها أن « قولى انك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك (١) » .

وفعلا فقد رضخت زوجته لمشيئته حيث تستطرد التوراة فى روايتها : « فأخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع الى ابرام (اى ابراهيم) خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير واماء وأتن وجمال (٢) » .

ثم أن الخداع والنفاق والرياء مابرحت من الخلال التى أثرت عن رواد اليهود الاوائل ، وتلقاها خلفهم من بعدهم تقليدا أثيرا ونهجا مأثورا ، فعكفوا عليها يمارسونها بافتنان وحرص ودأب غير مراعين الا ولا ذمة .

ولقد استوحى الصهيونيون هذه السياسة من تعاليم التوراة ، وتأسوا فى اصطناعها بما حوته أسفارهم من سير أنبياء اليهود واقطابهم الذين ضربت بهم أسوأ المثل ، فلم تكتف التوراة بالتغاضى عما شابها من نكر ومجافاة لمبادىء العدالة والأخلاق ، بل انها أيدتها وحبذتها وأضفت عليها بركة روحانية .

وعلى سبيل المثال فلقد سوغت التوراة (٣) لسيدنا يعقوب اصطناع الغدر بأخيه عيسو والخديعة بأبيهما اسحق ابتغاء الظفر ببركته من دون أخيه وعلى غير ما وجه من الحق — مع مافى هذا السلوك الشائن من مجافاة للخلق الفاضل القويم .

---

(١) الاصحاح ١٢ من سفر التكوين رقم ١٣

(٢) الاصحاح ١٢ من سفر التكوين رقم ١٥ و ١٦ .

(٣) الاصحاح ٢٧ من سفر التكوين من رقم ١ الى ٣٥ .

وتروى التوراة (١) كيف انتهز سيدنا يعقوب فرصة مرض اخيه عيسو واشتهائه أكلة عدس كان يطهوه ، فساومه عليها بحقوقه فى الميراث ولم يطعمه الا بعد أن تنازل له عنها معجلا تحت وطأة المرض والحاح الجوع .

كما ورد فى التوراة (٢) انه أوحى الى سيدنا موسى بأن يوعز الى قومه بسلب أصدقائهم وجيرانهم من المصريين ــ حليهم ومتاعهم بأن يستعيروها منهم ثم يختلسوها ويفروا بها من البلاد خيانة وغدرا .

ثم هاهو ذا داود مؤسس الدولة اليهودية الاولى والمثل الاعلى للصهيونيين والذى اختصت ذريته بميراث ملكهم الموعود وبفضل احيائه على مدى التاريخ ــ تقص التوراة (٣) كيف احتال على قائد جيشه أوريا الحثى ودبر قتله لكى يتخلص منه ويصفو له الجو مع زوجته التى تم له اغتصابها لنفسه أخيرا واستولدها ابنه سليمان فيما بعد .

كما تروى التوراة (٤) ان سيدنا سليمان صاحب الهيكل المقدس قد توصل الى الملك بقتل ادونيا أخيه ويؤاب رئيس جيش أبيه بعد ان كان أمن أخاه (٥) .

واستير اليهودية صاحبة السفر الموسوم باسمها فى التوراة قد توسل ابن عمها مردخاى بجمالها الخالب للوصول الى بلاط ملك فارس ، وقد استطاعت أن تفتن الملك حتى تزوجها، ومن ثم دبرت لابن عمها طريق الوصول الى منصب الوزارة فكادت للوزير بالدس والوقيعة حتى قتله الملك واستخلف ابن عمها مكانه (٦) .

***

تلك هى القيم المأثورة التى ساقتها التوراة فى صور مثالية خالية ، واهاب كهنوتى يضفى عليها هالة من القداسة ، ما برحت ماثلة فى اخلاق اليهود يطالعون انباءها فى عباداتهم بكرة وعشيا ويرددونها فى صلواتهم ركعا وجثيا .

فلاجرم ان استقى اليهود من خلالها المبادىء الكيافلية المقيته التى غدت طابعهم المميز ، واتخذوا من سياقها قدوتهم المثلى التى تسيغ كل نكر وتسوغ كل منكر ، واستخلصوا الضوابط الخلقية التى يسوسون امورهم على أنماطها مدى الدهر .

---

(١) الاصحاح ٢٥ من سفر التكوين من رقم ٢٩ الى ٣٢ .

(٢) الاصحاح ١١ من سفر التكوين رقم ٢ والاصحاح ١٢ من سفر الخروج رقم ٣٥ و ٣٦ .

(٣) الاصحاح ١١ من سفر صموئيل الثانى .

(٤) الاصحاح الثانى من سفر الملوك الاول رقم ٢٣ الى ٢٥ و ٣٤ .

(٥) الاصحاح الاول من سفر الملوك الاول من رقم ٥١ الى ٥٣ .

(٦) سفر استير الاصحاحات الثانى والسابع والثامن .

واخيرا فقد اكتشف الجنرال فرانكو عاهل أسبانيا رسالة بعث بهـا الزعيم اليهودى جولدمان الى أقطاب اليهود فى اسبانيا يناشدهم فيها العمل من أجل اسرائيل ويوصيهم بالاستعانة بفتيات الاسر اليهـودية عن طـريق الحفلات الخاصة بغية التأثير على المحيطين بالجنرال فرانكو واخضاعه لما عجزت الصهيونية عن تحقيقه .

وقد كان افتضاح أمر هذه الرسالة سببا فى السـياسة الحـذرة التى اختارها الجنرال فرانكو حيال اسرائيل ودفعته الى عدم اعترافه بها والحيلولة دون تسلل اليهود الى دوائر الحكومة الاسبانية (١)

## الضراوة والارهاب شعار الصهيونية

يلاحظ من تعقب أخبار الصهيونيين وسيرتهم انهم يصطنعون المخادعة والغدر طالما أرغمهم العجز وتقاصر بهم الضعف والخور ، حتى اذا ماتهيأت لهم من البأس أسباب تشد من أزرهم وأنسوا من انفسهم القـدرة والجـراة ، انقلبوا طغاة عتاة غلاظ الاكباد يثخنـون فى الارض ويلغـون فى الدم بضراوة وشراسة ، ويعربدون باعدائهم عربدة ملتاثة بالحقد الذى يهدر فى عروقهم ويحتدم بين جوانحهم .

ويقول جوستاف لوبون مؤرخ الحضارات الاولى «كان بنو اسرائيل حتى فى عهد ملوكهم بدويين منافقين مغيرين سفاكين مولعين بفظاعتهم مندفعين فى الخصام الوحشى ، فاذا بلغ الحقد منهم ركنوا الى خيـال رخيص تائهـة ابصارهم فى الفضاء ، كسالى خـالين من الفكر كأنعـامهم التى يحرصـون عليها (٢)» .

ويبدو من نصوص التوراة ان الصهيونيين قد استوحوا من تعاليمها قسوتهم الدموية الضـارية التى تدعو الى البطش بأعـدائهم والتنكيل بهم والتخلى عن الرحمة والشفقة فى معاملتهم حتى ولو كفوا أيديهم عنهم والقوا اليهم السلم والموادعة .

فقد ورد فى الاصـحاح العشرين من سـفر التثنية من رقم ١٠ الى رقم ١٧ :ـ

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والاطفال والبهائم وكل مافى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جدا التى ليست من

---

(١) كتاب « الصهيونية العالمية وارض الميعاد » تاليف الأستاذ على امام عطية ؛ الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٣ صفحة ٢٢٦ .

(٢) كتاب تاريخ الحضـارات الأولى تاليف جوستاف لوبون ترجمة الأستاذ عادل زعيتر .

مدن هؤلاء الأمم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما (١)» .

كما جاء فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد برقم ٥٥ :

« وان لم تطردوا سكان الارض من امامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها » .

وجاء فى المزمور ١٤٩ من رقم ٥ الى ٩ :

« ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم . تنويهات الله فى أفواههم وسيف ذو حدين فى يدهم . ليصنعوا نقمة فى الامم وتأديبات فى الشعوب . لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد . ليجروا بهم الحكم المكتوب » .

واعمالا لهذه التعاليم الدينية مثل داود بالشعب فى مدينة ربة (عمان الحالية وكانت عاصمة لمملكة عمون) وأباده بوحشية بالغة ، وقد فصل الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى برقم ٣١ مافعله داود بقوله

---

(١) قارن ذلك بما سنته الشريعة الاسلامية من آداب القتال ومعاملة الاعداء والحض على السلام والتسامح ، حيث يقول القرآن الكريم فى سورة البقرة الآية ١٩٠ «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

وفى سورة النساء الآية ٩٠ « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليهم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » . وفى سورة الممتحنة الآية ٨ « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » وفى سورة التغابن الآية ١٤ « وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » وفى سورة الانفال الآية ٦١ « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ؛ وفى الحديث الشريف « ألا من ظلم معاهدا أو تنقصه أو كلفه فوق طاقته أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا خصمه يوم القيامة » رواه أبو داود .

ومن وصية لأبى بكر الصديق خليفة المسلمين الى قائد جيشه اسامة بن زيد حين بعثه الى مشارف الشام غازيا :

« لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة . ولا تغدروا ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله » .

وقارن أقوال التوراة فى ذلك ايضا بما ورد فى انجيل لوقا على لسان سيدنا عيسى عليه السلام حيث يقول فى الاصحاح السادس تحت رقمى ٢٧ ، ٢٨ «لكنى اقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم ، واحسنوا الى مبغضيكم باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم» ويقول تحت رقم ٣١ من ذلك الاصحاح « وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا » . وتحت رقم ٣٥ منه « بل أحبوا اعداءكم واحسنوا » ويبالغ السيد المسيح فى الدعوة الى التسامح فيما يروى انجيل متى فى الاصحاح الخامس برقم ٣٨ و ٣٩ من قوله عليه السلام «سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الاخر ايضا » .

«وأخذ الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد ، وأمرهم فى أتون آجر وهكذا صنع بجميع مدن عمون» .

ومن هذه التعاليم الدينية المقدسة يبين السر فى الضراوة والوحشية التى يبادر بها الصهيونيون غيرهم من الشعوب غدرا كلما واتتهم الفرصة للعدوان والانتقام ، من ذلك الفظائع المنكرة التى اقترفها اليهود فى انطاكية ضد السكان المسيحيين فى عام ٦٠٨ م حين اعملوا فيهم القتل بوحشية بالغة واحرقوا جثثهم ومثلوا بالبطريرك اسطاس وساقوه عاريا فى الطرقات قبل أن يقتلوه ، ثم المذبحة المروعة التى قام بها يهود فلسطين بزعامة بنيامين البطراوى فى عام ٦١٤ م والتى راح ضحيتها الألوف ودمرت فيها الكنائس والدور ، ثم الاعتداء الصهيونى الأخير على عرب فلسطين الآمنين تمهيدا لقيام دولة اسرائيل — حين طردوهم من ديارهم شر طردة ونهبوا أموالهم بغيا وانقضوا عليهم غيلة فى مجازر مروعة ، فى دير ياسين فى ابريل سنة ١٩٤٨ التى ذبح فيها مائتان وخمسون من الرجال والنساء والأطفال ، ثم فى قرى ناصر الدين وبلد الشيخ وسكرير وعيلوط وغيرها من البلاد ، حينما واتتهم الفرصة للعدوان ، ولقد كانت اعتداءاتهم وحشية مروعة فى قبية فى عام ١٩٥٣ وفى غزة فى عام ١٩٥٥ وفى قرية التوافيق السورية فى فبراير عام ١٩٦٢ حيث أبيدت القرية بأكملها ، ثم فى قرية السموع الأردنية ومنطقة الجليل فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، واخيرا فى عدوانهم على الأردن وسوريا ومدن قناة السويس فى يونيو سنة ١٩٦٧ حين أغارت القوات الاسرائيلية على المدنيين العزل وعلى معسكرات اللاجئين فروعت أمنهم ومزقت شملهم ودمرت مساكنهم وبعثرت اشلاءهم ، مستعملة أفتك الأسلحة المحرمة دوليا كقنابل النابالم الحارقة والغازات السامة .

وقد بلغ من تنكيل اسرائيل بالمواطنين العرب المقيمين فى الارض التى احتلتها عقب عدوانها على جيرانها فى يونيه سنة ١٩٦٧ حدا من الفظاعة أفزع اللجنة الدولية للصليب الأحمر بجنيف ، وحملها على الخروج على تقاليدها لأول مرة فى تاريخها باذاعة تقريرها عن هذه المأساة — فى أكتوبر سنة ١٩٧٠ — وكانت تقاريرها من قبل سرية بالنسبة للرأى العام — وذلك فى محاولة منها للضغط الأدبى على السلطات الاسرائيلية — عن طريق الرأى العام العالمى — عساها ترعوى عن منهج البغى وتفىء الى محجة الحق الذى أنكرته ، وترعى القيم الانسانية التى أهدرتها وتنكرت لها — بعد أن أعيا اللجنة الاحتجاج على الحكومة الاسرائيلية لخرقها الاتفاقيتين الثالثة والرابعة من اتفاقيات جنيف الصادرة فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ بشأن معاملة اسرى الحرب وحماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب (١) .

وتشمل هذه الجرائم — على ما عاينته اللجنة وضمنته تقريرها :

١ — تدمير وازالة قرى وأحياء سكنية بأكملها حتى سوى بعضها بالأرض تماما .

---

(١) ملخص تقرير اللجنة الدولية للصليب الاحمر منشور بجريدة الاهرام فى الصفحة الخامسة من عددها الصادر فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٧٠ .

٢ ــ تدمير ونسف عدد كبير من المنازل كثير منها لا يقع فى مناطق عسكرية أو استراتيجية على الاطلاق .

٣ ــ ايقاع عقوبات جماعية بالعرب تطبيقا لسياسة « معاقبة الجيران » على حد تعبير ذلك التقرير .

هذا ، وفى تقرير آخر رفعته لجنة التحقيق الثلاثية ــ المعروفة بلجنة تقصى الحقائق ــ الى هيئة الأمم المتحدة فى مطلع شهر نوفمبر سنة ١٩٧٠ ، أدانت اللجنة اسرائيل بانتهاك حقوق الانسان فىالأراضى العربية التى احتلتها فى عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ .

وقد سبق أن أصدرت لجنة العفو الدولية فى لندن تقريرا فى ابريل عام ١٩٧٠ نعت فيه على اسرائيل اساءة معاملة المسجونين العرب الذين اعتقلتهم فى سجونها زرافات زرافات .

* * *

ولقد كان الارهاب السياسى عن طريق الاغتيال والعنف من الوسائل التى استعان بها الصهيونيون فى فرض ارادتهم واخضاع الدول والأشخاص الذين قد يحول وازع الضمير وحافز العدللديهم دون الانصياع لهم وتحقيق برامجهم الباغية .

وكان الارهاب من أجدى الأدوات المؤثرة التى استغلها الصهيونيون قبل قيام دولتهم ، وحين كان تحقيق هذا الأمل لديهم فى أيدى الحكومة البريطانية المنتدبة لحكم فلسطين ــ بل أنهم استعانوا بالارهاب فى التأثير على هيئة الأمم المتحدة ذاتها ، كما فعلوا فى اغتيال مبعوثها الكونت فولك برنادوت فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨! على أثر اقتراحه تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب تقسيما لم ير فيه اليهود ارضاء لأطماعهم النهمة .

## الفصـــل الثـــالث

## الدستور العملى للنشاط الصهيونى
## ( بروتوكولات حكماء صهيون )

لقــد رأينــا فى دراســتنا لنشــأة المذهب الصهيونى وتطور مقوماته ـ الظروف التى أوحت بوضع بروتوكولات حــكماء صهيون والملابســات التى أملتها ، وما كان لها من اثر فعال فى المخطط الصهيونى العام ، ثم ما استثارت من أصداء رجعتها آراء متناوحة ، بعضها يسلم بصحتها مستنكرا ، بينما يرتاب البعض الآخر فى مصدرها متحفظا أو منكرا (١) .

وفيما يلى نعالج هذه البروتوكولات من حيث موضــوعها ، وســوف نجتلى من خلالها صفوة المبادىء الصهيونية ، سواء منها ما تضمنته النصوص اليهودية المقدسة ـ التوراة والتلمود ـ صراحة فى متونها ، أو شفيفا بين أسطارها ، أو ما يستخلص من المناهج والأهداف التى ضرى بها الصهيونيون وتوفرت عليها مناشطهم فعكفوا عليها دائبين لا يريمون .

فهى تمثل بصدق جماع المبادىء الصهيونية المبعثرة ، مصاغة فى تبويب موضوعى مركز ، وذلك هو القــدر المتيقن من أمر هــذه البروتوكولات الذى يجل عن الجدل ولاتدركه غاشــيات الريب ، مما يفتر من حدة المماراة فى مبلغها من الصحة أو الزيف ، فيتقاصر بالحجاج واللجاج دون الجــوهر ، ويقصرها على عرض غير ذى جــدوى فيما نعــرض له من أمرها ، بما يحسم الموازنة ـ فى منهاج بحثنا ـ بين الاحتفال بها والغض منها والاغضاء عنها .

### اشاعة الفوضى الشاملة

لما كانت بروتوكولات حكماء صــهيون هى الدستور العملى المفصــل للسياسة الصهيونية ابتغاء اخضــاع العالم لسلطان اليهــود ، فلاغرو أن تنتهج سنن التوراة شريعتهم المقدسة ـ فتجنح الى الارهاب والعنف عنــد المقدرة ، وتركن الى المخاتلة والغدر وبث الفتن عند العجز والخور .

(١) انظر صفحات ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ والتعليق المدون بهامشها .

ومبنى هذه البروتوكولات حق اليهود فى سياده العالم . أو كما يقول البروتوكول الخامس اننا نقرأ فى «ناموس الأنبياء» أن الله قد اختارنا لحكم العالم وقد وهبنا الله « العبقرية لنقوم بهذا العمل » ــ وقد تركزت هذه العبقرية ــ مع الأسف ــ فى الافتنان فى وسائل الفساد والتخريب ، فساد الحكومات والمجتمعات ، وتخريب الدول والنفوس ، وعلى هذا الأساس فصلت البروتوكولات المناهج العمليه لتقويض الحكم القائم فى شتى الدول واقامه حكومة يهودية جامعة على انقاضها .

ومصداقا لذلك ينص البروتوكول الاول على أن « أروع النتائج التى يمكن الحصول عليها فى سبيل حكم العالم يتحقق باستخدام العنف والتهديد لا بالمناقشات الأكاديمية » .

ثم يقول هذا البروتوكول : « ان الذى يريد أن يحكم يجب أن يلجأ الى الحيلة والنفاق ، وفى السياسة تستحيل الصفات الانسانية من أمانة وصدق الى رذائل تؤدى الى سقوط الملك عن عرشه سقوطا يستطيع اعدى أعدائه ان يصل اليه ، ويجب أن تكون هذه الصفات هى الخصائص التى تميز البلاد غير اليهودية » .

ثم يستطرد :

« يجب أن يكون شعارنا « جميع وسائل القوة والنفاق » .

« ان القوة المحصنة هى التى تنتصر وحدها فى السياسة ، سيما عندما تستند وراء الموهبة التى لا غني عنها لرجال الدولة ، ويتحتم ان يكون البطش هو المبدأ ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التى لاتريد أن تضع تاجها تحت أقدام أعوان أى حكم جديد ، وهذا الشر هو السبيل الوحيد لبلوغ الخير ، فعلينا اذن أن لانتردد أمام شراء الذمم والغدر والاحتيال اذا كان ذلك يخدم قضيتنا » .

وتتحصل الوسائل التى ركزت عليها البروتوكولات لتحقيق أهداف الصهيونية البعيدة والقريبة فى اشاعة الفوضى فى العالم والتسلل الى اهدافها من خلال الضباب الذى تثيره ويعمى دونها الأبصار .

فوضى عاتية جائحة سياسية وفكرية واجتماعية واقتصادية وروحية .

## الفوضى السياسية

### اثارة الفتن والوقيعة بين شعوب العالم ودوله

لقد كشف الحاخام عمانويل رابينوفتش عن خطة الصهيونية لتحقيق أهدافها العدوانية العالمية فى خطابه الذى ألقاه فى مؤتمر الربانيين المنعقد فى بودابست فى عام ١٩٥٤ حيث قال (١) :

---

(١) كتاب « الدعاية الصهيونية وسائلها واساليبها وطرق مكافحتها» تاليف الأستاذ حامد محمود القاهرة سنة ١٩٦٦ .

« هل تذكرون حملاتنا الدعائية والنجاح الذى كللت به عام ١٩٣٠ ، لقد أثارت الحقد على الامريكيين فى ألمانيا والالمانيين فى أمريكا ، وهذا هو ما أدى الى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وقد شرعنا فى شن حملات مماثلة فى سائر أنحاء العالم فأثرنا فى روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة ، وفى نفس الوقت أثرنا فى الولايات المتحدة شعورا بالخوف والتوجس ازاء الشيوعيين ، وتؤدى هذه الحملات الى دفع الدول الصغيرة الى تحديد موقفها اما مع روسيا أو مع أمريكا » .

والواقع ان هذه السياسة المضطفنة انما هى اعمال للنهج الذى رسمته بروتوكولات حكماء صهيون صراحة .

ويقول البروتوكول العاشر :

« يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة فى العلاقات القائمة بين الشعب والحكومات ، واشاعة الأعمال العدوانية والأحقاد وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض ، وذلك لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجا للارزاء التى تحل بهم سوى الالتجاء الى أموالنا والى سيادتنا المطلقة » .

ويقول البروتوكول الحادى عشر :

« غير اليهود كقطيع من الأغنام ــ أما نحن فاننا الذئاب . وهل تعلمون ماذا تفعل الأغنام اذا ما اقتحم الذئاب حظيرتها ؟ انها تغمض عينيها وسندفعهم الى ذلك .. » .

ويتكلم البروتوكول السابع عن الوقيعة بين الأمم واثارة العداوة والصراع بينها فيقول :

« علينا أن نحرض أوروبا ونساعدها على الفتنة والانشقاقات والعداوة المتبادلة فى القارات الأخرى » .

ويبدو من نص البروتوكول الخامس عشر كيف يعمل الصهيونيون لتحقيق أهدافهم مصابرين بدأب وجلد وأناة أيان تراخى بهم الزمن حيث يقول :

« واذا ما تولينا السلطة بما نكون قد أعددناه من انقلابات تحدث فى جميع الدول فى وقت واحد ــ بمجرد أن يعلن رسميا عجز حكومات تلك الدول عن حكم الشعب ، وقد يمضى على ذلك وقت طويل ربما يبلغ قرنا ــ سنبذل كل جهدنا لمنع المؤامرات ضدنا » .

واعمالا لهذه التعاليم نلاحظ أن اليهود دائما ضالعون مع كل حركة تخريب فى العالم ، فقد كانوا من وراء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ يظاهرونها ويذكون أوارها انتقاما من روسيا التى خصتهم بصنوف العذاب والاضطهاد ، وابتغاء استغلال تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية ، باقراض الدول أموالهم بباهظ الفوائد ، وترويج تجارتهم فى مواد القتال التى يحتكرونها ، وللقضاء على شعوب أوروبا وتقويض دولها .

كما حاول اليهود استغلال الثورة البلشفية فى روسيا وفرض وصايتهم على حكومتها لتحقيق مآربهم العنصرية التى فشلوا فى تحقيقها فى عهد القياصرة .

فاندفعوا فى ركب الثورة متكالبين لواذا من بوائق الحكم القيصرى الذى ران على المجتمع الروسى عامة واشتدت وطأته على اليهود منه خاصة ، يحدوهم ايمان صهيونى عميق ويستجيشهم كلب عارم للانتقام ويستاقهم نهم ضار للدم المراق ، وراحوا يحتثون الخطى والجهد دأبا ليتصدروا مسيرة الثورة وفى حسبانهم ان يأخذوا منها بالزمام لينحرفوا بها عن جادة المثاليات التى تنافح دونها ، تحقيقا لأطماعهم الخالبة من خلال المبادىء الشيوعية التى تدعو الى اشاعة الأفكار الالحادية المادية التى يسعى بها اليهود الى القضاء على غير اليهودية من الأديان وبث الفوضى الروحية الشاملة . ثم فيما تدعو اليه الشيوعية من احلال الدولية العامة محل القوميه الخاصة والانتهاء بالعالم الى حكومة واحدة تفرض سيادتها على اقطاره كافة وهى ــ فيما يأمل الصهيونيون ــ الحكومة اليهودية العالمية .

وكان فى هذه المحاولة انحراف جرىء بالأهداف المثالية التى تدعو اليها الثورة البلشفية يصمها ويزرى بها ، حتى أن قادة جيوش الحكومة القيصرية التى تصدت لقمع الثورة استغلوا أسماء اليهود الذين أسهموا فى اشعالها وناصروها ــ فى تشويه الحركة الشيوعية فى نظر انصارها والمتعاطفين معها واثارة حفيظة الشعب الروسى لينفض من حولها وينقلب على زعمائها فتحبط وتفشل ريحها .

وقد فطن لينين الى ما يبيت اليهود فحرص على أن تجد الثورة فى مسارها القومى لا تحيد عنه ودون احتفال بما يستهدفون من أوطار سياسية عنصرية ، حتى اذا ما ولى ستالين الحكم جهد فى احباط مسعاهم بحزم وصرامة وجد فى القضاء على العناصر اليهودية فى الحكومة ، ونفى زعيمهم «برونشتين» الملقب باسم «ليون تروتسكي» ــ وكان يشغل منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة فى الثورة البلشفية ــ ثم ظل يطارده الى أن رسا به المطاف فى المكسيك حيث لقى مصرعه ، كما انه تمكن من التخلص من الزعيم الشيوعى اليهودى رودامسكى المعروف باسم زينوفييف وكان من الم زعماء الحزب الشيوعى وزميل لينين فى منفاه بفنلنده .

ومن أجل ذلك حمل اليهود على ستالين وعلى سياسته حملة شعواء مسعورة ووصموه بالاستبداد والظلم والجبروت .

★★★

ولقد نجحت العناصر الصهيونية التى دلفت الى وطيس الثورة البلشفية ختلا وتربصا ــ فى ممالاة اليهود والتستر على ما قد يسىء اليهم ويفضح نواياهم ، فلما أن طبعت بروتوكولات حكماء صهيون فى روسيا باللغة الفرنسية فى عام ١٩١٧ صودرت هذه الطبعة رسميا ولم يسمح بطبعها منذ حينذاك (١) .

وفضلا عن ذلك ، فقد كان اليهود وأشياعهم فى الجمعيات الماسونية المدبرين للفتن والحركات الثورية التى اجتاحت دول العالم فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، كما يعزى الى اليهود اشعال الحرب العالمية الثانية التى ظل العالم يتلظى فى أتونها سنين طوالا حتى اجتثت الحرث وأبادت النسل وجنت على الانسانية جناية مروعة .

---

(١) كتاب بروتوكولات حكماء صهيون للاستاذ محمد خليفه التونسى صفحة ١٠ .

## الفوضى الفكرية

## الارهاب الفكرى وافساد الرأى العام

يشرح البروتوكول الخامس كيفية افســاد الراى العام وبلبلة الأفكار فيقول :

« ولـكى نطمئن الى الراى العــام يجب بادىء ذى بدء أن نربكه تماما فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معهـا غير اليهود الطريق فى تيههم » .

ويضيف ذلك البروتوكول الى هذه الوسائل :

« مضاعفة الأخطاء التى ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية فى البلاد لدرجة يتعذر معها على الناس التفكير تفـكيرا ســليما وســط تلك الفوضى وهكذا يكف الناس عن فهم بعضهم البعض » .

« وســوف تســاعدنا تلك السياســة كذلك على بث الفرقة بين جميع الاحزاب وعلى حل الجماعات القوية وعلى تثبيط عزيمــة كل عمــل فردى يمكن ان يعرقل مشروعاتنا » .

ويقول البروتوكول السابع :

« يجب أن نقــوم بالتــأثير على الحـكومات غير اليهـودية عن طريق ما يسمونه الراى العــام الذى هيأناه عن طريق اعظم قوة وهى الصحافة ، التى فيما عدا بعض الحالات الاســتثنائية التى لا قيمة لهــا توجد كلهــا فى قبضتنا » .

ويقول البروتوكول الثامن :

« لا يتيسر اسناد المناصب الرئيسية فى الحكومة الى اخواننا اليهـود فاننا سنسند المناصب الهامة الى اناس من ذوى السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، أو الى اناس يمكن محاكمتهم والزج بهم فى السجون اذا ما حالوا دون تنفيذ أوامرنا » .

ولقد بلغ من جراتهم أن اســتباحوا جــلال العلم وما له من حصــانة وقداسة لاشباع حقدهم ونزواتهم ، بافساد العقول والأخلاق والعبث بالقيم والفضائل الانسانية ، فابتدعوا من النظريات العلمية ما يسوغ ما يبيتون من مكر وكيد وما ينفثون من آراء هدامة ، ويدفع مظنة القصد الاثيم والتدبير المبيت ويحول دون استظهار ما يضمرون ، ســـواء باثارة البلبلة الفــكرية ومانجم عنها من تفتيت لمجمع الآراء منازع شتى متهيئة للتنازع والتصارع ، أو أشاعة النظريات الشاذة التى من شانها بث الوهن واشاعة عناصر الانحلال والزيغ فى المجتمع والافتئات على قيمه المثلى :

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى هذا الصدد :

« لن تفهم المدارس الحديثة فى أوروبا مالم تفهم هذه الحقيقة التى لاشك فيها ، وهى أن أصبعا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الاخلاقية وترمى الى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الانسان فى جميع الأزمان . فاليهودى كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق والأديان ، واليهودى دركيم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب ، واليهودى أو نصف اليهودى سارتر وراء الوجودية التى نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها الى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال (١) » .

وتأييدا لما ذهب اليه الأستاذ عباس العقاد يقول البروتوكول الثانى من بروتوكولات حكماء صهيون :

« يجب أن يكون هناك اعتقاد فى أن مناهجنا كلمات جوفاء ، فنحن الذين هيأنا دارون وماركس ونيتشه ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التى تركتها هذه النظريات فى اذهان غير اليهود » .

## الفوضى الاجتماعية
## اشاعة الفوضى والفساد فى المجتمع

يرسم البروتوكول الاول لليهود كيف يكيدون لسائر شعوب الأرض ويبذرون غراس الفساد ويعيثون بالفوضى والانحلال فى المجتمع فيقول :

« ان الشعب لدى المسيحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر ، كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه فى الفسق المبكر الذى دفعه اليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللآتى يعملن فى بيوت الأثرياء ، والموظفين والنساء اللواتى تعملن فى أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتى يقلدنهن فى الفسق والترف » .

ويقول البروتوكول التاسع ، « لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود وأفسدنا خلقه بتلقينه المبادىء والنظريات التى نعلم سلفا انها مبادىء ونظريات فاسدة وعملنا على ترسيخها فى ذهنه ، ودون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة فعلا أمكننا التلاعب بها وبتفسيرها التفسير الذى لم يخطر على بال واضعيها للحصول على نتيجة فعالة » .

وهكذا يقف اليهود وراء كل دعوة هدامة وكل مبدأ يتنافى مع الخلق والكرامة ، ويحيكون الأحابيل للشباب يتملقون غرائزه ويزينون له أسباب المتعة المحرمة من فسق وفجور وميسر وأدمان للخمر وتهالك على المخدرات، لانهاك قواه وابتزاز طاقاته وتوهين عزائمه والتردى به فى أسار الادمان حتى يسلس قياده واستسلامه مما يتخرم الأمة بالوهن والضعف والانحلال .

(١) كتاب الصهيونية العالمية تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد ـ العدد ٢٧ من مجموعة اخترنا لك ـ طبعة دار المعارف بمصر صفحة ٩١ و ٩٢ .

## الفوضى الاقتصادية

### افتعال الأزمات الاقتصادية

ويفصل البروتوكول الثالث السلاح الاقتصادي الذي يستعين به اليهود على تقويض الحكومات فيقول : « وسنعمد الى خلق ازمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية الممكنة بواسطة الذهب الذي يجرى بين أيدينا» .

ويستطرد البروتوكول الرابع : « يجب أن نقيم التجارة على أسس المضاربة . ويكون نتيجة ذلك منع غير اليهود من الاحتفاظ بالثروات التي أنتجتها الارض وعن طريق المضاربة لتدخل تلك الثروات خزائننا » .

ويوضح البروتوكول السادس كيف يعمل اليهود على الاضرار بالانتاج وتقويضه لمصلحتهم فيقول : « وسنعمل أيضا على تقويض الانتاج من أساسه عن طريق نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الخمر ، كما انه لابد من استخدام جميع الوسائل الممكنة لطرد الأذكياء من غير اليهود من رجه البسيطة » .

## الفوضى الروحية

### القضاء على الأديان

يقول البروتوكول الرابع عشر :

« عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا أي دين لايسلم الا باله واحد يرتبط به مصيرنا لأنه اختارنا ويرتبط به كذلك مصير العالم » .

« ومن أجل ذلك يجب علينا ازالة العقائد ، واذا كانت النتيجة التي وصلنا اليها مؤقتا قد اسفرت عن خلق الملحدين ، فان هدفنا لن يتأثر بذلك، بل يكون ذلك مثلا للاجيال القادمة التي ستستمع الى تعاليم دين موسى ، هذا الدين الذي فرض علينا مبداه الثابت النابه وضع جمع الأمم تحت اقدامنا » .

ويقول البروتوكول السابع عشر :

« لقد عنينا عناية خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود ، والحط من قدرهم في نظر الشعب ، وأفلحنا كذلك في الاضرار برسالتهم التي تنحصر في تعويق اهدافنا والوقوف في سبيلها ، حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام » .

« ان حرية العقيدة معترف بها اليوم في كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية الا بضع سنوات ، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك ، ولكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه المسألة » .

« وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافها ، ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاترا الى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا » .

***

ولقد كان الاسلام والمسيحية المجال الرئيسى الذى كرست له الصهيونية نشاطها ابتغاء النيل منهما بدأب حثيث وموجدة مسعورة ودهاء خارق منذ ما قبل تقنين هذا الهدف فى البروتوكولات ، فقد كانت محاربتهما هدفا تقليديا لليهود منذ أزمان سحيقة خلت . ويقول التلمود « حيث ان المسيح كذاب ، وحيث أن محمدا اعترف به والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، فيجب أن نقاتل الكذاب الثانى ، كما قاتلنا الكذاب الأول (١) » .

ولم يسع حاخام اسرائيل أن يضمر هذه النعرة بين جنبيه لاهبة جياشة تؤزه ويملك عليه غلواؤها حماسه وعقدة منطقه ، فأطلق للسانه العنان يجاهر بها ويدعو لها علانية فى حفل وضع الحجر الاساسى للمحفل الماسونى فى تل أبيب فى مطلع عام ١٩٥٨ — بقوله (٢) .

«اننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب الى أول دين محترم انزله الله على ظهر هذه الأرض ، وما عدا ذلك فهى أديان باطلة ، اديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد وبين أى شعب وشعب، ونتيجة لجهوداتكم سيأتى يوم يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الاسلامى ، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة ، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة » .

ومما يشده له ، ان ذلك الحاخام يوجه خطابه ويوعز بتحريضه الى اعضاء المحفل الماسونى الذى تزعم تقاليده انه بنجوة من التعصب الدينى(٣) وانه يتحلى بالحياد العقائدى ، وبذلك يفضح حقيقة تلك المحافل ويكشف عن طويتها ودورها فى القضاء على الاسلام والمسيحية تحقيقا للاهداف الصهيونية الخفية .

وستعالج فيما يلى موقف الصهيونية من كل من الاسلام والمسيحية بمزيد من الايضاح .

## أولا : محاربة الدين الاسلامى

### ١ — منع تدريس الدين الاسلامى للمسلمين واجبارهم على دراسة الدين اليهودى :

حرصت دولة اسرائيل الحديثة على محاربة الدين الاسلامى فى نطاقها المحلى اعمالا للمبادىء التى نص عليها البروتوكولان السالفان ، فعمدت الى

(١) كتاب دفائن النفسية اليهودية للدكتور محمد على الزغبى طبع بيروت سنة ١٩٦٨ صفحة ١٢٨ .

(٢) الخطاب منشور بجريدة جويش كرونيكل Jewish Chronicle فى عددها رقم ٤٦٨٤ الصادر بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٩٥٨ بالصفحة رقم ٣٢ ومابعدها .

(٣) نشرت جريدة الاخبار فى عددها الصادر بالقاهرة فى يوم ٢٧ نونمبر سنة ١٩٧٢ نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية ، أن مجمع أساقفة الكنيسة اليونانية الارثوذكسية قد أدان الماسونية بالاجماع باعتبارها عدوا للدين المسيحى — وكان عدد من الاساقفة قد أثار المسألة الماسونية واتهم بعض كبار الأساقفة باعتناقها .

اجبار التلاميذ المسلمين المقيمين فى الأراضى الفلسطينية المحتلة على دراسة اللغة العبرية والديانة اليهودية وحفظ التوراة ، ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسة التاريخ الاسلامى والتاريخ العربى (١) .

**٢ ـ اصدار مصاحف مزورة :**

كما أن الحكومة الاسرائيلية فى سبيل اثارة البلبلة الروحية لدى المسلمين ، تطاولت على القرآن الكريم فطبعت فى عامى ١٩٦١ و ١٩٦٩ نسخا مزورة من المصحف الشريف أسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات أو حتى بعض السور بحذافيرها او تناولت بعض الألفاظ بالتحريف ـ تبتغى بذلك تحريف بعض المعانى القرآنية والتشكيك فى سلامة كتاب الله ـ بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل مايصدره أعداء دينهم من طبعات محرفة من المصحف والمبادرة باعدامها لمنع تداولها .

**٣ ـ الاسرائيليات :**

دأب اليهود منذ ظهور الاسلام على اشاعة الفوضى العقائدية بين المسلمين ، ولكم حاولوا افساد شرائعه وتشويه مصادر أحكامه ، فاستحدثوا كثيرا من البدع المضللة واختلقوا كثيرا من الأحاديث المزورة ونسبوها الى النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته كذبا وبهتانا ، وضمنوها طائفة من الأحكام الشرعية الفاسدة التى تبلبل العقيدة .

واحكاما لخطتهم الخبيثة ، اندس كثير منهم على العشيرة الاسلامية وانتحل الاسلام نفاقا ورياء ، يفترى على الاسلام مزاعم زائفة ما أنزل الله بها من سلطان ، يتخذها مناشط يكيد بها للاسلام وينفث من خلالها سمومه ، ويثير الفتنة بين جمهرة المسلمين ، عساها تحقق ما يبيت اليهود للمسلمين من زيغ وبلبلة وفرقة وشقاق .

وقد عرفت هذه الزيوف عند المسلمين بالاسرائيليات .

والاسرائيليات ـ فى الأصل ـ هى كل ما دسه اليهود على تفسير القرآن الكريم أو على الحديث النبوى الشريف من تأويلات فاسدة وأساطير خرافية وروايات مختلقة ما أنزل الله بها من سلطان ، فيها اغراب وزيغ عن المعنى المقصود وافتراء على الدين ، قصد بها التضليل والارجاف والبلبلة واثارة الشبهات بتشويه الحقائق الناصعة .

واذ كان اليهود أول من تجنى على الاسلام واجترأ على أصوله واقحم عليه الأباطيل ، كما أن غالبية الخرافات التى دست عليه كان مصدرها اليهود ـ فقد اتسع مضمون الاسرائيليات ليشمل كل ما دس على الاسلام من خصومه ـ عامة ـ مما لا أصل له فيما أنزل الله أو تحدث به الرسول الكريم أو يتلاءم مع روح الاسلام ومبادئه القيمة .

---

(٢) الخبر منشور بجريدة اخبار اليوم فى الصفحة السابعة من عددها الصادر فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٦٦! .

ومما أرجف به اليهود من هــذه الاسرائيليات ما ورد في تفســير قوله تعالى في الآية الرابعة من سورة القدر : « تنزل الملائكة والروح فيها » ــ اذ فسروا الروح بأنه ملك هائل لو التقم السموات السبع والارضين الســبع كانت له لقمة واحدة ، أو هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه في آخر الارض السابعة وله الف رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس الف فم .

وقد ورد في قصة عوج بن عنق مع موسى عليه السلام ــ على ما ذكر البغوى في تفسيره ــ ان عوجا هــذا قد أوتي بسطة خارقة في الجسم وفي العمر ، فكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلثا ، وانه كان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحــوت من قرار البحــر فيشــويه بعين الشمس ، وان ماء الطوفان طبق ما على الارض من جبــال وما جاوز ركبتي عوج ، وانه عاش ثلاثة آلاف سنة ، وانه قور صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام ، وكان فرسخا في فرسخ ، وحملها ليطبقها عليهم ، فبعث الله تعالى الهــدهد فقور الصخرة بمنقــاره فوقعت في عنقه فصرعته فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله (١) .

والمعروف لغة أن الويل مثل الويح الا أنها كلمــة عذاب وتعني حلول الشر والهلاك ويدعى بها لمن وقع في هلكة يستحقها وقد فسرها علماءالمسلمين في قوله تعالى في مستهل سورة المطففين « ويل للمطففين » بأنها واد في جهنم، بيد أن الاسرائيليات أبت الا أن تضيف الى هذا التفسير تفصيلات ممعنــة في الغرابة من نسج الخيال المغرض المريض ، زاعمة ــ كما يروى مقاتل بن سليمان في تفسيره ــأن الويل واد في جهنم بعده مسيرة سبعين سنة فيه تسعون ألف شعب ، في كل شعب سبعون ألف شق في كل شق سبعون الف مغــار ، في كل مغار سبعون الف قصر ، في كل قصر سبعون الف تابوت من حديد ، في كل تابوت سبعون الف شجرة ، في كل شجرة سبعون الف غصن من نار ، في كل غصن سبعون ألف ثمرة ، في كل ثمرة دودة طولها ســبعون ذراعا ، تحت كل شجرةسبعون الف ثعبان وســبعون الف عقرب ، فأما الثعــابين فطولهن مسيرة شهر ، في الغلظ مثل الجبل وانيابها مثل النخل ، وعقاربها مثل البغال الدهم ، لها ثلاثمائة وستون فقارا في كل فقار قلة سم (٢) .

ومن غرائب الاسرائيليات أيضا بيان الجن والملائكة واجناسهم وخلقهم، وذكر مجادلة ابليس لله سبحانه وتعالى وتفصيل مادار بينهما من حوار ، وكذلك بيان أسماء فتية الكهف وكلبهم وصفاتهم ، واسم الذئب في قصــة يوسف عليه السلام ، واسم وصفة النملة التي حذرت زميلاتها من ســليمان عليه السلام وجنوده أن يطأوها ، واسم عصا موسى عليه الســلام ، وأنهــا من آس الجنة طولها عشرة أذرع ولها شعبتان تتقدان في الظلمة .

---

(١) انظر في ذلك : «روح المعاني في تفســير القــرآن العظيم والسبع المثاني» تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي الجزء الســادس صــفحة ٨٦ ، ٨٧ والجزء الثاني عشر صفحة ٤٥ والجزء التاسع عشر صفحة ١٥٩ .

(٢) انظر كتاب الاسرائيليات في التفسير والحديث ، للاستاذ محمد السيد حسين الذهبي طبع مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٩٧١ صــفحة ١٩٥ .

الى غير ذلك من الترهات التى لايسيغها عقل ولم يرد عنهـا نص من القرآن أو الحديث النبوى ، بل ويتنافى مع روح الاسلام والعقلية الاسلامية أصالة ، وهى كلها من الخرافات والمناكر التى لايفتأ التلمود يرددها على لسان الحاخامات وكهنة اليهود .

وقد أغرى المسلمين فى صدر الاسلام بافساح صدورهم لهـذه الاسرائيليات والاحتفال بها والاطمئنان اليها ، ما قرره الاسلام من ضرورة الايمان بما أنزل الله على غير المسلمين من أهل الكتاب ، واعتبار المسلمين أن هذه الاسرائيليات التى يروجها اليهود ومن ادعى منهم الاسلام خاصة — من العلم الذى سبقهم اليه اليهود وهم كتابيون أصحاب التوراة .

وقد ضاعف من احتفال المسلمين بها شغفهم بمعرفة التفاصيل لما أجمله القرآن والحديث النبوى من أنباء وأحداث واقرار القرآن والحديث — فى مواطن كثيرة منهما — بما ورد فى الكتب السماوية الأخرى ، وحض المسلمين على تقصيه ، كما فى قوله تعالى فى الآية ٩٤ من سورة يونس : « فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » . وما ورد فى الحديث الشريف «بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حـرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

ولم يسلم من لوثة الاسرائيليات كثير من فطاحل مفسرى القرآن الكريم ورواة الحديث — بيد أن منهم من تعثر فى أباطيلها فرددها دون تعليق مثـل محمد بن جرير الطبرى وأبى اسحق الثعلبى وعلاء الدين البغدادى المعروف بالخازن (١) .

ولعلهم انما ذكروها على علاتها لمجرد الحكاية والسرد دون التعويل عليها وتأكيدها وأمسكوا عن التعقيب بالتأييد أو التفنيد مصـداقا لقـول النبى عليه الصلاة والسلام «لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم» .

ومن علماء المسلمين من تفطن الى زيف الاسرائيليات وخطورة الاغضـاء عنه ، فأنكرها ونبه اليه ، وممن عنى بتعقب مصادرها وتفنيدها : الحافظ ابن كثير وأبو الثناء شهاب الدين الألوسى البغدادى ، وأبو محمد بن عطية والسيد محمد رشيد رضا (٢) .

★★★

ومن دهاة اليهود الذين ادعوا الاسلام وعاثوا فى أفهام العامة بالافك ، عبد الله بن سبأ الحميرى ، وعبد الله بن السوداء ، وأبو عيسى الاصـفهانى الذى أسس فرقة دينية ألصقها بالاسلام زورا وبهتانا .

---

(١) راجع فى ذلك «جامع البيان فى تفسير القرآن» لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى — و «لباب التأويل فى معانى التنزيل» لعلاء الدين أبى الحسن على بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل الشيحى المعروف بابن الخازن — و «التفسير الكبير» لأبى اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى ، وله أيضـا كتـاب « العرائس » فى قصص الأنبيـاء وهو حافل بالخرافات والاباطيل .

(٢) راجع فى ذلك « تفسير القرآن العظيم » لعماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير — و « المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز » لأبى محمد بن عطية — و « روح المعـانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى » لأبى الثناء شهاب الدين محمود الألوسى البغدادى . و « تفسير المنار » للسيد محمد رشيد رضا .

ولقد اختلف بحاثة المسلمين فى أمر كعب الاخبار وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه وهم من مسلمة اليهود ففريق يؤكد صدق ايمانهم واسلامهم وفريق آخر — على النقيض — يتهمهم فى عقيدتهم ويرى أنهم من ادعياء الاسلام المتظاهرين به وهم له الد الخصام ويستند فى ذلك الى مايروى عنهما من مناكر الاسرائيليات والاحاديث الموضوعة (١) .

وكان عبد الله بن سبأ الحميرى من أخطر المرجفين الذين افتعلوا فى الإسلام الافاعيل واقحموا عليه من الاباطيل ما ثغرت به مواطن للبدع والترهات ، تدلف اليه من خلالها لتتخرم العقائد وتعيث فى المجتمع الاسلامى بالفرقة والتمزق .

فلقد تزعم طائفة السبابية (٢) المنسوبة اليه والتى التفت حوله بالكوفة، وأساس دعوته مذهب الرجعة ومذهب الحلول ، وهما المذهبان اللذان فتنا غلاة الشيعة وكانا من أقوى الاسباب التى ذهبت بالمسلمين مذاهب شتى ومزقتهم طوائف متناحرة وشيعا متصارعة .

وقد استند السبابية فى مزاعمهم الى نصوص دينية «ينقلونها أو يؤولونها على مقتضى مذهبهم لايعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقه ، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة (٣) » .

ومبنى الرجعة أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل سيدنا عليا بن أبى طالب رضى الله عنه ، وانما المقتول شيطان تصور للناس فى صورة على ، أما سيدنا على نفسه فقد صعد الى السماء على أن يعود الى الارض بوصفه «المهدى المنتظر» حيث ينتقم من أعدائه ويقيم صروح الحق والعدل .

وقد أنكر البخارى وابو مسلم — وهما ادق جامعى الاحاديث النبوية على الاطلاق — ماساقه أنصار عقيدة المهدى المنتظر من أحاديث نسبوها الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يعترفا بها واسقطاها من مصنفيهما اللذين جمعا فيهما صحاح الاحاديث .

وواضح بجلاء أن هذا المذهب اسرائيلى الاصل ، فهو يقابل لدى اليهود فكرة المسيح المنتظر .

أما عن مذهب الحلول ، فانه يزعم أن انتقال النبى محمد عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى نقل شخصيته الى على بن أبى طالب كما انتقلت شخصية سيدنا موسى الى ليشع (٤) من بعده ، ثم ينتهى الافك بهذا المذهب

---

(١) راجع فى ذلك «جامع البيان فى تفسير القرآن» لابى جرير الطبرى — السابق الاشارة اليه — و «فجر الاسلام» للاستاذ احمد امين طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر صفحة ١٩٨ و « تفسير المنار » للسيد محمد رشيد رضا — السابق الاشارة اليه — طبع مطبعة المنار الجزء الاول صفحة ٩ .

(٢) كتاب « الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم » تاليف ابى منصور عبد القاهر ابن طاهر بن محمد البغدادى — طبع مطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩١٠ صفحة ٢٢٣ ومابعدها

(٣) مقدمة العلامة ابن خلدون — طبع مؤسسة فن الطباعة بالقاهرة صفحة ١٩٧ .

(٤) كتاب المجتمع الاسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم تاليف الدكتور فؤاد حسنين على — طبع مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٧ صفحة ٢٩ .

الى الغلو فى الكفر فيؤله عليا بن أبى طالب ، اذ يزعم أن روح الله - سبحانه - قد حلت فيه (١) - جل شأن الله وتعالى عما يأفكون .

كما كان عبد الله بن السوداء من يهود الحيرة ثم أظهر الاسلام ، وكان يناصر السبابية ويعينها على مزاعمها ، وادعى انه وجد فى التوراة ان لكل نبى وصيا ، وأن عليا وصى محمد ، وأنه خير الأوصياء كما أن محمدا خير الأنبياء، - فافتتن به الرعاع بعد قتل على وقال لهم ابن السوداء «والله لينبعن لعلى فى مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والاخرى سمنا ويغترف منهما شيعته (٢)» .

❋ ❋ ❋

هذا ، ولقد توفر علماء المسلمين على تمحيص العقائد الاسلامية ومأثورات الرسول الكريم وصحابته من المفاتن الدخيلة ، وتعقبوا فى خلالها الاسرائيليات التى اختلقها اليهود أو تقولوها ، ليسفروا عن زيفها وبهرجها، توعية للمسلمين وتبصرة لهم ، فلايتعثر فى غضونها ايمانهم ويروغ عن الجادة، ويتردى بهم فى مزالق الضلال ومهاوى الشرك والالحاد .

ولسوف نفصل فيما بعد كيف ائتلف الصهيونيون مع منتحلى الدين البهائى - وهم ألد الخصام للاسلام - ليتوفروا على الكيد للاسلام والنيل من شريعته ومن أصحابه .

## ثانيا - محاربة الدين المسيحى

لا مرية فيما بين اليهود والمسيحيين من خلاف عقائدى تقليدى وأصيل، شجر منذ بعث السيد المسيح وانكار اليهود لدعوته ، واستحكم بعد ائتمارهم على صلبه ، ثم استشرى واحتدم مع اللجاج على مر العصور .

ويتجلى مدى حرص اليهود على محاربة المسيحية واشاعة الزيغ والالحاد فى النفوس فى قولهم فى البروتوكول الرابع : «انه يتحتم علينا أن ننتزع من أذهان المسيحيين فكرة الله والاستعاضة عنها بالارقام الحسابية والمطالب المادية » .

ولذلك فانهم لم يألوا جهدا فى بث الفوضى الروحية فى نفوس المسيحيين وكان سبيلهم الى ذلك افتعال الشكوك بتشويه الاصول والمبادىء الدينية المستقرة بالمسخ والتزييف ، ثم محاولة بثها فى النفوس فى صور مموهة وصيغ موطأة تختفى فيها صنعة التعمل والتزييف .

---

(١) كتاب « الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم » تأليف أبى منصور عبد القادر ابن طاهر بن البغدادى - طبع مطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩١٠ صفحة ٢٢٣ وما بعدها . ومابعدها .

(٢) كتاب الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم . تأليف أبى منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى طبع مطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩١٠ صفحة ٢٣٣ ومابعدها .

وبذات الاسلوب المخاتل الذى سعى به اليهود للتمكن من مثابة الدعوة الاسلامية لنفث سمومهم والترويج لزيوفهم فى أوصالها ـ بالتسلل الى صفوف المسلمين وادعاء الاسلام ـ فقد ادعى المسيحية كثير من اليهود أيضا يستجنون بقناعها الزائف ليخادعوا المسيحيين وليدرءوا به دون مظنة السوء فى طويتهم ومايضمرون من نوازع الحقد والتعصب والافتئات ، وليرحب المجال لبث دعوتهم الهدامة فى أوصال العقيدة النصرانية ثم لخدمة مبادىء العنصرية اليهودية التى يؤمنون بها فى أعماقهم .

ولقد تضمنت النظريات العلمية التى روج لها كل من كارل ماركس من خلال الشيوعية وسارتر من وراء الوجودية ـ افكارا الحادية تستخف بالأديان وتزرى بالقيم الروحية . كما كان سجموند فرويد يهوديا متعصبا رغم ما كان يبدى من الحاد ، ويقول كاتب سيرته ارنست جونز « انه كان يهوديا حتى اللب « Jewish to the Core »

ولقد اثبت الدكتور صبرى جرجس فى كتابه «التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى» المطبوع فى القاهرة سنة ١٩٦٩ ان سجموند فرويد كان صهيونيا متعصبا يدين بالصهيونية ويروج لمبادئها واهدافها من خلال كتاباته وآرائه ، وانما كان يتظاهر بالالحاد درءا للشبهات وذرا للرماد فى العيون ، حتى لايفطن مستريب الى مايبتغى من بث الدعوة الهدامة فى النفوس ومحاربة الاديان وخاصة الدين المسيحى .

ويقول الدكتور صبرى جرجس «ان فرويد ـ متشبعا بالروح الصهيونية ـ قد اضطلع بمهمة القضاء على المسيحية موضوعيا وعلميا كما اضطلعت اليهودية الصهيونية ـ منذ الفى سنة بمهمة القضاء عليها أيديولوجيا وعمليا» .

وقد كان فرويد صديقا حميما للزعيم الصهيونى تيودور هرتزل كما كان عضوا فى جمعية بناى برث الصهيونية لمدة اربعة واربعين عاما حتى وفاته سنة ١٩٣٩ .

ويستشهد الدكتور صبرى جرجس على أفكار فرويد ببعض اقواله وآرائه مثل «ان الدين من وسائل الاشباع البديل التى يلجأ الانسان اليها لتحقيق السعادة ، شأنه فى ذلك شأن التدخين والخمر والمخدرات والجنس» .

وقوله «كل العقائد الدينية أوهام لا دليل عليها» و «ان الدين ليس الا من قبيل المعتقدات الطفلية التى يرجو أن يستخدم مواهبه العلمية والفنية لتخليص الناس منها» .

ولذلك كان الفكر اليهودى أحد العوامل الهامة للانهيار الخلقى الذى ساد الغرب فى العصر الحديث .

وكان ذلك هدفا مقصودا من فرويد تحقيقا لمخطط صهيونى يدين به ويتعصب له .

**تحريف أسفار العهد الجديد :**

لم يتورع الصهيونيون عن اعمال سلاح التزوير فى النصوص المسيحية المقدسة كلما وجدوا الى ذلك سبيلا . ومن ذلك اجتراؤهم على أسفار العهد الجديد بالتزييف والتحريف ليدفعوا عن اليهود تبعة صلب المسيح ، تلك الأسفار التى أجمعت نصوصها على ادانة الشعب اليهودى كافة وتحمله اصر الصلب خلفا عن سلف مدى الدهر .

وقد تناول التحريف، واقعة الصلب ومايتصل بها ــ فى ثلاثمائة وواحد وخمسين موضعا من الأناجيل الأربعة ــ متى ومرقس ولوقا ويوحنا ــ فضلا عن مائة وعشرين موضعا آخر فى ثلاث عشرة رسالة من الرسالات المقدسة الملحقة بهذه الاناجيل .

وقد صدرت الطبعة المحرفة للاناجيل والرسالات عن دار النشر اليهودية بالقدس فى عام ١٩٧٠ تحت عنوان **New Testament — Judaean and Authorized Version** بعد أن أصدر الفاتيكان وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٦٣ .

ويبرر ناشر النصوص المحرفة افتعالها بأنه انما يتوخى انتزاع أسباب الكراهية والعداء بين اليهود وبين المسيحيين ، والقضاء على نزعة العداء للجنس السامى بصفة عامة ، وتوثيق أواصر المحبة والوئام بين هذه العناصر المتنافرة .

وفى استهتار بالغ ينوه الناشر بمواطن التحريف فى النسخة المطبوعة ، مستهينا بالمشاعر الدينية المسيحية ، مغفلا من حسبانه الامانة العلمية والمسئولية التاريخية ، وأنها نصوص متواترة مقدسة ، يؤمن بمضمونها وبحرمتها مئات الملايين من المسيحيين فى أقطار المعمورة ، ومن ثم فانه يحرم عليه استباحتها بالتعديل على أى وجه ، ولو كان ذلك بقصد التنقيح والتصحيح ، بله أن يكون ذلك من عنده هو ــ اليهودى المتعصب ــ ولمصلحة دينية يهودية بحت ، وفى موضوع يتسم بالخلاف العقائدى العنيف ، وذلك فضلا عن أن هذا الاجتراء فى ذاته يغرى بمزيد من التطاول والايغال فى الاجتراء

***

هذا ، وقد تبلورت جهود الصهيونيين أخيرا فى جمعية «شهود يهوه» التى أقاموها فى معقلهم بأمريكا ، مثابة لدعوتهم الهدامة ، ومنطلقا لدعايتهم العنصرية فى أقطار العالم ، ينشطون كالعث الفتاك لتقويض المفاهيم الدينية، على النحو الذى سوف نفصله فى موضعه .



# الباب الرابع

# المنظمات الصهيونية

## تمهيد

لقد تعددت مناشط اليهود ابتغاء تحقيق أهدافهم العنصرية ، بيد انها كانت دائما تخضع لقيادات عليا تهيمن عليها وتنسق جهودها وتباشر توجيهها .

وقد تمثلت هذه القيادة قديما فى مجمع «السانهدرين « Sanhedrin » أو «انسانهدريم « Sanhedrim » أى المجلس الاعلى لحكماء اليهود ، وكان يضم حكماء بنى اسرائيل بزعامة الكاهن الاكبر — وترجع نشأته التاريخية الى عهد سيدنا موسى حين أوحى الله اليه — كما تقول التوراة — ان يتخذ له مجلسا استشاريا من سبعين شيخا من شيوخ بنى اسرائيل (الاصحاح ٢٤ من سفر الخروج) .

وقد ظل مجمع السانهدرين قائما حتى انفض فى عام ٧٠ بعد الميلاد بعد تدمير هيكل سليمان وتمزق اليهود فى شعاب الارض وتوهين الروابط بينهم — وحلت محله هيئات سرية ترعى أمورهم وتلتئم فيها كلمتهم ويحزمون أمورهم ويستمدون منهاالرأى والتوجيه ، وتعمل مستخفية عن الارصاد خشية أن تلفحها — ان هى أسفرت عن كيانها — وقدة الاضطهاد الذى مافتىء اليهود يصطلون بلظاه فى منازحهم .

وقد حاول نابليون بونابرت فى عام ١٨٠٧ احياء السانهدرين القديم فى هيئة تضم الحاخامات والعلمانيين لجمع شمل اليهود تحت لوائه ، بغية الافادة منهم فى تحقيق مشروعاته الاستعمارية فى الشرق خاصة — بيد أن اخفاقه فى أطماعه أحبط تلك المحاولة .

وأخيرا فقد تولت هيئة «الكيهيلا» زمام اليهود — وتعنى فى العبرية المحكمة العليا — وتضم اقطاب اليهود من رجال الدين والفكر والمال والسياسة ، وتشرف على كافة الانشطة اليهودية التى تمارسها المنظمات المختلفة فى العصر الحديث ، فتتلقى منها ماتستجمع من بيانات ومعلومات ، وتتولى التنسيق بينها ومتابعتها واستغلالها لصالح الاهداف العنصرية المشتركة .

وتعرف هيئة الكيهيلا حاليا بالمؤتمر اليهودى العالمى ، وتتركز جهوده فى احتواء اليهود ورعاية مصالحهم فى اقطار الارض والتوفر على تحقيق

ماوعدت به التوراة من سيادة اليهود لشعوب العالم وسيطرتهم على أرجاء المعمورة باعتبارهم شعب الله المختار .

ويعترف الحاخام «دراهما» بانتظام الهيئات اليهودية السرية المختلفة تحت شعار واحد وهدف موحد ، أيا كان نشاطها وأينما باشرته ومهما أسرت واستجنت ــ حيث يقول فى كتابه «التناسق» : ــ «أن جميع الجمعيات السرية موسومة بطابع واحد اذ كلها تعمل بقيادتنا (١)» .

---

(١) كتاب « دقائق النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة » تاليف الدكتور محمد على الزغبى طبع بيروت سنة ١٩٦٨ صفحة ١٥٨ .

## الفصل الأول

## المنظمات الصهيونية السافرة

لقد كان مايعانى اليهود من اضطهاد على مدى التاريخ حافزا لهم على التجمع فى منظمات ينفسون فى رحابها عما يقاسون وينشدون من خلالها وجه الخلاص منه ، ويتدارسون فيها مايكظ نفوسهم من أفكار صهيونية مترسبة فى أعماقهم تذكى أوارها كتبهم المقدسة .

بيد ان حرمانهم من التمتع بالحقوق المدنية فىمواطنهم حال دون السماح لهم بالانخراط فى مجتمعات علنية معترف بها ، ــ فاكتفوا بالمنظمات السرية يتناجون فيها بنجوة من العيون والارصاد .

حتى اذا ماظفروا بحقوق المواطنين فى البلاد التى وسعتهم ــ فى غمرة الفورة الاجتماعية التى اشتعلت فى غضون القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ــ سارعوا بانشاء منظمات يهودية فى ظل الحريات التى كفلتها لهم الدول وفى حمايتها القانونية ، يدبرون فيها امورهم ويجمعون رأيهم حفاظا على كيانهم ، ويسعون من خلالها الى تنفيذ سياستهم ومخططاتهم العنصرية الموروثة .

وكانت هذه المنظمات تتسم بالطابع المحلى ، لكل بلد منظمتها الخاصة التى يشكلها يهودها . ومن اهم هذه المنظمات جمعية عشاق صهيون التى انشئت فى أودسا سنة ١٨٨٢ ، وحركة التنوير فى المانيا ( الهاسكالاه ) التى انشأها موسى مندلسون ، وجمعية الاستعمار اليهودى التى انشأها البارون أدموند دىهيرش وجمعية كادينباح النمسوية التى كان يرأسها ناتان بيرنباوم ــ وجمعية صهيون النمسوية أيضا التى تولى رئاستها تيودور هرتزل .

وبمجهود تيودور هرتزل التأم اول مؤتمر عالمى فى مدينة بال بسويسرة فى ٢٩ أغسطس عام ١٨٩٧ يضم أقطاب اليهود من أقطار الدنيا حيث توفروا على توحيد جهودهم وتحقيق آمالهم .

وبالنظر الى نجاح هذا المؤتمر من وجهة النظر الصهيونية فقد تقرر عقده بصفة دورية ، ــ كما كان عقده لأول مرة ايذانا بانشاء المنظمةالصهيونية

العالمية فى ألمانيا ـ مركزها الاول ـ تنفيذا لقـرار ذلك المؤتمر ـ والمنظمـة الصهيونية العالمية هى أعلى سلطة تشرف على النشاط الصهيونى فى أوسع نطاقه وبمختلف صوره وأدواته وتتولاه بالتوجيه والتمويل والمتابعة دعمـا لدولة اسرائيل باعتبارها محور هذا النشاط وهدفه الاصيل .

والى جانب هذه المنظمة يوجد «المؤتمر اليهودى العالمى» ويمثل الهيئة العليا للطائفة اليهودية التى تتولى شتات اليهود بالحـدب والرعاية حيثما استقر بهم المقام فى مختلف الدول ، وتهيىء لهم السـيطرة على انحاء المعمورة وانشــاء الحكومة اليهودية العالمية تحقيقا لوعد التوراة .

فلما أن فرض الانتداب البريطانى على فلسطين عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى وبعد اعلان وعد بلفور بانشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين ، نصت المادة الرابعة من صك الانتـداب على الاعتراف رســميا بالمنظمة الصهيونية هيئة يهودية رسمية لها الحق فى ابداء الراى وبذل المعونة للادارة المدنية فى جميع المسائل الاجتماعية والاقتصادية وغـيرها مما يمس اقامـة الوطن اليهودى فى فلسطين او مصالح اليهود فيها تحت اشراف الادارة المدنية لحكومة الانتداب .

وقد باشرت المنظمة الصهيونية هذه المهام حتى تكونت الوكالة اليهودية فى عام ١٩٢٩ وحلت محلها فى مباشرتها رسميا ، ـ فلمـا أعلن قيـام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ تكونت الحكومة المؤقتة من بين اعضاء الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية برئاسة دافيد بنجوريون رئيس تلك الوكالة ، ثم حددنشاط الوكالة اليهودية باتفاقية عقدت بينها وبين الحكومة الاسرائيلية فى عام ١٩٥٢ وبدأ تنفيذها من عام ١٩٥٤ .

وفضلا عن المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية فانه توجـد منظمات أخرى ذات مهام محددة ، مثل منظمة بناى بريث وتتولى الدعـوة الصهيونية وجمع التبرعات لاسرائيل ، ثم منظمة الهداسا ـ وهى المنظمـة النسائية الصهيونية ـ ومقرها نيويورك ولها فرع فى القدس المحتلة ويشمل نشاطها الشئون الطبية ، الا أنها تقوم بدور صهيونى هام باشرافها على جمع التبرعات لتمويل النشاط الصهيونى . وبالاضافة الى هذه المنظمة النسائية توجد «المنظمة الصهيونية النسائية العالمية» المعروفة باسم «ويزو» المشتق من اســمها بالانجـليزية Women International Zionism Organization وتنتشر فروعها فى شتى انحاء العالم .

وثم ايضا المجلس القومى لجماعة شباب اسرائيل وقد اعتمدته هيئة الامم المتحدة بوصفه منظمة غير حكومية للشباب اليهـودى الأرثوذوكسى ، ويمتد نشاط هذا المجلس الى الامريكتين فضلا عن اسرائيل .

ولعمال اسرائيل اتحاد يعرف بالهستادروت (Histadrut) ومركزه اسرائيل وله فروع فى أمريكا وبعض الدول الافريقية ، كما أن له نشــاطا دائبا فى الاوســاط والمؤتمرات العمالية العالمية ، ويشرف فى اسرائيــل على النشاط الاقتصادى فى القطاع الجماعى ـ أحد الدعامات الثلاث التى ينهض عليها الانتاج والتى يكملها القطاع العام والقطاع الخاص .

كما خصص لتمويل المشروعات الاسرائيلية والصهيونية منظمة اقتصادية تعرف باسم منظمة سندات اسرائيل ، ومركزها فى نيويورك وتعتبر العصب الحيوى للحركة الصهيونية .

ويوجد من المنظمات اليهودية التى تباشر نشــاطها فى نطـاق المبادىء الصهيونية ايضا ، جماعة المحاربين اليهود القدماء فى أمريكا واتحاد الصحافة اليهودية الامريكية .

وهذه المنظمات فى مجموعها مراكز دعائية قوية للحــركة الصهيونية فى انحاء العالم ، تكرس جهودها لخدمتها عن طريق تمويلها وتيسير هجرة اليهود الى فلسطين ، وامداد اسرائيل بالمال والعتاد للنهوض بمشروعاتها الاقتصادية ودعم قوتها الحربيــة التى تمكنها من تثبيت أقدامهــا وتحقيق اطماعهــا التوسعية عنوة وقهرا .

## الفصل الثانى

## النشاط الصهيونى فى المنظمات الاجتماعية والدينية

### المحافل الماسونية

تعتبر المحافل الماسونية ـ التى بثها اليهود أينما حلوا فى أقطار الارض، مثابة لاجتماعاتهم ومنتدیات يتبادلون فيهــا الرأى والمعــارف ـ من أعــرق منظماتهم التى كان لها بالغ الاثر والفاعلية فى الحفاظ على الدعوة الصهيونية والحدب عليها ورعاية مقوماتها وتعبئة مؤيدين لها من غير العنصر اليهــودى ينتصرون لها ويشدون من أزرها .

ويكفى لتبيان الصلة الوثيقة بين الماسونية والصهيونية ان بروتوكولات حكماء صهيون ـ الدستور الصهيونى العتيد ـ قد صدرت مذيلة بامضــاء ثلثمائة من كبار الماسونيين الحئزين للدرجة الثالثة والثلاثين الماسونية .

وعلى الرغم من حرص التنظيم الماسونى على تجهيل نشأة الماسونية حتى بالنسبة للماسونيين انفسهم لئلا ينكشف أصلها اليهــودى ـ الى درجــة استخفت معها ـ بصفة رسمية ـ على اقطابها المرموقين ، حتى قال الاستاذ حسين اللاز نائب الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الوطنى السورى اللبنانى ، والاستاذ أحمد مختار نجا السكرتير الاعظم لذلك المحفل ، فى كتابهما «كيف انشىء المحفل الاكبر الوطنى السورى اللبنانى» : (ان أصل الماسونية مازال فى طى الكتمان بل لغز من الالغاز الغامضة (١) ) .

ورغم ذلك ،فان تاريخ الماسونية الذى تتداوله معارف الماسونيين ينبىء عن اصالتها الدينية اليهودية .

فهم يزعمون أن الملك سليمان كان الاستاذ الاعظم فى محفل القدس ، كما توجد مخطوطة يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر الميلادى يستدل منهــا على ان الماســـونية دخلت انجـلترا على يـد الاسرائيليين فى مصر والقدس (٢) .

---

(١،٢) كتاب كيف أنشىء المحفل الاكبر الوطنى السورى اللبنانى تاليف الاستاذين حسين اللاز واحمد مختار نجا ـ طبع بيروت سنة ١٩٤٦ صفحة ٢٨ . =

والماسونية أو جمعية البنائين الاحرار منظمة اجتماعية عالمية شعارها الذى يتسم به نشاطها الظاهر «العدل والاخاء والحرية» وهدفها التعاون الانسانى بين افرادها على أوسع مدى . وقد اشتق اسمها من كلمة Maçon الفرنسية بمعنى بناء ، ومن ثم اتخذت من صناعة البناء وأدواته كثيرا من شعاراتها ورموزها ، فالبركار والزاوية هما الرمز العام للماسونية ، وعلامة الاستاذ الاعظم البركار والقوس وصورة العين المشعة داخل مثلث ، وعلامة المنبه الاول الاعظم ميزان البناء ، وعلامة المنبه الاعظم خيط الشاغول ، وعلامة المهندس الاعظم البركار . ويشار الى الله سبحانه وتعالى باسم (مهندس الكون الاعظم) .

ويسمى كل تنظيم ماسونى محفلا — اى منتدى أو مجمعا يلتئم فيه الأعضاء الماسونيون — ويضم المحفل الاكبر مجموعة من المحافل وتتبع المحافل المقامة فى مجموعة من الدول محفلا عاما يسمى ( شرقا ) والماسونية تتكون من تنظيمات أو طبقات ثلاثة متدرجة : —

**الطبقة الاولى :** وتعرف بالماسونية الرمزية العامة . وقد لقبت بالرمزية لانها تتضمن كثيرا من الرموز التى تتصل باحدى الحوادث الدينية التى وردت فى التوراة . وهذه الطبقة متاحة لجميع الاجناس والاديان ولهذا

---

= ويقول الأستاذ عوض الخورى فى كتابه « تبديد الظلام أو أصل الماسونية » المطبوع فى بيروت سنة ١٩٢٩ نقلا عن مخطوط منسوب الى مؤسسى الماسونية القديمة — ان الماسونية الحديثة هى صورة منطورة لجمعية «القوة الخفية» ، وهى جمعية يهودية سرية أنشئت فى عام ٤٢ للميلاد من تسعة أعضاء من غلاة اليهود لمناهضة المسيحية وتعاليمها ومناوأة أتباعها وتقوية العنصر اليهودى وسيادة الدين اليهودى فى العالم وسمى مكان اجتماعهم هيكل أورشليم . وقد عقدت الجلسة الرسمية الاولى فى ٤ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ٤٣ م برئاسة الملك هيرودس أكريبا وفيها أطلق على الجمعية اسم «الأرملة» وعرف أعضاؤها بأبناء الارملة نسبة الى حيرام أبيود صاحب الفكرة الاولى فى انشاء الجمعية ؛ وذلك تكريما له وتخليدا لذكراه اذ كان يتيم الاب .

وقد ظلت هذه الجمعية قائمة مع تطور هدفها بعد ظهور الاسلام الى مناوأة الدين الاسلامى كذلك أسوة بالدين المسيحى — ثم عركتها صروف الدهر والاوضاع السياسية والاجتماعية المتقلبة حتى فترت حركتها وأصابها الجمود ، الى أن كان عام ١٧١٦ للميلاد حيث اجتمع بمدينة لندن كل من جوزيف ليفى وديجون ديزاكوليه وابراهيم أبيود حفيد مؤسس جمعية القوة الخفية ومعهم اثنان آخران وقرروا فى ٢٥ اغسطس سنة ١٧١٦ م احياء الجمعية باسم «البنائين الاحرار» نظرا لموافقة هذا الاسم لمعظم شارات ورموز الجمعية القديمة .

وظل مكان الاجتماع يعرف بالهيكل — كما كان الحال فى ظل جمعية القوة الخفية حتى عرف باسم محفل انجلترا الاعظم منذ ٢٤ حزيران ( يونيو ) سنة ١٧١٧ م . ولازال الماسونيون الحاليون يحتفلون بهذا التاريخ حتى اليوم مدعين انهم يحتفلون بعيد مار يوحنا تمويها وتضليلا .

ولم تزل الماسونية تحتفظ بالكثير من المبادىء الصارمة لجمعية القوة الخفية ومعالمها التنظيمية الغريبة ، وخاصة فى طقوسها ورموزها ومراسم اجتماعاتها وتكريس أعضائها وفى زيها وفى درجات العضوية وفى القسم وفى طريقة التعارف وفى حرصها الشديد على الكتمان والمنافحة دون أسرارها بالحياة .

حمل اسمها صفة العمومية . وتتكون هيئة الماسونية الرمزية العامة من ثلاث مراتب : ــ مرتبة المبتدئين أو الاخوة ثم الاساتذة ثم الاساتذة الاعاظم الذين يراسون محافلها . وتتكون المراتب الماسونية فى هذه الطبقة من ٣٣ درجة تتدرج صعودا حتى مرتبة الاستاذ الاعظم .

**الطبقة الثانية :** وتعرف بالماسونية المسلوكية اليهودية أو العقد الملكى ، ويسمى العضو فيها رفيقا كما يعرف رئيس المحفل بالرفيق الاعظم ــ وقد كان أعضاؤها جميعا من اليهود ثم سمح للأساتذة العظام المحافل الماسونية الرمزية العامة ــ بالاندماج فيها على أن لايتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق ، وهى أدنى مراتبها .

**الطبقة الثالثة** ــ وتعرف بالماسونية الكونية ، وتتكون من رؤساء محافل العقد الملوكي وهى محفل واحد جميع اعضائه من اليهود ولا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحكيم الاعظم غير أن المشهور أن الماسونية الكونية يديرها المحفل الامريكى المؤلف من اليهود الصهيونيين الرومانيين . والمحفل الماسونى الكونى هو المدير الفعلى للماسونية طبقة بعد طبقة .

ولكل درجة من درجات الماسونية رموز خاصة وشارة خاصة وتحية معينة وأسرار محدودة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو الى درجة أعلى كما انها تختلف باختلاف طبقات المحافل نفسها . ولا يجوز لدرجة أن تطلع على اسرار وتعاليم الدرجة التى تعلوها .

ولايقبل العضو فى أدنى درجات الماسونية الا بعد تزكية عضوين له وثبوت جدارته من التحريات السرية بما يبعث على الاطمئنان اليه ، ونجاحه فى اختبار نفسى عسير يجرى فى غرفة مظلمة رهيبة حيث يمكث فترة طويلة فى تابوت من توابيت الموتى بين الجماجم والهياكل العظمية ، ثم يتم قبوله فى حفل تكريس تجرى فيه طقوس غريبة على مشهد من جميع أعضاء المحفل .

ولايرقى الماسونى الى درجة أعلى حتى يمر باختبارات وتجارب قاسية تثبت جدارته بالترقية وتلقى أسرار الدرجة الجديدة . وتتفاوت هذه الاختبارات فى الدقة والقسوة بتفاوت الدرجات المكرس لها العضو بحيث تمعن فى القسوة كلما علت الدرجة .

والقصد من مجموع هذه الاختبارات التأكد من قدرة العضو على تحمل انواع الاذى والتعذيب الذى قد يتعرض له فى سبيل كتمان أسرارها .

ولما كان من اهم المبادىء الماسونية الطاعة العمياء والانقياد التام لما تمليه تعاليمها فى صورة تعاون ليس له حدود أو قيم ، فقد كانت هذه الاختبارات بمثابة البوتقة التى تصهر فيها شخصيات الماسونيين لتتجرد من ارادتها وتصبح طيعة سلبية القوى المعنوية تحت تأثير الارهاب والتهديد بالقتل لكل من يتمرد على تعاليمها أو يفشى سرا من أسرارها .

ولقد بدات التنظيمات الماسونية فى مستهل نشأتها بالطبقة العليا منها، وهى طبقة الماسونية الكونية ، التى تكونت فى مبدأ اختمار الفكرة فى أخلاد اليهود غداة تشريدهم وضياع ملكهم ثم اتبعوها بالطبقة الثانية من طبقات

الماسونية ، وهى الماسونية الملوكية اليهودية او العقد الملوكى ، ــ وشكلوها كفروع للماسونيه الكونية فى البقاع التى حل بها اليهود .

وقد كانت هاتان الطبقتان قاصرتين على طائفة اليهود وحدهم ، لان الدعوة منذ انبثاقها يهودية خالصة فى فكرتها وفى أهدافها .

ونظرا لما تعرض له اليهود فى مهاجرهم من اضطهاد وحيف ــ وما منوا به فى عزلتهم الطائفية من حرمان من حقــوق المواطنين فى البــلاد التى يقيمون فيها ، حرمهم من كثير من المزايا وحد من نشاطهم الاقتصادى ــ وان كان مرد هــذا الاضطهاد والحرمان ما جبلوا عليــه وما بثتها فيهم تعاليمهم الدينيــة والطائفية من سلوك منكر وشذوذ فى المعاملة ــ فقد وجد الماسونيون اليهــود أن من مصلحتهم اجتذاب المواطنين من غير اليهود الى محافلهم ، للاســتعانة بنفوذهم فى ضمان حقوقهم الوطنية بالسـوية مع شعوب البلاد التى يعيشون فيها ، وحماية لهم من كل اضطهاد أو جور قد يتعرضون له . ومن ثم أنشاوا المحافل الماسونية الرمزية العامة ــ وهى الطبقه الدنيا من المنظمات الماسونية ــ كخلايا مفتوحة لسائر الاجناس والملل يتغلغلون بها فىمختلف طبقات المجتمع الذى يقيمون بين ظهرانيه ــ حيث يتاح لهم فى طمأنينة وأمان أن يبثوا مبادئهم الصهيونية على هينة وخفاء ــ ويضموا اليهم من يأنسون اليه من ذوى الرأى والحل والعقد اتقاء بأسهم واستظلالا للأمان فى أكنافهم ، والتماسا لما يرجى منهم من نفع باعتبارهم عبونا لهم فى شتى المجتمعات الرسمية والأهلية ، ثم بتوجيههم الوجهة التى يفيد منها اليهود فى تحقيق أهدافهم الصهيونية . ويتم هــذا التوجيه عن طــريق الهيئات الماسونية العليــا المهيمنة على المحــافل الماسوية كافة والتى احتفظ بها اليهود لأنفسهم حيث يقبضــون منهــا على الأزمة جميعا .

ولقد حرص زعماء الماسونية على اخفاء المعــالم اليهــودية والمبــادىء الصهيونية عن أعضاء المحافل الماسونية الرمزية العامة ــ وهى أدنى مراحل الماسونية الشائعة ــ تمويها عليهم واستدراجا لهم وتغريرا بهم ، ثم التدرج بهم فى المعلومات كلما أنسوا منهم اخلاصا للدعوة وانصياعا لهــا وتدرجوا فى مراقى الماسونية .

فمن ذلك انه فى مرحلة الماسونية الملوكية يلقن الماســونى ان اصطلاح البنائين الأحرار مرده عودة أولئك اليهود الأوائل الذين قاموا بتجديد هيكل سليمان بزعامة زروبابل بعد أن خربه البابليون . كما يستعمل الماسونيون الرمزيون النور رمزا لنور العقل الانسانى بينما يرمز به ماسونيو العقد الملوكى الى النور الذى تجلى به الله سبحانه وتعالى لسيدنا موسى ، والى عودة النور الذى رافق بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر .

والسيف رمز ماســونى يختلف مدلوله فى الماســونية الرمزية عنــه فى الماسونية الملوكية، فهو فى الأولى يرمز الى الجهاد فى سبيل دعوة الحق والعدل والحرية ــ شعارات الماسونية الظاهرة ــ أما فى الماسونية الملوكية فيشير اتخاذ هذا الرمز الى السيوف التى كان يحملها بناة هيكل سـليمان فى المرة الثانية بعد عودتهم من سبى بابل ــ وكانوا يحملونها اثناء قيامهم بعملية البناء دفاعا عن مدينتهم المقدسة .

وبذلك المنهاج الماسونى الحذر يتعهد اليهود سياستهم ويتوفرون على أهدافهم ويتاح لزعمائهم الاستيلاء على مقاليد الحكم وتوجيه دفته فى بلاد العالم من وراء ستار ، وبأيدى الاعضاء الماسونيين من رجال الحكم المحليين .

وهم يحرصون على ان يتم هذا التوجيه فى صورة انسانية بريئـة حتى لاتكون مثارا للفضول والارتياب وعرضة للترصد والتعقيب .

كما اتخذوا من المناشـط الانسـانية والاجتماعيـة الظاهرة للمحـافل الماسونية ــ بوصفها مناطا للبر وأجهزة للتعاون الاجتماعى الخير ــ جنة تدرأ عنهم الشبهات وسدولا تتوافر من دونها سرية الدعوة الصهيونية ومايدبرون لها من مناهج وخطط، فظاهرها البرىء ــ على ما تعرفها المادة الأولى من(1) «دستور المحافل المصرية الوطنية التابعة لعشيرة البنائين الأحرار ذوى العهد القديم والراية العامة» الصادر فى أول يوليه سنة ١٨٨٥ ــ انها «طريقة أدبية لها رموز مخصوصة على روايات مجازية شريفة ، والغرض من هذه الطريقـة البحث عن الحقائق والأحاسن والسعى فى نشرها والتمسك بأفضل الأمور واتباع سنة الفضيلة» .

كما تنص المادة الثانية من ذلك الدستور على ان «من اصول الطريقة عدم التعصب للاديان واحترام سائر المذاهب المعـروفة ، أما معالمهـا فهى الحرية والاخاء والمساواة» .

وتكرر المادة التاسعة حياد هذه المحافل دينيا وسياسيا ــ فى قولهـا « لاتتعرض هذه الطريقة فى اجتماعاتها للمباحث الدينية ولا تخوض فى المعارض السياسية » .

كما حرص ذلك الدستور على النص فى البند الثالث والعشرين من المادة العاشرة على ان من الأصول والقـواعد الأسـاسية للمحفـل الأكبر « حفظ الاسرار والحرص على عدم افشائها » . ولقد كانت هـذه المـادة فى المنهاج العملى أخطر الأسس التى تذرع بهـا الصهيونيون لبسـط نفوذهم واعمال مبادئهم .

والواقع ان اقطاب اليهود قد أسسوا المحافل الماسونية أحابيل وشراكا تظللها غاشيات من الغموض ، ممثلة فى نطاق السرية المضروب من دونهـا وفى « الرموز المخصوصة والروايات المجازية » التى تنص عليها المادة الأولى من دستورها والتى احتكر اليهود مفاتيحها والالمام بمؤداها، ثم موهوها بشعارات انسانية جذابة ، شعارات زائفة يخفون من دونها مآربهم الخاصة ،ويستدرجون اليها من غير العنصر اليهودى من يتوسمون فيه الافادة من اسـتغلال مواهبه وقدراته لحسابهم ، ومن يخشون بأسه وسلطانه حتى ينضوى تحت لوائهم ويسخروه لصالحهم .

ويقول الدكتور احمد غلوش الرئيس السابق للمحفل الأكبر الماسـونى بالاسكندرية والحائز على الدرجة ٩٩ ــ أن دعاة الماسونية يؤكدون «(2) ان

---

(1) هـذا الدستور مطبوع على نفقة المحفل الاكبر الوطنى المصرى بمطبعة التأليف بالفجالة بالقاهرة سنة ١٨٩٢ .

(2) كتاب الجمعية الماسونية ــ حقائقها وخفاياها ــ تأليف الدكتور احمد غلوش طبع القاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ٤ .

الرجل الماسوني يلقى دائما أبدا من صنوف المعونة والمساعدة والبر ما قد يحتاج اليه يوما ما ، سواء كان ذلك في حالة اقامته في وطنه او ارتحاله خارج الاوطان بعيدا عن الأهل والخلان ، حيث يقابل من اخوانه الماسونيين المنتشرين في جميع الاقطار بمزيد البشر والترحاب والاستعداد لخدمتـه والعمـل على راحته حالما يلتقي بهم ويتعرف اليهم بمقتضى الاشارات المصطلح عليهـا فيما بينهم وكلمات السر المضنون بها على غيرهم ، بل يزيد الدعاة في نشر الدعوة الماسونية بقولهم ان الموظف الماسوني لابد ان يلقى من عناية الرؤساء الماسونيين بأمره ما تقر به عينه ويعلو به قدره ، حيث تكون ماسونيته خير مؤهل للرقى وتخطي الأقران ، وفوق هذا وذاك فان الرجل الماسوني اذا أجرم ثم حوكم امام القاضي الماسوني فان البراءة مضمونة له حالما يظهر له الاشارة الماسونيه المتفق عليها ، وانه ان كان تاجرا أو من رجال المـال والأعمـال او الصـناع وغيرهم فله البشري بالنجاح والفلاح بفضل ما سيلقاه من اخوانه الماسونيين المتصلين بتلك الاعمال وهم من الكثرة بحيث لا يخلو من وجودهم مكان ، الى غير ذلك من ضروب الدعاية والفتنة والاغراء مما استمال الى الماسونية الكثير من الشخصيات » ـ ذلك لانه عند التحاقه بالعشـيرة الماسـونية يقسم امام الرئيس المحترم ـ خليفة الملك سـليمان ـ على (١) « أن يتخـذ من اخوانه الماسون أوليـاء له في جميع أموره وأحواله فيـاتمنهم وحدهم على اسراره الخاصة وأن يفضلهم في المعـاملات كلهـا على غيرهم وان يأتمنهم كذلك على اعراضه **وأن يتخذ القومية الماسونية دون سواها شعارا له في الحياة »** .

وهكذا كان مدار الاغراء في اجتذاب الأعضاء الى الجمعيات الماسونيـة فكرة التعاون الاجتماعي غير المحدود التي يتفانى في اعتقادها الماسونيون فتبيح عضويتها لاولى الشوكة من كبار الشخصيات ـ تسخير جمهرة الأعضاء لقضاء مآربهم كما في حالات الانتخابات النيابية مثلا . ومن ناحية اخرى فان انتماء غير هؤلاء الى الماسونية يتيح لهم استغلال نفوذ ذوى السـلطة من الأعضـاء أنفسهم وكف بأسهم ودرء الضر عنهم .

وقد أفصح البروتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون ـ وهى الدستور العملى للسياسة الصهيونية العالمية ـ عن الدور الجدى للمحـافل الماسونية في سبيل انشاء الدولة اليهودية العالمية التي يدين لها سكان المعمورة ويخضعون لسلطانها ، حيث يقول :

« ان المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع دون أن تشعر بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية ، على أن الطريقة التي ستستخدم بها هـذه القوة في خطتنا بل في مقر قيادتنا لازالت مجهولة من العالم بصفة عامه » .

كما فصلت هـذه البروتوكولات ـ الأهداف التي ترمى اليهـا الدعوة الصهيونية من افساح المجال لغير اليهـود للانضمام الى المحـافل الماسونية العالمية . فقد جاء في البروتوكول الحادى عشر :

« ما هو السبب الذى دفعنا الى أن نبتدع سياستنا ونثبت اقدامهـا عند غير اليهود ، لقد رسخناها في أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن من

---

(١) المرجع السابق صفحة ٨ ، ٩ .

معنى، فما هو الذى دفعنا الى أن نسلك هذا المسلك اللهم الا اننا جنس مشتت وليس فى وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة بل بوسائل غير مباشرة فحسب ، هذا هو السبب الحقيقى لتنظيمنا الماسونية التى لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود فى فهم معناها ولا حتى الشك فى أهدافها ، اننا نسوقهم الى محافلنا التى لا اعداد لها ولا حصر ، تلك المحافل التى تبدو ماسونية فحسب ذرا للرماد فى عيون رفاقهم » .

ويتبسط البروتوكول الخامس عشر فى ايضاح دور المحافل الماسونية بعناصرها غير اليهودية بالنسبة للدعوة الصهيونية بعامة حيث يقول :

« وسنسعى الى انشاء ومضاعفة عدد المحافل الماسونية فى انحاء العالم ما دمنا لم نبلغ السلطة ، ونجذب الى تلك المحافل جميع الذين فى وسعهم ان يتحلوا بعقلية الجماهير أو الذين تحلوا بتلك العقلية فعلا ، لان تلك المحافل هى الأماكن الرئيسية التى تمدنا بالمعلومات وهى فى الوقت ذاته مركز الدعاية » .

ثم يستطرد هذا البروتوكول :

« ونركز جميع تلك المحافل تحت ادارة واحدة معروفة لنا وحدنا يؤلفها حكماؤنا ويكون لتلك المحافل ممثلوها لكى نخفى مديريها الحقيقيين ، ويكون لهؤلاء المديرين وحدهم الحق فى تعيين الخطباء وفى وضع جدول الأعمال ، وفى تلك المحافل نوثق الروابط بين جميع طبقات المجتمع الاشتراكية والثورية ، وتكون المشروعات السياسية السرية معروفة لنا وبمجرد وضعها نشرف على تنفيذها » .

ثم يفصل هذا البروتوكول — أيضا — مهمة الماسونيين غير اليهود فى قوله :

« ان أكثر الذين يلتحقون بالجمعيات السرية من المغامرين الذين يريدون لسبب أو لآخر ان يشقوا طريقهم فى الحياة ، والذين يفتقرون الى روح الجد، وبأمثال هؤلاء يمكننا مواصلة هدفنا واليهم نكل أمر ادارة جهازنا ، واذا ما ساد الاضطراب العالم كان هذا الاضطراب لازما لنا لكى نزعزع دعائمه القوية ، واذا ماقامت وسط هذا الاضطراب المؤامرات فمعنى ذلك أن أحد عملائنا المخلصين يقف على راسها ، ومن الطبيعى أن نكون الشعب الوحيد الذى يحسن قيادتها ويعرف الهدف الأخير لكل عمل ، بينما يجهل غير اليهود أكثر الأمور التى تتعلق بالماسونية ، وليس فى مقدورهم رؤية حتى النتائج المباشرة لأعمالهم ، انهم بصفة عامة لا يفكرون الا فى المزايا العاجلة المباشرة ويغتبطون اذا حققوها لأن هذا يرضى كبرياءهم ، فهم لا يدركون أن الفكرة الاصلية ليست فكرتهم وانما من وحينا » .

ثم يبين كيف تتم استمالة غير اليهود وتطويعهم عن طريق أشباع غرورهم فيقول :

« يلتحق غير اليهود بالمحافل مدفوعين بمجرد الفضولية أو أملا منهم فى الحصول على المزايا التى توفرها لهم ، ويلتحق بعضهم بها لكى يتمكنوا من مناقشة أفكارهم السخيفة أمام جمهور المستمعين ، ويتوق غير اليهود الى ضروب الانفعالات التى يهيئها النجاح والهتافات ، وها نحن نوزعها عليهم دون

حساب ، ولذلك نتركهم يحرزون نجاحهم ونفيد من الرجال الذين يتملكهم الغرور والذين يستسيغون أفكارنا وكلهم ثقة فى عصمتهم وفى أنهم وحدهم قادرون على التفكير وغير خاضعين لغيرهم » .

ولقد كان الماسونيون — من كل دين — أكبر معوان للحركة الصهيونية فى شتى الأقطار يعملون على تحقيق اهدافها السياسية والاستعمارية بحماس وداب . ومنهم على سبيل المثال السياسى البريطانى الكبير المستر ونستون تشرشل الذى عمل على تأييد الحكومة البريطانية للمطامع الصهيونية الاستعمارية فى فلسطين .

وقد كان المستر هارى ترومان رئيس الولايات المتحدة ماسونيا أعظم من درجة ٢٢ وقد اكدت ذلك مجلة شيكاجو افنجر فى عددها الصادر فى ١٣ يوليو سنة ١٩٥٥ ، ولعل ذلك مما مهد لاعترافه بدولة اسرائيل بعد احدى عشرة دقيقة من اعلان قيامها ، متعللا بان وعد بلفور تطبيق عملى لمبادىء ولسن التى نادى بها فى اعقاب الحرب العالمية الاولى والتى تضمنت الاعتراف بحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، مع انه يدرك تماما ما فى هذا التبرير من مغالطة غير خافية وانكار لحقوق العرب اصحاب البلاد الاصليين .

كما كان من رجال الماسونية البارزين كل من تيودور هرتزل واللورد بلفور ولويد جورج والجنرال سمطس ورئيسى الولايات المتحدة لندون جونسون وريتشارد نيكسون .

وتعزى (١) الحركات الثورية العاتية والفتن المخربة الجائحة التى اندلعت فىشتى الدول فى العصر الحديث الى النشاط الماسونى الهدام ، كما حدث فى فرنسا فى مارس سنة ١٨٤٨ ثم فى سنة ١٨٧١ وفى البرتغال سنة ١٩٠٥ وفى تركيا سنة ١٩٠٥ وفى الصين سنة ١٩١١ وفى روسيا سنة ١٩١٧ وفى المجر سنة ١٩١٨ وفى ألمانيا سنة ١٩١٨ وفى اسبانيا سنة ١٩٣٦ . بل ان الماسونية العالمية كانت من وراء الحربين العالميتين الكبريين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣٩ ، كما أن مقتل الارشيدوق فرانزفرديناند فى يوليو سنة ١٩١٤ كان بيد اليهودى الماسونى بيرنزيب ، كما اشترك مستر ليو امرى المدير السابق لشركة ماركس وسبنسر — وهو من كبار رجال الماسون — مع اللورد روتشيلد فى تدبير الجانب الرسمى من المؤامرة الصهيونية على فلسطين والاسهام فى الصياغة النهائية لتصريح بلفورد المشهور .

وفى الوقت الذى كان الصهيونيون دائبين فيه على استمالة الحكومة البريطانية لمعاضدتهم كان اعوانهم فى مصر من الماسونيين يعملون — ابان الاحتلال البريطانى لمصر — على التمهيد لهم باسترضاء الانجليز وتوطيد سياستهم فى البلاد على حساب الصالح الوطنى . فقد أنشأ ادريس راغب بك — الاستاذ الأعظم للمحفل الماسونى الوطنى المصرى — حزبا سياسيا فى أوائل القرن العشرين يناهض الحزب الوطنى الذى يتزعمه مصطفى كامل باشا الزعيم الوطنى المكافح — ينادى بمسالمة البريطانيين المحتلين والتعاون معهم باعتبارهم

---

(١) كتاب فلسطين والضمير الانسانى تأليف الأستاذ محمد على علوبه — كتاب الهلال العدد ١٥٦ فى مارس سنة ١٩٦٤ .

أوصياء على البلاد حماة لها ، ويحبذ السياسة البريطانية التي كانت ترى ان الوقت لم يحن بعد لقيام حياة دستورية فى مصر لعدم تهيئة من يستطيع ممارستها .

ولقد ساهم الماسونيون مساهمة جدية فعالة فى وضع البرامج الصهيونية العالمية ، اذ حضر مؤتمر الصهيونيين الذى عقد فى مدينة بال بزعامة هرتزل ــ مندوبون عن المحافل الماسونية فى أنحاء العالم ، يمثلون المحافل الملوكية والمحافل الرمزية للحائزين على ٣٣ درجة الذين قبلوا فى محافل العقد الملكى، وقد اسفر هذا المؤتمر عن قرارات سرية خطيرة اهمها القرارات المعروفة ببروتوكولات حكماء صهيون ، التى أثارت سرقتها ثائرة هرتزل فاصدر المنشور الصهيونى رقم ١٨! متوعدا من يتجاسر على افشائها ومنوها بخطورتها وقد فضحت «مجلة فرنسا القديمة» تلك المؤامرة الصهيونية فى كتابها الذى اصدرته بعنوان «مؤامرة اليهود» واذاعت محاضر جلسات المؤتمر ونصوص الوثائق المسروقة مما أثار حنق اليهود فأحرقوا مطبعتها (١) .

ولقد طالما نمت تصرفات المحافل الماسونية عن نزعة عنصرية عميقة تواكب الصهيونية فيما تستهدف بحدب وداب .

فما ان احتلت اسرائيل القدس بعد عدوانها على الدول العربية فى يونيو سنة ١٩٦٧ حتى انبهرت الماسونية وخلبتها اضواء النصر وفاتها ما التزمته من حرص وحذرطوال اعصر واجيال ، وواتت الجراة المحفل الماسونى بولاية تكساس بالولايات المتحدة الامريكية للجهر بما يضمر فدفع جريدى ترى واودى مورفى العضوين به الى أن يعرضا على المحكمة الاسلامية العليا فى القدس فى مايو سنة ١٩٦٨ مائة مليون دولار نظير السماح للمنظمة الماسونية بهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه ، بزعم ان هيكل سليمان كان هو المحفل الماسونى الأول تحت رئاسة الملك سليمان .

ومن المسلم به أن اعادة بناء هيكل سليمان من أهم الأهداف الصهيونية التى سعت اليها حثيثا بشتى السبل العدوانية والسلمية .

## المعالم الدينية الصهيونية فى التنظيمات الماسونية

رغم التزام الماسونية جانب الحيطة والكتمان واصطناع السرية فى طقوسها وبرامجها لتبدو محافلها منظمات اجتماعية محايدة بنجوة من التيارات السياسية والدينية ، فان كثيرا من اصول تلك المحافل وشاراتها وشعائرها وطقوسها ، بل وان فى سلوك المنتسبين اليها من رجال السياسة ، ماينم عن نزعتها الصهيونية الصارخة ونشأتها الدينية اليهودية المتطرفة .

فان الطقوس الرمزية الماسونية مستمدة من وقائع التاريخ اليهودى التى رددتها أسفار التوراة ، والتى تدور حول تشييد هيكل سليمان ثم تدميره ثم اعادة بنائه ، وتردد آمال اليهود فى العودة الى فلسطين أرض الميعاد .

---

(١) عن كتاب الصهيونية الماسونية تأليف الاستاذ عبدالرحمن سامى عصمت الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ ص ٦٩ و ٧٠ .

كما أنه يشترط بن تؤخذ الرسوم الرمـزية التى تزين بها المحـافل من التوراة «لأن فيها التواريخ الحقيقية عن الماسونية القديمة (١)» .

ويلاحظ أيضا أن كلمات المرور السرية والشارات الماسونية اما عبرية أو ماسونية .

وفيما يلى بعض المظاهر اليهودية الواضحة المعالم فى النظم الماسونية :ـ

١ ـ تعتبر «التوراة من المقومات الرئيسية التى يتحتم وجودها فى كل محفل ماسونى ، وتنص المادة العاشرة من دسـتور المحـافل المصرية الوطنية التابعة لعشيرة البنائين الاحرار ذوى العهد القديم والراية العامة الصـادر فى أول يوليو سنة ١٨٨٥ : على أن المحفل الاكبر مؤسس على اصول وقواعد مبنية فى ثلاثة وعشرين بندا ، ينص البند الحادى والعشرون منها على «جعل الكتاب المقدس من المتعلقات الضرورية بالمحافل » .

كما يوجد فى كل محفل رسم يمثل التوراة مرتكزا عليها سلم يعرف بسلم يعقوب ،وذلك رغم حرص ذلك الدسـتور على النص على الحيـاد الدينى للمحافل الماسونية فى المادة الثالثة التى تنص على أن «من أصـول الطريقـة عدم التعصب للاديان واحترام سائر المذاهب المعروفة اما معالمها فهى الحرية والاخاء والمساواة» .

كما تأكد هذا المبدأ فى المادة التاسعة من ذلك الدستور حيث تقـول «لاتتعرض هذه الطريقة فى اجتماعاتها للمباحث الدينية ولاتخوض فى المعارض السياسية» .

ثم ان التقويم الماسونى المعروف باسم الانوار الرمزية «هو ذات التقويم الصهيونى المعروف لدى الصهيونيين باسم «نور الحقيقة» والذى يبدأ ببدء الخليقة حين «قال الله ليكن نور فكان نور» (الاصحاح الاول من سفر التكوين العدد ٣) .

٢ ـ يشترط فى المحافل الماسونية وجود نموذج لهيكل سليمان الذى يعتبر الاساس الذى يبنى عليه اليهود حقهم فى الرجوع الى فلسطين لاعادة بنائه .

٣ ـ يتكون «العقد الملوكى» الذى يتقلده كبار الماسـونيين من قـلادة مدون عليها باللغة العبرية أسماء الأسباط ، وهم بنو اسرائيل الاثنا عشر ، طبقا للترتيب الذى حدده سيدنا موسى عليه السلام لأمكنة عشائر هـؤلاء الأسباط فى خيمة الاجتماع التى اقامها الى جوار جبل الطور فى سيناء ووضع بها تابوت الشهادة ، وهو التابوت الذى وضع به لوحا الشهادة المدون عليهما الوصايا الالهية التى وجهها الله سبحانه وتعالى الى سيدنا موسى حين صعد الجبل .

٤ ـ من كلمات السر المقدسة فى الماسونية : يهوه Jehova والوهيم

---

(١) الدستور الماسونى العام للطريقة الاورشليمية صفحة ١٤ المطبوع بمطبعة المقطم بمصر سنة ١٩٠٧ بمعرفة شاهين بك مكاريوس .

Elohim وادوناى Adonai وهى أسـماء مترادفة للاله عند اليهود استعملت فى عصور مختلفة لكل منها .

ومنهـا أيضـا زبولون Zebolonn وجودا او يهوذا Juda وهما من أسماء أسباط يعقوب من زوجته ليئة .

ويقصد بيهوذا فى الماسونية أيضـا يهوذا المكابى الذى انتصر على ملك سوريا وأعاد اقامة الشعائر الدينية فى هيكل سليمان .

٥ ــ بعض الرتب الماسونية تحمل أسماء ذات دلالة دينية خاصة عنـد اليهود ، فالدرجة ١٦ لأمير أورشليم ، والدرجة ١٩ لحبر أورشليم الأعظم ، والدرجة ٢٧ للقائد الملوكى لهيكل أورشليم .

٦ ــ يطلق على درجات الماسونية الرمزية وشـعاراتها أسماء يهـودية رددتها التوراة فى مناسبات مقدسة مختلفة ، مثل زروبابل وهو زعيم سبايا اليهود الذين عادوا من منفاهم ببابل الى أورشليم حيث جدد هيكل سليمان بعد ان خربه البابليون .

وبنيامين ، وهو الابن السابع لسيدنا يعقوب .

وفالج ، وهو الجد الرابع لسيدنا ابراهيم وابن عابر الجد الخامس ، وحيرام آبى وهو الذى صنع عمودى هيكل سليمان النحاسيين المقدسين .

ونواح بسائيل ، وهو بصائيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا ، وهو الذى صنع تابوت الشهادة بأمر الله فى عهد سيدنا موسى . (سـفر الخروج الاصحاح الحادى والثلاثون برقم ١ والاصحاح الخامس والثلاثون برقم ٣٠ والاصحاح السابع والثلاثون برقم ١) .

واوبيل ، وهو اسم الملاك الذى وضع علامة الخلاص لبنى اسرائيـل على جباه الناس .

٧ ــ يمثل رؤساء ماسونية العقد الملوكى أبطال السبى البابلى ويحملون أسماءهم ، مثل زروبابل ونحميا وعزرا ويشوع بن يهوصادق رئيس الاحبـار فى عهد زروبابل وغيرهم كثير .

٨ ــ من التقاليد الاساسية فى الماسونية ارتداء رجـال الماسـون فى اجتماعاتهم الرسمية مآزر من جلد خراف بيضاء تتميز بنقوش وعلامات خاصة تختلف تبعا لدرجة العضو ، ولهذا التقليد أصل عريق فى الطقوس الدينية اليهودية اذ كان من تقاليد احبار الاسرائيليين ان يرتدوا فى الاعياد المقدسة مئزرا ثمينا مرصعا بالجواهر مكتوبا عليه أسماء أسباط اسرائيل تنبيها لهم بأن يحملوا كل الجمهور على قلوبهم (١) .

وكان هذا المئزر يغطى الحقوين ولايتمنطق عليه ويعرف بالأفود ويأتزر به الحاخامات استلهاما للوحى عندما يتهيأون لوضع تعاليم التلمود وأحكامه،

---

(١) كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقـدس الثمين ــ طبع مجمع كنيسـة الانجليز الاسقفية بمدينة فالته سنة ١٨٤٠ صفحة ٥٣ .

كما كان القواد يرتدونه فى الحروب استحضارا «لرب الجنود» ليشد أزرهم فى المعركة وينافح عنهم ضد أعدائهم ، وكان الكهنة يرتدونه ايضا عند أداء الطقوس الدينية وعند استخارة الله والتنبؤ فى شأن من الشئون مستعينين بسهمين أحدهما يسمى «أوريم» وكان يشير الى نعم أى الى التأييد والتحبيذ والثانى يسمى «تميم» ويشير الى بئس أى الى الرفض والاستنكار (١) .

وعند عدم استعمال الأفود فانه كان يحفظ فى المعبد .

٩ ــ من الرموز الاساسية فى الماسونية «الحية النحاسية» وهى كذلك رمز للدرجة ٢٥ «درجة فارس الثعبان النحاسى الاصفر» احدى درجات الماسونية الملوكية . ولهذه الحية النحاسية أصل فى العقيدة الدينية اليهودية فهى احدى معجزات سيدنا موسى التى ورد ذكرها فى التوراة فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد برقم ٩ حيث تقول «فصنع موسى حية من النحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية انسانا ونظر الى حية النحاس يحيا » .

وتسبغ التوراة مسوح القداسة على تلك الحية لانها ترمز الى الاله يهوه ، ويروى الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثانى رقم ٤ أنه كان فى معبد أورشليم فى عهد حزقيا ملك يهوذا حية معدنية منذ عهد موسى تعرف باسم نحشتان تؤدى لها الطقوس الدينية ويطلق عندها البخور المقدس .

وسلم يعقوب فى الماسونية رمز للسلم الذى رآه يعقوب فى منامه وهو فى طريقه بين بئر سبع وحاران ، اذ رأى سلما ممتدا بين الارض والسماء ، والملائكة صاعدة هابطة عليه ، وقد وقف عليه الرب يعده ونسله بملك الأرض التى يضطجع عليها .

( الاصحاح الثامن والعشرون من سفر التكوين من رقم ١٠ الى ١٣) .

والعمودان من الرموز الماسونية الهامة ويشترط وجودها فى كل محفل، ويجب على كل داخل للمحفل أن يقف بينهما حتى يأذن له الرئيس بالتوجه الى مكانه (٢) ، وهما يرمزان الى العمودين اللذين اقامهماسليمان فى رواق هيكله ، وكانا من نحاس صنعهما له حيرام ــ وهو أحد حكماء بنى اسرائيل بمدينة صور من سبط نفتالى ــ وكان ذا دراية بصناعة النحاس ، وقد أطلق على العمود الايمن منهما اسم ياكين وعلى الايسر اسم بوعز ، واصبحت لهما قداسة خاصة ، وقد اسهبت التوراة فى وصفهما فى الاصحاح السابع من سفر الملوك الاول من رقم ١٣ الى ٢٣ .

وجاكين او ياكين ا. يهوياكين أو يكينا فى الدين اليهودى هو آخر ملوك مملكة يهوذا الذى اسره نبوخذ ناصر ملك البابليين ونفاه الى بابل ، وهو كذلك اسم العمود الأيمن من عمودى هيكل سليمان النحاسيين المقدسين .

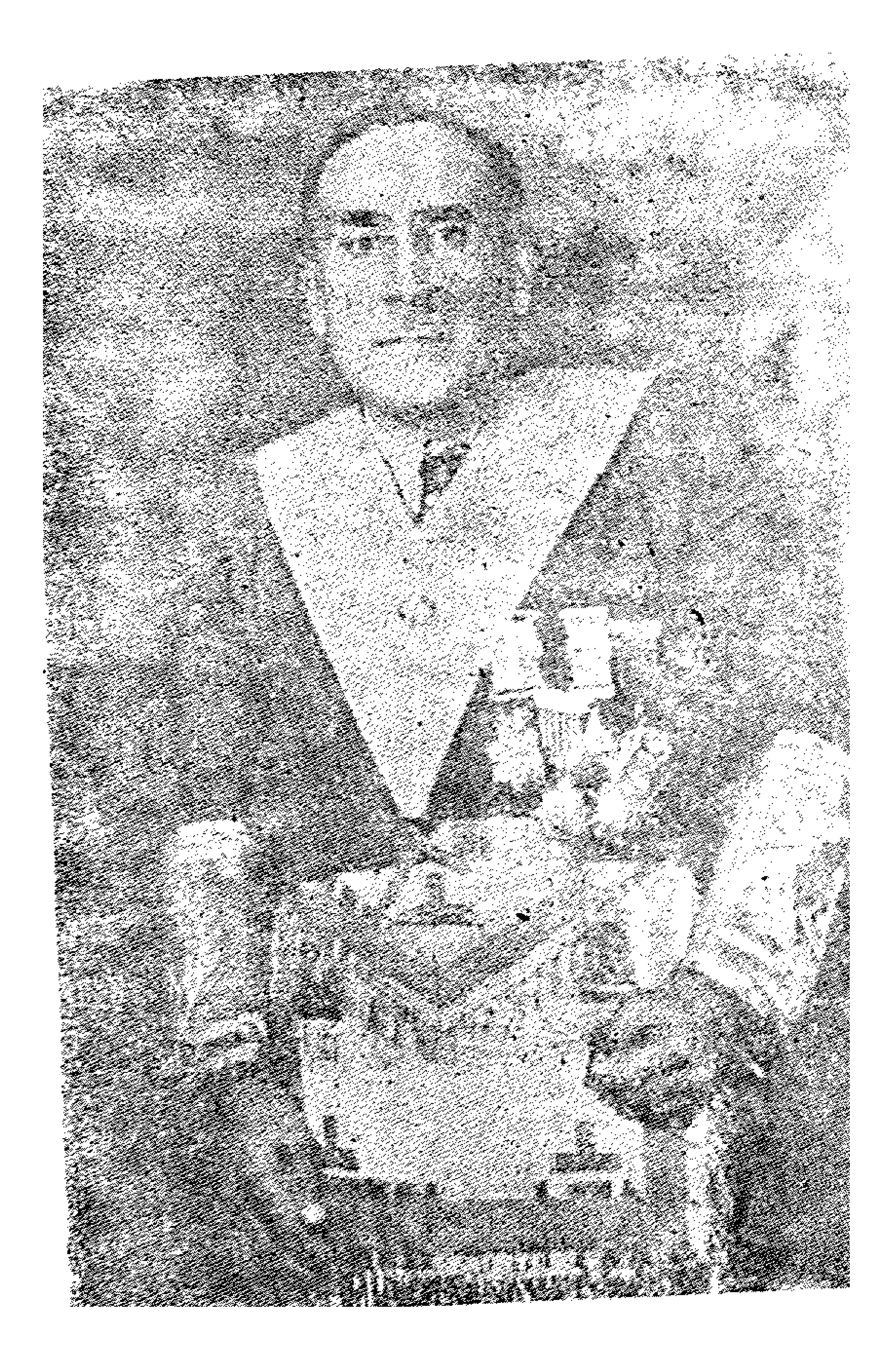
---

(١) كتاب المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده تأليف الدكتور فؤاد حسنين على طبع مطبعة الرسالة سنة ١٩٦٦ صفحة ١٨١ .

(٢) المادة ٤٣ من الدستور الماسونى العام للطريقة الاورشليمية طبع مطبعة المقطم بمصر سنة ١٩٠٧ بمعرفة شاهين بك مكاريوس .

وبوعز كما تعرفه الديانة اليهودية هو زوج راعــوث التى الفت ســفر راعوث من أسفار التوراة ، ــ وهو كذلك والد عوبيد جد سيدنا داود الذى انتهت الى نسله وعود التوراة بملك العالم ، وأخيرا فان اسم بوعز يطلق على العمود الايسر من عمودى هيكل سليمان النحاسيين .

وبالاضافة الى ذلك فقد روت التوراة فى سفر الخروج انه كان يتقــدم بنى اسرائيل عمودان يهديانهم الطريق عنــد خــروجهم من مصر وهيامهم فى البرية ؛ احدهما عمود السحاب الذى كان يتقدمهم نهارا والآخر عمود النار الذى كان يتقدمهم ليلا . (الاصحاح الثالث عشر من ســفر الخــروج برقم ٢٠ و ٢٢ ) .



أحد الأقطاب الماسونيين يرتدى المئزر ؛ وهو الزى الرسمى لرجال الماسون ويقابل الأفود الزى الرسمى لحاخامات اليهود وأحبارهم .

١٠ ــ الاسئلة الرمزية التقليدية التى يلقيها رؤســاء المحــافل الملوكية على أساتذة الماسونية الرمزية حتى يمكن ترقيتهم الى عضوية المحافل الملوكية

ـ ثم الأجوبة التى يتحتم عليهم الالمام بها سلفا ، تكشف فى صراحة تامةعن الدعامة اليهودية للمبادىء الماسونية ـ فمن ذلك (١) مثلا ـ

(س) أيها الأجانب قد بلغنا انكم ترغبون فى مشاركتنا فمن أين أنتم ؟

(ج) من بابل .

(س) وماذا تريدون ؟

(ج) لما سمعنا بأنكم عازمون على بناء هيكل أورشليم ثانية لاله بنى اسرائيل أتينا نسألكم قبول مساعدتنا لكم فى هذا المشروع الجليل .

(س) لماذا كنت بغير نعال عند الدخول لغرفة العقد الملوكى التى ترمز الى هيكل سليمان ؟

(ج) رمزا الى أمر الله الذى أمر به موسى ويشوع بعده .

(س) وبماذا امرك بعد ذلك الرئيس الاول «ز» (وهو رمز لاسم زروبابل ) ؟

(ج) ان انحدر مرة ثانية فى العقد وان أصغى لقسم من كتاب النبى حجى .

(س) ارجوك أن تذكره لى .

(ج) (يقرأ من التوراة الفصل الثانى من سفر حجى من عدد ١ الى ٩).

١١ ـ يبين بجلاء من اختبارات الالتحاق بالماسونية الملوكية كيف استقى الماسونيون رموزهم وشعائرهم من أصول يهودية عريقة ـ فمن ذلك (٢) ـ

(س) ولماذا استحسن رفقاء العقد الملوكى أن يستعملوا السيف والمحارة ؟

(ج) استحسنوا ذلك تذكارا لشجاعة أولئك البنائين الاحرار حين كانوا يشتغلون فى بناء الهيكل الثانى والمحارات فى أيديهم والسيوف على جوانبهم ، ليكونوا أبدا على استعداد للدفاع عن المدينة والمعبد المقدس اذا هاجمهم الاعداء ، فتركوا لنا بذلك درسا مقدسا لايزول تأثيره من قلوبنا على مدى الأعصار والأدهار .

(س) من أين اتخذت اشكال بناء العقد الملوكى ورموزه وزيناته ؟

(ج) الاشكال والرموز والزينات الخاصة بالعقد الملوكى والعادات والطقوس المتبعة فيما بيننا الآن قد اتخذها سلفاؤنا عن بناء الهيكل الثانى (الذى بناه زروبابل) .

---

(١ و ٢) راجع فى ذلك كتاب «فى سبيل الحق ـ هيكل سليمان أو الوطن القومى لليهود» تأليف يوسف الحاج الاستاذ الاعظم الماسونى ورئيس محفل الحاج ببيروت .

## المحافل البهائية

يتعين ابتداء أن ننوه بأن النحلة البهائية ليست فى نشـأتها بدعة صهيونية وانما قد صادف ظهورها ابعاث الحركة الصهيونية الحديثة بزعامة تيودور هرتزل ، فبادرت الصـهيونية الى تلقفهـا ، واصطنعتها بحـرص وحدب حين توسمت فى مبادئها مثابة صالحة لازدراع أهـدافها الخاصـة ، وانست فى القائمين بها احتفالا بمبادئها ، وتهافتا للتجاوب معها والانصـياع لمغرياتها .

فلم يكن تحالف الصهيونية مع البهائية مجرد تعاطف ومشاركة وجدانية وانما كانت دعامته علاقة استغلالية بحت ، مقتضاها تبادل المنافع وتحقيق اهداف مشتركة .

واذ كانت كل منهما دعوة شاذة لاتستند الى أساس من الحق المطلق او المنطق السليم فتعتمد عليه استقلالا ، بينما تعانى من جفوة الرأى العام العالمى وبرمه بها وتأليه عليها ، وماتلقى من عنت واحتراب أينما واجهته ، فقد كان حريا ان تجمع بينهما مضاضة المعاناة وقسـوة الانتباذ عن المجتمع الانسانى ، والحاجة الى اصطناع أنصار يشدون من ازرهما .

كما وثق من أواصر الألفة بين الصهيونية والبهائية تلاقيهما فى أهداف ثلاثة مشتركة ، تتضمن أهـم العقـائد التى دان بها اليهود وانكرتها عليهم سائر الشعوب ، وتحملوا فى سبيل التمسك بها ويلات الاضطهاد والعنت على مر العصور . وتتلخص فى محاربة الاسلام والكيد له ، ودعـوى المهـدى المنتظر عند البهائيين او المسيح المخلص لدى الصهاينة ، ثم عودة اليهود الى ارض المعاد فى ميقات أوشك حينه .

ومن اجل هذه الاهداف المشتركة كانت الصهيونية هى المذهب الفكرى الوحيد الذى رحب بالدعوة البهائية واحتفل بها وأصاخ الى ماتدعو له من أفكار ومبادىء بامعان وتفهم ، وتعهدها بالموالاة والاذكاء والمعاونة .

ولقد كانت محاربة الاسلام اللبنة الأولى فى صرح التحالف الصهيونى البهائى ، اذ كانت ركيزة الدعوة البهائية حتى من قبل تطوير مبادئها لتتلاءم مع المبادىء الصهيونية .

ذلك ان من أصول العقيدة البهائيـة الاعتراف بالديانات السـماوية الثلاث : اليهودية والمسيحية والاسلام ، بيد انها ترى أن كلا منها قد شرع

لفترة أو دورة زمنية محددة يتعين بانقضائها انتساخها واشتراع دين جديد ، على التوالى ، وأن المرزا على محمد الشيرازى الملقب بالباب والمبشر الأول بالدين البهائي ، انما جاء لاعلان دورة دينية جديدة ، من شأنها أن تختم الدورة السابقة وأن تعطل شعائرها وعاداتها وكتبها ونظمها (١) .

ومن ثم فقد ركز البهائيون جهودهم ابتداء على تقويض الشريعة الاسلامية ، باعتبارها آخر الشرائع السماوية التى نزلت والتى آن أن يستبدل بها دينهم الجديد لاستنفاد الغرض من نزولها بانقضاء الفترة الزمنية المحددة لسريانها وافتقاد صلاحيتها للتطور الذى انتهت اليه البشرية فى العصر الراهن .

★★★

ولعل الوعد الالهى بعودة اليهود الى أرض المعاد أهم المبادىء التى تألف بها البهائيون الصهيونيين وأحكمت بينهما وشائج التعاون وعرى المودة .

ولقد دان اليهود عامة بهذا الوعد كعقيدة مقدسة لايمارون فيها ، وترقبوا تحقيقه بصبر عميق متجشمين فى سبيل الاستمساك به ذل الاضطهاد ووطأة المعاناة من الشعوب التى أنكرته عليهم منذ أن رددته أسفار التوراة لأحقاب مديدة خلت .

فلقد بشرت البهائية بظهور المهدى المنتظر ليبدل مايرين على العالم من مظالم عدلا وقسطا ، وأعلنت أنه بظهور بهاء الله ميرزا حسين على يكون «العهد القديم قد تحقق وأن ذلك الذى جاء المبشرون يبشرون بمقدمه باعتباره الأب الأبدى يوشك أن يحقق لابنائه الاخاء وأن يحيا على الارض بينهم» (٢) .

وامعانا فى التمويه على الصهيونيين والتزلف اليهم وابداء التوافق الروحى والالتحام العقائدى بينهم وبين البهائيين ، فقد أضاف عباس عبد البهاء الى تعاليم سلفه وأبيه بهاء الله — مؤسس الدين البهائى — مااقتبسه من العهد القديم وأوله بما يتسق مع المعتقدات اليهودية والصهيونية بخاصة ، وحور من فكرة المهدى المنتظر ليجعل منه رائدا يؤم الشعب اليهودى بالذات الى أرض المعاد بعد تطهيرها ممن عداه من الشعوب .

وفى ذلك يفسر البهائيون قول التوراة فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية العدد ٢ : «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس» — بقولهم :

« هذه الآية تدل دلالة واضحة أن بين يدى الساعة وقدام مجىء القيامة لابد عن أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات ويظهر أربع ظهورات حتى يكمل

(١) كتاب «موعود كل الأزمنة» تأليف جورج تاوزند وترجمة بهية فرج الله — طبعة ١٩٤٦ صفحة ١٣٩ وانظر أيضا كتاب « الحراب فى صدر البهاء والباب » تأليف محمد فاضل الطبعة الاولى بالقاهرة سنة ١٩١١ .

(٢) عن كتاب «موعد كل الأزمنة» تأليف جورج تاوزند وترجمة بهية فرج الله طبعة سنة ١٩٤٦ صفحة ١٤١ .

سير بنى اسرائيل وينتهى امرهم الى الرب الجليل ، فيجمع شتيتهم من اقصى البلاد ، ويدفع عنهم أذى كل العباد ، ويسكنهم فى الأراضى المقدسة ويرجع اليهم مواريثهم القديمة ، فظهر أولا بمقتضى هذه الآية الكريمة سيدنا موسى عليه السلام فتجلى الله عليهم بظهوره من جبل سيناء ، ثم ظهر ثانيا سيدنا عيسى عليه السلام فتجلى عليهم بظهوره من جبل سعير ، ثم ظهر ثالثا سيدنا محمد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) فتجلى عليهم بظهوره من جبل فاران ، فدارت الأدوار وتتابع الليل والنهار حتى ظهر الرب المختار(١))»

وجدير بالذكر انه فى عهد عباس عبد البهاء هذا ، انعقد أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بال بسويسرة وبدأ النشاط الصهيونى يوطد علاقاته بالمنظمات الدوليه كسبا لعطفها وتأييدها ، ومن ثم كان الظرف مناسبا للتقارب بين البهائية والصهيونية ، ودعم العلائق بينهما عن طريق التواصل الفكرى والعقائدى .

ولقد كانت رشا المال سبيل الصهيونيين ليخلد البهائيون اليهم ويستأسروا فى حبائلهم . يغدقون عليهم بها بسخاء ، فكان للاموال اليهودية الفضل فيما شيد البهائيون من محافل فى شتى الأقطار وفى أمريكا خاصة بنجوة من أعين سلطان تركيا الذى كان لهم بالمرصاد يشدد عليهم الخناق ويأخذ على دعوتهم منافذ الانطلاق وسبل الانتشار ، حتى انبثت محافلهم ومنظماتهم فى كبريات المدن الامريكية واصبح لهم فى نيويورك جامعة بهائية خاصة .

وفضلا عن ذلك ، فان الصهيونيين لم يدخروا وسعا فى تأييد العقائد البهائية ذاتها والترويج لها فى المنظمات والمحافل الدولية ، فبثوا الدعوة لها فى المحافل الماسونية — وهم زعماؤها والقامة عليها — كما قاموا بطبع كتبهم وبحوثهم ونشرها فى أرجاء العالم — وضمانا لمتابعة تنفيذ البرامج الصهيونية البهائية المشتركة فقد أوعزوا الى بعض اليهود بالتظاهر باعتناق الدين البهائى — كما فعلوا مع المسلمين والمسيحيين من قبل — حتى يتمكنوا من الاندماج فى المجتمع البهائى والايحاء اليه ومتابعته دون أن يتطرق اليهم ظل من شبهة أو ارتياب .

وامتد النشاط الصهيونى فى هذا الصدد الى المجتمع اليهودى ذاته ، فعملوا على تهيئة المفاهيم اليهودية لتقبل الأفكار والمبادىء البهائية امعانا فى التمويه وافساحا لمطمأن للبهائيين بين صفوف اليهود فى جو من الثقة المتبادلة الوطيدة ، وتغريرا بالبهائيين واغراء لهم للمضى فى دعوتهم بدأب وجلد لتحقيق برامجهما المشتركة بمنجاة من اسباب الخلاف والجدل العقائدى .

فزعم الصهيونيون ان للدعوة البهائية دلائل وارهاصات فى التوراة (٢)

---

(١) عن كتاب « الدرر البهية فى جواب الأسئلة الهندية » تأليف الداعية البهائى الميرزا أبو الفضل محمد بن محمد رضى الجرفادقانى الايرانى المطبوع بالقاهرة سنة ١٣١٨ هـ — من صفحة ٢١٦ الى ٢١٩ والمقصود بالرب الجليل والرب المختار فى هذا التفسير هو بهاء الله نفسه اذ يزعم أن الله سبحانه وتعالى قد تجلى فى شخصه ، كما أن المقصود بالساعة والقيامة ظهوره وقيامه بالدعوة — أما جبل فاران فهو من جبال مكة بشبه الجزيرة العربية .

(٢) راجع كتاب محاضرات فى الاسلام تأليف المستشرق المجرى اجنتس جولدتسيهر المترجم للعربية بعنوان «العقيدة والشريعة فى الاسلام» .

وخاصة فيما تضمنته رؤى النبى دانيـال فى الاصحاح الثـامن من السـفر الموسوم باسمه ، والنبوءات التى وردت فى الاصحاح التاسع من سفر اشعياء .

وتناولوا بالتأويل ما جاء بالأسفار من رؤى ونبوءات تأويلا يطابق المبادىء البهائية خاصة مايتصل منها بالمهدى المنتظر وعودة اليهود بزعامته الى أرض المعاد ، وايد هذه المزاعم لديهم ان مدينة عكا ــ مقر البهائية حيث وضع بهاء الله أصول دعوته وتوفى بها ــ جزء من منطقة فلسطين أرض المعاد حيث يوجـد جبل صهيون مقر يهوه اله اليهود ومبعث المسيح المنتظر الذى تبشر التوراة بظهوره .

ولايعزب عن البال أن الصهيونيين لم يقصدوا من هـذه المقابلة بين الديانتين اليهودية والبهائية ــ سوى التغرير بالبهائيين واستدراجهم وبث الطمانينة والثقة فى نفوسهم ليكرسوا جهـودهم فى سـبيل عودة اليهـود الى أرض المعاد ، والايعاز الى اليهود بتأييد ذلك المهدى البهائى او المسيح المزعوم ليمهد لهم طريق الخلاص والعودة الى وطنهم الروحى المنشود ، وهـو غاية مايأملون ، دون أن يعنيهم من أمر هذا المسيح أن يكون بهائيا دعيا ، فحسبهم ما يحققون على يديه من منى ووعود .

ولم يتقاعس البهائيون عن نجدة حلفائهم الصهاينة والوقوف الى جانبهم يناصرونهم عند الحاجة الى النصرة .

فحين نشب الخلاف بين الخليفة العثمانى وبين اليهود اثر رفضه اقامتهم فى فلسطين كوطن قومى يجمع أيدهم وشـملهم ــ ندد عبـاس عبـد البهـاء بالسياسة العثمانية ، وأضاف الى كتـاب البهـائيين المقـدس ــ المعروف بالأقدس ــ سورة جديدة وضعها باسم «سورة الملوك» ــ يحمل فيهـا على الحكم التركى وينعى على الحكومة العثمانية تمييزها فى المعاملة بين رعاياها المسلمين واليهود وايثار المسلمين بحقوق ومزايا لم تتح لليهود .

وبالمثل فقد خف الصهيونيون لنجدة البهـائيين ابان الحـرب العالمية الأولى وأنقذوهم من الصلب ، ذلك أن جمال باشـا قائد الجيش العثمانى فى منطقة جبل الكرمل بالشام ، حين استشـعر خيـانة البهائيين وتآمرهم على دولة الخـلافة ، اشـار على الخليفـة بالتخلص منهم ، فأمر بصلب زعيمهم عبد البهاء وأتباعه ــ فلم يأل الصهيونيون جهدا لانقاذ حياة حلفائهم وأعملوا نفوذهم لدى الحكومة البريطانية ووسـطوا اللورد بلفـور وزير الخارجيـة البريطانية اليهودى ــ وصـاحب الوعد المشـهور ــ فأوعز الى اللورد اللنبى قائد الجيش البريطانى بفتح مدينة حيفا وانقاذ حياة البهائيين فيها ــ وقد تم ذلك بالفعل .

وعرفانا من البهائيين بهذا الصنيع الجليل ، فقد سجله ولى أمر الله شوقى افندى ربانى خليفة عبد البهاء فى الجزء الثالث من كتابه «النظام البديع لدورة بهاء الله » .

***

هذا ، ولم يتراخ التحالف بين الصهيونية والبهائية بقيام دولة اسرائيل فى ارض المعاد ، فما زالت الأسـباب التى دعت الى هـذا التحـالف قائمـة

نشيطة . اذ ما برحت البهائية فى حاجة ماسة الى الأموال اليهودية والنفوذ الصهيونى ، وما انفك الصهيونيون دائبين على محاربة الاسلام لم ينالوا منه ولا يريمون عنه ، وما فتئوا فى حاجة الى توطيـد مركزهم وتحقيق أهدافهم العنصرية فى المجتمع الدولى وفى المشرق العربى خاصة حيث التطاحن قائم على أشده ، ثم ان تخوم اسرائيل تضم مدينة عكا مثوى بهاء الله وكعبة البهائيين ومهوى افئدتهم يحجون اليها من كل صوب وحدب وتنزل فى رحابها جالية منهم تيمنا وتبركا .

والواقع أن قيام دولة اسرائيـل قد نم عن مدى العـلاقة الوثيقة بين البهائية والصهيونية ، فما كاد يعلن قيامهـا حتى بادرت باعترافهـا بالدين البهائى والمحافل البهائية . كمـا استقبل البهـائيون قيامها بترحيب عظيم وابتهاج بالغ . وباركها ولى أمر الله شوقى افندى ربانى القائم بالدعوة البهائية بعد وفاة عباس عبد البهاء ، وأشاد بهذا الحديث العظيم) فى كتابه «التوقيعات المباركة » منوها بتحقيق الوعد الالهى الذى بشر به بهاء الله ، بعودة فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وبتوطيد العلاقات الودية بين الدولة الجديدة وبين المركز العالمى للمحافل البهائية . وباعترافها بالدين البهائى .

وقد توالت بعد ذلك مظاهر التضـامن والتكافل بين البهائيـة والدولة الاسرائيلية .

فاصدر المحفل البهائى الأكبر أوامره الى المحـافل البهـائية فى أقطار العالم بانشاء فروع لها فى اسرائيل . كما حفلت « مجلة الأخبـار الآمرية » ــ لسان المحفل البهائى العالمى ــ باخبار الوفاق البهائى الصـهيونى (١) ــ ونوهت فى عددها الخامس الصادر سنة ١٩٥١ باهتمام الصحف الاسرائيلية جميعها بنشر خبر انعقاد الجمعية البهائية ، وعناية الحكومة باعلانه من محطة اذاعة تل ابيب عدة مرات مع تقديم التهانى الى البهائيين لمناسـبة عيـدى « نوروز » و « رضوان » .

ومن ناحية أخرى فقد استغل الصهيونيون جنوح العقيدة البهائيـة الى المسالمة ودعوتها لنبذ الحروب والتنديد بها ــ فى حمل المؤمنين بها على عدم التعاون مع العرب ابان اندلاع القتال بينهم وبين اسرائيل والايعاز الى البهائيين العرب بالتخلف عن قتال اليهود ، ولو أن اليهود هم المعتدون واخوانهم العرب معتدى عليهم .

وتسجل مجلة الأخبار الآمرية فى عددها العـاشر الصـادر فى عام ١٩٦١ أسرار التحالف البهائى الصهيونى وكنه العلاقة بين البهائيين ودولة اسرائيـل ــ حيث تقول :

« ان مستقبلنا ودولة اسرائيل كحلقات السلاسل متصل بعضها ببعض ، ولم تقصر اسرائيل فى الوفاء بحق حليفها : انقذته من سيف الجلاد ، وأيدت

---

(١) نشرت جريدة الاهرام مقالين للدكتورة عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطىء ) الاول بتاريخ ١٩٧٣/٨/٣ بعنوان قراءة فى تاريخنا : والثانى بتاريخ ١٩٧٣/٩/١٤ بعنوان حليف الشيطان فى وثائق التاريخ ، ــ وقد تضمنا مقتطفات من المجلة الرسمية للبهائيين «الاخبار الآمرية»

دعوة رسلها ببشريات من أسفار العهد القديم ، واعترفت بأصالة واستقلال هذه العقيدة الالهية ، واقرت بها لتسجيل عقد الزواج البهائى، والغت جميع الأوقاف الاسلامية فى مروج عكا وجبل الكرمل لبناء المقـام الأعلى ، واقرت بصورة رسمية الايام التسعة المباركة لمعتنقى الشرع البهائى القدير المنير» .

* * *

وهكذا كان كل من البهائية والصهيونية ذريعة للاخرى وركيزة لهـا ، وراحت كل منهما تصانع حليفتها وتلتمس الاسانيد لمظاهرتها نفـاقا ودهانا ودهاء ، لا عن اقتناع وايمان ، وانما ابتغاء الافادة وتحقيق ماتنشد لنفسها من نفع فحسب .

ولعمـر الحق ، كيف يعمر هـــذا التحالف ويزدهر بين الطائفتين ، ويستقيم التوافق الفكرى والروحى بين الدين اليهودى والنحلة البهائية مـع ما يقول به البهائيون من أن داعيتهم بهاء الله هو مظهر الله سبحانه ، وان الله قد تجلى فى شخصه فهـو الله بذاته . وان دينهم قد نســخ كل دين ســواه واليهودية بالضرورة .

وكيف يقبل الصهيونيون منهم هذه المقالة التى تتطاول على الذات الالهية وتدمغ دينهم بانعدام الشرعية وافتقاد الصلاحية ، دون أن ينتهى بهم التسليم بها الى اعتناق النحلة البهائية بحذافرها ، مادام فى نصوص التوراة مايؤيدها ويشهد بصحتها كما يزعمون ، وخاصة فيما تبشرهم به من الخلاص من ضيعة الشتات والعودة الى أرض المعـاد ، وهـو صفوة ما يصبون اليــه من آمال وخلاصة ما تعدهم به التوراة .

لا جرم أن ذلك كله من شأنه أن يكشف عن زيف ما يوشج بينهما من علائق ، وأصالة ماتقوم عليه من نفاق وتغرير وابتزاز مادى وأدبى .

## جمعية شهود يهوه

ليس يعنى تقنين المناهضة اليهودية للعقائد والأديان فى بروتوكولات حكماء صهيون ابتداء أن مناشط الصهيونيين قد اغفلتها من قبل تعففا او تجاهلا . فان تعاليم التلمود - كتابهم الأقدس - مافتئت تحض عليها وتغريهم بمنافحة سائر الأديان والعمل على بلبلة العقائد وفتنة العقول وزعزعة الايمان، استعلاء بدينهم وتمكينا له وحده ، ثم وادا للوجدان الدينى والطمأنينة الروحية لدى سائر الشعوب الأخرى - وهى الدرع الذى يعصمها من مهاوى الانحلال ويرتفع بروحها المعنوية فلا يتخرمها الزيغ والفتنة .

ولقد كانت الحرية الفكرية التى توفر الكتاب للدعوة لها فى القرن التاسع عشر أكبر معوان للدعاة المبادىء الصهيونية ، فمارسوا نشاطهم العقائدى المريب بجهود مبعثرة غير نظيمة ، ومنذ ان أضحت أمريكا ملاذهم الذى اهرعت اليه أوزاعهم فرارا من موجات الاضطهاد التى دهمتهم فى أوربا وفى روسيا خاصة ، فقد كانت - فى عزلتهم عن العالم القديم الذى ضاقت بهم مناكبه - أرحب صدرا بنشاطهم العقائدى الختال ، يمارسونه بنجوة من العيون والارصاد فى ظلال الحرية الفكرية الوريفة .

وهكذا اتيحت الفرصة لغلاة اليهود لاجماع كيدهم وتركيز دعوتهم فى مهجرهم بالدنيا الجديدة فى مامن وعلى هينة وطمأنينة ، فأسسوا فى عام ١٨٨١ م فى مدينة بروكلين بالولايات المتحدة الإمريكية « جمعية برج المراقبة والتوراة والكراريس» Watch Tower Bible and Tract Society وما لبث نشاطها ان امتد الى أقطار كثيرة من العالم تشجعها وتزكيها بروتوكولات حكماء صهيون ، وقد عرف أنصار هذه الجمعية ابتداء باسم « الرسليين » نسبة الى منشئها الاول تشارلس تيز رسل ، ثم أطلقوا على انفسهم منذ عام ١٩٣١ اسم شهود يهوه نسبة الى يهوه اله بنى اسرائيل على ما تردد التوراة .

ولقد حملت هذه المنظمة على المسيحية والاسلام حملة شعواء مسعورة ، فعرضت بأصولهما تعريضا منكرا تحاول به تقويضهما وتضليل معتنقيهما ، حتى اذا ما مرقوا من عقائدهم وتحللوا من ايمانهم وزاغوا فى متاهات الالحاد نفثت فى أخلادهم مبادئها اليهودية الصهيونية ، وهى تنكر ماعدا اليهودية من الأديان وتصمها فى كتابها « الحق يحرركم » بأنها فخ مميت وأنها تعنى الذل واللصوصية .

واذ كان مناط دعوة شهود يهوه تأويل التوراة والانجيل تأويلا ملتويا مغرضا ، فقد كان للدين المسيحى النصيب الأوفى من جهودها الالحادية بالنظر الى اعتماده أصالة على نصوص العهد القديم والعهد الجديد المتداولة حاليا .

وتستهدف جماعة شهود يهوه ذات الأغراض التى تنطوى عليها السياسة الصهيونية بما فيها من نكر واهدار للقيم الفاضلة .

فتدعو تعاليمهم الى اشاعة الفوضى الخلقية ، والتحلل من جميع الفضائل الانسانية التى حثت عليها التعاليم الدينية ، فقد جاء فى صفحة ٢١٨ من كتابهم « ليكن الله صادقا » ان الله قد أبطل وصاياه العشر التى أنزلها على سيدنا موسى ورفع أحكامها عن البشر منذ وفاة السيد المسيح .

كما انهم يزعمون أن لا عقاب فى الآخرة على ما يجترح الانسان من المعاصى ، فان الخطاة فى الحياة الدنيا سوف تترك لهم فرصة التوبة بعد بعثهم فى الآخرة ، فمن لم يتب منهم قضى عليه بالفناء الأبدى فحسب دون حساب أو عقاب .

كما انهم يروجون لفكرة الدولة اليهودية الكبرى ، ويحاولون ربطها بالوعود التى رددتها التوراة وتوطئة أذهان المسيحيين لتقبلها وتأييدها ، ولهم فى ذلك رأى غريب ، فقد زعم رئيسهم جوزيف ريذرفورد (١) فى صفحة ١٧٥ من كتابه « الخلاص » ان الله سبحانه لما غضب على اليهود لعصيانهم أسقط حكمهم منذ عام ٦٠٦ قبل الميلاد ، وقضى بأن يؤول حكم العالم منذ حينذاك الى الشيطان وحلفائه فمنه استمدت حكومات العالم سياستها وسلطاتها حتى عام ١٩١٤ حيث تاب الله على اليهود وزال عنهم غضبه ، وأصبح من حقهم العودة الى فلسطين لاقامة حكومة الله اليهودية تمهيدا لمجىء المسيح المنتظر فى شخص سيدنا ابراهيم وبرفقته طائفة من أنبياء بنى اسرائيل حيث يتولى حكم العالم .

وامعانا من جوزيف ريذرفورد فى زعمه ، فقد أعد فعلا مقرا لسيدنا ابراهيم ورفقته فى مدينة سانتياجو بولاية كاليفورنيا أطلق عليه اسم بيت الصديقين .

ولقد كان نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ من علامات بعث المسيح المرتقب فيما تزعم جماعة شهود يهوه ، ومن ثم أذاعت على انصارها أن الله قد تاب على اليهود ورفع عنهم نقمته ، وأنه حقق وعده فبعث فيهم المسيح المنتظر الذى هبط الى الدنيا بطريقة خفية فاستوى على عرشه ، واتخذ من أعضاء جمعية شهود يهوه شعبه المختار الذى سوف يمتلك أقطار الدنيا تحت امرته .

وكان نشوب هذه الحرب فرصتهم المواتية لتأسيس عرشهم العالمى على انقاض العالم الذى طحنته رحى الحرب ، وقد أعربوا عن هذه الأحلام الصهيونية فى كتاب « الحياة » ـ أحد كتبهم العقائدية ـ حيث قالوا : « ان أزمنة الأمم قد انتهت عام ١٩١٤ وأصبح اليهود أصحاب السلطة التى تدير العالم » .

---

(١) جوزيف يذرفورد قاض أمريكى اشترك فى عضوية المؤتمر الصهيونى وقد خلف تشارلس تيز رسل فى رئاسة جماعة شهود يهوه .

وقد عللوا هذا الزعم بان مآل هذه الحرب القضاء على دعاتها وعلى نزعة الشر والقتال التى تكمن فى النفوس . ثم سيادة الوئام والسلام اقطار العالم سلاما سرمديا ــ ينعم فى غضونه شهود يهوه ــ أعضاء الجمعية ــ وحدهم بالملك الالهى الدائم ، مخلدين فى نعيم مقيم فى أورشليم وأرض الميعاد حيث جنة الخلد التى وعد الله بها الأتقياء من اليهود وهم شهود يهوه ــ شعب الله المختار ــ فهم وحدهم الذين يعمرون الأرض اخيرا ، اما من عداهم ممن كفر بدعوتهم فليس له الا حياته الدنيا التى تنتهى بموته السرمدي ، فلا بعث ولا نشور من بعد الموت ، ومن ثم لا حساب حينذاك ولا ثواب ولا عقاب .

وهم يستخلصون فكرة الملك السلمى الدائم مما جاء فى نبؤة اشعيا فى الاصحاح الثانى من سفره من رقم ٢ الى ٤ حيث يقول :

« ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى اليه كل الامم ، وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد الى جبل الرب الى بيت اله يعقوب ، فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لانه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب . فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل ، لاترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد » .

ومن عجب أن الواقع المشهود لايتفق مع مايذهب اليه شهود يهوه ، فلقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن حقد كظيم وسلام مشوب بالقلق والاضطراب ونوازع مستشرية الخطر افضت بالعالم كرة أخرى الى حرب عالمية ضروس التهمت الحرث والنسل . وحتى بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، فما انفك الانسان ضاريا بلغ فى الدماء غارقا فى الشر يزاول القتال والحرب فلا يخبو أوارها فى مناكب الأرض .

ثم ما بال المسيح المنتظر الذى زعمت جماعة شهود يهوه انه قد بعث فعلا ــ قد انقطعت أخباره منذ الزعم بظهوره خفية !!

أفقد آثر العزلة والاختفاء تقاعسا عن اداء رسالته الربانية وممارسة مهامه الدينية والدنيوية ؟ أم انه الفى الجو غير مهيأ لبعثه وأعضله التوفر على رسالته . فما انفك غضب الله محيقا باليهود وما فتئوا فى غيهم سادرين، حتى اذا غلبه اليأس بادر بالنكوص على عقبيه وآثر أن يعود ادراجه من حيث أتى ؟

أم انه لزم مخبأه ضاربا من حوله نطاقا من السرية المحكمة اتقاء لسوء قد يعرض له ، مع انه مفروض علمه بأن الله مسبغ عليه أمنه وكافل له سلامته حتى يؤدى رسالته السماوية ، ومع ما فى اختفائه من تخلف لخلة الشجاعة التى ينبغى توافرها فى المبعوثين الربانيين ؟

ذلك بالاضافة الى أن نصوص التوراة تؤكد ظهوره علانية على رؤوس الاشهاد ، حتى يبث فيهم دعوته ويلتف حوله المؤمنون من اليهود ومن ثم يؤمهم الى ارض الميعاد على ملأ من العالم اجمع .

ولئن تظاهرت جمعية شهود يهوه باستقلال فكرتها ونشاطها بحسبانها منظمة دينية تدعو لمذهب دينى يعتمد على تفسير التوراة والانجيل وتأويل

نصوصهما تأويلا يستظهر المعانى التى تؤمن بها وتدعو لها ، فان الشواهد الجازمة تؤكد صلتها الوثيقة بالصهيونية العالمية وأنها تعمل لحسابها ، فكلاهما يروج لمبادىء مشتركة ويمهد لأهداف استعمارية عنصرية مناطها تحقيق نبوءات التوراة بعودة اليهود الى أرض الميعاد ، ثم التمهيد للملك اليهودي العالمى بتقويض المجتمع الانسانى كافة وبث عوامل الانحلال فى أوصاله .

وكتاب « الحق يحرركم » الذى أصدرته جماعة شهود يهوه دستورا لمبادئها شاهد عدل يفضح عنصريتها اليهودية وأهدافها الصهيونية التى تحاول اخفاءها ، اذ يبرر عودة اليهود الى فلسطين بأنها تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس ، ومن ثم كان واجبا على المسيحى أن يهتم باعادتهم الى أرضهم (١) .

ثم ان جمعية شهود يهوه لم يسعها اخفاء عنصريتها الصارخة ومبادئها اليهودية الأصيلة ؛ فهى تدعو الى تبرئة اليهود من صلب المسيح وتنوه بجهود الزعماء الصهيونيين وتؤيد أفكارهم وتمجد جهودهم فيما يتوفرون عليه من مبادىء هدامة وآمال جانحة ، كما تشيد بجهود تيودور هرتزل الى درجة التقديس حيث تزعم انه مبعوث الهى أرسله الله ليؤسس الصهيونية (٢)ويصفه ريذرفورد فى كتابه « ملايين من الأحياء اليوم لن يموتوا أبدا » المطبوع فى بروكلين سنة ١٩٢٠ بأنه المبارك من الله والمرسل من الله — كما ثبت أن الجاليات اليهودية والمحافل الماسونية المنبثة فى انحاء العالم من أهم مصادر تمويل جمعية شهود يهوه وامدادها بالعون المادى .

على أن خطورة جمعية شهود يهوه تكمن بصفة خاصة فيما تدعو له من اشاعة الفوضى العالمية الغامرة بتحريض الشعوب على التمرد على حكوماتها وشق عصا الطاعة عليها .

ذلك انها فى سبيل أهدافها الاستعمارية الصهيونية العالمية — لا تعترف بالحكومات القائمة وتدعو صراحة الى مقاطعتها وانكار كل مالها من حقوق وسلطات ، فتحض أنصارها على العصيان المدنى بمقاطعة أجهزة الحكم والامتناع عن تولى مناصب الدولة أو الاشتراك فى مجالسها النيابية أو الانخراط فى قواتها المسلحة أو أداء الضرائب المفروضة ، وبالاجمال مقاطعة جميع المناشط الرسمية فى الدولة ومظاهرها ومراسمها وأعيادها .

وهم يبررون اصطناع ذلك الموقف السلبى الجرىء — على ما جاء فى كتابهم الأخضر « ليكن الله صادقا » — بأنهم سفراء الله فى ملكوته المقدس ، ومن ثم فهم يتمتعون بحصانة تعفيهم من الخضوع للحكومات المدنية أيا كانت مقوماتها ، وترفع عنهم تكاليفها لأنهم لا يخضعون الا للحكومة الالهية المقدسة التى بشرت بها التوراة والتى يتولاها المسيح المنتظر مبعوث العناية الالهية .

ومن مدينة بروكلين بالولايات المتحدة الامريكية انتشرت فى انحاء العالم فروع « جمعية برج المراقبة والتوراة والكراريس » ( شهود يهوه ) تحيك أحابيلها وتنفث سمومها وتعمل على التغرير بالناس وفتنتهم عن عقائدهم وتلقينهم مبادىء الشك والالحاد .

---

(١) الترجمة العربية لكتاب « الحق يحرركم » الصفحات من ١٤٣ الى ١٨٨ .

(٢) كتاب « حياة » تأليف جيمس ريذرفورد صفحة ١٨١ .

وقد أنشأت لها فى مصر عدة فروع تتألف من تشكيلات على هيئه جماعات سرية يرأس كلا منهسا « خادم الجمساعة » ، وهم لا يلتزمون فى اجتماعاتهم مكانا معينا أو مواعيد محددة ، وانما تتم هذه الاجتماعات فى منازل الأعضاء وفى الموعد الذى يتفقون عليه فى كل اجتماع .

وتنتظم عضوية جمعية شهود يهوه ثلاث مراتب ، يضم أعلاها « أعضاء الرجاء السماوى » وهم أعضاء الادارة العليا ويرأسهم « العبد الفطين أو الحكيم » ويعرف مقره « ببيت ايل » اى بيت الله ـ وتضم المرتبة الثانية « صف جلعاد » أو « الرجاء الأرضى » ويشمل من الأعضاء الرواد والمعاونين ونظار المناطق ، وهؤلاء هم أعضاء الادارة التنفيذية ـ ثم ينتهى هذا التنظيم بمرتبة المبشرين ويعرف أعضاؤها بالخدم ومنهم « خادم من الباب للباب » ويعرف «بالناشر» ، كما تضم هذه المرتبة «الشهود» وهم الأعضاء المكلفون بتوزيع مطبوعات الجمعية ورسائلها .

وتمارس هذه الفروع نشاطها فى خدمة الدعوة والترويج لمبادئها متأسية بتوجيهات المركز الامريكى الرئيسى ، ناسجة على منواله محتذية تعليماته مستعينة بشتى المغريات الخالية لاجتذاب انصار لها بالرشا والمخادعة والتغرير والتضليل .

وقد فطنت وزارة الشئون الاجتماعية فى مصر الى خطورة هذه الجمعية وتطاولها على الاديان واجترائها على السلطات العامة ، بتحريف النصوص المقدسة بغية الانحراف بالقيم والعقائد الدينية وتوهين علاقة الفرد بالدولة ، فأصدرت القرار الوزارى رقم ١٥٥ بتاريخ ٢ يونية ١٩٦٠ قاضيا بحلها ومصادرة أموالها قطعا لدابرها وتحريما لنشاطها وتجريما لدعوتها .



## المبحث الثانى

# مقومات الصهيونية الدينية

- الباب الأول : النصوص المقدسة
- الباب الثانى : تقييم النصوص المقدسة
- الباب الثالث : تقييم الوعود المقدسة
- الباب الرابع : المناسك اليهودية فى فلسطين



# الباب الأول

# النصوص المقدسة

## الفصل الأول

## وعود التوراة

### تمهيـــد

ليست التوراة شريعة اليهود المقدسة فحسب ، بل انها كذلك سجل تاريخى حافل لنشاطهم الاجتماعى والسياسى فى عصورهم الباكرة .

وتسجل ما بين أيدينا من نصوص التوراة رسالات أنبياء اليهود ، وما صادفوا من جحود ونكران وما اجترحوا هم احيانا كثيرة من موبقات وكبائر تلصقها بهم التوراة دون موارية ، ثم ماتردى فيه اليهود بعامة من مخاز وكفران وفجور وما حل بهم من مآس وهوان على مدى التاريخ ، ثم تبذل لهم التوراة الوعود والأمانى تأسية لهم عما يرزحون من دونه ويعانون منه ، ترددها فى سرف بالغ تارة بملك فلسطين وماتاخمها من أقطار ، وتارة أخرى بملك العالم بأسره ملكا أبديا باعتبارهم شعب الله الذى أختاره من داون العالمين واستخلفه فى الأرض واصطفاه للسيادة والحكم فى جماع مناكبها . كما حفلت التوراة بالشعائر والطقوس الدينية التى يلتزم بها اليهود وشددت فى وجوب إختتان الذكور وتقديم الذبائح قربانا لله ، حتى غدا الختان علامة عهد بين الله وبين اليهود (١) كما أصبح الدم المراق من شعائرهم المقدسة .

وبالنظر الى ما حوت التوراة من تعاليم وسير وطقوس ووعود ربانية تجانب المنطق ويشق على العقل استساغتها فى صورتها البادية للفهم ، وصيغتها التعبيرية الساذجة ، نثرا تارة وشعرا تارة أخرى ، والتى تتنزه الذات الالهية عما قد يتخللها من تجسيد لذاتها ولصفاتها ومايعروها من هجر ولغو ، فقد انقسم اليهود فى صددها الى شعبتين رئيسيتين :

شعبة تلتزم بالنصوص المقدسة لاتحيد عن معناها الظاهر ، فتتقبل النصوص بمعانيها المادية الظاهرة ثم تشرحها فى نطاق المعنى المادى بمقاييس المادة والمنطق الحسى وبما يؤيد هذا المعنى المادى أيضا .

---

(١) وذلك مصداق لما جاء فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين رقم ١٠ و ١١ « هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك ( يقصــد نسل ابراهيم ) من بعدك : يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم» .

ثم شعبة تجيز تأويل النصوص تأويلا معنويا يوائم بين المعقول والمنقول ويوفق بينها وبين مقررات العلم والواقع ، فتحمل النصوص على مداولات رمزية ومعان باطنة تستظهرها عن طريق التأويل المجازى والشروح التى تغلب عليها السمة الروحانية .

ولقد ايد هذا النظر كثير من فلاسفة اليهود الذين تأثروا بالنظريات الفلسفية الاغريقية والاسلامية ، وحاولوا عن طريقها التوفيق بين المعتقدات الدينية وبين المفاهيم العقلية ومقتضيات العلم والمنطق .

## أ ـ امتلاك فلسطين والاقطار المتاخمة

### ١ ـ فلسطين أرض الميعاد (١) :

يعتقداليهود ان ملك فلسطين حق مشروع لهم ، حيث وعد الله به ـ تارة ـ ذرية سيدنا ابراهيم عليه السلام ـ طورا مشافهة فى اليقظة ـ كما ورد فى الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين من رقم ٥ الى ٧ :

« فاخذ ابرام ساراى امراته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا الى حاران ، وخرجوا ليذهبوا الى ارض كنعان ، فأتوا الى أرض كنعان ، واجتاز ابرام فى الارض الى مكان شكيم الى بلوطة مورة ، وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض ، وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض ، فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له » .

وطورا آخر كان يوحى بهذا الوعد فى الرؤيا مناما ، كما ورد فى التوراة فى الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين من رقم ١٨ الى ٢١ :

« فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات ، القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » .

وقد أختص الله بوعده ذاك ـ تارة أخرى ـ سيدنا ابراهيم نفسه ثم ذريته من بعده ، طورا شفاها فى اليقظة جهرة كما ورد فى الاصحاح الثالث عشر من سفر التكوين من رقم ١٤ الى ١٧ حينما كان سيدنا ابراهيم فى أرض كنعان :

« وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لان جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الأبد ، واجعل نسلك كتراب الارض حتى اذا استطاع احد أن يعد تراب الارض فنسلك ايضا يعد ، ثم امش فى الارض طولها وعرضها لأنى لك أعطيها » .

---

(١) الميعاد أى الوعد والمواعدة : من الفعل وعد يعد ، وهو كذلك وقت الوعد وموضعه ـ ويقصد بالميعاد الوعد الالهى بملك فلسطين .

وقد تكرر هذا المعنى فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين من رقم ١ الى رقم ٧ حيث جاء به :

« ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا ، فاجعل عهدى بينى وبينك واكثرك كثيرا جدا ، فسقط ابرام على وجهه وتكلم الله معه قائلا : اما أنا فهو ذا عهدى معك اجعلك أبا لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيرا جدا واجعلك امما ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى اجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنسلك من بعدك ، واعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كلّ أرض كنعان ملكا أبديا واكون الههم » .

وطورا آخر كان وعد الله لسيدنا ابراهيم فى الرؤيا كما ورد فى الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين برقم ١ و ٧ :

« بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى ابرام فى الرؤيا قائلا » ... الى ان يقول :

« وقال له أنا الرب الذى أخرجك من اور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها » .

ثم وجه هذا الوعد — ولما يتحقق بعد — الى اسحق بن ابراهيم — عليهما السلام — فى الاصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين من رقم ١ — ٣ :

« وكان فى الأرض جوع غير الجوع الاول الذى كان فى أيام ابراهيم ، فذهب اسحق الى ابيمالك ملك الفلسطينيين الى جرار ، وظهر له الرب وقال لاتنزل الى مصر اسكن فى الارض التى أقول لك تغرب فى هذه الارض ، فأكون معك وأباركك لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد ، وافى بالقسم الذى اقسمت لابراهيم أبيك » .

ومفهوم هذا النص ان الله قد اختص سيدنا اسحق ونسله بجماع ما وعد به سيدنا ابراهيم ونسله ، فيما خلا مصر التى أمره بعدم النزول فيها والتى كان ينبغى ان تؤول — بناء على هذا — الى سيدنا اسماعيل ، لولا ان الله قد استثناه من ذرية ابراهيم فيما وعدها به حيث يقول فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين من رقم ١٨ الى ٢٢ :

« وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش امامك . فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق ، واقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا اباركه واثمره واكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة . ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية . فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن ابراهيم » .

ثم وجه هذا الوعد مرة اخرى — الى يعقوب ثم اسحق عليهما السلام فى صورة حلم تراءى ليعقوب وهو نائم فى أرض حاران — وبذلك ينص الاصحاح الثامن والعشرون من سفر التكوين من رقم ١٠ — ١٣ :

« فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران . وصادف مكانا وبات

هناك لأن الشمس كانت قد غابت ، واخـذ من حجارة المكان ووضعه تحت راسه فاضطجع فى ذلك المكان . ورأى حلما واذا سـلم منصـوبة على الأرض وراسها يمس السماء ، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقف عليها ، فقال انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق . والارض التى انت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك » .

وورد ذكر تمليك أرض كنعان لسيدنا موسى واخيه هارون فى الاصحاح الرابع عشر من سفر اللاويين برقم ٣٣ ، ٣٤ حيث يقول « وكلم الرب موسى وهارون قائلا متى جئتم الى أرض كنعان التى أعطيكم ملكا وجعلت ضربة برص فى بيت فى أرض ملككم » .

وبعد وفاة موسى وجه الله وعده الى خليفته يشوع بن نون ولكن فى صورة اكثر افاضة حيث يقول فى الاصحاح الاول من سفر يشوع برقم ٢ الى ٤ :

« موسى عبدى قد مات فالآن قم اعبر هذا الاردن انت وكل هذا الشعب الى الأرض التى أنا معطيها اهم اى لبنى اسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم اعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخومكم » .

واخيرا وجه الوعد الالهى الى داود ونسله على لسان ناثان النبى حيث جاء فى سفر صموئيل الثانى فى الاصحاح السابع من رقم ٤ الى رقم ٦ :

« وفى تلك الليلة كان كلام الرب الى ناثان قائلا . اذهب وقل لعبدى داود هكذا قال الرب انت تبنى لى بيتا لسكناى . لانى لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى اسرائيل من مصر الى هذا اليوم بل كنت أسير فى خيمة وفى مسكن » ..

الى أن يقول فى رقم ١٢ الى رقم ١٦ من ذلك الاصحاح :

« متى كملت ايامك فاضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من احشائك واثبت مملكة هو يبنى بيتا لاسمى وأنا اثبت كرسى مملكته الى الأبد ، أنا اكون له ابا وهو يكون لى ابنا ، ان تعـوج أؤدبه بقضيب النـاس وبضربات بنى آدم ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذى ازلته من امامك ويأمن بيتك ومملكتك الى الابد امامك ، كرسيك يكون ثابتا الى الأبد» .

ولقد تكرر ذكر الوعد الالهى ) اسفار شتى خصـوصا فى سـفر التثنية كما رددته المزامير فى أكثر من موضع ، ومن ذلك ما ورد فى المزمور التاسـع والستين ( لامام المغنين (١) على السوسن ــ لداود ) حيث يقول : «لأن الله يخلص صهيون ويبنى مدن يهوذا فيسكنون هناك ويرثونها ونسـل عبيده يملكونها ومحبو اسمه يسكنون فيها» .

وهكذا تكررت الوعود الالهية بملك اليهـود لفلسـطين وكأنمـا وجهت

---

(١) امام المغنين هو أساف فى عهد داود .

متتالية ــ دون فاعلية او اثر ــ لمجرد التشويق والاثارة لا للاعمال والتنفيذ فهى توجه لهذا تارة ولآخر تارة اخرى من غير ان تتحقق لا لهذا ولا لذاك .

## ٢ ــ فكرة المسيح المنتظر

الاعتقاد السائد لدى جمهور اليهود ان فلسطين هى أرض المعاد (١) التى اليها مرجعهم ومعادهم من فجاج الارض ، وان هذه العودة سوف تتم على يدى ( المسيح ) المنتظر (٢) ــ ويقصد بكلمة ( مسيح ) المنقذ أو المخلص ــ اذ سوف يبعثه الله من صهيون من نسل داود لينقذهم من المحن والشدائد التى يعانونها ، ويخلصهم مما كتب عليهم من التشريد والهوان جزاء عصيانهم اوامر الله ومروقهم عن طاعة انبيائه وامعانهم فى الآثام والموبقات ، وينتقم لهم من جميع الشعوب ويفرض عليها سلطان اليهود .

وثم أسطورة تضمنتها التوراة فى الاصحاح الثانى من سفر الملوك الثانى تزعم أنه ظهر فى مملكة اسرائيل فى عهد الملك اخاب بن عمرى نبى يدعى ايليا التشبى يدعو الى تطهير البلاد من أدران الوثنية والمفاسد الخلقية التى تردى فيها المجتمع الاسرائيلى الا أن دعوته صادفت ازورارا وانكارا فصعد الى السماء فى غمار عاصفة عاتية مستقلا مركبة من نار تجرها خيل من نار كذلك .
ويعيش اليهود على أمل هبوط النبى ايليا من السماء بشيرا بمقدم المسيح المنتظر هاديا ومخلصا .

وسند اليهود فى الامتساك بعقيدة المسيح المنتظر ماحفلت به التوراة خصوصا أسفار أشعيا وحزقيال وهوشع من نبوءات تشير اليها صراحة .

فقد جاء فى الاصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال من رقم ٢١ الى ٢٥ :

« وقل لهم هكذا قال السيد الرب ها أنا ذا آخذ بنى اسرائيل من بين الأمم التى ذهبوا اليها واجمعهم من كل ناحية وآتى بهم الى أرضهم . واصيرهم امة واحدة فى الأرض على جبال اسرائيل وملك واحد يكون ملكا عليهم ولايكونون بعد أمتين ولاينقسمون بعد الى مملكتين ، ولايتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم ولا بشيء من معاصيهم ، بل أخلصهم من كل مساكنهم التى فيها أخطأوا واطهرهم فيكونون لى شعبا وأنا أكون لهم الها . وداود عبدى يكون ملكا عليهم ويكون لجميعهم راع واحد فيسلكون فى أحكامى ويحفظون فرائضى ويعملون بها . ويسكنون فى الأرض التى اعطيت عبدى يعقوب اياها التى سكنها آباؤكم ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم الى الابد ، وعبدى داود رئيس عليهم الى الأبد » .

كما جاء فى الاصحاح الثالث من سفر هوشع برقمى ٣ و ٤ :

« لأن بنى اسرائيل سيقعدون اياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة

---

(١) المعاد أى المرجع والمآب من الفعل عاد يعود ــ اشارة الى عودة اليهود الى فلسطين بعد تشريدهم فى الآفاق

(٢) ويعرف ايضا باسم البارقليط تعريبا للاسم الفرنسى Paraclet

وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم (١) . وبعد ذلك يعود بنو اسرائيل ويطلبون الرب الههم وداود ملكهم ويفزعون الى الرب والى جوده فى آخر الايام » .

وجاء فى الاصحاح الثانى من سفر اشعيا من رقم ٢ الى ٤ :

« ويكون فى آخر الايام ان جبل بيت الرب يكون ثابتا فى راس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى اليه كل الأمم . وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد الى جبل الرب الى بيتاله يعقوب فيعلمنا من طرقه وسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب . فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل لاترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فى ما بعد » .

وفى الاصحاح التاسع والخمسين من سفر اشعيا جاء تحت رقم ٢٠ :

« ويأتى الفادى الى صهيون والى التائبين عن المعصية فى يعقوب يقول الرب» ـ بينما يصفه زكريا النبى فى الاصحاح التاسع من السفر الموسوم باسمه برقم ٩ بقوله « هو ذا ملكك يأتى اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش بن أتان» ويستطرد الاصحاح الثانى والستون من سفر اشعيا فى ذكر المسيح المنتظر بقوله فى رقم ١ الى ٣ : ـ

« من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل اورشليم لااهدأ حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد ، فترى الامم برك وكل الملوك مجدك وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب وتكونين اكليل جمال بيد الرب وتاجا ملكيا بكف الهك » .

وفى الاصحاح الثانى والستين من سفر اشعيا جاء برقم ١٠ و ١١ :

«اعبروا اعبروا بالابواب هيئوا طريق الشعب ، اعدوا أعدوا السبل نقوه من الحجارة وارفعوا الراية للشعب . هو ذا الرب قد اخبر الى أقصى الارض قولوا لابنة صهيون هو ذا مخلصك آت ها أجرته معه وجراؤه أمامه » .

ولقد أفاض سفر اشعيا فى الاصحاحات من ٥٩ الى ٦٦ وسفر ارميا فى الاصحاحين الثلاثين والحادى والثلاثين ـ فى بيان ارهاصات ظهور المسيح وعلامات ظهوره فى صهيون ـ فى عبارات شعرية مسهبة ـ حيث يكون بشيرا برحمة الله وغفرانه وتوبته على بنى اسرائيل .

## ب ـ اخضاع العالم لسلطان اليهود ـ شعب الله المختار

حرص اليهود على اخفاء أطماعهم الاستعمارية الخياليةفى أطواء نفوسهم، وتكتم الاسباب والحوافز التى يعزون اليها حقهم فى حكم العالم وسيادة البشر ، فلايتناجون بها الا فى خاصة مجالسهم ومجتمعاتهم متخافتين ، حتى لايستثيروا السخط العالمى ويواجهوا عداوة الشعوب جميعا .

(١) الترافيم أوثان لمعبودات على هيئة البشر يحتفظ بها الوثنيون فى بيوتهم ويحملونها معهم فى أسفارهم .

ولهذا فقد بادر الصهيونيون الى انكار دستور اليهودية العالمية — بروتوكولات حكماء صهيون — متبرئين منها فور اماطة اللثام عنها ، وحاولوا احراق الطبعات الاولى منها قبل تداولها وذيوعها ، ولكنهم فشلوا ، اذ تكرر طبعها فى أنحاء العالم بشتى اللغات .

غير انه يلاحظ انهم رغم انكارهم لهذه البروتوكولات ، — فانهم — على هداها — قد توفروا على تحقيق أهدافها الجريئة مصابرين مترسمين تعاليمها ومناهجها بدقة واصرار ودأب متصل .

ذلك فضلا عن أن الزعيم الصهيونى الكبير تيودور هرتزل قد صرح فى عدة بيانات أصدرتها اللجنة الصهيونية فى عام ١٩٠١ بأن بعض الوثائق الخطيرة قد سرقت من قدس الاقداس وماكان ينبغى لها أن تنشر قبل الأوان ، مشيرا بذلك الى تلك البروتوكولات دون ريب وكان أمرها قد افتضح للعالم مما ألب الرأى العام العالمى ضد اليهود .

ويستند اليهود فى احقاق سيطرتهم على العالم الى ماجاء فى التوراة من انهم شعب الله المختار الذى فضله على العالمين واستخلفه فى الأرض ، ومن ثم كان من حقه السيطرة على شعوب الأرض والقوامة على حكوماتها .

وهم يستندون كذلك الى ماردده التوراة فى اكثر من موضع من وعود ربانية بانضواء العالم تحت سلطانهم وامتلاكهم لنواصيه ، ومن ذلك ماجاء فى سفر التكوين بالاصحاح الثانى عشر من رقم ١ الى ٣ : «وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك واعظم اسمك ، وتكون بركة . وابارك مباركيك ولاعنك ألعنه ، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» .

وجاء فى الاصحاح الحادى والستين من سفر اشعيا من رقم ٤ الى ٦ «ويبنون الخرب القديمة يقيمون الموحشات الأول ويجددون المدن الخربة موحشات دور فدور ، ويقف الاجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم . اما انتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام الهنا ، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمرون» :

كما جاء فى المزمور الثانى من رقم ٧ الى ٩

«انى أخبر من جهة قضاء الرب قال لى انت ابنى ، انا اليوم ولدتك أسألنى فأعطيك الامم ميراثا لك وأقاصى الارض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد مثل اناء خزاف تكسرهم» .

هذا وقد كان الكاهن عزرا يعتقد أن العالم قد خلق من اجل بنى اسرائيل شعب الله المختار ، وأن مآله الى خضوعه لحكمهم وانضوائه تحت سلطانهم ، وأن بنى اسرائيل يمرون — فى ذلك الوقت من عصر عزرا — بمرحلة تمهيدية ضرورية للوصول بهم الى الملك العالمى الموعود (١) .

---

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية — مادة عزرا

ومن عجب ان هذه المرحلة التمهيدية لم تنته بعد رغم مرور نيف وأربعة وعشرين قرنا من الزمان !

وفضلا عن ذلك الملك المادى الموعود فان اليهود يزعمون أن التوراة تبشرهم بملكوت روحى يهودى ينبسط على شعوب الارض ، وتؤكد ذلك فى الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين برقم ١٨ حيث تقول «وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية وتتبارك به جميع أمم الارض» .

اذ يزعم اليهود ان المقصود ببركة ابراهيم التى يفيض بها على امته رسالة التوحيد التى آمن بها وظل عاكفا على التبشير بها ، والتى آلت أمانتها من بعده الى سيدنا موسى الذى بعثه الله الى بنى اسرائيل مبشرا بالدين اليهودى ختاما للشرائع السماوية فيما يزعمون .

## الفصل الأول

## التعاليم السرية فى التلمود والكبالا

### ١ ـ التلمود

لاتقتصر النصوص الدينية لدى الصهيونيين على أسفار التوراة فحسب ـ فانهم ينتمون بعقيدتهم الى طائفة اليهود الربانيين الذين يؤمنون بالتلمود كتابا مقدسا ، ويعتقدون أنه منزل من عند الله على سيدنا موسى كالتوراة سواء بسواء ، ولايختلف عنها الا فى أنه انزل على سيدنا موسى مشافهة بينما كتبت نصوص التوراة على لوحين حجريين بيد القدرة الالهية ، واكمل سيدنا موسى تدوينها فى كتاب محفوظ .

ولئن نسب كثير من تعاليم التلمود الى حاخامات اليهود المعروفين بالربيين ، فان ذلك مما يؤكد قداستها فى عرفهم ، لان كلام الحاخامات ـ كما يقول التلمود ـ هو كلام الله ولهم عند الله المقام الأسمى حتى انه سبحانه وتعالى يستشيرهم كلما اعضلته مشكلة مستعصية (١) .

ومن ثم وجب التسليم بما حواه التلمود تسليما يرتفع به عن كل لجاج او محاجة ، فأما من تسول له نفسه الارتياب فى أقوال الحاخامات فانه زنديق كافر أثيم .

ومبنى تعاليم التلمود ان بنى اسرائيل صفوة الخلق ، اجتباهم الله واصطفاهم على العالمين ، واستخلفهم فى الارض يتملكونها ويتسيدون أهلها حقا مقضيا ، وأن عليهم اقتضاء هذا الحق اعمالا لتعاليم التلمود واحكامه .

فلقد بشر التلمود اليهود بملك العالم فى قوله «كل مكان تطؤه اقدامكم يكون لكم . كل الأماكن التى تحتلونها فانها لكم فأنتم سترثون الجوييم (أى الكفرة الانجاس غير اليهود) المستكبرين فى الارض ، وبعد ذلك كل مكان بعد أرض اسرائيل التى يجب ان لاتكون نجسة تحت أقدام الجوييم ، انكم بعد أن تحتلوا أرض اسرائيل يحق لكم ان تحتلوا غيرها» .

---

(١) كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود تاليف الدكتور روهلنج وترجمة الدكتور يوسف نصر الله صفحة ٣٢ و٣٣ .

كما جاء فى التلمود كذلك . «يجب على كل يهودى أن يسعى لان تظل السلطة على الارض لليهود دون سواهم ، وقبل أن يحكم اليهود نهائيا باقى الامم يجب ان تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم ، وسيأتى المسيح الحقيقى ويحقق النصر المرتقب ، وحينئذ تصبح الامة اليهودية غاية فى الثراء لانها تكون قد ملكت اموال العالم جميعا ، ويتحقق امل الامة اليهودية بمجىء اسرائيل ، وتكون هى الامة المتسلطة على باقى الامم عند مجىء المسيح» .

وعلى اساس حق اليهود فى ملك العالم وسيادته فصلت أحكام التلمود وتعاليمه تفصيلا جامعا .

فيقول الرابى «البو» ـ « سلط الله اليهود على أموال باقى الامم ودمائهم » .

وجاء فى التلمود :

« ان مثل بنى اسرائيل كمثل سيدة فى منزلها ، يستحضر لها زوجها النقود فتأخذها دون أن تشترك معه فى العمل والتعب» .

## ٢ ـ الكبالا

يلحق بالتلمود ـ كتاب اليهود السرى المقدس ـ كتاب سرى آخر يعرف بالكبالا لايقل عنه أهمية بالنسبة للقيم الروحية التى يدعو الى تثبيتها فى نفوس اليهود ، وبالنسبة للنعرات العنصرية التى يثيرها بعنف ويروج لها بغلظة ووحشية .

فالكبالا او القبالا اسم كتاب سرى بالغ السرية يتوارثه اليهود منذ القدم يعالج التصوف اليهودى عن طريق فنون السحر التى تمثل شطرا من الطقوس الدينية التى يمارسونها خفية خشية اطلاع أحد من الشعوب الاخرى عليها ، لما فيها من التفنن فى الكيد لتلك الشعوب والتحريض على اغتيالها لاستنزاف دمائها واستخدامها فى ممارسة هذه الطقوس ـ فهو يعالج علم الشياطين والأرواح الشريرة ، ويبحث فى وسائل الاتصال بأرواح الموتى وكيفية تسخيرها عن طريق تناسخها وتقمصها الاجسام .

وقد نقل اليهود ماجاء فى تعاليم الكبالا عن قدماء المصريين منذ رحيلهم عن مصر بزعامة سيدنا موسى .

ويحقق الكبالا لليهود الاهداف والمعانى الآتية :

أولا : الحفاظ على مبادىء اليهود العدوانية المتطرفة حيال الشعوب الاخرى، حتى لايعفو عليها الكبت والخور ، وذلك بخلق المناخ النفسى الملائم لتعيش فيه هذه المبادىء خلال كل الظروف القاسية التى مر بها اليهود طوال تاريخهم المديد ، فلاتفتأ تعاليم الكبالا تذكى أوار الحقد والتعصب العنصرى فى صدورهم بما تتضمن من فنون الكيد والانتقام التى تحضهم على ممارستها كشعائر دينية مقدسة .

ثانيا : اشباع ثائرة اليهود العدوانية القاصرة ، وشفاء غليلهم باستنزاف دماء أعدائهم واستخدامها فى طقوسهم السحرية الدموية .

ثالثا : ان معالجة اليهود فنون السحر ابتغاء الحاق الأذى بأعدائهم ولو لم تسفر عن مفعول ايجابى ــ فيهــا تنفيس عن غلواء مكبوت ، وعــزاء وتأسية لما يعتلج فى صدورهم من غل وحقد واشباع لغريزة الثأر ونزعةالانتقام التى تؤودهم وتبهظ نفوسهم ؛ ذلك لأن ماتثيره من مشاعر وأحاسيس يعتبر لونا من أحلام اليقظة التى تسكن اليها النفوس المهيضة وتنفثىء بهــا فورة الانفعالات المضطربة الهادرة .

رابعا : يحس اليهود فى ممارسة تعاليم الكبالا طمأنينة روحانية ورضا نفسيا عميقا ، ويستشعرون أنهم انما يمارسون شعائر مقدسة تقربهم من الله زلفى ، وتثيبهم رضوانه ، وترفع عنهم اصرهم ومايحيق بهم من غضب الهى منذ الحقب الخالية .

وهكذا تمثل تعاليم الكبالا فترة الصراع الخفى بين اليهــود والشــعوب الاخرى والتى يحول عجزهم وضعفهم دون الاسفار عنها وممارستها جهرة على ملأ من العالم ، كما يضاعف من حرصــهم على اخفــائها ماتتضمن من طقوس دموية وتضحيات بشرية .

وقد كانت تعاليم الكبالا نواة للنشاط السرى الهدام الذى توفر عليــه اليهود دائبين متمثلا فى مختلف الجمعيات والمؤتمرات التى سعوا من خــلالها الى تحقيق آمالهم وأطماعهم ، وخاصة الجمعية الصوفية اليهودية المعروفة باسم الكبالا .

كما كان لتلك التعاليم فضل صياغة أفكار اليهود الصهيونيين ووجدانهم على الصورة الشائهة القاتمة وبالاسلوب الجانح الدموى ــ البادى لنا الآن .

# الباب الثانى

# تقييم النصوص المقدسة

- الفصل الأول ـ أسفار التوراة
- الفصل الثانى ـ تقييم التلمود والكبالا

## الفصل الاول

## اسفار التوراة

### تمهيـــد

تعقيبا على فكرة الصهيونية من الناحيـــة الدينية ـ بحســـبان مناطهـــا مقدسات مأثورة فى فلسطين قامت فى رحابها منذ نشأة دينهم الباكرة تستهدف الصهيونية استعادتها الى حوزة اليهود .

ثم بحسبانها مظهرا ايجابيا لوعود الهية مقدسة .

ذلك كله بالنسبة للمرحلة السياسية التمهيدية .

نعالج فى تمحيص جذرى ماعرضنا له ومايستشهد به الصهيونيون من نصوص التوراة التى تعتبر فى الواقع المثابة التى انبعثت منها فكرة الصهيونية ابتداء والركيزة الاولى لدعوتها السياسية .

ثم نعالج بالتعقيب ـ من بعد ـ القول بأن اليهود شعب الله المختار ، باعتباره **الركيزة الدينية للمرحلة النهائية فى البرنامج الصهيونى** ، التى فيها يسيطر اليهود على شعوب العالم طرا بالقوامة عليها وتولى مقاليد سلطانها وزمام حكمها .

ولم يكن لنا محيص فى تعقيبنا على وعود التوراة من التصدى لدراستها من زاوية حرجة بالغة الدقة ، بعد أن التمسنا محجة الصواب فى شروح اليهود والمسيحيين لنصوص التوراة فغم الامر علينا وازداد غموضا ، اذ لم تتلاق مفاهيم كل فريق منهما على معان واحدة فى صدد تلك الوعود فضلا عن طائفة غير يسيرة مما حوته سائر أسفار التوراة . ولقد اتسعت بينهما شقة الخلف حتى كانا منها على طرفى نقيض وسفه كل منهما مفهوم الآخر ، فاتهم اليهـــود المسيحيين بالخروج على النصوص بالتأويل المغرض ، ورمى المسيحيون اليهود بضيق الأفق والقصور عن ادراك معانيها ، وانهم قلما أظهروا استعدادا لفهم الرموز التى جرت على ألسنة الأنبياء ، أو «للاخذ بالمعانى الروحية والمعنوية المجردة عن الاشكال التى تقع تحت الحس» (١) ـ اكتفاء بالمعـــانى الظـــاهرة القاصرة .

---

(١) كتاب « مؤامرة اليهود على المسيحية » تأليف اميل الغورى حرب طبع بيروت ســـنة ١٩٤٧ صفحة ١٤

وانبرى فريق من علماء اللاهوت ليتهم اليهود صراحة بتحريف نصوص التوراة والانحراف بسياقها عن هوى ، وباسقاط أسفار بأكملها عن قصد .

وفى غمار هذه البلبلة الفاشية لم يكن بد من التماس مطمأن نتحرى منه الصواب ، ونستجلى وجه الحق فيما نعالج من نصوص دينية على ضوء المفاهيم العقلية والمعايير المنطقية والحقائق العلمية المتيقنة والتاريخ الثابت الصحيح ، وهى كلها أقيسة محايدة ليس للحجاج اليها من سبيل .

وتحكم تقييم مابين ايدينا من نصوص دينية تشتمل على الوعود الالهية وتشير الى اصطفاء الشعب اليهودى ـ معايير موضوعية واخرى شكلية ، تتناول الاولى مايشوب نصوص التوراة عامة والوعود الالهية خاصة من مفارقات تجافى المنطق والواقع والحقائق المسلمة ، وتوضح الاخرى الظروف التى هيأت لتلك المآخذ ان تفشى نصوص التوراة .

ويهمنا ابتداء أن ننبه الى امور بالغة الاهمية فى صدد معالجتنا للوعود الالهية ، ينبغى أن لاتعزب عن ذهن القارىء طوال هذه المعالجة : ـ

فأولا : ان رائدنا فى جواز تقييمها ماجاء فى التوراة تقييما لأقوال الأنبياء انفسهم وهم الذين نزلت على السنتهم أسفار التوراة .

ثانيا : نحن نتناول هذا التقييم على أساس من وجهة النظر الصهيونية والمنطق الصهيونى المادى الذى يفسر تلك الوعود تفسيرا حرفيا متزمتا ، ويستمد منها الاصل الدينى الذى تعتمد عليه .

واخيرا : فاننا اعتمدنا أساسا فى رواية الاحداث واسناد الوقائع التاريخية على نصوص التوراة ذاتها ـ النسخة البروتستانتية المعتمدة لدى اليهود والتى استشهدنا بها فى مواطن كثيرة .

## تقييم التوراة لأقوال الأنبياء

لقد حفل تاريخ اليهود بالعديد من الانبياء الذين كان لهم بالغ الأثر فى صقل العقيدة الدينية ثم فى تطوير المناشط اليهودية بعامة . فهم حكماء الشريعة والاسوة المثلى للقيم اليهودية والسلوك اليهودى فى اقوالهم وفى افعالهم ، كما يعزى الى طائفة منهم وضع أسفار التوراة وحيا من عند الله سبحانه مصدرا للتشريع والمناسك .

وبالنظر الى ما لأقوال هؤلاء الانبياء من قداسة يعنو لها المؤمنون من اليهود وينزلون على أحكامها مسلمين ، فقد اندس عليهم كثير من الادعياء يتقولون على الله الكذب ، يبتغون استغلال مكانتهم المرموقة فى تحقيق أوطار ذاتية ومآرب أدنى مايصمها أنها غير بريئة .

من أجل ذلك تعين اصطناع التحفظ والحيطة فى تقبل مأثورات أنبياء اليهود دون التسليم بكل ماجاء بها تسليما مطلقا ، وعدم التعويل على مايجافى

منها العقل أو المنطق أو الخلق القويم أو الحقائق المتيقنة أو الوقائع التاريخية الثابتة .

ذلك رأى نسوقه فى غير ماتجن وان اعتاقه الحرج ولم تعوزه الجراة ، ــ لولا أن التوراة ذاتها قد سلمت به ودعت اليه وكفتنا دونه عبء التماس الحجة والدليل .

فلطالما رددت فى مواطن كثيرة من اسفارها ان من الانبياء الدعى الكذوب، وهى لم تعن بتعقب هؤلاء الانبياء الضالين وتعيينهم بأسمائهم لكثرتهم وتفاوت أزمانهم ، وانما أشارت الى بعضهم على سبيل العبرة أو لمناسبة معينة ، مثل حننيا الذى تنبأ بالكذب فحلت عليه لعنة الله ومات (الاصحاح ٢٨ من سفر ارميا من رقم ١٥ الى ١٧) .

ومثل أخاب بن قولايا وصدقيا بن معسيا اللذين تنبآ باسم الرب فباءا بغضب من الله وسلط عليهما ملك بابل (فقلاهما بالنار) (الاصحاح ٢٩ من سفر أرميا من رقم ٢١ الى ٢٣ ) .

ومثل شمعيا النحلامى الذى عاقبه الله هو ونسله لتنبئه بالكذب (الاصحاح ٢٩ من سفر ارميا من رقم ٣٠ الى ٣٣) .

غير أن الكثرة من هؤلاء الانبياء الموصومين بالكذب ظلت مجهلة ، فأشارت اليهم التوراة اشارات عامة عابرة تغشى مجتمع الانبياء بغاشيات قاتمة من الشك والريبة .

ومن ذلك ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ قول التوراة فى سفر ارميا بالاصحاح الثالث والعشرين برقم ١١ .

« لأن الانبياء والكهنة تنجسوا جميعا بل فى بيتى وجدت شرهم يقول الرب»

وقولها برقم ٢١ من ذلك الاصحاح : ــ

« لم أرسل الأنبياء بل هم جروا ، لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا »

ثم فى رقم ٢٥ من ذلك الاصحاح أيضا : ــ

« قد سمعت ماقاله الانبياء الذين تنبأوا باسمى بالكذب قائلين حلمت حلمت . حتى متى يوجد فى قلب الانبياء خداع قلبهم » .

ولم تقصر التوراة ظاهرة النبوءات الكاذبة على عصر دون عصر أو بلد دون آخر ، فقد سجلت الافك عليهم فى مملكة اسرائيل وفى مملكة يهوذا على السواء، ويشير الى ذلك الاصحاح الثالث والعشرون من سفر ارميا رقم ١٣ و ١٤ بقوله :

« وقد رأيت فى أنبياء السامرة حماقة ، تنبأوا بالبعل واضلوا شعبى اسرائيل . وفى أنبياء أورشليم رأيت مايقشعر منه ، يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادى فاعلى الشر حتى لايرجعوا الواحد عن شره ، صاروا لى كلهم كسدوم وسكانها كعمورة » .

كما كررت التوراة هذا المعنى بالنسبة لأنبياء اورشليم فى رقم ١٥ من ذلك الاصحاح حيث تقول : «لأنه من عند انبياء اورشليم خرج نفاق فى كل الأرض» .

ولقد طفقت التوراة تتوعد الأفاكين من الانبياء عساهم يتوبون عن غيهم، فتحفظ على التعاليم الدينية سلامتها وعلى اليهود عقيدتهم ، فيندد الاصحاح الثالث عشر من سفر حزقيال من رقم ١ الى ٧ — بفريق من انبياء بنى اسرائيل لحمقهم وابدائهم من تلقاء انفسهم نبوءات باطلة لم يوح بها الله فيقول : —

« وكان الى كلام الرب قائلا . ياابن آدم تنبأ على أنبياء اسرائيل الذين يتنبأون ، وقل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب ، هكذا قال السيد الرب ، ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئا ، أنبياؤك يااسرائيل صاروا كالثعالب فى الخرب . لم تصعدوا الى الثغر ولم تبنوا جدارا لبيت اسرائيل للوقوف فى الحرب يوم الرب . راوا باطلا وعرافة كاذبة القائلون وحى الرب والرب لم يرسلهم وانتظروا اثبات الكلمة . ألم تروا رؤيا باطلة وتكلمتم بعرافة كاذبة قائلين وحى الرب وأنا لم أتكلم » .

وتقول التوراة فى الاصحاح الرابع عشر من سفر حزقيال رقم ٩ و ١٠ :

« فاذا ضل النبى وتكلم كلاما فأنا الرب قد أضللت ذلك النبى وسأمد يدى عليه وابيده من وسط شعبى اسرائيل ويحملون اثمهم ، كاثم السائل يكون اثم النبى» .

وتقول فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر ارميا من رقم ٣٠ الى ٣٢ :

« لذلك هاأنذا على الانبياء ، يقول الرب . الذين يسرقون كلمتى بعضهم من بعض . هاأنذا على الانبياء ، يقول الرب ، الذين يأخذون لسانهم ويقولون قال . هاأنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة ، يقول الرب ، الذين يقصونها ويضلون شعبى بأكاذيبهم وانا لم أرسلهم ولا أمرتهم ، فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب» .

ولقد كان ماينفثه هؤلاء الادعياء من نبوءات زائفة اخطر مايهدد عقائد المؤمنين من اليهود ، لكثرتها وتناولها مختلف الشئون ، حتى أشفقت التوراة على اليهود ان تتبلبل عقائدهم ويضلوا ، خاصة وأنها لم تبين على وجه التحديد منى انقطع الالهام وآخر من اختصهم الله بالوحى من عباده . فوضعت ضابطين متكاملين الكشف عن الحق من الباطل من مأثورات الانبياء .

ويخلص الضابط الاول فى مدى اعمال النبوءة وتحققها ، باعتبار ان كلام الله حق لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مصداقا لما جاء فى الاصحاح الثانى عشر من سفر حزقيال برقم ٢٤ و ٢٥ . حيث يقول : —

« لأنه لاتكون بعد رؤيا باطلة ولا عرافة ملقة فى وسط بيت اسرائيل ، لانى انا الرب اتكلم والكلمة التى أتكلم بها تكون ، ولاتطول بعد ، لأنى فى أيامكم ايها البيت التمرد أقول الكلمة واجربها يقول السيد الرب » .

فمن المسلم به أن ارادة الله سبحانه حتمية النفاذ . وان مايقوله أمر مقضى لا معقب عليه ، له ملكوت كل شيء وبيده مصائر الامور جميعا .

وعلى هذا ، فان الفيصل بين الصحيح والزائف مما ينسب الى الله سبحانه وتعالى ــ كمبدأ عام ــ هو تحقق هذه الاقوال أو عدم تحققها ــ وأن عدم تحققها كاف بذاته للدلالة على كذبها وافترائها ، حيث تقول التوراة فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية من رقم ٢٠ الى ٢٢ وهو السفر الذى يقر اليهود بأنه منزل على سيدنا موسى خاصة والاساس الاول للشريعة اليهودية «واما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه ان يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم الهة أخرى فيموت ذلك النبى ، وان قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلاتخف منه» .

غير أن التوراة امعانا منها فى الاستيثاق وابتعاث الطمأنينة فى النفوس والقضاء على ماقد يساور العقل من لبس وبلبلة قد تحفظت فى تطبيق ذلك الضابط الموضوعى وشفعته بضابط آخر خلقى ، فاشترطت للحكم بصدق النبوءة سلامة الغرض الذى تستهدفه .

ذلك بأنه حتى لو تحقق مايتنبأ به النبى من خوارق ومعجزات فلن يبرئه ذلك من وصمة الكذب والادعاء ، مادامت دعوته غير خالصة لله وانما يرمى بها الى تنكب محجة الايمان والعزوف عن الطريق المستقيم ، ويشوبها الانحراف عن الجادة فى الخلق أو العقيدة .

وبهذا ينص الاصحاح الثالث عشر من سفر التثنية من رقم ١ الى ٣ حيث يقول :

« اذا قام فى وسطك النبى أو حالم حلما واعطاك آية او اعجوبة ، ولو حدثت الآية او الأعجوبة التى كلمك عنها قائلا لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها ، فلاتسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم ، لان الرب الهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم » .

* * *

وبناء على ماتقدم ، وعلى هدى من ذينك الضابطين الدينيين : الموضوعى والخلقى ، المستمدين من نصوص التوراة ، سنعالج النصوص الدينية التى يستند اليها الصهيونيون فى دعواهم وندع للبديهة المتفطنة حرية تقييمها .

## اولا ــ المعايير الموضوعية

بدهى أن الديانات السماوية لم تنزل الا لهداية البشر والدعوة للاخلاق القويمة واشاعة المحبة والوئام والعلاقات الانسانية الفاضلة والتنفير مما يخالفها وتوعد مقترفيه بالويل والثبور .

ولاينبغى ان يكون فى الكتب السماوية مايخالف هذا النسق القويم ، فان وجد فلن يخالجنا شك فى انه ليس من عند الله وانه محض افتراء .

وانه لمما يدعو الى التأمل المستريب ان نجد فى تضاعيف التوراة تفصيلا لمنكرات، ومباذل قارفها اقطاب يهود مرموقون ـ انبياء وملوك ـ فلاتجنحها وتؤثم مجترحيها ، وانما تغضى عنها اغضاء مقصودا بما قد يوحى باقرارها ، مما لا يتفق مع ماتدعو اليه الديانات السماوية ولا التوراة ذاتها ـ فى بعض أسفارها ـ من خلق ربانى كريم .

## نظرة موضوعية عامة فى محتويات التوراة

لعل مما يلقى شعاعا من الضوء على ما فى بذل الوعود الالهية لليهود بملك فلسطين واقطار المعمورة ثم باصطفاء اليهود من دون البشر لسيادة العالم ـ من تناقض مع الواقع ، أن كثيرا مما ورد فيما بين أيدينا من أسفار التوراة موضع نظر كثير من الباحثين وعلماء اللاهوت انفســهم يتدارســونه مع بالغ التحفظ ، ـ ذلك لانها ـ بيقين ـ ليست قاصرة على النصوص السماوية المنزلة على سيدنا موسى ـ نبى بنى اسرائيل ورسول الله اليهم ـ او مانزل من عند الله على داود ـ ـ الملك النبى (١) ـ وانما أضاف اليها أحبار اليهود وكهنتهم فى آماد متفرقة متباعدة مايكشف سياقه ومضمونه عن الاغــراض السياســية التى يستهدفونها والاهواء الذاتية التى أملته وأوحت به اليهم .

فان الغالبية العظمى من هذه الاسفار يؤرخ لحوادث وقعت خلال مئـات من السنين من بعد عهد سيدنا موسى وما أنزل عليه من الوصايا الالهية موضوع التوراة الاصيل .

مثلها فى تأخير وضــعها مثل التلمود وقــرارات مجلس حــكماء اليهــود وبروتوكولات حكماء صهيون وسائر الكتب التى وضعها زعماء اليهود وأحبارهم فيما بعد وأسبغوا عليها من القداسة مايحيل نصوصها مأثورات ربانية .

ويعترف العالم اليهودى «سلامون شختر» صراحة فى كتابه «مظاهر علم اللاهوت عند حكماء اليهود» ان الدين اليهودى دين وضعى (٢) . أو بمعنى آخر ان تعاليمه ـ على ماانتهت اليه ـ ليست وحيا منزلا من عند الله ، وانما وضعها نفر من اليهود بمحض اجتهادهم وعلى مدى ادراكهم وتحت تأثير من النوازع الشخصية والاهواء النفسية المختلفة التى تعرض للبشر غير أولى العصمة .

ذلك الى ان أسفار التوراة فى جملتها ليست معاصرة للوقائع التى تؤرخ لها وانما دونت بعد وقوع تلك الأحداث بآماد طــويلة ، مما يعرضــها لآفات

---

(١) أنزل الله على نبيه داود عليه السلام «الزبور» كتابا سماويا مقدسا .

(٢) هذا الراى منشور بالصفحة رقم ٧٦ من كتاب «مظاهر علم اللاهوت عند حكماء اليهود » وقد اشــير اليــه فى كتاب « فى الفكر اليهودى » الذى جمعه وطبعــه حاخام انجلتــرا الاكبر ج . هـ . هرتس وترجمه الى العربية عن الانجليزية الدكتور الفريد بلوز سكرتير عام المباحث التاريخية الاسرائيلية المصرية بتقريظ من الحاخام الأكبر لليهود فى مصر حاييم ناحوم افندى .

الرواية الشفوية من تحريف وتزييف ونسج الخيال أحيانا كثيرة . وحتى الاسفار الخمسة الاولى المنسوبة الى سيدنا موسى فانها تضم عبارات كثيرة تؤكد ان هذه الاسفار لم يكتبها سيدنا موسى وانما أصدرت بعد وفاتهفى ازمنة متفاوتة ، ودبجت بأقلام مؤلفين عديدين ، ومن ذلك أن الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية يذكر وفاة سيدنا موسى ودفنهفى أرض مؤاب وينتهى فى رقم ٦ بقوله «ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم» مما يقطع بأن كاتبه ليس هو سيدنا موسى وانه كتب بعد وفاته بمدة طويلة .

وان كثيرا من الوقائع والاخبار التى انبأت بها التوراة لايتفق — من حيث موضوعه أو توقيته مع ماوراه ثقات المؤرخين القدامى ، ومماأسفرت عنه الحفريات والكشوف الاثرية الموثوق بها .

ومن أبسط الأدلة على ذلك ان عمر الانسان على ظهر الارض محسوبا من مجموع أعمار الاشخاص الذين ذكرتهم التوراة متناسلين من آدم وذريته على التعاقب ، يختلف من نسخة لأخرى من نسخ التوراة المعروفة ، فتبلغ المدة من آدم حتى ابراهيم على حساب النسخة العبرية ٢٠٢٣ سنة ، وعلى حساب النسخة السامرية ٢٣٢٤ سنة ، وعلى حساب النسخة السبعينية ٣٣٨٩ سنة .

ثم تبلغ المدة من ابراهيم حتى المسيح ٢٢٠٠ سنة .

وعلى هذا يكون عمر الانسان على الارض حتى ميلاد المسيح ٤٢٢٣ سنة على اقل تقدير و ٥٥٨٩ سنة على أقصى تقدير ، بينما يشير التقويم العبرى المستعمل حتى اليوم الى انه قد مضى منذ بدء الخليقة حتى عام ١٩٧٥ الميلادى ٥٧٣٥ عاما ، لأن ذلك التقويم يبدأ منذ خلق آدم أبى البشر على مااستخلصه اليهود من نصوص التوراة .

بيد أن المكتشفات الاثرية المصرية فى ختام القرن الثامن عشر قد نقضت هذا الحساب ؛ لما ثبت ان الحضارة المصرية قامت فى وادى النيل قبل ذلك التاريخ بزمن طويل ، وان المصريين القدماء رصدوا الكواكب ورسموا البروج الفلكية منذ أمد يتراوح بين ١٣ و ١٥ الف سنة قبل الميلاد ، مما رجح معه العالم الفرنسى ديبوى Dupuis ان الحضارة المصرية ترجع الى عهد اقدم من ذلك بكثير ، كما ان الثابت علميا من دراسة الحفريات والكشوف الاثرية أن الأسرة الاولى من ملوك الفراعنة المصريين قامت منذ عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد بحسب اقل تقدير ارتآه علماء الآثار — بل ان بعض المؤرخين ذهب الى أن توحيد مصر على يدى الملك مينا أول ملوك الاسرة الاولى — كان فى عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد .

ومن المجزوم به أنه كانت فى وادى النيل حضارة قائمة قبل ذلك بأمد

طويل ، بدليل أنهم عرفوا التقويم الشمسى وحددوه عام ٤٢٤١ قبل الميلاد (١) .

وازاء ذلك لم يسع المؤمنون بالتوراة الا مجاهدة الافهام للتوفيق بين قداسة النصوص ومايغشاها من خلط ومعميات .

فالتمست الكنيسة الكاثوليكية تفسيرا مقبولا لمعلومات التوراة يحفظ عليها قداستها ويمكن به التوفيق — فى تقدير عمر الانسان على الارض — بين ماتقص أسفارها وبين المسلمات العلمية الثابتة ، فقالت بأن نسبة الأبناء الى الآباء كما وردت فى التوراة لاتعنى النسبة المباشرة ، وانما تعنى أن الابناء المذكورين هم فى الحقيقة من نسل هؤلاء الآباء فقط ولو فصل بينهم جيل أو أجيال .

وبهذا الافتراض الكيس يمكن اضافة أزمنة لا حد لها الى الأزمنة المستخلصة من حساب أعمار الاشخاص الذين حددت التوراة أعمارهم متسلسلين منذ بدء الخليقة — على حد تعبيرها — ومايمكن به ملاءمة مجموعها مع ماتسفر عنه الكشوف الحديثة من معلومات وثيقة عن تاريخ نشأة الانسان على وجه الارض .

ولئن وفق رجال الدين بهذا التفسير الى المواءمة بين تواريخ التوراة والتواريخ الثابتة علميا ، فلن تزال مشكلة الاختلاف البين بين تواريخ التوراة من نسخة لأخرى قائمة تبعث على الحيرة والبلبلة .

كما ان هذا التفسير لايستقيم مع التاريخ الذى حدده التقويم العبرى لبدء الخليقة وهو تاريخ محدد قاطع .

وكذلك لجأت الكنيسة المسيحية الى تأويل نصوص التوراة بما يتسق مع الحقائق التى قد تبدو مخالفة لها باعتبار أن المعانى التى وردت فى التوراة انما هى معان رمزية تستشف الحقيقة من ورائها مع الاجهاد فى التأويل المجازى .

وبهذا النظر المجازى أيضا حاول الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون (١١٣٥ — ١٢٠٤ م) فى كتابه «دلالة الحائرين» التوفيق بين التناقض القائم بين وحى التوراة وأحكام العقل والفلسفة ، حيث قرر أن «ماورد فى سفر التكوين من التوراة عن لا لزوم لهذا البياض كلام الله والالواح التى نقشت عليها بأصبع الله ، وصورة الله التى خلق الانسان على هيئتها ، كل ذلك كان تعبيرا مجازيا مجردا » .

❊ ❊ ❊

هذا ، ولقد حفلت التوراة بطائفة غير يسيرة من المفارقات الموضوعية تناولت بعض الوقائع التاريخية والعلمية وبعض الاحكام الشرعية أيضا تناقضت فى مبناها وفى معناها من سفر لآخر أو فى ذات السفر فى بعض الاحيان — نعرض فيما يلى طرفا منها على سبيل المثال لا الحصر .

---

(١) — كتاب تاريخ العالم للسيرجون هامرتون الجزء الاول من الطبعة المترجمة الى العربية صفحة ٤٤٧ .

فمن التناقضات التاريخية ، تعليل تسمية مدينة بئر سبع وتفسير هذا الاسم ، فقد ورد فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين برقم ٣١ ـ بما يخالف ماجاء فى الاصحاح السادس والعشرين منه برقم ٣٣ .

ومن المفارقات العلمية ، ماورد فى الاصحاح الحادى عشر من سفر اللاويين برقم ٦ ـ فى صدد ماحرم على اليهود أكله من لحوم الحيوان : «والأرنب لانه يجتر لكنه لايشق ظلفا فهو نجس لكم» .

ومن المعلوم أن الأرنب حيوان غير مجتر خلافا لما جاء فى النص .

ومن المفارقات فى الاحكام الشرعية :

١ ـ حكم الزواج بين الاخوة : فقد نص فى الاصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين على تحريم الزواج بالاخت من الاب او الام ، بينما جاء فى الاصحاح الثالث عشر من سفر صموئيل الثانى برقم ١٣ ـ ماينافض ذلك فى معرض قصة ثامار وأخيها أمون ابنى داود ، اذ يقول النص انه حين راودها عن نفسها وحاول اغتصابها ، دعته الى التقدم الى أبيهما الملك داود بطلب تزويجها له بقولها «والآن كلم الملك لانه لايمنعنى منك» مما يعنى صراحة انه لا مانع من الشرع يحول دون موافقة الملك ـ أبيهما ـ على هذا الزواج .

٢ ـ حكم تحمل الخلف لأوزار السلف : فقد ورد فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج برقم ٧ «مفتقد اثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع» .

أى أن الابناء مسئولون عن ذنوب آبائهم ويحملون أوزارهم حتى الجيلين الثالث والرابع .

وقد تكرر هذا الحكم بذات المعنى فى الاصحاح العشرين من سفر الخروج برقم ٥ وفى الاصحاح الرابع عشر من سفر العدد برقم ١٨ وفى الاصحاح الخامس من سفر التثنية برقم ٩ .

غير أن الاصحاح الثامن عشر من سفر حزقيال برقم ٢٠ ينص على نقيض هذا الحكم فى قوله «النفس التى تخطىء هى تموت ، الابن لايحمل من اثم الأب والأب لايحمل من اثم الابن» .

ثم يبدو هذا الحكم الشرعى متناقضا مرة أخرى ، مع نفسه ومع غيره أيضا وفى نص واحد من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية برقم ٣ و ٤ حيث يقول : «لايدخل عمونى ومؤابى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لايدخل منهم أحد فى جماعة الرب الى الابد ، من أجل انهم لم يلاقوكم بالخبز والماء فى الطريق عند خروجكم من مصر» .

أما الأخطاء والمفارقات فى الاعداد والارقام فهى كثر عدة ، نجتزىء بطرف منها فيما يلى :

١ ـ جاء فى سفر الملوك الثانى ـ الاصحاح الثامن برقم ٢٦ أن أخزيا ابن يهورام كان فى الثانية والعشرين من عمره حين تولى الملك .

بينما جاء فى سفر اخبار الايام الثانى ــ الاصحاح الثانى والعشرين برقم ٢ أن سنه حينذاك كانت اثنتين واربعين عاما .

٢ ــ جاء فى سفر الملوك الثانى ــ الاصحاح الرابع والعشرين برقم ٨ أن يهوياكين كان فى الثامنة عشرة من عمره حين ولى الملك وانه ملك أورشليم ثلاثة اشهر .

بينما جاء فى سفر اخبار الأيام الثانى ــ الاصحاح السادس والثلاثين برقم ٩ أن سنه كانت حينذاك ثمانى سنوات وانه ملك أورشليم ثلاثة اشهر وعشرة أيام .

٣ ــ ورد فى سفر اخبار الايام الثانى ــ الاصحاح التاسع برقم ٢٥ ــ انه كان لسليمان اربعة آلاف مذود خيل .

بينما جاء فى سفر الملوك الاول ــ الاصحاح الرابع برقم ٢٦ أن عدد هذه المذاود اربعون ألفا .

٤ ــ جاء فى سفر صموئيل الثانى ــ الاصحاح الثامن برقم ٤ أن داود اخذ من هدد عزر بن رحوب ملك صوبة ألفا وسبعمائة فارس وعشرين الف راجل .

بينما جاء فى سفر اخبار الايام الاول ــ الاصحاح الثامن عشر برقم ٤ ــ ان جملة ماأخذه داود ألف مركبة وسبعة آلاف فارس وعشرين الف راجل .

٥ ــ جاء فى سفر صموئيل الثانى ــ الاصحاح العاشر برقم ١٨ ان داود قتل من آرام سبعمائة مركبة واربعين الف فارس .

بينما جاء هذا الرقم فى سفر اخبار الايام الاول ــ الاصحاح التاسع عشر برقم ١٨ ــ سبعة آلاف مركبة واربعين الف راجل .

٦ ــ جاء فى سفر صموئيل الثانى ــ الاصحاح الرابع والعشرين برقم ٩ أن الرب أوعز الى داود ان يحصى شعبى اسرائيل ويهوذا فكان تعداد اسرائيل ثمانمئة الف رجل ورجال يهوذا خمسمائة الف رجل .

بينما ذكر فى سفر أخبار الايام الأول الاصحاح الحادى والعشرين برقم ١ و ٥ و ٦ ان الشيطان ــ وليس الرب ــ هو الذى أغوى داود لعمل الاحصاء وان تعدادهم كان الف الف ومائة الف رجل فى اسرائيل ، أما فى يهوذا فكان أربعمائة وسبعين الف رجل .

٧ ــ وجاء فى سفر صموئيل الثانى ــ الاصحاح الرابع والعشرين برقم ١١ الى ١٣ ــ أن الرب عرض على داود أن تأتى عليه سبع سنين من الجوع كفارة عن خطيئته .

بينما جاء فى سفر اخبار الايام الاول ــ الاصحاح الحادى والعشرين برقم ١١ و ١٢ أن عدة سنى الجوع ثلاث سنين فقط .

* * *

هذا ، ولئن قيل ــ اعذارا وجدلا ــ باحتمال أن يكون الخلاف فى الاعداد سقطات من تصحيف النساخ غير مقصودة ، فلا مشاحة ان ذلك لايبرىء

نصوص التوراة من وصمة التحريف ، وماينطوى عليه من ضياع الحقيقة بين ثناياها وافتقاد الثقة فى سلامتها جميعا .

على أنه فضلا عن ذلك ، فان من المفارقات الموضوعية مايتناول المبادىء الدينية فى صميمها والحقائق التاريخية المسلمة ، ولايمكن التماس المعاذير فى اقترافها بمجرد الاهمال أو السهو أو التصحيف ، فلاسبيل اذن الى تعليل اجتراحها الا بأن هاتيك النصوص من صنع بشر غير معصومين ، فان العصمة لله وحده ، لايبدل القول لديه ، وماكان لوحى الهى أن يتطرق اليه الخطأ او النسيان .

* * *

وان من العجب العاجب ، ان التوراة ـ وهى كتاب دينى مقدس ، مفروض صدوره من الله مباشرة ، أو بوحى منه تعالى ، يشار فى ثناياها الى الذات الالهية بعبارات نابية ولهجة مستهجنة ، وتنسب اليه عز وجل صفات أقل مايقال عنها أنها مما تعيب البشر وتزرى بهم لو انها اسندت اليهم ، فكيف بالذات الالهية المقدسة .

ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ أن المزمور الثامن والسبعين يقول فى رقمى ٦٥ و ٦٦ : ـ

« فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر فضرب أعداءه الى الوراء جعلهم عارا أبديا » .

فأى اله هذا النؤوم الذى تجوز عليه النقائص البشرية فى احط صورها، فيستيقظ من نومه محتقن العينين منتفخ الجفون فيبدو كمخمور أنهكه السكر وهده البكاء ، وأى تشبيه مزر ذلك الذى يخلعه عليه واضعو التوراة !! ـ سبحانه وتعالى عما يصفون علوا كبيرا .

وفى موضع آخر من التوراة تقول ان سيدنا موسى ـ وهو عبد الله ورسوله ـ قد بلغت به الجراة على الله ان يجادله ويطلب اليه الندم فى لهجة لائمة مقرعة ـ حين غضب الله على اليهود وتوعدهم بالأذى المستطير لاتخاذهم عجلا صنما يعبدونه من دونه ـ فيخاطبه موسى بقوله : ـ

«ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك» (الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج رقم ١٢) .

ثم تستطرد التوراة تعقيبا على هذا التطاول الجرىء على الذات الالهية فتقول «فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه» (الاصحاح الثانى والثلاثون من سفر الخروج رقم ١٤) .

وهكذا ـ فى رأى التوراة ـ رضخ الله لارادة موسى وأبدى ندمه على ماتوعد به عصاة اليهود ومارقيهم من اذى وشر .

وتصور التوراة الذات الالهية فى هيئة انسان يحارب فى صفوف اليهود، بل انها تنسب اليه سبحانه انه اعترك مع سيدنا يعقوب ذات ليلة الا أن يعقوب تغلب عليه وصرعه ولما عجز الله ( سبحانه ) عن الخلاص من قبضته حتى مطلع الفجر ضرب حق فخذ يعقوب حتى انخلع ، ومع ذلك ورغم رجاء

الله ـ جل جلاله ـ فان يعقوب لم يطلق سراحه الا بعد أن باركه وخلع عليه لقب اسرائيل قائلا له « لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » ( الاصحاح ٣٢ من سفر التكوين من رقم ٢٤ الى ٢٩ ) .

« ولذلك لايأكل بنو اسرائيل عرق النسا الذى على حق الفخذ الى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا » ( الاصحاح ٣٢ من سفر التكوين رقم ٣٢ .

وتؤكد التوراة ان مصارعة يعقوب كانت مع الله بذاته حيث تعقب على الحادث بقولها « فدعا يعقوب اسم المكان فينيئيل قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى » ( الاصحاح ٣٢ من سفر التكوين رقم ٣٠ ) .

فلعمر الحق . أيجوز ان يحدثنا الله عن نفسه بهذا النبو وبهذه المهانة وبهذا الاسفاف ، أم هل يجوز لمن يؤمن بالله من البشر أيا كان ان يقبل على نفسه نسبة مثل هذا الهجر اليه سواء وحيا أم من خالص تأليفه .

ثم ـ وفى صدد الوعد الالهى بالذات ـ الا يعتبر انعدام فاعليته فى شق منه ـ ومفعوله الأبتر فى الشق الآخر كما يسجله التاريخ والواقع المشهود وكما سوف نبين تفصيلا فى المبحث التالى ـ مماطلة وتسويفا ينالان من قدسية العهود الالهية وما لها من جلال وما ينبغى لها من قوة واحترام ، فان لم يكن مقصودا من وعد الله تنفيذه وانجازه ففيم كان صدوره اذن أكان لغوا أم معجزا !

وهل تجوز نسبة المماطلة أو اللغو او العجز الى الله سبحانه وتعالى ؟ جل شأن الله وبئس ما يأفكون ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون على الله الا كذبا وبهتانا عظيما .

## ثانيا ـ المعايير الشكلية

لا جرم أن فى جماع ما استبان من دراستنا الموضوعية لأسفار التوراة من مآخذ شابت معانيها .

وما ثبت من ان الوعود المنسوبة الى الله والموجهة الى اليهود عديمة الفاعلية عقيمة الأثر .

ما يدعونا حتما الى تفصيل القول فى كيفية وضع متون التوراة وتأليف أسفارها المختلفة ـ استطرادا للبحث ـ حتى يلتئم السياق ويبين كيف غشيت نصوصها مالايتسق مع العقل والمنطق ، ولايستقيم مع القيم الانسانية المثلى ، ولا مع القيم الربانية المقدسة وما ينبغى للرسالات السماوية من عصمة وجلال .

ثم للتعرف على مدى صحة وعود التوراة من حيث نسبتها الى الله سبحانه وتعالى ، على ضوء المعايير الشكلية التى تبين ما احاط بصدورها من ظروف وملابسات ، لما انه لا يجوز فى حق الذات الالهية أن يعزى اليها الخلف فى الوعود أو العجز عن نفاذها .

## ١ ــ كيف وضعت التوراة

التوراة هى كتاب اليهود المقدس ، كما انها تعتبر لدى المسيحيين مكملة للانجيل وهم يعرفونها باسم العهد القديم منذ أن عرفها بولس الرسول بهذا الاسم فى رسالته الثانية الى اهل كورنثوس ،وهى تتكون من طائفة من الاسفار تم وضعها فى أمد مديد تراخى مداه طوال اثنى عشر قرنا منذ عام ١١٠٠ قبل الميلاد حتى القرن الثانى الميلادى(١) ، وقد اختلفت عدتها بالنسبة لكل طائفة من المؤمنين بها ، غير ان المجمع عليه انها تتكون من تسعة وثلاثين سفرا فى النسخة المعتمدة لدى اليهود ولدى المسيحيين البروتستانت ، بينما تبلغ ستة واربعين سفرا وفقا للنسخة التى اقرها المسيحيون الكاثوليك منذ عام ١٥٤٦ للميلاد فى اجتماع ترينت Trient احدى مدن ايطاليا .

ويتألف العهد القديم من ثلاثة أقسام رئيسية : هى ــ وفقا للنسخة المعتمدة لدى اليهود والمسيحيين البروتستانت :

( أ ) التوراة ، وتتضمن خمسة أسفار وهى التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ــ وتعرف هذه الأسفار ايضا بالناموس ، والشريعة ، وأسفار موسى ، كما تعرف أيضا بالاسم اليونانى البنطاتوق Pentateuch نسبة الى العدد خمسة فى اللغة اليونانية .

(ب) الأنبياء وهو قسمان :

١ ــ أنبياء متقدمون ، وتضم ستة أسفار ، هى يشوع والقضاة وصموئيل الاول وصموئيل الثانى والملوك الاول والملوك الثانى .

٢ ــ انبياء متأخرون وتشمل خمسة عشر سفرا ، هى اشعياء وارميا وحزقيال ، ثم اسفار الأنبياء الاثنى عشر : هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصنفيا وحجى وزكريا وملاخى .

(ج) الكتابات المقدسة وتحتوى على ثلاثة عشر سفرا ، وهى المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الانشاد وراعوث ومراثى ارميا والجامعة واستير ودانيال وعزرا ونحميا وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثانى .

أما النسخة الكاثوليكية من العهد القديم فتضم سبعة أسفار زيادة على النسخة اليهودية والمسيحية البروتستانتية ، هى أسفار باروخ وطوبيا ويهوديت والحكمة ويسوع بن سيراخ والمكابيين الاول والمكابيين الثانى . وتعرف هذه الأسفار باسم الابوكريفا ، وقد اعترفت بها الكنيسة الكاثوليكية فى ٨ ابريل عام ١٥٤٦ ــ الا أن اليهود لا يعترفون بهذه الاسفار .

وفضلا عن ذلك فان سفر اللاويين يرد فى النسخة الكاثوليكية باسم سفر الأحبار ، واللاويون جيل من الناس ينسب الى أسرة لاوى أو ليفى من أسباط يعقوب وكانت تحتكر المناصب الكهنوتية .

---

(١) كتاب التوراة الهيروغليفية تأليف الدكتور فؤاد حسنين على طبع دار الكاتب العربى بالقاهرة سنة ١٩٦٨ صفحة ٣١ .

كما ان أسفار صموئيل الاول وصموئيل الثاني والملوك الاول والملوك الثاني ترد في النسخة الكاثوليكية تحت اسم الملوك الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع على التوالي .

هذا ، والنسخ المعتمدة من التوراة ترجع الى ثلاثة أصول أساسية ، هي النسخة العبرانية وتعرف بالترجوم والنسخة اليونانية وهي المعروفة بالترجمة السبعينية (١) ثم النسخة السامرية .

وقد اقتصرت النسخة السامرية على أسفار موسى الخمسة — ويعتمد اليهود كما يعتمد المسيحيون البروتستانت على النسخة العبرانية — على أن البروتستانت يعولون في بعض المواضع على النسخة اليونانية — اما الكنيسة المسيحية الشرقية واليونان فيعولان على النسخة اليونانية اطلاقا .

وثم اختلاف كبير بين هذه النسخ الثلاثة بالزيادة او النقصان ، وفي بيان الأزمنة من لدن خلق آدم الى زمن الطوفان ، وهي خلافات جوهرية الى درجة أنها تؤثر على المعاني تأثيرا بينا .

وتنسب الأسفار الخمسة الاولى من التوراة (التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ) الى سيدنا موسى نفسه ، أما باقي الاسفار فقد وضعها انبياء اليهود وكهنتهم في عهود متفرقة ويحمل بعضها اسم من وضعها منهم .

فأما عن كيفية تأليف الاسفار الخمسة الاولى من التوراة فقد (٢) «كان كاتبها موسى الا آخر فصل وبعض حواش وآيات فان المؤرخون المتأخرون ( كذا في الأصل ) اضافوها اليها . فآخر فصل من سفر (التثنية) أضيف الى الباقي لختام التاريخ والثمان آيات الأولى قيل انها لهوشع أضافها حالا بعد موسى ، والأربع آيات الأخيرة لمؤرخ متأخر اما صمويل أو عزرا (٣) فهذه الاسفار تحتوي تاريخ ٢٥٥٣ سنة وتذكر لنا تاريخ العالم حتى الى سنة ١٤٥١ قبل ميلاد المسيح ) .

أي أن الخمسة الأسفار الأولى من التوراة المنسوبة الى سيدنا موسى زيدت عليها حواش واضافات لمؤرخين غير معروفين على وجه القطع واليقين.

---

(١) ترجع الترجمة السبعينية الى عام ٢٨٢ قبل الميلاد اذ استدعى بطليموس الثالث سبعين شيخا من علماء اليهود وأنزلهم بالاسكندرية كلا منهم على انفراد ؛ وكلف كلا منهم بترجمة التوراة من العبرية الى اليونانية ثم وحدت هذه الترجمات بالمقابلة فيما بينها فوجدت متطابقة تماما ، وبذلك سميت بالترجمة السبعينية للتوراة . وهي أدق الترجمات اليونانية .

(٢) كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين المطبوع بمطبعة مجمع كنيسة الانجليز الأسقفية في فالته ( بمالطة ) سنة ١٨٤٠ صفحة ٨٢ و٨٣ .

(٣) يقال أن عزرا الكاهن هو عزير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم . بينما نفى هذا الرأي السموءل بن يحيى بن عباس المغربي — وكان حبرا يهوديا ثم أسلم ، اذ يقول في كتابه « بذل المجهود في افحام اليهود » — ان عزيرا هو تعريب العازار أما عزرا فان لفظه لا يتغير اذا عرب ومن ثم فهو شخص آخر غير عزير .

هذا ، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة تمت كتابتها حوالى عام ٣٠٠ق.م، وينعقد اجماع العلماء على أن سفر التكوين هو اقدم ماكتب من أسفار التوراة فى مملكة اسرائيل ، وان عزرا هو الذى كتب سفر التثنية (١) .

ومما يقطع بأن الاسفار المنسوبة الى سيدنا موسى قد كتبت بعد وفاته بأمد طويل أن اسم مدينة «دان» ورد فى الاصحاح الرابع عشر من سفرالتكوين برقم ١٤ وفى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية برقم ١ ـ مع ان هذا الاسم لم يكن معروفا فى عصر سيدنا موسى وانما عرف فيما بعد .

كما أن القرى المعروفة باسم «يائير» ورد ذكرها فى الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر العدد برقم ٤١ وفى الاصحاح الثالث من سفر التثنية برقم ١٤ ـ مع ان هذه القرى لم توجد أصلا الا فى عصر القضاة كما يشير الى ذلك سفر القضاة فى الاصحاح العاشر برقم ٤ وفى الاصحاح الثامن عشر برقم ٢٩ (٢) .

هذا ، ويخلص المؤرخ الكبير هرتشو من دراسته لأسفار التوراة الى أن ماخلفه سيدنا موسى من التعاليم الدينية الربانية ينحصر فى الوصايا العشر المفصلة فى الاصحاح الخامس من سفر التثنية والمدونة على الألواح بأصبع الرب ، وان ماعداها مختلق عليه ولا علاقة له به (٣) .

ولقد استبان لنقاد التوراة ان الاسفار الخمسة المنسوبة الى سيدنا موسى مستقاة من ثلاثة مصادر مختلفة يهوية والوهيمية وكهنوتية . ذلك أنهم لاحظوا ان لفظ الجلالة ورد فى بعض قصص سفر التكوين بلفظ يهوه ، بينما ورد فى بعضها الآخر بلفظ ألوهيم ، ـ مما يوحى بنسبة كل منهما الى مصدر مستقل ، كما تحقق لديهم أن الكهنة هم واضعو سفر التثنية بالذات (٤) .

وقد اثبت الدكتور فؤاد حسنين علىاخيرا فى كتابه «التوراة الهيرغليفية» أن أسفار موسى لم تدون باللغة العبرية كما هو السائد بين جمهرة العلماء ، وانما دونت باللغة المصرية القديمة ـ لغة موسى التى يجيدها والتى شب فى بيئتها ، ثم لان ظهور اللغة العبرية كان لاحقا جدا لا لموت موسى فحسب بل لدخول من خرجوا معه من مصر الى أرض كنعان (٥) .

---

(١) قصة الحضارة تاليف ول ديورانت الجزء الثانى صفحة ٣٦٧ و ٣٦٨

(٢) كتاب التوراة الهيروغليفية تأليف الدكتور فؤاد حسنين على طبع دار الكاتب العربى بالقاهرة سنة ١٩٦٨ صفحة ٤٢ .

(٣) كتاب علم التاريخ العام لهرتشو ترجمة لجنة التاليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٣٧

(٤) كتاب التوراة الهيروغليفية تاليف الدكتور فؤاد حسنين على من صفحة ٤٦ الى ٥٣ .

(٥) المرجع السابق من صفحة ٥٧ الى ٥٩ .

وهو لذلك يرجح الصلة الوثيقة بين تلك الاسفار وبين العقيدة المصرية التى بشر بها اخناتون .

اما فى صدد سفرى الملوك الثالث والرابع فقد «قيل ان داود وسليمان وحزقيا ارخوا تواريخ ملكهم فقط . وأن جميع هذه التواريخ نظمها عزرا اللهم تنظيمهم وشكلهم» (١) .

وسفر يشوع (٢) «قد اعتقد ان يشوع كاتبه ماعدا اضافة صغيرة فى الاصحاح الاخير منه فان نبيا متأخرا كتبها» .

وسفرا الايام الاول والثانى (٣) «هما أخبار الازمنة ولذلك سميا هكذا ، وقد كان عزرا الفهما من الاخبار الشعوبية ، ويشملان وجيزه فى ترتيب من التواريخ المقدسة واخبارا من كل الكتاب المقدس من ابتداء الخليقة الى الأسر البابلى وذلك تاريخ مدة ٣٤٦٨ سنة ، فالغاية من سفرى الأيام هذين اخبار متوالية من التاريخ العادى وايضاح قضايا كثيرة مهمة عن أشخاص واشياء محذوفة فى كتب التواريخ الاخرى الموحاة بها» .

وعزرا هذا «هو الذى (٤) نظم أسفار الكتاب المقدس تنظيمها المناسب بعد ان قابلها بغاية الضبط وجمع المواد ورتبها ودرجها فى سفرين سماهما سفرى أخبار الايام واليهما اضاف تاريخه الذى أتمه نحميا . وقد مات هذا الكاهن عزرا عندما بلغ سنة ١٢٠ سنة» .

وفيما يختص بسفر ارميا « (٥) قد روى ان الاصحاح الثانى والخمسين اضافه عزرا فاتحة لسفر المراثى» .

ويبدو أن شخصا واحدا هو الذى ألف سفرى أخبار الايام الاول واخبار الايام الثانى وكذلك سفرى عزرا ونحميا وكان ذلك حوالى عام ٣٠٠ قبل الميلاد ، أى بعد عزرا ونحميا بأكثر من قرنين ، وذلك على الرغم من أن فى سفر نحميا عبارات كثيرة يتحدث فيها الكاتب عن نفسه متقمصا شخصية نحميا (٦) .

وثم من يقول ان دراسة أسفار التوراة تاريخيا اكدت ان سفر عزرا ليس من وضع مؤلف واحد بل يرجع الى عدة مصادر ، (٧) كما أن سفر

---

(١) كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين المطبوع بمطبعة مجمع كنيسة الانجليز الأسقفية فى فالته (بمالطه) سنة ١٨٤٠ صفحة ٩٣

(٢) المرجع السابق صفحة ٨٤

(٣) المرجع السابق صفحة ٩٦

(٤) كتاب مرشد الطالبين الى كتاب المقدس الثمين المطبوع بمطبعة مجمع كنيسة الانجليز الأسقفية فى فالته (بمالطه) سنة ١٨٤٠ صفحة ١٠٠

(٥) المرجع السابق صفحة ١٢٣

(٦) كتاب مقارنة الأديان ( ١ – اليهودية ) تاليف الدكتور أحمد شلبى طبع القاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ٢١٧ .

(٧) التوراة الهيروغليفية تاليف الدكتور فؤاد حسنين على طبع القاهرة سنة ١٩٦٨ صفحة ١٨٢ و ١٨٣

اشعيا ينسب الى ثلاثة أنبياء ، حيث ان النبى اشعيا عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن قبل الميلاد واليه يعزى القسم الاول من السفر الذى يتناول هذه الفترة الزمنية ، ـ أما القسم الثانى من سفر اشعيا فهو ملحق تاريخى يعزى الى شخص آخر غير معروف أطلق عليه مجازا اسم اشعيا الثانى ، ـ ويبقى بعد ذلك القسم الثالث وهو الذى يتناول عصر السبى البابلى وينسب الى شخص ثالث غير معروف أطلق عليه العلماء ، إسم اشعيا الثالث (١) تمييزا له عن واضعى القسمين الأولين .

ويقرر اليهود ان السفر المنسوب الى النبى حزقيال لم يضعه هذا النبى وانما وضعه أعضاء المجمع المقدس الاكبر (السينود) (٢) .

أما المزامير فانها تعرف احيانا بمزامير داود لانه كتب معظمها ، بينما قد اشترك فى تأليفها طائفة من أنبياء اليهود عاشوا فى الأسر البابلى وبعضهم عاش بعده (٣) .

وازاء ماتبين من اضطراب فى تاليف أسفار التوراة وتناقض بين نصوصها وأحكامها وتعدد مؤلفيها وتباين أزمنتهم ، فقد توفر كثير من الباحثين (٤) على دراستها للوقوف على المصادر التى استقيت منها مادتها ، فأثبتوا أنها تضم ميراثا فكريا متعدد المصادر متباين الاصول .

واستطاعوا أن يربطوا بينها وبين مأثورات الدول العريقة ، من أساطير لا سند لها من الواقع أو التاريخ مثل أسفار أستير وطوبيا ويهوديت (٥) وقصص شعبية كانت شائعة فى دول الشرق القديم كقصة شمشون ودليلة ،(٦) ومن حكم وأمثال مصرية وبابلية وفارسية . وقد كشفوا عن مدى تأثر المزامير بأناشيد اخناتون وخاصة المزمور ١٠٤ ، وتأثر سفر الجامعة بأقوال الحكيم المصرى ايبور من الاسرة السادسة الفرعونية ، كما استبان لهم كيف اقتبست بعض أحكام التوراة من تشريعات حمورابى ملك بابل التى وضعها فى عام ١٩٠٠ ق.م ومن طائفة من قرارات المحافل الدينية اليهودية التى تناقلها اليهود على مر الأجيال .

ويلاحظ أنه بعد احتلال الفرس لبلاد كنعان وسماحهم لسبايا اليهود بالعودة الى أورشليم من منفاهم فى بابل ، بدأ اليهود يركنون اليهم ويدرسون ديانتهم الزرادشتية ومنها اقتبسوا الاعتقاد فى البعث والحياة الآخرة ووجود الجنة والنار ـ وبدأ ذلك فى سفر اشعيا لاول مرة بعد أن لم تكن تعرفهاالديانة

---

(١) التوراة الهيروغليفية تاليف الدكتور فؤاد حسنين على طبع القاهرة سنة ١٩٦٨ صفحة ٨٧ و٩٤ .

(٢) المرجع السابق صفحة ١٠٣

(٣) كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين المطبوع بمطبعة مجمع كنيسة الانجليز الأسقفية بمدينة فالته بجزيرة مالطة سنة ١٨٤٠ صفحة ١٠٧ و١٠٨ .

(٤) راجع فى ذلك قصة الحضارة تأليف ول ديورانت وكتاب The Outline of History تأليف H.G. Wells ـ وكتاب « مصدر مصرى لأمثال سليمان » تاليف أدولف هرمان .

(٥) كتاب مقارنة الأديان ( ١ ـ اليهودية ) تاليف الدكتور احمد شلبى طبع القاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ٢١٨ و ٢٢٤ .

(٦) The Outline of History, by H.G. Wells, p. 275.

اليهودية من قبل ، اذ كان الاعتقاد ان الحياة وحدها هى حياة الانسان وفيها يتم الثواب والعقاب (١) .

وهكذا كان لاشخاص المؤلفين شأن كبير فى وضع نصوص اسفار التوراة، فى تصنيفها وتنسيقها ، فلم يكن كل سفر منها قاصراً على مجهود صاحبه وانما كان كل واضع سفر يتناول أسفار الآخرين بالاضافة والتعديل .

ومن هذا يبين كيف استباح لأنفسهم انبياء اليهود واحبارهم بأن تمتد ايديهم الى اسفار التوراة بالتعديل والاضافة والتعليق بالنسبة لما الفه غيرهم .

وان الاستباحة على هذا النحو مبدأ خطير فى ذاته ، يفتح المجال للدس والعبث غير البرىء .. ثم انه على أى حال يبعث الشك ويثير البلبلة .

ذلك بالاضافة الى انعدام ضوابط النبوة وحدود الوحى الالهى واماراته، فلايعلم متى انقطع الالهام وآخر من اختصهم الله به ، وماهى مقومات النبوة ومعالمها على وجه التحديد ، والفيصل بين النبى الصادق والموحى اليه حقا وبين المتنبىء الدعى الكذوب .

فاذا اصطنعنا المسبار الذى حددته التوراة لتمييز الحق من الباطل من اقوال الانبياء ، من حيث تحققها أو عدم تحققها ، فان الكثير مما اشتملت عليه أسفار التوراة يضع مؤلفيها فى موطن الحرج الشديد .

ثم ان التوراة لاتعصم انبياء اليهود من ارتكاب الخطايا والمعاصى بما يصمهم وينال من مكانتهم — بل انها تنسب اليهم اجتراح اشنع الجرائم ومنها الزنا والغدر والاحتيال والكذب بل والكفر وعبادة الأوثان — مما لايرفعهم من مواطن الشبهات فى شىء مما يعزى اليهم ، وماينزع عنهم كل ثقة واعتبار ، وتأييدا لذلك يقول الكاتب اليهودى الفرد ليلينتال (٢) «أساء اليهود الى السيد المسيح على صراحته كما أساءوا من قبل الى رسلهم ، لان اهتمامهم كان منصبا على الخلاص من النير الرومانى أكثر من اهتمامهم بالاصلاح الدينى ، ولذلك ساروا وراء عدد من ادعياء النبوة وهم فى الحقيقة محترفو سياسة يتسترون بستار الدين ، وكنتيجة حتمية لظهور أولئك الادعياء قامت عدة ثورات ضد روما قادها بعض المتطرفين من اليهود ، ولكن الفشل كان مصيرها وأسفرت عن كسر شوكة اليهود وجعلت من فلسطين مستعمرة رومانية» .

وينتهى الدكتور احمد شلبى فى بحثه (٣) عن الديانة اليهودية الى أن اسفار العهد القديم كتبت متأخرة فى عهد الفساد والاضطراب الذى تطرق الى بنى اسرائيل بعد موسى ، وان كتابها ليسوا هم الذين اسندت اليهم هذه

---

(١) قصة العقائد للأستاذ سليمان مظهر صفحة ٣١٨ وكذلك كتاب
Judaism, by Arthur Herzeberg, p. 205.

(٢) كتاب ثمن اسرائيل تاليف الفرد ليلينتال What Price Israel, by Alfred Lilienthal.
ترجمة الأستاذين حبيب نحولى وياسر هوارى — نشر كتاب الملايين ببيروت الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٥ صفحة ١٢ و ١٣ .

(٣) كتاب مقارنة الأديان ( ١ — اليهودية ) للدكتور احمد شلبى طبع القاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ٢٣٨ و٢٣٩ .

الأسفار وليس الوحى مصدرا لها ، وانما كتبوها انعكاسا لأخلاقهم وآمالهم وبثوها هدفا يحققون به مقاصدهم (١) «والنظرة السريعة للعهد القديم توحى بأن الهدف الاسمى الذى اراده بنو اسرائيل من الكتاب المقدس كان تبرئة بنى اسرائيل من العيوب وتلويث سواهم من الشعوب : فأحد ابنى آدم كان ضالا وكان الآخر مهتديا ومن المهتدى ينحدر بنو اسرائيل وابناء نوح الذين نجوا من الغرق كانوا ثلاثة ولكن بنى اسرائيل يقضون على حام بن نوح بالغضب ويسخطون عليه ، لا لشىء الا انه أبو الجنس الذى انحدر الى مصر وماليها من الجنوب . وكراهية بنى اسرائيل لمصر قديمة وعريقة . ويصب سفر التكوين السخط على كنعان بن حام بن نوح ، لان الكنعانيين حاربوا العبرانيين فلما دون هؤلاء العهد القديم خصوا الكنعانيين بسخط الله – كان الله يسخط على من سخطوا عليه ويرضى على من رضوا عنه » .

ويعزى مانسب الى لوط وابنتيه من اقتراف الفحش والفجور فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ، ثم مانسب الى يهوذا بن يعقوب من اجتراحه الزنا بأرملة ابنه عير – الى هدف سياسى مقصود هو اثارة غاشيات كثيفة حالكة حول نسب داود وذريته تحول دون صلاحيتهم لتولى زعامة اليهود .

ذلك لأن سيدنا موسى كان يؤثر بحظوته آل هارون اخيه ، فسلمهم التوراة وجعل فيهم امامة اليهود فكان منهم الكهنة والقضاة ، فلما ولى شاؤول ( طالوت ) أمر اليهود وغزا بهم فلسطين اضطهد الهارونيين وانتقل أمر اليهود من بعده الى آل داود .

ولما كان الكاهن عزرا من آل هارون فقد كان متعصبا لعشيرته ، وانتهز فرصة عودته من السبى واشتغاله بجمع التوراة ليكيد لبنى داود غرمائه حتى تنصرف الزعامة عنهم الى الابد – فأضاف الى التوراة قصة لوط وقصة يهوذا ابن يعقوب يبتغى بهما النيل من نسب آل داود بما يفقدهم الجدارة لتبوىء مناصب الزعامة . وقد تحقق هذا الهدف فعلا وولى الهارونيون أمر اليهود من بعد عودتهم من السبى (٢) .



## ٢ – كيف جمعت التوراة

يرجع مابين أيدينا من أسفار التوراة المعتمدة لدى طوائف اليهود والمسيحيين الى أصول متعددة جمعت من بينها بطريق الاختيار أو المقابلة والتوفيق .

فالاسفار الخمسة الاولى المنسوبة الى سيدنا موسى نفسه – وهى التكوين والخروج واللاويين (الاحبار) والعدد والتثنية – قد استقيت من

(١) كتاب مقارنة الاديان ( ١ – اليهودية ) للدكتور احمد شلبى طبع القاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ٢٣٨ وما بعدها .

(٢) انظر كتاب « بذل الجهود فى افحام اليهود » تاليف السموءل بن يحيى بن عباس المغربى المتوفى بالمراغة من اعمال اذربيجان سنة ٥٧٠ هـ – وكان حبرا يهوديا ثم اسلم – طبع القاهرة صفحة ٥٠ .

نسخ متباينة اهمها نسخةالوهيم ونسخة يهوه ونسخة الكهنة أو المسجلين .(١) ويرجع تدوين النسخ الاولى من التوراة الى عصور مختلفة ، فمنها مادون فى عهد مملكة اسرائيل ومنها ماكتب فى أيام الاسر البابلى ومنها مادون قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون ، ويقول بعض الباحثين ان جميع أسفار التوراة قد دونت بعد السبي البابلى ويؤيد رايه هذا بوجود كثير من الالفاظ البابلية فى هـــذه الأسفار (٢) .

وتختلف كل من هذه النسخ عن الاخـرى اختلافا جـوهريا فى كثير من الاصحاحات مما كان له أثره الواضح فى متون أسفار التوراة المختارة .

« ويؤخذ من مراجع كثيرة كالكتاب الرابع لعزرا وكتب الحكيم فيلون وكتب آباء الكنيسـة الأولين أن أسفارا غير الاسفار الخمسة كانت تنسب الى موسى عليه السلام (٣) » .

هذا ، أما عن سائر أسفار التوراة ــ غير أسفار سيدنا موسى الخمسة ، فانها قد اختيرت من بين أسفار ونبوءات كثيرة كانت موجودة واسقطها جامعو التوراة سواء لعدم صلاحيتها ــ فى نظرهم ــ لانها غير أهل للثقة ، أو لانها لم تصادف هوى فى نفوسهم لانها لاتتفق مع مايعتقدون من تعاليم ومايسلمون به من سياسات . وقد فاتهم أن هذه الاسفار والنبوءات التى اغفلوها مشار اليها أو محال عليها فى خلال الاسفار التى اعتمدوها فعلا والتى ضموها الى نصوص التوراة المتداولة ــ كشواهد ومصادر معتمدة مكملة لهذه الاسفار .

ومن تلك الأسفار المسقطة : سفر ناثان النبى ــ المشار اليه فى سفر أخبار الأيام الأول فى الاصحاح التاسع والعشرين برقم ٢٩ وفى الاصحاح التاسع من سفر أخبار الايام الثانى برقم ٢٩ أيضا .

ومنها أيضاسفر جاد الرائى (٤) المشار اليه فىالاصحاح التاسع والعشرين من سفر أخبار الايام الأول برقم ٢٩ .

ومن الأسفار المسقطة أيضا «سفر أخبار الايام للملك داود» المشار اليه فى الاصحاح السابع والعشرين من سفر أخبار الايام الاول برقم ٢٤ . ومنهـا كذلك سفر ياشر المشار اليه فى الاصحاح العاشر من سفر يشوع برقم ١٣ وفى سفر صموئيل الثانى الاصحاح الاول برقم ١٧ .

ومنها أيضا «سفر حـروب الرب» المشار اليه فى الاصـحاح الحـادى والعشرين من سفر العدد برقم ١٤ .

ومنها كذلك «نبوة أخيا الشيلونى» و «رؤى يعدو الرائى» المشار اليهما فى الاصحاح التاسع من سفر أخبار الايام الثانى برقم ٢٩ .

---

(١) كتاب ابو الانبياء الخليل ابراهيم تأليف الأستاذ عباس محمـود العقـاد سلسلة « كتاب اليوم » الصادرة عن دار أخبار اليوم فى اغسطس سنة ١٩٥٣ صفحة ٢٩ وما بعدها .

(٢) انظر دائرة المعارف البريطانية مادة توراة .

(٣) كتاب ابو الأنبياء الخليل ابراهيم تأليف الأسـتاذ عباس محمود العقاد سـلسلة كتاب اليوم الصادرة عن دار اخبار اليوم عدد اغسطس سنة ١٩٥٣ صفحة ١٤٤ و ١٤٥ .

(٤) يطلق الرائى على المطلع على الغيب .

ومنها كذلك «سفر أمور سليمان» المشار اليه فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول برقم ٤١ .

وقد اندثرت الاسفار المسقطة التى لم يعتمدها جامعو نصوص التوراة وأغفلوها فلم يبق لها من أثر ، مع أنها تعتبر من أمهات المصادر للتاريخ اليهودى والديانة اليهودية .

وليست ظاهرة الاعتداد بطائفة من الاسفار دون الاخرى قاصرة على ما استقر عليه رأى جامعيها من اليهود ، بل ان الكنائس المسيحية ذاتها قد تضاربت آراؤها فى الاعتراف بالاسفار التى جمعها اليهود ، فقد أضافت الكنيسة الكاثوليكية أسفارا لم تكن مدرجة ضمن التوراة عند المسيحيين الأولين ولا عند اليهود ، فضلا عن أنها لاتوجد فى الاصل العبرانى — النسخة العبرانية — بينما تعتمد الكنيسة البروتستانتية أسفار العهد القديم حسبما هى مدرجة فى النسخة العبرانية التى يعتمدها اليهود .

وثم اختلاف جوهرى فى تسمية الاسفار وترتيبها بين كل من النسختين البروتستانتية والكاثوليكية ، فسفر اللاويين فى النسخة البروتستانتية يعرف بسفر الاحبار فى النسخة الكاثوليكية ، كما ان النسخة الكاثوليكية تشتمل على أربعة أسفار بعنوان اسفار الملوك ، فسفر الملوك الاول فيها يقابل سفر صموئيل الاول فى النسخة البروتستانتية ، وسفر الملوك الثانى يقابل سفر صموئيل الثانى — وسفرا الملوك الثالث والرابع فى النسخة الكاثوليكية يقابلان سفرى الملوك الاول والثانى فى النسخة البروتستانتية .

والأسفار التى يعترف بها الكاثوليك دون البروتستانت سبعة اسفار وهى :

باروخ وطوبيا ويهوديت والحكمة ويسوع بن سيراخ والمقابيين الاول والمقابيين الثانى .

كما أن الكاثوليك لايعترفون ببعض ماجاء فى سفرى استير ودانيال ويقولون بأنه مدسوس مفترى .

وهناك رأى غريب شائع بين المؤرخين الغربيين يقول بأن الكتب السماوية اليهودية قد فقدت جملة ثم ألهم الكاهن عزرا نصوصها فوضعها من جديد من بنات أفكاره (١) .

وقد يكون فى هذا الرأى تعليل مقبول لما حدث للتوراة من مفارقات ومتناقضات بينة ، غير انه ينقض هذا الرأى أن بعض الاسفار يتناول حوادث ترجع فى تاريخها الى أزمنة تالية لعهد عزرا بآماد قد تصل الى عدة قرون .

وبهذا يقول الشراح المسيحيون نهيوفلكت وكليمنس اسكندريانوس وترتولين .

إبل أن جان ملزكاتلك يقول فى صفحة ١١٥ من كتابه المطبوع فى مدينة دربى « اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الاصلية وكذا نسخ كتب العهد

---

(١) كتاب اظهار الحق تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى صفحة ٢٢٨ و٢٢٩ .

العتيق ضاعت من أيدى عسكر بختنصر ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة انتيوكس (١)» .

ومن الغريب أن سفر عزرا نفسه ـ ويعرف أيضا بسفر سيدراس ـ من الاسفار التى لايعترف بقداستها المسيحيون البروتستانت ويقولون انه سفر موضوع لم يصدر عن وحى الهى .

هذا ، ومن الثابت من نصوص التوراة ذاتها ان هيكل سليمان فى مدينة أورشليم حيث كانت تحفظ نسخة التوراة الوحيدة ـ قد تعرض مرارا للنهب والتدمير .

ومن ذلك ان الفلسطينيين ـ وهم وثنيون لايعترفون بالدين اليهودى ـ لما هزموا العبرانيين فى عام ١٠٥٠ قبل الميلاد استولوا على تابوت العهد وحملوه معهم الى أشدود .

كما أن شيشاق الاول فرعون مصر دخل أورشليم غازيا فى عام ٩٢٠ قبل الميلاد ونهبها ونهب كنوز هيكل سليمان .

وتعرضت البلاد للنهب ايضا فى اثر غزوة الأشوريين فى عهد سرجون الثانى عام ٧٢١ قبل الميلاد .

ثم خرب بختنصر الثانى ملك بابل مدينة أورشليم فى عام ٥٨٦ قبل الميلاد ودمر هيكلها ونهبه .

ثم دمرها الامبراطور الرومانى تيطس واحرق هيكل سليمان فى أعقاب اخماده ثورة اليهود فى عام ٧٠ للميلاد .

واخيرا وبعد ان قمع الامبراطور الرومانى هادريان آخر ثورة قام بها اليهود فى عام ١٣٢ للميلاد دمر الرومان مدينة أورشليم وهدموا هيكل سليمان وأقاموا مكانه معبدا وثنيا للاله جوبتير .

هذا ـ ومن ناحيه اخرى تعترف التوراة صراحة بأن النسخة الأصلية من توارة موسى قد فقدت قبل عهد سيدنا سليمان ، اذ جاء فى الاصحاح الثانى من سفر الملوك الأول رقم ٩ أنه لما فتح سليمان تابوت عهد الرب أمام شيوخ بنى اسرائيل والكهنة فى يوم العيد ـ «لم يكن فى التابوت الا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى اسرائيل عند خروجهم من أرض مصر» .

كما أنه ثابت من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك الثانى أن الملك منسى تربع على عرش أورشليم خمسا وخمسين سنة ثم خلفه على العرش

---

(١) كتاب ادلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين فى الاسلام ص ١٧٦ تاليف الاستاذ عبد الرحمن الجزيرى ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٣٤ بمطبعة الارشاد بالقاهرة .

ابنه أمون لمدة عامين وقد كانا مرتدين يعبدان الاصنام . وبدهى انهما لم يعنيا بالحفاظ على التوراة ولم يهمهما فقدها لانهما انكراها وكفرا بها .

ثم يحكي الاصحاح الثاني والعشرون من هذا السفر أن الملك يوشيا الذي خلف أباه أمون بن منسى قد أعياه البحث عن سفر الشريعة (وهو توراة موسى) طوال ثمانية عشر عاما من حكمه الى أن ابلغه الكاهن حلقيا انه عثر عليه أخيرا وكان يوشيا — على عكس أسلافه — مؤمنا متمسكا بدينه اليهودى .

ويروى الاصحاح السادس والثلاثون من سفر أخبار الايام الثانى ان الملك يوشيا هذا خلفه ملوك آخرون ارتدوا عن دينهم وعبدوا الأوثان فغضب الله عليهم وسلط عليهم الملك نبوخذ ناصر ملك الكلدان (بابل) فدمر بلادهم وأحرق هيكلهم — حيث تحفظ نسخة التوراة — وامعن فى اليهود قتلا وتنكيلا ومن بقى منهم ساقه الى بابل سبيا حيث ظلوا بها حتى ظهور مملكة فارس واطلاق سراح هؤلاء السبايا .

ولاشك فى أن هذه الظروف والملابسات قد عرضت للضياع نسخة التوراة الاصلية التى وضعها سيدنا موسى . كما يؤيد رأى القائلين بفقد تلك النسخة .

وينبغى أن يكون فى الاعتبار عند تقييم ماجمع من أسفار التوراة طول المدة التى انقضت بين تاريخ تدوينها لاول مرة وبين العهد الذى ينسب اليه تصنيفها فيه بمعرفة واضعيها الاصليين ، ثم تعرضها فى أثناء ذلك للعبث والتطاول عليها بالتحريف والتصحيف تحت تأثير النوازع والاهواء المختلفة ، مما يلقى عليها ظلالا قاتمة لايستبين من دونها نور الحقيقة .

ذلك الى ان الاسفار المجموعة لم تقتصر على مادونه أصحابها القدامى بل تناولها خلفهم بالاضافة والتعديل فى حالات كثيرة .

ويعترف كثير من شراح التوراة بأن اليهود اضافوا كثيرا الى نصوصها الاصلية ، ومن هؤلاء الشراح آدم كلارك فى شرح سفر صموئيل الأول وكريزاستم فى تفسيره التاسع لانجيل متى — كما جاء فى تفسير واسكات أن العالم المسيحى اكستائن من علماء القرن الرابع الميلادى — يقرر بأن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية من التوراة اثارة للشك والبلبلة ولتكون الترجمة اليونانية لها غير معتبرة أصلا . ويصرح ول ديورانت بأنه لم يبق من شريعة موسى الاصلية سوى الوصايا العشر فحسب (١) .

ومما تقدم يبين كيف استباح جامعو التوراة اسقاط ما لم يرقهم من الاسفار أو تحريفه حتى صارت الى ما انتهت اليه الآن ، يعوزها الوثوق وتغشاها ظلال كثاف من الشك والريبة .

فاذا كانت الاسفار المسقطة صحيحة فان مؤدى ذلك انهم انكروا وحيا ربانيا تنزل على أنبيائهم وعبثوا بمصدر وثيق من مصادر دينهم . وان لم تكن تلك الاسفار صحيحة فهو اعتراف صريح منهم بأن من أنبيائهم اللعى الكذوب ومن أسفارهم ماهو مفترى مدسوس لايعول عليه .

---

(١) قصة الحضارة لول ديورانت الجزء الثانى صفحة ٣٧١ .

## ٣ ـ المجتمع اليهودى فى عصور وضع التوراة وتدوينها

لما كانت التوراة هى المصدر الاول للوعود الالهية التى يعتمد عليها اليهود لامتلاك فلسطين وغيرها من الاقطار .

واذ قد استبان مدى فاعلية هذه الوعود وكيف لازمها الاخلاف بما ينال مما ينبغى ان يكون لها من قداسة واحترام ..

واستطرادا للملابسات التى وضعت فى نطاقها أسفار التوراة .

فانه ينبغى للالمام بالظروف التى أحاطت بوضعها وتدوينها وحفظها أن نضع تحت الأنظار صورة واضحة للمجتمع اليهودى الذى بعث فيه أشخاص الانبياء والذى تولى الحفاظ على أسفارها حتى أورثها خلائفه على التعاقب ـ مستقاة هذه الظروف من أسفار التوراة ذاتها حتى نكون بمبعدة من مظنة التجنى والافتئات أو البعد عن الدقة .

ولقد توخينا فى هذا المقام الاعتماد على وقائع محددة مفصلة لكل وجه من الصورة نميط عنه القناع ، تبدو من خلالها الملامح البارزة للافراد ، وأرجأنا عرض ماجاء فى التوراة تصويرا للشعب اليهودى فى مجمله الى حين مناقشة الاستعلاء العنصرى اليهودى المبنى على الزعم بأن اليهود شعب الله المختار .

***

لقد رأينا كيف اسهم طائفة من أنبياء اليهود وحكمائهم ومؤرخيهم فى وضع أسفار التوراة ، وبحسبنا لتقييم ماثوراتهم أن نبين مكانة أنبياء اليهود كما تقدرها كتبهم المقدسة ، ومدى أهليتهم للثقة ومايتحلون به من خلق يقره عرفهم المستقر وتقاليدهم الدينية المتوارثة ، وهم الاسوة المثلى لليهود كافة التى بها يأتسون وينسجون على منوالها فى أمور دينهم ودنياهم .

فاذا ماتتبعنا ماتقص علينا التوراة من أخبار أنبياء اليهود وسيرهم لرأينا عجبا مغربا ، فثم من المثالب والنقائص التى تلصقها بهم مايضفى عليهم سابغات من سوء الخلال ، من الختل والخداع والغدر والكذب بل ومن صنوف الدنس والموبقات مايندى له رجه الفضيلة وما لو أسند بعضه الى السوقة وجهلة العوام لحقت عليهم اللعنات ولباؤوا بالخزى وغضب الله ولرموا بالكفر ووصموا بالعار ـ فما بالك بالأنبياء وهم صفوة الخلق ومثابة العصمة ورمز الهداية والطهر والقدوة المثلى للخلق العف التقى والسلوك الرضى المرضى .

ويزكو بنا ان نستدرك سلفا ـ أننا وان كنا ننزه الانبياء الذين ذكرتهم الكتب السماوية عن المثالب والمعاصى ونكن لهم كل اجلال وتوقير ـ الا اننا نعرضهم هنا بالصورة التى رسمتها عقلية اليهود فى توراتهم الموضوعة ـ وهى صورة شائهة ـ ابرازا للعقلية اليهودية الملتاثة ، وكى نستظهر جهرة ماأقحموه على التوراة من ترهات وأباطيل ، وماغشيها من تحريف وانحراف يفقدان النصوص الموضوعة صلاحيتها للتعويل عليها والوثوق بها فيما تضمنت من انباء وأحكام .

ومن الأمثلة البينة على ما ينسب اليهود الى أنبيائهم من مثالب تزرى بهم وتحط من قدرهم ،ماتحدثت به التوراة فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ( من رقم ٣٠ الى ٣٧ ) عن لوط النبى عقب هلاك مدينتى سدوم

وعمورة ، واكرام الله له بنجاته هو وابنتيه من الهلاك الذى اودى بمن حقت عليه نقمة الله — حيث تقول التوراة :

« وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه . لانه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض . هلم نسقى ابانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة انى قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا . فسقتا اباهما خمرا فى تلك الليلة ايضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مؤاب ، وهو أبو الموآبيين الى اليوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى ، وهو أبو بنى عمون الى اليوم» (الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من رقم ٣٠ الى ٣٧) .

هذا هو لوط الذى أكرمه الله سبحانه وتعالى ولم يشأ ان يدمر مدينتى سدوم وعمورة ويهلك من بهما من أهل الكفر والضلال — حتى يخرج مع ابنتيه من المدينة الآثمة وينجوا جميعا من الخسف .

فكيف يستقيم ما اجترح من دنس وفسق مع مايفترض فيه من مقومات النبوة وخلالها الحميدة من عصمة وعفاف وتورع عن الدنايا .

وواضح ان مؤدى هذه الواقعة المزرية هو النيل من لوط والتعريض بشرفه وعرضه ورميه بالخنا والفحش ونزع صفة الشرعية عن نسله من ابنتيه — الموآبيين وبنى عمون — مما يحط من نسبهم ويزرى بقدرهم ويفقدهم صلاحيتهم للزعامة .

ولانظن أن جرم لوط أو ما اقترفت ابنتاه — فيما تنسبه اليهم هذه الواقعة — بأفحش مما اجترحت زوجته التى عاقبها الله لمجرد تلفتها الى الفسقة من قومها فأحالها — كما ورد فى التوراة — عمودا من الملح — (الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين برقم ٢٦) .

فليست فعلته زلة هينة أو هفوة مغتفرة تورط فيها عفوا ، وانما هى مظهر فاضح للاستهتار المشين والتردى البالغ فى الخطيئة .

ذلك أن مجرد ادمانه على السكر — وهذه بعض نتائجه — لايليق بوقار النبوة والقيم الخلقية الفاضلة ، فما بالك اذا ماأفضى الى اقتراف الفسق ، والفسق بابنتيه !!

فلئن قيل ان ابنتيه هما اللتان حرضتاه على تعاطى الخمر ليلتين متتاليتين حتى فقد وعيه وفقد معه الوازع الدينى والخلقى ، فأين اذن ارادته وعزيمته ؟ وهل يجوز لسليب الارادة خائر العزيمة يساق الى المعصية مستسلما متهالكا أن يكون نبيا يدعو الى الله ، وقدوة يحتذى بأفعاله ؟

وهل يجوز لمثله ان يكون حفيظا على دعوة سماوية ومحلا لرعاية الهية خاصة فتؤثره بالاكرام والنجاة من الخسف المهين الذى لحق بقومه وبامرأته ؟

ومن قبيل ذلك أيضا ماروته التوراة تفصيلا فى سفر صموئيل الثانى بالاصحاح الحادى عشر من اقتراف سيدنا داود جريمة الزنا مع زوجة أوريا الحثى ، ثم تدبيره مؤامره لقتله ليفوز بها داود ويضمها الى نسائه .

والأدهى من ذلك ماورد فى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى برقم ١١ و ١٢ جزاء من الله على هذه الموبقة : «هكذا قال الرب ها أنا ذا اقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك واعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس . لانك أنت فعلت بالسر وانا أفعل هذاالعمل قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس» .

وتنفيذا لهذا الجزاء الشنيع الرهيب يقول الاصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الثانى برقم ٢٢ «فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم الى سرارى أبيه أمام جميع اسرائيل» .

هكذا قضت العدالة الالهية بأن يزنى ابشالوم بنساء أبيه داود عيانا فى رابعة النهار جزاء وفاقا وعلى مرأى من الشعب الاسرائيلى أجمع الذى ساهم فى ذلك المشهد الفاضح باعداد السرادق الذى يقترف فيه الزنا !!

واذا كانت المأثورات الالهية ماسيقت الا عبرة للبشر وتعليما لهم يقتدون بها فى تنظيم مجتمعهم ، فهل يفهم من سياق هذه القصة ــ كما يتبادر الى الذهن ــ أن لليهود فى ذلك الجزاء أسوة يحتذونها وسنة يتبعونها فى عقاب الزنا ؟!!

ومن هـذا القبيل كذلك ان راؤوبين الابن الاكبر لسيدنا يعقوب زنى ببلهة امرأة أبيه (الاصحاح الخامس والثلاثون من سفر التكوين برقم ٢٢).

وان يهوذا ابن سيدنا يعقوب أيضا قد زنى بكنته ثامار أرملة ابنه عير وانجبت منه توءمين : فارص وزارح (الاصحاح الثامن والثلاثون من سفر التكوين من رقم ١٩ الى ٣٠) .

والغريب فى امر راؤوبين ويهوذا ، وكلاهما من ابناء يعقوب وكل منهما مقارف لجريمة الزنا ، ان اباهما حين حضرته الوفاة اكتفى فى حق الاول بأن أبى ان يباركه ويدعو له ( الاصحاح التاسع والاربعون من سفر التكوين برقم ٣ ، ٤ ) .

بينما لم يكتف بالاغضاء عن جرم الآخر بل انه باركه ودعا له (الاصحاح التاسع والاربعون من سفر التكوين برقم ٩ و ١٠) .

ثم ان مؤدى هذه الواقعة الشائنة أن ينصرف وبالها الى شخصيات لها جلالها ووقارها فيغمزها فى نسبها ، فان داود وابنه سليمان عليهما السلام من نسل فارص بن ثامار من يهوذا ــ كما أن عيسى عليه السلام من نسل سيدنا داود كما جاء فى الاصحاح الاول من انجيل متى من رقم ١ الى ١٦ .

وهذا مثل آخر ينبىء عن مدى ماتنسبه التوراة الى أنبياء اليهود من جنوح عن الطريق السوى وانتهاج للوصولية والمخادعة سبيلا الى تحقيق المآرب الذاتية ، ــ مع الاغضاء عما فى هذه السبل من تنكب للقيم الاخلاقية

واهدار للفضائل التى تحض عليها التوراة فى بعض أسفارها بل ومع اعتـداد بهذه السبل الملتوية وتسليم بها .

فقد جاء فى الاصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين من رقم ١ الى رقم ٤٥ ـ فيما يتناول من سيرة سيدنا اسحق وولديه ، يعقوب ـ الذى كان يؤثره بمحبته ـ وعيسو الذى كان يستأثر بمحبة رفقـة أمـه ، كيف انتحل يعقوب شخصية أخيه عيسو واختلس لنفسه بركة أبيهما اسحق بعد أن تزيا بزيه ولبس شعر المعزى حتى اذا ماتحسسه أبوه ـ لضعف بصره ـ وجـده غزير الشعر كأخيه عيسو ـ وكان أشعر ، ـ وبناء على هذا الغش بغية اغتصاب البركة من أخيه ، فقد باركه الله ووعـده بملك فلسطين هـو وذريته .

ولقد عرضت التوراة وسائل يعقوب التى اسـتعان بهـا على اختلاس البركة من اخيه عيسو فىصورة مقبولة مرضية ،واستحلت انتهاجها غير منكرة مافيها من مكر وخديعة وتدليس يأباها الخلق الكريم ، فلم تر فيها مأثما يدعو للتجنيح والتثريب بل انها أقرتها واعترفت بالبركة المختلسة التى انتزعهـا يعقوب من أخيه غدرا ، ورتبت عليها نتائجها فأسبغتها عليه وعلى عقبه من بعده ووعدته وأياهم بالملك الابدى . وفى هذا تبرير للوصولية وتشجيع على انتهاجها واقرار للسـلوك الانتهازى الذى يبرر الواسـطة أيا كانت طبيعتها ومسالكها فى سبيل تحقيق الغاية المرجوة ، وهى ذات السياسة وعين الخلق اللذين ينتهجهما اليهود اليوم ابتغاء تحقيق مآربهم ولو على حساب الفضيلة والقيم الخلقية دون تأثم أو حرج .

ومن هذا القبيل أيضا ماجاء فى سفر الخروج من الايعاز لليهود بالاحتيال على أصدقائهم وجيرانهم المصريين لسلبهم حليهم وأمتعتهم وثيابهم حيث جاء فى الاصحاح الثانى عشر تحت رقم ٣٥ و ٣٦ : ـ

« وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى ، طلبوا من المصريين امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا . وأعطى الرب نعمةللشعب فى عيون المصريين حتى اعاروهم فسلبوا المصريين » .

ومن عجب أن تتم هذه الخيانة بايعاز دينى والهام ربانى كمـا جـاء فى الاصحاح الحادى عشر من سفر التكوين برقم ٢ على لسان الرب حيث يقول «تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب» .

وتحكى التوراة فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين (رقم ٢٩ الى ٣٣) أن سيدنا يعقوب قد بلغ به الشح والطمع والقسوة انه انتهز فرصة مرض أخيه عيسو واشتهائه أكلة عدس كان يطهوه فأبى أن يطعمه الا بعد أن يتنازل له عن جميع حقوقه فى البكورية ، أى حقوقه فى الميراث بعد وفاة أبيهما يعقوب) ـ فلم يسمح يعقوب لأخيه بتناول طعام الخبز والعدس حتى تنازل له عن حقوقه فى الميراث معجلا ، وأقسم له على هذا التنازل تحت ضغط الحاجة ووطأة الضعف والحاح الجوع اذ كان الاعياء قد أشرف به على الهلاك ، ـ وفىذلك تقول التوراة «فقال عيسو ليعقوب اطعمنى من هذا الاحمر لانى قد أعييت (برقم ـ ٣٠) ـ ويعتذر عيسو عن اذعانه ورضوخه لأخيه حتى تمت الصفقة بقوله «انا ماض الى الموت فلماذا لى البكورية» ( رقم ٣٢ ) .

فهو يقرر أن تنازله عن حقوقه فى البكورية ليس تفريطا فيها واستهانة بها وبخسا لها ؛ وانما هو الزهد فى عرض الدنيا قد غلب عليه حين أعياه السقم والمرض حتى أشرف على الهلاك وتمثل له الموت .

وتشهد التوراة على المجتمع الاسرائيلي بالانغماس فى الموبقات والمروق عن طاعة الله وعبادة الأوثان ، وهى لم تستثن من ذلك عصرا دون عصر فقد رمت بالكفر ملوكهم واقطابهم وعامتهم وحتى أنبياءهم وأئمة دينهم .

فتروى فى الاصحاح الثانى من سفر الخروج أن سيدنا موسى قد ضعف ايمانه حينا ما ورضخ للمشركين من قومه فصنع لهم عجلا من الحلى يعبدونه من دون الله ويقدمون له القرابين من الذبائح ــ كما نسبت الى أخيه هارون الكفر والوثنية أيضا .

وتروى التوراة أيضا أن سيدنا سليمان ملك بنى اسرائيل وابن سيدنا داود واحد رجالاتهم المكلوءين برعاية الله ــ كان ضعيف الايمان مهزوزالعقيدة، وانه سرعان ماانقاد لنسائه الوثنيات متهالكا خائرا فارتد عن دينه وعبد الاصنام وظل عليها عاكفا حتى مات مشركا بالله ــ فتقول فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الاول من رقم ٣ الى ٨ «وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت الهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه» .

«حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن» .

ولم يكن سيدنا سليمان ــ فيما تقص التوراة ــ أول ملك من بنى اسرائيل يرتد عن دينه الى الوثنية بل ان ثم من ذريته ــ سلالة سيدنا داود الموعود هو ونسله برعاية الله على وجه التخصيص ــ من عبد الأوثان وشيد لها المعابد وأقام المذابح والمحاريب .

وقد سدر اليهود فى غيهم وشركهم ، أقطابهم وعامتهم ، حتى بعد انقسام مملكتهم الموحدة الى مملكتى اسرائيل ويهوذا ــ وهاهى التوراة تندد فى سفر الملوك الاول بطائفة من ملوك اسرائيل وملوك يهوذا على السواء ــ منهم على سبيل المثال فى اسرائيل يربعام ( اصحاح ١٢ و ١٤ ) وابنه ناداب (اصحاح ١٥ رقم ٢٥ الى ٢٦) ثم الملك عمرى (أصحاح ١٦ رقم ٢٣ الى ٢٦) ثم ابنه اخاب (اصحاح ١٦ من رقم ٢٩ الى ٣٤) ثم ابنه أخزيا (اصحاح ٢٢ رقم ٥١ الى ٥٣) .

وتروى التوراة فى الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الاول من رقم ٣٠ الى ٣٢ عن اخاب بن عمرى ملك اسرائيل : ــ «وعمل اخاب بن عمرى الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين قبله . وكأنه كان أمرا زهيدا سلوكه فى خطايا يربعام بن نباط حتى اتخذ ايزابل ابنة اثبعل ملك الصيدونيين

امرأة وسار وعبد البعل وسجد له . وأقام مذبحا للبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة» .

وبعل وعشتاروت وكموش وملكوم أسماء معبودات وثنية كانت عبادتها منتشرة قديما بين الشعوب القاطنة فى ربوع الشام .

وتحصى التوراة فى الاصحاح الثامن عشر من ذلك السفر برقم ١٩ عدد أنبياء اليهود الذين كانوا فى خدمة الاله الوثنى بعل بأربعمائة وخمسين نبيا فى عهد أخاب ، وعدد أنبياء السوارى فى ذلك العهد بأربعمائة نبى يهودى .

أما فى مملكة يهوذا فقد كان الملك ابيام بن داود وثنيا عاكفا على عبادة الاصنام ( الاصحاح ١٥ من رقم ١ ـ ٣ ) .

ومنهم كذلك الملك منسى بن حزقيا ملك يهوذا ثم ابنه من بعده الملك أمون ـ فقد ورد فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك الثانى انهما كفرا بالله وعبدا الأوثان .

وتجمل التوراة ماكان عليه يهود مملكة يهوذا من شرك وضلال وفسق وعبادة للأوثان ، فيما تقص من أنبائهم فى الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الاول حيث تقول فى الفقرات من رقم ٢٢ الى ٢٤ : ـ

« وعمل يهوذا الشر فى عينى الرب وأغاروه أكثر من جميع ماعمل أباؤهم بخطاياهم التى اخطأوا بها ، وبنوا هم أيضا لانفسهم مرتفعات وانصابا وسوارى على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء ، وكان ايضا مأبونون فى الارض فعلوا حسب كل أرجاس الامم الذين طردهم الرب من امام بنى اسرائيل» .

وتردد التوراة كيف زاغ جمهرة بنى اسرائيل بعامة عن محجة الايمان وكفروا بدينهم واشركوا بربهم فتقول فى الاصحاح الثانى من سفر القضاة من رقم ١١ الى ١٣ :

« وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم . وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة اخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها واغاظوا الرب . تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروث» .

كما ورد فى الاصحاح الرابع من مراثى ارميا برقم ١٣ و ١٤ :

« من اجل خطايا أنبيائها وآثام كهنتها السافكين فى وسطها دم الصديقين تاهوا كعمى فى الشوارع وتلطخوا بالدم حتى لم يستطع احد ان يمس ملابسهم» .

أى أن التوراة تصم أنبياء اليهود وكهنتهم بالانغماس فى الخطاياوالآثام، وتنفى عنهم ماينبغى لهم من عصمة وترفع عن الدنايا ، بما يزعزع الثقة فيما يصدر عنهم من قول أو فعل ، وفيما يخلفون من مأثورات أو الحفاظ على ماانتهى اليهم من تراث ـ اذ ان من لايستعصم عن الانحراف لايشق عليه التفريط والتحريف .

## ثالثا ـ موقف المفكرين اليهود والمسيحيين من نصوص التوراة

انتهت الينا نسخ التوراة المعروفة ـ على مابينا ـ متمايزة الاصـول متخالفة المتون .

وتبدت الاسفار فيما بينها مهلهلة النسج يتخرمها اعتـلال الضـوابط وانحلال النسق بين الفقار والمواد .

ولم يكن مااقحم عليها من تحريف وتحوير من الاحكام بحيث يستخفى على الدراسة الجادة الفاحصة ، فما انفكت تطوى بين ثناياها من الشوارد والشذور ماينم عن مواطن التعديل والتبديل فيها .

كما ان التكرار الذى فشا بين اسفارها يشف عن كثير من التناقضات المتناوحة والاضطراب فى السرد وفى المواءمة .

ذلك بالاضافة الى ماحفلت به من ترهات يمجها العقـل ولاتسـيغها الفطرة السليمة ، وماتردد بين تضاعيفها من منكرات ينبو عنها الخلق الكريم وتزرى بالقيم الروحية والانسانية .

هكذا تكشفت دراسة التوراة عما شابها من مغـامز وثغرات ، وكلمـا ازداد الباحثون امعانا وتعمقا فى الدراسة تكشفت آفاق جديدة للغمز والهمز وازدادت الثغرات التى تفتقت عنها الدراسة عمقا واتساعا ، فضلت الافكار فى تعقب مسارها واعياها المواءمة بين مفهومها وبين المنطق والمعقول وماثبت من التاريخ المتواتر المنقول .

فلاجرم أن ذهبت الدراسة بالباحثين للتوراة مذاهب شتى وانتحت بهم طرائق قددا .

فمنهم من لم تواته الجراة لمواجهة مااعتورها من شوائب ومآخـذ بالتحدى السافر ، فنكل عن التعقيب والمجـادلة وقنع بالمداورة وتمحـل التعلات واصطناع التأويل الرمزى لنصوصها يدارى به ماانكر منها ليـا واقتسـارا ورهقا .

ومنهم من اعترف ببعض الاسفار وانكر بعضها منتحلا شـتى المعاذير على مافصلنا فيما سلف ، واخيرا فان منهم من غلبت عليه الحيرة واستبدت به البلبلة فوهنت ثقته فيها جملة ، وكان من الجراة بحيث شدد عليها النكير فخلع عنها قداستها وتطاول على العقيدة اليهودية بقسوة ناعيا عليها ماأنكر من أصولها المأثورة ـ ومن ثم رحب السبيل للافكار الالحـادية أن تتخـرم مواهنها حتى شاعت بين مفكرى اليهود تعبيرا عن قلق طاغ وضلال مبين .

ولقد تصدى لدراسة التوراة كثير من جهابذة المفكرين وعلماء اللاهوت من اليهـود والمسيحيين على السـواء ، عكفوا على اسـتقصائها وتنـاولوها بالتمحيص وضعا وموضـوعا ، وتطاولوا عليهـا بالتعقيب والنقـد العلمى الجرىء .

وممن امتازت دراستهم بالعمق والجراة الفيلسوف الرومانى المسيحى ماركيون Marcion الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى ، وقد عكف على دراسة العهد القديم دراسة ناقدة وراءه منـه تصويره للذات الالهيـة

بأقبح الصور ، فاشتط فى نقده حتى زاغ ايمانه ورفض العهد القديم كلية ، وقد نشر فلسفته فى مصر والشام وفارس وتعتبر آراؤه نواة للمذهب المانى فيما بعد .

ومنهم كذلك مارتن لوثر Martin Luther (١٤٨٣ – ١٥٤٦ م) زعيم الاصلاح الديني المسيحى فى المانيا ، وقد نقل التوراة الى الألمانية وانحى عليها بالنقد والتعقيب وقسا فى نقده لأسفار الانبياء خاصة .

ثم الفيلسوف اليهودى باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (١٦٣٢ – ١٦٧٧ م) . وقد نشأ فى هولنده وكان متأثرا بفلسفة ديكارت – ووضع تقييما شاملا للعهد القديم تناوله فيه بالنقد من حيث لغته ونصوصه وازمان تأليفه ومستوى مؤلفيه ، وانتهى به نقده الى انكار ماخلعه اليهود على العهد القديم من قداسة ، ونال من عقيدة الوحى منالا زعزع من الثقة فيما ورد فيه حتى لم يزد فى تقديره عن كونه مجرد كتاب أدبى قومى . وقد ازعجت هذه الآراء حاخامات اليهود ولم يسعهم وقد اسقط فى أيديهم الا أن يرموه بالزندقة ويقرروا حرمانه وطرده من حظيرة اليهود المؤمنين لجحوده ومروقه عن جادة الدين .

وممن تناول الكتاب المقدس بالنقد الجارح فى القرن السابع عشر القسيس الفرنسى ريتشارد سيمون .

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر نشط كثير من الباحثين لدراسة العهد القديم دراسة فاحصة تعالج النواحى التاريخية والفكرية ثم التعقيب عليه بالنقد والتقييم ، ومن هؤلاء الدارسين فون جوبينو (١٨١٦ – ١٨٨٢ م) وبول دوجارد (١٨٢٧ – ١٨٩١ م) ، ثم المستشرق الالمانى فريدريش ديليتش Friedrich Delitzsch ( ١٨٢١ – ١٨٨٨ م ) . الذى اثبت اعتماد اسفار العهد القديم والدين اليهودى على العقائد العبرية البابلية .

ويصرح عالم اللاهوت الدكتور تيودور . هـ . روبنسن (١) بأن أسفار التوراة غير محكمة التصنيف ، وان بياناتها ناقصة مشوبة بالهوى ، وأن ماجاء بها عن تاريخ اليهود فى مختلف صوره ومراحله انما هو من عمل الخيال الى حد ما ، مما يضفى عليها غاشيات من الشك ويضعف الثقة فى نصوصها.

ويخلص هربرت جورج ويلز H.G. Wells من دراسته للتوراة الى ان نصوصها قد عراها التحريف ، وهو يعزو ذلك الى طول الفترة التى جمعت خلالها والتى امتدت الى ثمانية قرون .

وازاء هذا كله ، لم يكن تجنيا من دائرة المعارف البريطانية فى تقييمها لنصوص التوراة الحالية أن تقرر انه ليس كل ماتحتويه هذه الاسفار هو الحق (٢) .

كذلك فان دائرة المعارف الامريكية تذكر أنه لايوجد ثمة سبب يدعو

---

(١) كتاب تاريخ العالم للسير جون هامرتون الجزء الثانى من الطبعة العربية صفحة ١٠٨ بعنوان « اسرائيل فى ضوء التاريخ » .

(٢) Encyclopaedia Britannica طبعة سنة ١٩٦٠ الجزء الثانى صفحة ٥٠١ .

الى افتراض أن أسفار العهد القديم لم تتعرض للانواع العادية من الفساد فى عملية النسخ ــ على الاقل فى الفترة التى سبقت اعتبارها أسفارا مقدسة . ــ اى قبل اعتماد نصوصها من الهيئات الكهنوتية الرسمية على السياق الذى انتهت اليه الآن (١) .

ومن احدث الفلسفات التى تمردت على التوراة وعلى الشريعة اليهودية وبالغت فى التعقيب عليها ، النظرية التى انتهى اليها سيجموند فرويد Sigmund Freud منكرا بها أصول العقيدة اليهودية جملة وتفصيلا .

فلقد وضع سيجموند فرويد فى أخريات أيامه كتابه «موسى والتوحيد» Moses and Monotheism وتناول فيه العقيدة اليهودية من خلال نصوص التوراة والتراث الدينى تناولا جريئا مغربا فى الاستقراء وفى التعليل ، نال من جوهر الدين اليهودى منالا قاسيا .

فلقد طعن على نصوص التوراة قدسيتها وسلامة ماتضمنته من أفكار ، وصرح بأن الفحص العلمى ومجريات الاحداث الثابتة علميا تكشف جليا عما غشيها من أصول متباينة ، وعما عراها من تعديل وتبديل طوال أعصر عديدة الى ان انتهت على يدى عزرا ونحميا الى صورتها المشوهة الحالية فى القرن الخامس قبل الميلاد .

وقد انتهج فرويد فى دراسته لاسفار التوراة ومقومات الدين اليهودى بعامة ــ نهجا سيكولوجيا فى ضوء التحليل النفسى للشخصية اليهودية وشخصية سيدنا موسى بالذات ، وخلص منها بانكار نسبة سيدنا موسى الى بنى اسرائيل أصالة ، والزعم بأنه مصرى لحما ودما ولغة وثقافة .

وهو يزعم أن الدين اليهودى الذى بشر به موسى ليس جديدا على البشرية ، وانما اقتبسه موسى من دين التوحيد الذى اعتنقه ونادى به اخناتون الفرعون المصرى ومفاده عبادة الاله آتون وحده (٢) .

كما يرى فرويد أن عادة الختان ــ وهى مناط العهد بين الله وبين اليهود والتى غدت من الشعائر الدينية والمعالم اليهودية الاساسية ــ مستقاة من التقاليد المصرية القديمة ، ويستشهد على أصالة هذه العادة بالنسبة للمصريين بما يرويه هيرودوت المؤرخ اليونانى القديم ، ــ كما يرى ــ استنادا الى رواية هيرودوت ايضا ــ ان بنى اسرائيل اخذوا عن المصريين مغالاتهم فى امور الطهارة ومبالغتهم فى النظافة ورميهم غيرهم من الشعوب بالنجاسة والقذارة (٣) ، وانهم اقتبسوا من المصريين تحريمهم لحوم الخنازير والابقار لاسباب دينية .

ويعزو فرويد ماكان يتميز به سيدنا موسى من عى وحصر الى أنه لم يكن يحسن غير لغته المصرية مما استعصى معه التفاهم مع بنى اسرائيل فى

---

(١) Encyclopaedia Americana طبعة سنة ١٩٥٩ الجزء الثالث صفحة ٦١٥ و ٦١٧ .

(٢) كشف الباحثون اخيرا عن تأثر سفر المزامير بأناشيد اخناتون الدينية تأثرا بينا وخاصة المزمور رقم ١٠٤ .

(٣) من ذلك ما فصله الاصحاح التاسع عشر من سفر العدد عن حالات الطهارة والنجاسة

يسر ، وليس لانه كان يشكو من علة فى لسانه تعتاق نطقه كما تروى التوراة ؛ ولهذا لم تكن له مندوحة من الاستعانة بمترجم من بنى اسرائيل ، ومن ثم فقد استعان بهارون — وهو لم يكن يمت اليه بأية درجة من صلات القربى وانما كان مجرد مواطن اسرائيلى يحسن التفاهم مع بنى جلدته بلغتهم التى يتعاملون بها (١) .

ويستدل فرويد على ذلك بأن موسى نشأ وترعرع فى قصر الفرعون فى بيئة مصرية خالصة ، وكان يشغل منصبا عسكريا مرموقا فى الجيش المصرى، وتلقى العلم والحكمة عن الكهنة المصريين ، ثم أن اسمه نفسه كان مصريا صميما من كلمة موسى Mose اى طفل او وليد على مايقرر المؤرخ برستد فى كتابه «تاريخ مصر» وهذا الاسم يكثر ترديده فى الآثار المصرية مثل تحتمس وأحمس .

وفى هذا الصدد يدحض فرويد مايزعمه اليهود من ان اسم موسى عبرانى من «موشيه» بمعنى «الذى انتشل من الماء» ، أطلقته عليه الأميرة الفرعونية التى انتشلته من الماء واتخذته لها ولدا (٢) ، على ماتروى التوراة فى الاصحاح الثانى من سفر الخروج رقم ١٠ .

وذلك لانه — فيما يرى فرويد — من غير المعقول ان تطلق عليه الأميرة المصرية هذا الاسم الغريب عليها ، فى حين أنها لم تكن تعرف العبرية ، والاحرى بداهة ، وقد تبنته — كما تروى التوراة — ان تدعوه بلغتها المصرية التى تعرفها والتى سوف تحادثه بها وتلقنها عنها .

وقد استرعى نظر فرويد من سفر هوشع وأسفار من تلاه من الانبياء ان بنى أسرائيل كانوا كثيرى التمرد على موسى وعلى ديانته ، ويستخلص من سياق الاحداث ان بنى اسرائيل تمادوا فى غيهم حتى انقضوا على موسى واغتالوه .

أما من اضطلع بالرسالة الدينية بعد مقتله — على مايرتئى فرويد — فهو موسى آخر كان كاهنا من أهل مدين ، بيد ان الاساطير — كما يزعم فرويد — هى التى وحدت بين الموسيين فى شخص اسطورى واحد ، كما مزجت بين الديانتين اللتين بشرا بهما ، فتخلت الديانة الجديدة عن تجسيد الاله ، ذلك التقليد العريق الذى حرصت الديانة المصرية القديمة على التزامه طوال العصور الفرعونية .

ويستطرد فرويد فى نظريته فيستنتج أن هذا المزج بين الديانتين نشأ

---

(١) انتهى الدكتور فؤاد حسنين على فى كتابه « التوراة الهيروغليفية » الى ان الاسفار الخمسة الاولى من التوراة والمنسوبة الى سيدنا موسى نفسه ، قد دونت ابتداء باللغة المصرية القديمة ، وهى لغة سيدنا موسى التى كان يجيدها والتى شب فى بيئتها ( راجع صفحة ١٥٦ من كتابنا هذا ) .

(٢) يزعم فريق ممن لا يؤمن بنبوة سيدنا موسى انه ابن غير شرعى لابنة فرعون من عمران اللاوى الاسرائيلى ؛ وضعته فى بيت أبيه ثم احتالت لتضمه اليها فالقته فى اليم ثم التقطته لتتولى تربيته على ما تروى القصة المعروفة — وهو زعم فاسد مسف بالغ العقم والتهافت .

عنه اسم الله في العبرية «ادوناى» مشـــتقا من اسم «آتون» الاله المصرى القديم الذى نادى به اخناتون ربا واحدا ودعا المصريين الى عبادته .

ويربط فرويد بين اغتيـال موسى ـ فيما يرى ـ وبين ظهـور فكرة المسيح المنتظر فى ختام عهد الأسر البابلى ، اذ اعتقد بنو اسرائيل ان سيدنا موسى «المصرى المقتال» سوف يعود الى الحياة من جديد ليقودهم الى حياة كريمة حافلة بالعز والبركة .

ولعل اغرب مافى الأمر ، ان هذه الآراء الجريئة المغرقة فى الزيغ والالحاد والتى تفطن اليها ذهن فرويد وانقدح عنها منطقه لم تصدر عن فكر حاقد موتور وموجدة مسبقة ناقمة وتعصب دينى مضـاد ، فلما يزل وجـدانه محتفظا بايمانه اليهودى وطالما تحدث عن طبيعته اليهودية واستمساكه بهـا وعزا اليها الفضل فيما استطاع أن يحققه ، ومن أقواله انه يشـعر بنفس التحدى والحماس الذى دافع به أسلافه عن الهيكل .

ويؤكد الدكتور صبرى جرجس (١) أن الحاد فرويد كان الحادا ذهنيا لم يصل قط الى وجدانه ، اذ ظل فى أعماقه محافظا على عقيدته اليهودية ، كما يبدو أن بعض أصحاب فكره لم يكونوا مؤمنين بصدق الحاده ، وانمـا مثله فى ذلك كمثل كثير من غلاة الصهيونيين مثل بن جوريون وموشى ديان وغيرهم ممن جاهروا بالحادهم مرارا ولم يخفف ذلك من تشـيعهم لدينهم ومن ميولهم الصهيونية الصارخة .

وقد انتهى الدكتـور صـبرى جرجس فى كتـابه «التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى» الى أن فرويد لم يكن يهوديا فحسب ، بل انه كان صهيونيا متعصبا حتى انه ظل محافظا على عضويته بجمعية بناى بريث الصهيونية منذ عام ١٨٩٥ حتى وفاته فى عام ١٩٣٩ .

★★★

ذلك رأى نسـوقه على عـواهنه ـ دون تقييم لما تضـمن من آراء ـ وبحسبنا دلالته على ما للتوراة بصورتها الراهنة من آثار فكرية مضطربة ـ أثارت التناقض بين الوجدان الدينى والعقلية الناضجة الواعية حتى حملت بعض المفكرين اليهود على الجحود والتمرد على جوهر العقيدة .

هذا ـ ويبدو لنا ان التناقض بين الوجدان الدينى فى عمقه وصـفائه وبين نصوص التوراة المضطربة المشوبة ، هما اللذان حفزا سيجموند فرويد واضرابه ممن نحا نحوه على دراستها وتقصيها ، وحمـلاهم على الغـلو فى التفكير المستريب ، وخليق بالفكر فى تحليقه فى ظلمات مضطربة غاشـية أن يضل سبيله وأن تتوالى عثراته فى مزالقها وتقسو كبواته فى متاهاتها .

---

(١) راجع فى هذا الصدد مقال الدكتور صبرى جرجس بعنـوان ( سـيجموند فرويد والصهيونية ) المنشورة بالعدد ١٠٤ من مجلة الكاتب الصادر بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ من صفحة ١٤٨ الى ١٦٠ .

## الفصل الثانى

## تقييم التلمود والكبـالا

### ١ ـ تقييم التلمود

أسفار التوراة الحالية ـ على ماأثبتنا آنفا يشـوب متنها التحـريف ويتخللها كثير من النصوص الموضوعة ، ألفها حكماء اليهود وكهنته بوحى من نوازع سياسية يسفر عنه تعقب سياق النصوص ودراسة ماترمى اليه من مغزى .

وكأنما لم يجد رجال الدين اليهود فى نصوص التوراةماينقع غلتهم ويحكم سيطرتهم على الفكر اليهودى وشئون المجتمع اليهودى كافة ، فوضعوا التلمود تقنينا للمبادىء العنصرية المتطرفة وتفصيلا لما اجملته التوراة واكمالا لما أعوزهم من نصوص تؤكد سلطاتهم وتحكم طغيانهم الكهنوتى ، وخلعوا عليه من القداسة مايضعه حذو التوراة ان لم يبزها ، لتصبح أحكامه ملزمة دون لجاج أو محاجة .

ونحن لانتجنى بذلك على التلمود ، فثم طائفة كبيرة من اليهود المتدينين قد تفطنت الى هذه الحقيقة القاسية فأنكرت التلمود أصالة ، فهى لاتؤمن به بتة وتنبذ أحكامه كلية ، وهؤلاء هم طائفة اليهود القرائين الذين لايؤمنون بغير التوراة كتابا منزلا ولايدينون لغيرها شرعة ومنهاجا .

والتلمود هو الذى حدد قواعد السلوك الاجتماعى لليهود ، ووضع لهم منهاج المعاملات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية فيما بينهم وبالنسبة لغير اليهود خاصة .

ويحسبنا لتقييم التلمود واعطاء صورة واضحة لما يحـويه من شرائع وتعاليم أن نورد فيما يلى ماجاء به تفسيرا لحدوث الزلازل : ـ

« يندم الله على تركه اليهود فى حالة التعاسة حتى انه يلطم ويبكى كل يوم ؛ فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من بدء العالم الى نهايتـه ، وتضـطرب الميـاه وترتجف الارض فى اغلب الأوقات فتحصـل الزلازل» .

ويدعى التلمود أن «الأجرام السماوية هي الملائكة الصالحة» .

ويعظم اليهود التلمود ويقدسونه ، وهم يعتقدون أن مايقوله الحاخامات وهم واضعو التلمود أو قسم الجمارا منه على الأقل — على مايعتقد غير طائفة الربانيين من اليهود — انما هو وحي من الله . واعظاما لمكانة هؤلاء الحاخامات وتوكيدا لفضلهم يقول التلمود :ـ

« ان الحاخامات المتوفين مكلفين بتعليم المؤمنين في السماء» .

كما يقول التلمود :ـ

« أن من يجادل حاخامه فقد أخطأ وكأنه يجادل العزة الالهية » .

★★★

هذه لمحة عابرة عما يحوى التلمود من ترهات وأباطيل يمجها العقل ويأباها الايمان الصادق ، تكشف عن مدى طغيان الفكر القيادي الذي وضعها وسذاجة العقلية الجماهيرية التي وضعت لتتقبلها وتستيقنها وتؤمن بهـا ، وتكشف عن مدى سلطان الكهانة الطاغية ومالها من نفوذ عات مستبد تعنو له الجماهير خائرة مستسلمة سليبة الارادة عن جهـل ديني وايمـان أعمى وعقيدة ضالة هوجاء يعوزها مجرد الفهم السـليم والادراك السـوى حتى تجوز عليها تلك الزندقة وتسيغ تلك الترهات الملحدة .

ولقد كان التلمود السبب الرئيسي في تمزيق وحدة اليهود الى فرقتين رئيسيتين فرقة الربانيين المؤمنة به وفرقة القرائين المنكرة له .

ويؤكد القراءون ايمانهم بنصوص التوراة ومدى التزامهم بها في شرائعهم ومعاملاتهم ومدى حجية التلمود لديهم في قولهم «ويجب علينا نحن معشر القرائين ان نجعل دائما نصب اعيننا ان ما سنه لنا علماؤنا ليس هو عندنا ما سنه لاخواننا الربانيين علماؤهم . فان هـؤلاء يرون أن أقـوال علمـائهم الاقدمين توراة ثانية أوحى بها أيضا الى النبي عليه السلام (١) ونحن اذا افترقنا منهم وانفصلنا عنهم فلهذا السبب ، فاننا في مسـائلنا الشرعيـة لانرجع الى شيء آخر غير التوراة المعروفة ، فما لا مستند له منها نصـا أو قياسا فلانعول عليه (٢)» .

هذا ، بينما يلتزم الربانيون بأحكام التلمود مع مافيها من شذوذ ، دون أن تكون لهم الحرية في تحكيم العقل والمنطق والاجتهاد في الرأى ، ويقول صاحبا كتاب شعار الخضر في الاحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين ايضاحا لذلك :

(٣) «فان اخواننا (أى الربانيين) يعتبرون التلمود توراة ثانية لايقدرون أن يحيدوا عنه قيد نقير او فتيل ، فضلا عن عدم اعتبار القرائين له الا ماوافق منه فاذا أمكن للقرائين الاجتهاد وهو غير مقفل عليهم اقفاله على اخوانهم (أى الربانيين) بالتلمود فامكان اجتهاد هؤلاء مثلنا لايتأتى كما هو ظاهر» .

---

(١) يقصد سيدنا موسى عليه السلام .

(٢) كتاب شعار الخضر في الأحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين تأليف الياهو بشياصي وتلميذه يشوعاه وتعريب الاستاذ مراد فرج طبع القاهرة سنة ١٩١٧ ص ١٧٤ .

(٣) المرجع السابق صفحة ١ .

ولقد كان هذا الخلاف فى العقيدة مثار العداء الشديد بين الفريقين . وكانت له فى مصر مظاهر عنيفة دامية شغلت السلطات الحاكمة وصدرت فى شأنه كثير من العهود والفرمانات والاحكام منذ ولاية عمرو بن العاص ، وقد ذكر بعضها فى كتاب «شعار الخضر فى الاحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين (1)» .

ونحن نكتفى بهذا القدر لتبيان القيمة الاجتماعية والانسانية للتلمود ، ومدى مجافاته للعقل والمنطق وقواعد الخلق القويم والمعالم الانسانية بعامة والتزامه التعصب اليهودى فى أبشع صوره ، ومدى نسبة نصوصه ومضمونه الى الله سبحانه ، ومافيه من البهتان والاجتراء على الله ماتتنزه عنه ذاته العلية ، كما فى قول التوراة «الله بكى وزأر وتقرحت عيناه حين أمر بتخريب الهيكل» وان من اليهود أنفسهم والقرائين منهم خاصة من ينكر قطعا أنه من عند الله ، ولايعتد بما تضمن من أحكام وتعاليم سواء فى العبادات أو فى المعاملات .

ولسوف نعود الى تعاليم التلمود فى معالجتنا للاسباب الفعلية لاضطهاد اليهود .

---

(1) المرجع السابق من صفحة ١٨٠ الى ١٨٩ .

## ٢ ــ تقييم الكبــالا

تعتبر تعاليم الكبالا من قبيل الشعوذة التى لاتعتمد على أى اســاس مقبول سواء من العلم أو المنطق - اللهم الا أن يكون منطقا معلولا أملته دوافــع شريرة لاتمت الى الانسانية بسبب .

وانما تعتبر هذه التعاليم منفسا لغلواء يهودى مكبوت يحول الضعف والقصور دون ممارسة اى اجراء عملى ايجابى . فكانت الاجــراءات السرية كالسحر وطرائق الشعوذة أدنى مايمكن تقاة اليهود القيام به لتسكين نفوسهم القلقة واحياء آمالهم الطموحة فيما يشبه احلام اليقظة ، وبما يعتبر تعبيرا صادقا عما يعتمل فى أطوائهم ومايكنون للعالم من حقد وغل .

وليس أدل على ذلك من أن الشياطين والأرواح هى أدواتهم يستعدونها على سائر البشر ويلتمسون منها العــون فى الانتقام منهم ، ذلك أنه لم يكن متاحا لهم الجهر بهذه الآمال الخارقة طوال أعصر لم ينالوا فيها الحرية الكافية للجهر بما ينفعل فى نفوسهم من أفكار جانحة متوارثة .

فلما أن رحب المجال لحرية الراى منذ القرن التاسع عشر ، تطورت تلك التعاليم المسعورة تحت ضغط الفلسفات القومية والآراء التقدمية ــ بمــا يتلاءم مع الافكار العصرية والفرصة المتاحة للجهر بها والتوفر على تهيئــة الجو المتيح لاعمالها وتحقيقها ، فاستبدلوا بهذه التعاليم السحرية منهجا عمليا ايجابيا عرف ببروتوكولات حكماء صهيون وتوفروا على اعماله بصبر وجلد .

ولعل من ابلغ ماوصفت به تعاليم الكبالا قول الاب قسطنطين فى كتابه «اليهود فى كفة التاريخ (١)» :

« اننى اظن ان الشيطان عنــد حضــوره الكوكب الأرضى انما يحضر متقمصا الشكل اليهودى ، واقطع فوق ذلك بحضوره منتسبا الى الكبالا ، فان كبالا اقصر جسر بين المرء الضال والشيطان » .

وبالمثل فان العالم الفرنسى جيو جينو دى موسو يصفهــا فى كتابه «اليهودى والمذهب اليهودى وتهويد الشــعوب المســيحية» المطبوع ســنة ١٨٨٦ (٢) بقوله :

«ان الكبالا كتاب ترتعد له حتى فرائص عــزرائيل فالعلوم الشريرة والمشئومة تتسرب الى خارج صفحاته كسم الثعبان الزعاف » .

ويرتبط الكبالا أشد ارتباط بالتضحيات البشرية التى يمارسها اليهود خفية .

ذلك ان اليهود يعتقدون ان الدم المسفوح يمتاز بمفعول خاص فى أعمال السحر التى يمارسها حاخامات اليهود طبقا للتعاليم التى تضــمنها كل من الكبالا والتلمود والتى تتصل اتصالا وثيقا بطقوسهم الدينية .

---

(١)و(٢) مشار اليهما فى كتاب « اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية » تأليف الاستاذ ايليا ابو الروس صفحة ٦٢ .

ولذلك فقد كان الحصول على هذه الدماء البشرية من أعز أمانيهم، يسعون لها خلسة ودأبا بنجوة من العيون والارصاد ويزاولونها فى طقوس ومراسم حافلة .

ولقد أفرد الاستاذ ايليا أبو الروس فى كتابه «اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية» الفصول من الثالث الى السابع (من صفحة ٥٣ الى صفحة ١٢٦ ) لتفصيل وقائع محددة عن ممارسة اليهود طقوسا وحشية تقوم على تقديم الضحايا البشرية من المسيحيين بقصد استخدام دمائهم المسفوحة فى أغراض دينية تقربا الى الله ، وقد أورد فى هذه الفصول كثيرا من الوقائع التى رزىء بها كثير من أقطار العالم الشرقية والغربية على السواء ، والتى كشفت عنها التحقيقات الرسمية التى أجرتها الحكومات المختصة ، كما أشار الى الوثائق الرسمية التى تؤيد تلك الوقائع .

ويحسبنا ذلك لتقييم الكبالا وتبيان مدى الاطمئنان الى ماحوته من افكار جهنمية وآراء شيطانية ، وتقدير مدى خطورة الآثار التى تستثيرها تعاليمه فى نفوس المتصوفة اليهود المعروفين باسم الكبالا أيضا ، والذين يعتمدون عليها فى عقائدهم التى يدينون بها ويدينون لها ، وفى ممارسة مناسكهم وطقوسهم الرهيبة .

## المبحث الثانى

# الباب الثالث

# تقييم الوعود المقدسة

# الفصل الأول

## وعــود التــوراة

### موقف اليهود من وعود التوراة

كان من أثر الثورة الفكرية التى عصفت بالعقائد اليهودية فى السبى وفى أعقابه أن تناول اليهود ماورد فى أسفار التوراة من وعود الهية بمفاهيم مختلفة توزعتهم ثلاث شيع متباينة :

١ ـ فريق المتطرفين «الصهيونيين» ـ وقد فسروها تفسيرا حرفيـا ماديا جامدا ، فآمنوا بالوعود الالهية على علاتها كما رددتها النصوص وحسبما يوحى مدلولها السطحى الظاهر وان لم يؤيدها برهان عقلى ، باعتبار أنهـا تمنحهم حقوقا ربانية لا مرية فيها مقتضـاها سيادتهم على أقطار الارض وفرض سلطانهم المادى والروحى على البشر جميعا ، ووجوب توفرهم على اقتضاء هذه الحقوق كرها عن طريق العنف والقوة ، ايمانا منهم بأنه ليس على بنى اسرائيل ان ينتظروا حتى يحقق الله ماوعدهم به من ملك مادى وملكوت روحى ، وانما عليهم ، فرضا شرعيا ، أن يكافحوا ليساعدوا الله على تنفيذ ارادته .

ومن هؤلاء المتطرفين اولئك الذين قاموا بالثورة على الحكم الرومانى فى القرن الأول الميلادى .

ومنهم من انكر دور المسيح المنتظر فى تحقيق هذه الوعود ، مثل جيجر وصموئيل هولديم ، فلم يعلق العودة الى أرض الميعاد على ظهوره ودعـا اليهود الى الاستيلاء على فلسطين معتمدين على أنفسهم وقدراتهم الخاصـة ماالستطاعوا الى ذلك سبيلا دون انتظار لمخلص مرتقب .

٢ ـ فريق المعتدلين ـ ويرون ان الوعود الالهية صادرة من الله سبحانه وتعالى حقا بيد أنها من الشئون الربانية البحت ، فهـو الذى يتـولى عنهم تنفيذها بمشيئته ومعجزاته الربانية الخارقة دون تدخل مباشر منهم ، ولهذا يقفون منها موقفا سلبيا مستسلمين لما يأتى به القدر .

٣ ـ فريق المفكرين الأحرار ـ وقد حملوها على معان مجازية واولوها تأويلا فلسفيا روحانيا ، باعتبار أن مؤدى الفتح والسيطرة ليس الفتح المادى

للبلاد واخضاع العباد اخضاعا سياسيا ، وانما هو الفتح الدينى للقلوب والافئدة والسيطرة الروحية على شعوب الارض . وقد ايدهم فى ذلك المسيحيون الكاثوليك فى تفسيرهم لاسفار التوراة ــ العهد العتيق من كتابهم المقدس .

وهكذا يبين كيف كان مؤدى اختلاف اليهود فى تفهم مقتضى الوعود الالهية وتفسيرها ــ نشوء المذهب الصهيونى والنظرية الصهيونية التى توقن بالتفسير الحرفى الجامد لنصوص تلك الوعود .

## (١) اختلاف النطاق الجغرافى لوعود التوراة

يختلف النطاق الاقليمى للوعود التى منحها الله لسيدنا ابراهيم ثم لذريته من بعده بالنسبة لكل من الموعود لهم .

فبينما يعد سيدنا ابراهيم ونسله بملك يمتد من نهر النيل حتى نهر الفرات ، اذ به يأمر سيدنا اسحق صراحة بعدم النزول الى مصر وان يسكن فى الأرض التى يأمره بالتغرب فيها والتى وعد باعطائها له ولنسله (الاصحاح ٢٦ من سفر التكوين رقم ١ الى ٣) .

ثم يوجه الوعد الى سيدنا يعقوب بصورة مقتضبة يفهم منها أنه يعده هو ونسله بامتلاك الارض (التى هو مضطجع عليها) .

( الاصحاح ٢٨ من سفر التكوين رقم ١٠ الى ١٣ ) .

ثم يعد الله سيدنا موسى وأخاه هارون بامتلاك أرض كنعان (فلسطين الحالية) دون النص على تمليك نسلهما لهذه البلاد وبما يفهم منه ان امتلاك ارض كنعان مقصور عليهما فقط دون ذريتهما من بعدهما (الاصحاح ١٤ من سفر اللاويين رقم ٣٣ و ٣٤) .

وبعد وفاة موسى يعد الله بنى اسرائيل بزعامة يوشع بن نون بملك يمتد من نهر الفرات شرقا حتى البحر الابيض المتوسط غربا منطويا على «البرية ولبنان» (الاصحاح الأول من سفر يشوع رقم ٢ الى ٤) .

ثم يقتصر وعد الله لسيدنا داود على تثبيت ملكه الى الابد .

( الاصحاح ٧ من سفر صموئيل الثانى رقم ١٢ الى ١٦ ) .

ومعلوم ان ملك داود كان مقصورا على مساحة محدودة من فلسطين ، اما ابدية هذا الملك فان الواقع والتاريخ ينفيانها نفيا جازما .

ويخلص من جماع ماتقدم ان الوعد الذى منح ابتداء لسيدنا ابراهيم ونسله من بعده يشمل مابين نهرى الفرات والنيل من اقاليم شاسعة ، وأن اقتصار نطاق الوعد بالنسبة لسيدنا يعقوب وذريته وخاصة موسى وهارون وداود عليهم السلام على اجزاء مما وعد به سيدنا ابراهيم ونسله لاتتجاوز حدود بلاد كنعان ــ انما ينصب على نصيب سيدنا يعقوب ونسله فقط دون أخويه اسماعيل واسحق .

واذ كانت مصر قد حرمت على سيدنا اسحق كما وضح آنفا من نصوص التوراة — فان ذلك يعنى بجلاء لا مرية فيه أن ماانقطع من نصيب يعقوب واسحق ونسلهما من جماع ما وعد الله به ذرية سيدنا ابراهيم ، يعتبر — اكمالا انفاذ الوعد الالهى لسيدنا ابراهيم — حقا خالصا لنسل سيدنا اسماعيل وحده ، اذ لم تتعرض له الوعود اللاحقة بما ينقض من تراثه باعتباره من سلالة ابراهيم وأول من ينصرف اليه الوعد بالارث من ذريته حيث يقول الرب فى الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين برقم ٤ «الذى يخرج من احشائك هو يرثك» .

وكان سيدنا اسماعيل أول ذرية أنجبها سيدنا ابراهيم بعد صدور ذلك الوعد (الاصحاح ١٦ من سفر التكوين) .

ومما يؤيد ماذهبنا اليه من حق سيدنا اسماعيل فى ميراث ابيه ابراهيم أن تقليد الختان الذى كان علامة لليهود عقد بمقتضاه العهد بين الله وبين سيدنا ابراهيم — ينصرف الى ختان سيدنا اسماعيل ابتداء .

فلقد جاء فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين برقم ١٠ و ١١ أنه لما بلغ سيدنا ابراهيم من العمر تسعا وتسعين سنة «قال الله لابراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى ، انت ونسلك من بعدك فى أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر . فتختنون فى لحم غرلتكم . فيكون علامة عهدى بينى وبينكم» الى ان يقول فى رقم ١٣ و ١٤ من ذلك الاصحاح : — «فيكون عهدى فى لحمكم عهدا أبديا . وأما الذكر الأغلف الذى لايختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ، انه قد نكث عهدى» .

وينص هذا الاصحاح ذاته فى رقم ١٨ منه على أن سيدنا ابراهيم لم يكن له من الذرية حينذاك سوى سيدنا اسماعيل .

كما ينص فى رقم ٢١ منه على أن سيدنا ابراهيم لم ينجب ابنه اسحق الا فى العام التالى .

وأخيرا فانه لما يسترعى النظر فى مجموع هذه الوعود انها — فيما يبدو من تسلسلها ومنتهاها — لم تلق جزافا وانما تلتزم مسارا مرسوما يلتوى بها قسرا فتتخطى فريقا من آل ابراهيم دون علة ظاهرة بل وبتسويغ غير مشروع ، كما حدث فى ايثارها اسحق على أخيه اسماعيل وفى تنكبها عيسو الى أخيه يعقوب — رغم ماتخول لهما بكوريتهما من حقوق تقررها الشريعة الموسوية — الى أن تنتهى تلك الوعود الى داود ونسله .

ويبدو من مساق الوعود انها تتوخى أصالة أهدافا ثلاثة تسعى اليها سعيا حثيثا مباشرا :

أولا — الاعتراف بمملكة يهوذا دون مملكة اسرائيل ، وهما المملكتان اللتان انقسم اليهما ملك داود — وكان يتبوأ العرش فى مملكة يهوذا ملوك من نسل داود عليه السلام .

ثانيا — الكيد للاسلام والغض من رسالته باهدار حقوق اسماعيل بناء على أمر ربانى — اذ أن سيدنا محمدا نبى الاسلام ينتسب الى سيدنا

اسماعيل جد ابراهيم — ومن المتواتر والمشهود ان اليهود كانوا ومازالوا من الد الخصام للاسلام .

ثالثا — حصر زعامة اليهود الروحية وتركيز ملكهم السرمدى الموعود فى بيت داود الذى ينتمى اليه المسيح المنتظر كما تردد أسفار التوراة .

وواضح من هذه الأهداف انها لاتمت الى الدين او العقيدة بسبب ، وانما أملتها دوافع سياسية بحتة ، وليست التوراة المجال الأصيل لاعمالها على اية حال .

والصبغة السياسية هى اللون الغالب لما تهدف اليه التوراة فيما تقص من انباء وسير ، وهو لون صارخ لا يدق على البصائر الواعية .

وفى هذا الصدد ، فانه باستقراء ماتضمنته التوراة من مثالب فاضحة ومباذل مشينة نسبتها الى طائفة من الشخصيات التاريخية باعتبارها أصولا عرقية ينتمى اليها بعض الطوائف اليهودية او تلك التى كانت لها صلات باليهود على وجه ما — كحام وكنعان ولوط وعيسو ، نلاحظ انها تحرص عادة على التعقيب على هذه المطاعن تعقيبا وبيلا لايقتصر على من وصموا بها ، وانما يتعداه — وبتركيز ملحوظ — الى اعقابهم فتندد بهم وتنزع عنهم صلاحيتهم أبدا للمناصب الدينية والدنيوية معا .

كما يسترعى الانتباه فى أمر هذه الاتهامات المزرية ، انها تفضى — فى المقابل — الى تنزيه طوائف أخرى من اليهود من كل شائبة تنال من أصولهم وتزرى بأعقابهم ، وتحرص على ايثارهم بالحظوة الالهية والجدارة بزعامة اليهود .

ولا يكاد يعتاص على من يتعقب نصوص التوراة بالتحليل والدراسة المتابعة ، أن يستشف من خلالها أن ايثار البعض من اليهود بالحسنيين — دنيا وآخرة — انما هو هدف مقصود من مساق المطاعن بالنسبة للبعض الآخر ، وأن اكتيال التهم بذلك التنسيق المحكم انما هو مجرد اصطناع للذرائع ابتغاء التشهير بذلك الفريق المعنى لتنفير القلوب من حوله وعزله عن الحياة العامة ، أو حرمانه من مميزات اجتماعية أو دينية ، وافساحا لغيره — مقصود بذاته — طرائق الايثار بالمحامد والأمجاد .

وفضلا عن ذلك فانه ليس من المساغ عقلا ودينا ان تكون منزلة من عند الله سبحانه ، تلك المناكير المعنة فى الفحش والاقذاع ، وتلك المقادح من الخنا والفجور ، التى تصم بها التوراة شخصيات فذة مرموقة تتسم بالوقار وبالجلال ، مفروض فيها التحلى بالقداسة والعصمة ، وتقتعد فى المجتمع اليهودى منزلة دينية سامية ، كما فى اتهام لوط بمقارفة الفجور مع ابنتيه ، واتهام يهوذا بن يعقوب باجتراح الزنا مع أرملة ابنه عير .

وان فيما اسفرت عنه الدراسة التاريخية لأسفار التوراة ونصوصها ما يجلى الحقائق الكامنة فى ثنايا تلك المفارقات المبينة .

فعن قصتى لوط ويهوذا مثلا ، يعزى الى الكاهن عزرا — وهو من نسل

هرون – انه حين تولى جمع التوراة بعد عودته من السبى ، أضاف اليها هاتين القصتين على النحو المسف الذى حفلت به نصوصها ، يبتغى بذلك حرمان نسل داود – الذى ينتمى اليه كل من لوط ويهوذا – من الصلاحية لتولى مناصب الزعامة ، وبهذا أفسح المجال لآل هرون وأمكنهم فعلا تولى زعامة اليهود بعد عودتهم من السبى من دون آل داود (١) .

كما أن قصة لوط مع ابنتيه قد استهدفت كذلك النيل من نسب المؤابيين وبنى عمون لما بينهما وبين بنى اسرائيل من لدد وعداوة سعرت بينهم أوار الاحتراب والقتال ، حيث ذكرت التوراة فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من رقم ٣٦ الى ٣٨ : «فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو المؤابيين الى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون الى اليوم » .

أما تشهير التوراة بحام بن نوح فيتبدى مظهرا لاهبا لحقد اليهود واضطغانهم على المصريين – وهم من نسل حام – لما عانوا على أيديهم من ذل ونكال ماانفكت التوراة تردده وتذكرهم به فى مواضع كثيرة منها ، مما أثار حفائظهم واخلد فى قلوبهم مرارة عميقة متجددة وموجدة متلظية متوارثة .

وبعد : فذاك ملاك القول فى ملك اليهود الموعود فى منطقة فلسطين وماتاخمها، وان استطرد بنا الحديث الى ما يتصل به من ظروف وملابسات وأقيسة نستجلى بها الرؤية الصادقة حتى يستقيم المنهاج للراى الصائب الحصيف .

أما عن دعوى اليهود بملك العالم أجمع استنادا الى وعود ربانية – فان نصوص التوراة التى يستشهدون بها لاتحتمل معنى الوعد بامتلاك العالم امتلاكا ماديا على أى وجه .

فان الاصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال من رقم ٢١ الى ٢٥ يحدد نطاق مملكة اليهود التى يسيطرون عليها بزعامة المسيح المنتظر – بالأرض التى أعطيت لسيدنا ابراهيم والتى سكن فيها الرعيل الاول من بنى اسرائيل .

وفى هذا الصدد يقول الاصحاح الثانى من سفر اشعيا رقم ١ : –

« يكون فى آخر الأيام ان جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق الجبال وتجرى اليه كل الأمم » .

ومفهوم ذلك أن اليهود يحجون الى «بيت الرب» من كل حدب وصوب.

أما قول الاصحاح ٦٢ من سفر اشعيا فى رقم ١١ : –

« هو ذا الرب قد أخبر – الى أقصى الأرض قولوا لابنة صهيون هو ذا مخلصك آت »

---

(١) كتاب بذل المجهود فى افحام اليهود تاليف السموءل بن يحيى بن عباس المغربى طبع القاهرة صفحة ٥٠ .

فان المقصود به ينصرف الى التبشير فى أقطار الارض بظهور المخلص فحسب وليس بملك هذه الأقطار .

ولسنا نجد قولا قاطعا صريحا بالملك المادى لاقطار المعمورة الا فى التلمود الذى حوى كل عجب من التعاليم والاحكام .

## ٢ ــ مدى فاعلية وعود التوراة بالمفهوم الصهيونى المادى

فى مقام دراستنا لوعود التوراة بالملك اليهودى فى ضوء المفهوم المادى الذى يلتزمه المذهب الصهيونى . لا محل للنظر فيما ذهب اليه بعض المتأولين فى محاولة متكلفة يلتمسون بها التوفيق بين الوعود التى رددتها التوراة وبين احداث التاريخ المسلم بها ، ثم بينها وبين منطق العقل ونصوص الانجيل وآيات القرآن الكريم ، بما يدارى تناقض التوراة ويحفظ عليها قداستها ــ من ذلك القول بأن تلك الوعود قد تحققت فعلا على وجه يفسد على الصهيونيين مزاعمهم ، حيث عزاها أولئك المتأولون الى الفترات التى ملك فيها اليهود شطرا من فلسطين لأمد قصير ، أو علقوا تلك الوعود بزمان دون زمان ، أو اعتبروا النطاق الروحانى للديانة المسيحية تارة أو الديانة الاسلامية تارة أخرى هى رحاب الملك الموعود بحسبانهما فتحا ربانيا لمغاليق القلوب ، وباعتبار أن سيدنا عيسى وسيدنا محمد صلوات الله عليهما ينحدران من نسل سيدنا ابراهيم الموعود بالملك فى التوراة .

تلك كلها محاولات عقيمة غير سائغة ولا مجدية : بالنسبة للمذهب الصهيونى على الاقل الذى يأخذ بالتفسير المادى الحرفى للنصوص الدينية ، ذلك لأنها توقر النصوص الحرفية والواقع المشهود وترهق تأويلها بمعان لايطيقها سياق الوعود ، ثم انها تطوع مجريات التاريخ والاحداث العامة لنصوص التوراة قسرا ، بتحويرها تحويرا تعسفيا بغية افتعال الاتساق وتكلف المواءمة بينها واثبات فاعلية وعود التوراة ، مع أن عبارة النصوص واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض ــ اذا سلمنا جدلا بالتفسير المادى الذى يراه الصهيونيون ــ فهى تعد اليهود بملك ابدى لأقطار معينة ، ثم السيطرة على العالم باسره سيطرة سرمدية غير موقوته ، وقد خصت بهذا الملك أشخاصا معينين بذواتهم ثم منت به نسلهم من بعدهم على وجه التحديد . وقد حدد ميقات اعمال هذه الوعود بزمان من وجهت اليهم الوعود بأسمائهم الخاصة .

على أن من يرى تأويل الوعود الالهية بملك فلسطين والعالم تأويلا روحانيا مناطه الرسالتان السماويتان اللتان بعث بهما سيدنا عيسى ثم سيدنا محمد عليهما السلام ــ انما يتفق مع فريق من اليهود والنصارى الكاثوليك الذين يرون التأويل الروحانى على عكس مايراه الصهيونيون .

ونحن اذا مادرسنا نصوص التوراة التى تردد الوعد الالهى لليهود بملك فلسطين والأقطار المتاخمة ملكا ابديا ، نلاحظ انها تبذل ذلك الوعد فى شقين متميزين ، شق خاص موجه الى الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب (اسرائيل)

وموسى عليهم السلام ــ وهــذا الشق لم يتحقق أصــلا على ماهو ثابت من الحقائق التاريخية ومن اخبار التوراة نفسها .

ثم شق عام موجه الى ذرية كل من هؤلاء الأنبياء كافة على التعاقب حتى انتهى الى نسل داود من بنى اسرائيل دون تعيين أو تخصيص لشخص بذاته، وقد كان نصيب هذا الشق فى الانجاز من الابتسار وانعدام الاثر ماافقــده فاعليته ، حتى بدا كالبرق الخلب على المدى الطويل سرعان ماخبا بعد تلبث وشيك عاف الأثر وكأنما هو مجرد صدفة عابرة . فلم يقيض لهذه الوعود ان تتحقق لبضع مئات من السنين خلت منــذ صــدورها حتى أغار يوشع على فلسطين وشرع فى تأسيس ملك يهودى بها ، غير أن هذا الملك الذى وعد الله بامتداده تراخي قيامه الى زمن شاؤول ــ أول من تبوأ عرشه ــ ولم يدم لليهود من بعده سوى مائة وثمانية عشر عاما ثم دال وعفت آثاره زهاء خمسة وعشرين قرنا متصلة ، الى ان هيأت قوى الاستعمار الحديث لدعاة الصهيونية الوثوب على فلسطين وانبعاث دولة اسرائيل من رمسها فى عام ١٩٤٨ .

وعلى ضوء هذه الحقائق المسلمة التى يجــزم بها التــاريخ الوثيق عن مدى فاعلية الوعود الالهية ــ بشقيها ــ ومدى جديتها وقابليتها للاعمال ، يحق لنا أن نتساءل ، مابال هذه الوعود الالهية لم تتحقق لا لسيدنا ابراهيم ولا لابنه اسحق ولا لحفيده يعقوب ولا لموسى الكليم ــ عليهم السلام ــ ولاحتى لأحد من نسل ابراهيم قاطبة سواء منهم بنو اسرائيل أسباط يعقوب أو ذرية داود عليهما السلام ؟

بل ان الثابت من نصوص التوراة ذاتها أن سيدنا ابراهيم لم يملك من القطر الفلسطينى على رحبه سوى الحقل الذى ابتاعه من المدعو «عفرون بن صوحر الحثى» فى «المكفيلة التى امام ممرا وهى حبرون (١) فى أرض كنعان» ليدفن زوجته سارة فى مغارة به (الاصحاح ٢٣ من ســفر التكوين) ثم شــاء القدر ان يدفن ابناء اسحق واسماعيل فى هــذه المغــارة ايضــا بعــد وفاته (الاصحاح ٢٥ من سفر التكوين) .

ذلك ، على الرغم مما جاء فى الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين برقم ٧ فى خطاب موجه الى سيدنا ابراهيم « وقال له انا الرب الذى اخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الارض لترثها» .

ومن العجب العاجب ماجاء فى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين برقم ١١ ، ١٢ من حديث موجه الى سيدنا يعقوب ، «وقال له الله انا الله القدير اثمر واكثر ، أمة وجماعة أمم تكون منك ، وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التى اعطيت ابراهيم واسحق لك اعطيها ولنسلك من بعدك اعطى الأرض» .

فأى أرض هذه التى اعطيت لابراهيم واسحق حتى يرثها عنهما يعقوب ونسله من بعده ، وقد ثبت أنهما لم يملكا سوى المغارة التى تحولت الى قبر دفنا فيه ؟ .

---

(١) حبرون هى مدينة الخليل الحالية .

ولما أن توفى بمصر كل من سيدنا يعقوب (اسرائيل) ومن بعده سيدنا يوسف سبطه دفنا فى تلك المغارة ــ مغارة المكفيلة حيث دفن سيدنا ابراهيم وامرأته سارة من قبل .

ولاتكاد التوراة تنتهى من تأكيد الوعد الالهى فى سفر التكوين، حتى تعود فى السفر التالى مباشرة فتروى ما يفصح صراحة بأنه لم يخرج الى حيز التنفيذ حيث تقول فى الاصحاح الثانى من سفر الخروج برقمى ٢٣ ، ٢٤ :

«وحدث فى تلك الايام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو اسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم الى الله من أجل العبودية . فسمع الله انينهم فتذكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحق ويعقوب» .

فهى تشهد بأن الله سبحانه وتعالى قد غلب عليه السهو فحال النسيان دون تنفيذ ماوعد به ابراهيم واسحق ويعقوب ، حتى اذا ماشتد البلاء ببنى اسرائيل فى مصر فى عهد موسى وشخصت قلوبهم اليه سبحانه تستغيثه وتستدفع مايحيق بهم ــ أشفق عليهم وتذكر وعده ورأى فى انجازه مخرجا لبنى اسرائيل ومهبطا يلوذون به ، بيد أن العهد ــ مع ذلك ــ ظل معطلا دون تنفيذ .

وهكذا اجيز فى حق الله مايجوز على البشر من سهو ونسيان واحتياج الى من يذكره .

فواعجبا افقد اعضل القدرة الالهية نجاز وعودها فعييت أم أعجزها نفاذها حتى تخلفها وتنسئها !! حاشا لله العلى القدير ذى الطول جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته .

ثم انه لايمكن ان يقال ان المقصود بالوعد الالهى بالملك ليس شخص ابراهيم او اسحق أو غيرهما ممن وجه اليهم الوعد من الأنبياء بالذات ، وانما المقصود به هم ذريتهم ونسلهم على مدى الأجيال ، قياسا على ما تردده بعض أسفار التوراة من توجيه الخطاب الى اسرائيل أحيانا حين تقصد به بنى اسرائيل (١) .

ومبنى استبعاد هذا الاحتمال أن نصوص الوعود واضحة صريحة لا محل فيها لاعمال المجاز أو افتراض الكناية ، اذ تقول لكل من ابراهيم واسحق ويعقوب ــ فى أكثر من موضع «لك ولنسلك» ــ بما يقطع فى الدلالة وينتفى معه كل شك أو تأويل . وذلك بالاضافة الى أن الصهيونيين أنفسهم لا يعترفون بالتأويل المعنوى المبنى على الكناية والمجاز .

ذلك عن الوعود فى شطرها الموجه الى أشخاص بعينهم ، فأما عن شطرها الموجه الى نسل داود من بين بنى أسرائيل على وجه التخصيص من ذرية ابراهيم ، بحسبانهم آخر من وعد من ذرية ابراهيم بالملك الابدى ومن ثم

---

(١) انظر فى ذلك على سبيل المثال الاصحاح الرابع عشر من سفر الخروج رقم ٣٠ ، ٣١ والاصحاح الرابع من سفر التثنية رقم ١ والاصحاح الخامس منه ايضا رقم ١ والاصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد رقم ١ ؛ ٢ ؛ ٣ .

ينحصر فيهم ميراثه ، ـ اذ شملت الوعود ذرية ابراهيم ابتداء ثم خصت نسل اسحق من ذرية ابراهيم ، ثم نسل يعقوب (اسرائيل) من ذرية اسحق ، ثم موسى وهرون ثم يشوع من بنى اسرائيل ، واخيرا خصت نسل داود من ذرية اسرائيل . وبذلك انتهت الى نسل داود البشرى بذلك الملك الموعود .

نقول ـ بالنسبة لهذا الشطر العام من الوعود الالهية ـ كيف يسوغ عقلا ودينا ان يعد الله بنى اسرائيل أو نسل داود على وجه التخصيص منهم بملك أبدى غير محدود ـ وعدا منجزا غير معلق ولا مشروط ، ثم لايبر به ـ سبحانه ـ أو يحول اى من خلقه دون البر به سواء لأشخاص الأنبياء الموعودين بالاسم أو لذريتهم قاطبة ـ فيظل ميثاقه الذى اخذه على نفسه معطلا طوال بضع مئات من الأعوام ـ مرة ـ منذ ان بذل هذا الوعد ـ ثم طوال دهر طويل نيف مداه على خمسة وعشرين قرنا ـ مرة أخرى ـ منذ القضاء على آخر معقل لملك اليهود فى فلسطين فى القرن السادس قبل الميلاد حتى قيام دولة اسرائيل الحالية فى منتصف القرن العشرين بعد الميلاد ، مع الزعم بصدور ذلك الوعد من رب القدرة والجبروت لشعبه المختار ، وعدا أبديا ـ كما تردد التوراة !!

وكيف يتفق لكلمة الله أن لا تنفذ مناقضة بذلك ما جاء فى الاصحاح الخامس والخمسين من سفر اشعياء رقم ١١ « هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع الى فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فى ما ارسلتها له » !

أم كيف يتفق القول بالتمليك الأبدى مع اقتصار سيطرة اليهود على شطر من فلسطين على مائة وثمانية عشر عاما فحسب فى خلال دهر مديد امتد ـ حتى اليوم فقط ـ الى نيف وثلاثة آلاف عام !!

ولئن صح جدلا ان وعدا بالعودة الى فلسطين ـ وهو وعد دنيوى سياسى لا ريب ـ اختصت به العناية الالهية سيدنا ابراهيم تارة ثم ابنه اسحق تارة أخرى ، ثم حفيده يعقوب (اسرائيل) تارة ثالثة ثم موسى وهرون من بعدهم ، ثم فلول المشردين من نسل ابراهيم عامة ومن نسل حفيده اسرائيل خاصة ، ومن ذرية داود على وجه أخص ، فيتشبثون بأهدابه وتتعلق به آمالهم حتى يتم تحقيقه بعد انقضاء أجيال وأجيال ، ولحقبة مداها منذ أن غزا يوشع فلسطين حتى قضى على ملك اليهود جملة بانهيار دولتى اسرائيل ويهوذا على يدى الأشورين والبابليين . .

كذلك لو اننا فرضنا جدلا أن هذا الوعد ذا فاعلية وانه مشمول بالنفاذ ـ وامعانا منا فى المجاراة والتسليم فليكن نفاذا مؤجلا غير موقوت . .

ثم اننا اذا سلمنا جدلا بأن هذا الوعد ينصرف الى نسل داود عامة لا الى شخص بعينه ممن وجه اليهم الوعد . .

نقول ، أيا ما سايرنا الصهيونيين وسلمنا لهم بكل ما يزعمون ، فلن يزال الوعد غير ذى موضوع وغير قابل للتنفيذ .

ذلك انه لو صح ما يدعى الصهيونيون او جاز ، فانه ينبغى أن لا نجاوز بهذا الوعد ذرية داود على وجه التخصيص ـ الى غيرهم من سائر الملة اليهودية على اختلاف جنسياتهم ـ كما هو مستفاد بجلاء من نصوص التوراة الواضحة الصريحة المحددة .

وقد ثبت بوجه قاطع – كما سنبين تفصيلا فى موضعه (١) – ان بنى اسرائيل بوجه عام قد تغيرت طبيعتهم وفقدوا عنصرهم الأصيل باندماجهم فى شعوب أخرى متباينة الأرومة .

فلم يعد ثمة من يمكن أن يقال انهم بنو اسرائيل ، وانما هم جميعا يهود تشملهم الصفة الدينية السائدة غير منتسبين الى جنس بعينه أو عنصر معين بذاته لاختلاف اجناسهم وقومياتهم .

وعلى ذلك فكما انه لا يمكن ان يقال ان اليهود الحاليين هم بنو اسرائيل واحفاد ابراهيم ، فانه لا يصح أن ينصرف الوعد الموجه الى سيدنا ابراهيم واحفاده من بنى اسرائيل – الى مطلق اليهود فى فجاج الأرض كافة ، ما دام الوعد بالصيغ الواضحة التى وضع بها ، وعدا صريحا محددا خاليا من الأساليب المجازية ولا مجال فيه اللبس أو تأويل .

ذلك بالاضافة الى أن أحدا من حكام اسرائيل الحالية لم يزعم انه سليل سيدنا داود أو يمت اليه بنسب حتى تتحقق به الوعود الالهية .

واخيرا فان الانجيل قد انتهج فى التفسير منهجا اخلاقيا ادنى الى الأفهام والى المنطق ، بيد انه لا يتسع لمفهوم الصهيونية ولا يسع شتات اليهود منذ العهود الباكرة ، حيث عنى بذرية ابراهيم ابناءه الروحيين من اتباع ملته الذين التزموا شريعته واعتصموا بمبادئه واهتدوا بهديه وتنكبوا طرائق الغواية والضلال فلم تزغ قلوبهم عن سننه ، مصداقا لقول السيد المسيح فى السفر الثامن من انجيل يوحنا رقم ٣٩ « لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعماون أعمال ابراهيم » .

ومن ثم فان عامة اليهود لا يجوز لهم أن ينتسبوا الى ابراهيم منذ أن نقضوا عهدهم مع الله وتمردوا على أنبيائه وتعاليمه وترودوا فى حمأة الرذيلة ، حتى استحلوا غضب الله عليهم وشهدت بذلك اسفار التوراة مندرة ومتوعدة .

ولو قد سلمنا جدلا بأنه مازال من نسل داود من يحتفظ بصفاء عنصره وتسلسل نسبه تسلسلا عرقيا نقيا – فان ذلك – على فرض تحققه – لن يستقيم بحال مع نص التوراة على قصر رئاسة الدولة اليهودية على أسرة داود بالذات .

وذلك لأن النظام الجمهورى الراهن فى اسرائيل يحتم انتخاب رئيس الجمهورية من بين أفراد الشعب دون تمييز ، فلا يلزم اختياره من عرق معين من المواطنين اليهود ، ولئن اتيحت رئاسة الجمهورية لأحد من نسل داود فلن تتأتى له الا لأجل قصير موقوت ثم تتخلى عنه ، مما يجافى حتمية الحكم السرمدى الذى تقتضيه نصوص التوراة .

***

ولم يبق من جماع الافتراضات – بعد ما قدمنا – الا القول بأن وعد التوراة بالملك فى تسلسله حتى نسل داود من ذرية اسرائيل – انما وجه حين كان بنو اسرائيل وذرية داود فى حالة نقاء عنصرى ، أى فى العصور الباكرة لنشأة الدين اليهودى فحسب وهى الحالة التى لم تعد قائمة بعد .

---

(١) انظر باب « الحق التاريخى لليهود فى فلسطين » .

هذه افتراضات منطقية جدلية فحسب ، يتعين للتعويل عليها ان يكون الوعد ذا فاعلية نافذة ناجزة ، وهى ما لم تتوافر له فعلا على ما أثبتنا بجلاء فيما أسلفنا .

وأخيرا ـ وبعد أن حاججنا الصهيونية على الصعيد الدينى حتى تداعت ذرائعها بين أيدينا داحضة مفحمة تهافتا ووهنا ـ نتساءل ـ ان كان الصهيونيون يؤمنون بكل ما جاء فى أسفار التوراة ـ ما قولهم فيما جاء بالاصحاح التاسع من سفر هوشع حيث يبدأ بقوله « لا تفرح يا أسرائيل طربا كالشعوب لأنك قد زنيت عن الهك » الى أن يقول ( من رقم ١٥ الى ١٧ ) « كل شرهم فى الجلجال (١) انى هناك أبغضهم من أجل سوء أفعالهم . أطردهم من بيتى ، لا أعود أحبهم ، جميع رؤسائهم متمردون . افرايم (٢) مضروب ، أصلهم قد جف ، لا يصنعون ثمرا ، وان ولدوا أميت مشتهيات بطونهم . يرفضهم الهى لأنهم لم يسمعوا له فيكونون تائهين بين الأمم » .

وكيف يتفق هذا الحكم الالهى بتيه بنى اسرائيل وتمزقهم بين الأمم ـ وهو حكم غير موقوت ولا مشروط ـ مع وعود التوراة بالعودة الى ارض الميعاد وما يتمسك به اليهود من حتمية هذه الوعود وحقهم فى امتلاك فلسطين؟

## تقييم دعوى المسيح المنتظر

يزعم الصهيونيون أن فلسطين موئلهم الأخير يؤوبون اليها تحت امرة المسيح المنتظر بعد أن يتطهروا من آثامهم ويرعووا عن غيهم ويثوبوا الى محجة الرشد والصواب ، حيث يتوب الله عليهم ويبعثه اليهم على موعدة منقذا لهم مما يعانون من ضيم وضنك وهوان .

على أن فكرة الخلاص من نير المظالم والكروب على يدى المسيح المنتظر ليست فكرة اسرائيلية بحتة ، فان لها نظائر فى العقائد الوثنية الخالية فى شتى أرجاء العالم القديم سواء فى مصر أو بابل أو فارس أو الهند الصينية وتعتبر بابل المصدر التاريخى للفكرة الاسرائيلية على ما أثبتنا فى تقصينا لآثار السبى البابلى على اليهود .

فكلما الحت وطأة المظالم على الشعوب وحزبتها القوارع والخطوب هفت قلوبها الى منقذ يخلصها مما تعانى، والتمسته أخيلتها الملتاعة فى الصورة التى تناسب حالتها ومعتقداتها ، الها طيبا أو قائدا غازيا أو قديسا يصنع الخوارق .

وحتى الهنود الحمر فى أمريكا من قبل اكتشافها واتصالها بالعالم القديم بآماد مديدة كانوا يؤمنون ايمانا عميقا بفكرة المنقذ المرتقب .

ويحدثنا التاريخ أن دولة التولتك التى كانت تحكم المكسيك قديما كانت تؤمن بأسطورة الخلاص ، وتعتقد ان الهها الطيب كويتزالكوتل Quetzalcoatl لم يسعه الاقامة فى البلاد تحت وطأة طغيان اله الحرب الجبار

---

(١) الجلجال بلدة شرقى اريحا ومكانها الآن خرابة الأثلة .

(٢) افرايم هو ابن سيدنا يوسف من زوجته المصرية الأميرة اسنات ابنة كاهن اون ـ والمقصود سبط افرايم ونسله .

تزكاتليبوكا Tezcatlipoca فغادرها على موعدة بالاياب لانقاذ الشعب من جبروت ذلك الاله العاتى .

فلما آل حكم المكسيك الى دولة الأزاتكة ورثت فيما ورثت من مقومات الحكم ــ الايمان بهذه العقيدة ، وكان الشعب فى انتظار عودة الاله المنقذ كويتزالكوتل من وراء البحار لبسط الوية السلام والوئام والمحبة ، فلما ان شاهد اسطول الفاتح الاسبانى كورتيز مقبلا من البحر باسطا اشرعته البيضاء فى تنسيق هندسى يشبه معابده الهرمية المدرجة ، اعتقد ان الهه المخلص يشق عباب البحر اليه فى معبده ، فاحتفى بمقدم الاسبان حفاوة بالغة بحسبانهم كهنة الاله وطلائع موكبه المقدس، مما يسر على الفاتحين الانقضاض على دولة الأزاتكة وتقويض دولتها العتيدة (١) .

هذا ، ولقد تأثر سبايا الاسرائيليين بالأفكار البابلية النظيرة لفكر المسيح المنقذ فى العقيدة الاسرائيلية والتى كانت سائدة فى المعتقدات الوثنية فى المنفى ببابل خاصة فى الديانة الزرادشتية الفارسية ، وعمقتها فى نفوسهم حيرة النفى وويلات الأسر وهوان التشريد . ولن يؤودنا التماس الرابطة التاريخية بين فكرة المسيح المنتظر لدى الاسرائيليين وبينها لدى الشعوب الوثنية التى كانت تعيش فى أرض الجزيرة الفراتية ، ذلك أن هذه الاصقاع ــ حتى من قبل النفى البابلى ــ هى بعينها الموطن الأصلى للعبرانيين عشيرة سيدنا ابراهيم الذى ينتمى اليه بنو اسرائيل .

ومؤدى ذلك أن تكون الفكرة الوثنية العريقة هى الأصل الذى انبثقت منه العقيدة الاسرائيلية الخالدة .

ولقد سيطرت فكرة المسيح المنتظر على افكار اليهود وعقيدتهم الدينية حتى خطر حينا لكل من زكريا وحجى من أنبياء اليهود (٢) فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد ، أن الزعيم اليهودى زروبابل هو المسيح المنتظر لأنه تزعم بنى اسرائيل العائدين من سبى بابل الى اورشليم مدينتهم المقدسة واعاد بناء هيكل سليمان .

ولقد ادعى بركوكبا ( أى ابن الكوكب ) فى عام ١٣٢ للميلاد انه المسيح المنتظر وثار فى وجه الرومان وعاث فى فلسطين فسادا ، فجرد عليه الامبراطور هادريان حملة عاتية ظلت تتعقب اليهود وتحيق بهم انكى الوان العذاب والدمار طوال عامين كاملين حتى دمرت لهم خمسين حصنا وتسعمائة قرية ، وقتل منهم مئات الألوف واسر الكثير من رجالهم وجعلهم غذاء للوحوش فى الملاعب كما سبى كثيرا من نسائهم وأطفالهم ، ثم طرد اليهود من فلسطين جملة وحرم عليهم دخول أورشليم الا يوما واحدا كل عام يتباكون فيه على ملكهم الزائل.

وقد كانت صورة المسيح المنتظر فى الفكر اليهودى تتمثل فى قول الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون ( ١١٣٥ ــ ١٢٠٤ م ) :

(٣) « اذا حل فينا ملك من بيت داود يتقى الله ويؤدى الفروض شأنه

---

(١) The Conquest of Mexico, by W.H. Prescott, p. 147.

(٢) كتاب « الله » للأستاذ عباس محمود العقاد ــ سلسلة كتب الهلال ــ العدد ٤٢ القاهرة ــ فى سبتمبر سنة ١٩٥٤ صفحة ١٠٤ و١٠٥ .

(٣) انظر مقال : الشعب اليهودى وأرض اسرائيل ؛ بقلم شمويل ايتنجر أستاذ التاريخ اليهودى الحديث بالجامعة العبرية بالقدس ، المنشور بكتاب « من الفكر الصهيونى المعاصر » طبع مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية ــ بيروت سنة ١٩٦٨ ــ صفحة ٤٢و٤٣ .

شأن جده وقام يدعو بنى اسرائيل جميعا الى طاعة الحى الباقى وخوض حروبه ، فانه قد يكون هو المسيح ، فان قام ذلك الملك بالعبء المذكور وأكمله فأعاد بناء الهيكل وجمع المشتتين من اسرائيل ، فهو المسيح حقا » فقد كان المسيح فى هذا التصوير مصلحا سياسيا وقائدا حربيا وزعيما روحيا من سلالة داود يتولى بنفسه ارشاد اليهود واصلاح ذات بينهم ويقودهم بالحرب الى ارض الميعاد حيث يعيد ملكهم ويعيد بناء هيكلهم المقدس .

غير ان هذه الصورة العملية لم تلبث ان تطورت تطورا جذريا فعرتها مسحة روحانية غالبة ، فبعد طرد اليهود من اسبانيا فى عام ١٢٤٩ م تعقبهم الاضطهاد حيثما ثقفوا فى اقطار القارة الاوروبية ، فتحطمت معنوياتهم وخيمت عليهم غاشيات من الارهاق الفكرى واليأس المرير ، فلم يكن يسعهم فى هذه اللأواء غير الآفاق الصوفية منفسا روحيا تحلق فيه أفكارهم المرورة وموئلا رحبا تسكن اليه نفوسهم الملتاعة المهيضة والمغلوبة على أمرها .

وبذلك تغيرت صورة المسيح ــ فى نظر متصوفة اليهود ــ فبعد أن كان مصلحا سياسيا ودينيا أعلن أسحق أوريا أو « آرى القديس » حاخام اليهود فى صفد بالجليل، ان نفى بنى اسرائيل وتشتيتهم نذير بكارثة عالمية يتلوها فجأة تغيير فى نظام العالم وبداية عهد من الانسان الكامل ، كل ذلك يتم بأمر الله وحده ، ثم يكون قدوم المسيح كآخر مرحلة من مراحل الاصلاح وهو تمام الاتساق الكونى .

ولعل ما أوحى بهذه الصورة الروحانية المحض والعدول عن مثال المسيح المصلح السياسى والدينى انما هو العجز والهوان اللذان حاقا باليهود فى أعقاب الاضطهاد .

وفى عام ١٦٦٦ للميلاد استغل أحد يهود سالونيك ويدعى سبتاى زيفى هذه العقيدة لدى اليهود ، فادعى انه المسيح المنتظر واعلن انه سيعيد الى اليهود مجدهم الغابر وملكهم الموعود فى البلاد المقدسة ، ولقيت دعوته كثيرا من المؤيدين حتى تصدى ربانى يهودى من بولندة لتكذيبه وفضح أمره ، وكان سبتاى زيفى حينذاك فى اسطنبول عاصمة الخلافة الاسلامية ، فقبض عليه السلطان محمد الرابع بيد أنه سارع الى التنكر لدينه والتخلى عن عقيدته اليهودية كافة وأعلن اسلامه تحت اسم **محمد أفندى** (١) .

وفى منتصف القرن الثامن عشر قام بين يهود بولونيا (بولنده) مدع آخر يدعى جاكوب فرانك زعم انه المسيح المنتظر الا انه كان مجددا فى دعواه فزعم ان بولونيا هى أرض الميعاد وليست فلسطين (٢) ، بيد انه سرعان ما افتضح كذبه واخلافه وباءت حركته بالفشل الذريع .

ولقد ترتب على انتشار مبادىء المساواة الاجتماعية التى بشرت بها الثورة الفرنسية ــ فى بعض الدول الاوروبية ــ ان آثر كثير من اليهود المتحررين الاندماج فى البيئات التى يقيمون فيها والتخلى عن الانعزالية التى اخذوا أنفسهم بها ونأت بهم عن المجتمع وحالت دون تمتعهم بحقوق المواطنين، بيد أن الاخلاد الى هذا الوضع والتحلل من الآثار اليهودية العنصرية عن أرض

---

(١) The Jews, by James Hosmer, pp. 216-218.

(٢) انظر مقال : « الشعب اليهودى وأرض اسرائيل » بقلم شمويل ايتنجر ؛ المنشور بكتاب « من الفكر الصهيونى المعاصر » صفحة ٤٣ .

الميعاد والمسيح المنتظر لم يسلم به سوى يهود أوروبا الوسطى والغربية أما فى أوروبا الشرقية وفى الشرق الأوسط فقد ظل اليهود محافظين على التراث الفكرى العنصرى متعلقة آمالهم بالملك الداودى الموعود .

***

ذاك ملاك القول تعقيبا على دعوى المسيح المنتظر كما افاضت فى عرضها أسفار التوراة ، وكما تلقتها المفاهيم الصهيونية المتطرفة وهيأت لها اسبابها .

بيد أن المسيحيين — وهم من أتباع التوراة — يأخذون السبيل على اليهود دون المضى فى انتظارهم لانبعاث المسيح المرتقب الذى يأملون أن يؤمهم الى ارض الميعاد غازيا ورائدا — اذ يرون أن سيدنا عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذى بشرت به التوراة — مصداقا لما ورد فى الاصحاح الأول من انجيل متى برقم ٢١ حيث يقول « فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » وما ورد فى الاصحاح الثانى من انجيل متى برقم ٦ حيث يقول : « وانت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل »

ويربط المسيحيون بين سيدنا عيسى وبين داود برابطة القربى لتكتمل له المعالم التى تتطلبها التوراة فى المسيح المنتظر .

وهم وأن رجعوا بهذه القرابة الى أمه مريم البتول باعتبارها ابنة يواكيم وزوجته حنة من سبط يهوذا من آل داود فى قول (١) — ومولد عيسى منها محقق مسلم به — بيد ان كلا من انجيل متى وانجيل لوقا وانجيل يوحنا يعزو صلة عيسى بداود عليهما السلام — الى يوسف النجار خطيب أمه مريم وزوجها فيما بعد (٢) وهو زعم غريب يناقض الاجماع على أن مولده منها كان قبل أن تزف اليه ويبنى بها (٣) .

ذلك بينما ينكر اليهود على المسيحيين هذا التأويل لنبوءة التوراة ،

---

(١) راجع موسوعة « المنجد فى الآداب والعلوم » للأب فرديناند توتل اليسوعى الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ صفحة ٤٩٣ — وذلك بينما يرى البعض عدم قيام رابطة عرقية بين السيدة مريم وبين داود ( انظر فى ذلك كتاب « المسيح انسان أم اله » للأستاذ محمد مجدى حكيم مرجان — مجدى حكيم مرجان قبل أن يشهر اسلامه — طبع دار النهضة العربية سنة ١٩٧٠ صفحة ٣٢).

(٢) راجع فى ذلك انجيل متى الاصحاح الأول من رقم ١ الى ١٦ والاصحاح ١٣ رقم ٥٤ الى ٥٦ وانجيل لوقا الاصحاح الأول من رقم ٢٦ الى ٣٨ والاصحاح الثالث من رقم ٢٣ الى ٣٨ وانجيل يوحنا الاصحاح الاول رقم ٤٤ و٤٥ — وفيها جميعا ذكر السيد المسيح منسوبا الى يوسف النجار مما يتعارض مع ماهو مسلم به من هذه الأناجيل جميعا عن معجزة مولده من السيدة مريم ( العذراء ) وحدها من غير أب من البشر . ذلك فضلا عن أنه بمقارنة ماجاء فى سلسلة نسب السيد المسيح الى النبى داود عن طريق يوسف النجار — كما ورد فى الاصحاح الثالث من انجيل لوقا — بما ورد عن تسلسل هذا النسب فى الاصحاح الأول من انجيل متى ، نجد تباينا شديدا يشوب الأصول العرقية فيهما سواء بالزيادة أو بالنقصان أو بالاضطراب فى ترتيبها وتعاقبها ؛ مما يوحى بالشك فى صلة يوسف النجار نفسه بالنبى داود أصالة .

(٣) يقول انجيل متى فى الاصحاح الاول برقمى ١٨ ، ١٩ : « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا » .

ويعتقدون أن المسيح المنتظر شخص آخر من نسل داود غير عيسى عليه السلام سوف يبعث فى ميقات يعلمه الله وحده حالما ينفثىء غضبه ويرضى عنهم ويرفع عنهم أصرهم ويتوب عليهم .

وبالاضافة الى ما تقدم فى تقييمنا للوعد الالهى بصفة عامة بالمقايسة على المعايير الموضوعية ـ فانه على فرض صحة الزعم بأن فلسطين أرض الميعاد ومهبط المسيح المنتظر، فان ذلك لاينهض مبررا للعدوان عليها وانتزاعها من أصحابها والاعتداء على أرواحهم وممتلكاتهم ، ولا يكسب اليهود حقا الهيا فى اغتصابها ، لأن دون ذلك علامات وامارات فصلتها النبوءات التى ينسبونه اليها ، فمن من الصهيونيين خاصة أو من اليهود عامة يزعم انه المسيح أو المنقذ المنتظر فيلتف حوله اليهود على هذه الصفة ؟

مع ملاحظة ان اليهود لايعترفون أصلا برسالة سيدنا عيسى المسيح وينكرون عليه كل صفة يدعو بها المسيحيون والمسلمون على السواء .

وهل تخلص اليهود من آثامهم وأقلعوا عن سلوكهم الذى جر عليهم الاضطهاد وجلب عليهم غضب الله سبحانه وتطهروا من أرجاسهم وأوزارهم وثابوا الى رشدهم واهتدوا الى سواء السبيل واتقوا الله فى دينهم وفى سلوكهم وفى معاملاتهم ؟

ان العالم بأسره والواقع المرير يشهدان بأن اليهود مازالوا يمضون فى المعاصى حتى جلبوا عليهم سخط العالم ، وهم فى غيهم وآثامهم مازالوا سادرين . ثم ان أحدا من جماعة شهود يهوه أو من مطلق الصهيونيين أو من اليهود عامة ـ لم يجرؤ على الزعم برؤية المسيح المنتظر أو اتصال الأسباب به على أى وجه ـ منذ ادعاء شهود يهوه فى بواكير العقد الثانى من القرن العشرين بتسلله خفية الى « العالم الأرضى » ولم يدع أحد بأن هذا المبعوث الخفى قد مارس ـ على وجه ما ـ سلطاته ومهامه المفروض انه بعث لانجازها، فقد مضى نيف ونصف قرن على الزعم بظهوره دون أن يكون له نشاط كيفا كان ـ مباشر أو غير مباشر ـ ينبىء عن وجوده حسا أو روحا .

وهكذا فان ارهاصات ظهور المسيح المنتظر كما يزعمها الصهيونيون تبدو مختلقة اختلاقا فجا ساذجا ، وبالتالى فان دعوى أرض الميعاد كذريعة يتمحلها الصهيونيون لاغتصاب فلسطين ان هى الا دعوى موجوحة وفرية واهية منبتة الأسباب غير جديرة بالاعتداد والاعتبار .

ولقد انكر كثير من اليهود دعوى المسيح المنتظر ونادوا بالعدول عن فكرة الخلاص على يديه ، وبالتالى فلم يكن لأرض الميعاد لديهم ذلك الاعتبار الذى دار فى اخلاد جمهرة اليهود ، ومن هؤلاء المنكرين موسى مندلسون وصموئيل هولديم وازهام جيجر واحد هاعام ومن اعتنق فكرتهم من دعاة الاصلاح اليهودى فى المانيا .

## الاستعلاء العنصرى اليهودى
## ( دعوى شعب الله المختار )

لقد أوضحنا فى دراستنا للمجتمع اليهودى فى عصر وضع التوراة وتدوينها ، ما سجلته النصوص الدينية من وقائع معينة تصم اليهود فى ذلك العصر ــ انبياءهم وملوكهم وسوادهم ــ بنقائص ومثالب شملت الفسق والزنا والكذب والاختلاس والغدر والاحتيال ثم الاشراك بالله وعبادة الأوثان .

وفى صدد بحثنا دعوى اليهود بأنهم شعب الله المختار ــ سنبين النصوص التى يعتمد عليها اليهود فى تأييد دعواهم ، ثم نلحقها بالنصوص الدينية التى تدحض هذه الدعوى ، والتى تندد باليهود كافة كشعب لا كأفراد ، وتنعى عليهم تمردهم ومروقهم وتصب عليهم اللعنات الربانية وتؤثرهم بغضب الله عليهم وليس اصطفاءه لهم من دون البرايا .

***

يخلص من مطالعة بروتوكولات حكماء صهيون ــ أن الصهيونيين يستندون فى مشروعية ما يخامرهم من الآمال العريضة فى سيادة العالم وتبرير اخضاعه لحكمهم الى العقيدة الدينية التى يؤمن بها عامة اليهود بيقين ، ومؤداها أنهم شعب الله المختار الذى اصطفاه لاتمام رسالة عالمية بعث الله بها انبياءه للاقرار بوحدانيته ونشر دينه ، وانه تعالى قد استخلفهم فى الأرض فهى لهم خالصة وكل ما عليها مسخر لخدمتهم ، ولقد لقيت هذه العقيدة صدى مقدسا فى نفوسهم زاده عمقا واصالة ما أثر عنهم على مر الدهور من نهم للمال وكلف بالتملك وتعطش للسيطرة .

وتقول التوراة فى الاصحاح التاسع عشر من سفر الخروج من رقم ٣ الى ٦ :

« واما موسى فصعد الى الله فنادى الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى اسرائيل . انتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم الى . فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع شعوب الأرض فان لى كل الأرض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وامة مقدسة ، هذه هى الكلمات التى تكلم بها بنى اسرائيل » .

وتقول فى الاصحاح السادس من سفر الخروج برقم ٦ر٧ :

«لذلك قل لبنى اسرائيل انا الرب وأنا أخرجكم من تحت اثقال المصريين وانقذكم من عبوديتهم واخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة . واتخذكم لى شعبا واكون لكم الها » .

وجاء فى الاصحاح العشرين من سفر اللاويين برقم ٢٦ « وتكونون لى قديسين لأنى قدوس انا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى » .

ويستند اليهود فى تمييزهم على سائر البشر الى ما جاء فى التوراة حيث تقول فى الاصحاح السابع من سفر التثنية برقم ٦ الى ٨ « لأنك انت شعب مقدس للرب الهك اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا اخص من

جميع الشعوب الذى على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب اياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم (١) » .

وتقول فى الاصحاح السابع من سفر التثنية من رقم ١٢ الى ١٤ :

« ومن اجل انكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب الهك العهد والاحسان اللذين اقسم لآبائك . ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة ارضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك واناث غنمك على الأرض التى أقسم لآبائك أن يعطيك اياها . مباركا تكون فوق جميع الشعوب ».

وتقول فى الاصحاح العاشر من سفر التثنية برقم ١٥ :

« ولكن الرب انما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذى هو أنتم فوق جميع الشعوب كما فى هذا اليوم » .

ويردد التلمود فى اكثر من موضع دلائل تفضيل اليهود على سائر البشر فقد جاء فيه « أن اليهود أحب الى الله من الملائكة وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه فمن يصفع اليهودى كمن يصفع الله » .

ويقول الحاخام اريل :

« ان الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة ، واذا كان الأجنبى ( أى غير اليهودى ) قد خلق على هيئة الانسان فما ذلك الا ليكون لائقا لخدمة اليهود التى خلقت الدنيا لأجلهم » .

وثمة أسطورة دينية يعزو اليها اليهود تفضيلهم على سائر البشر ، فحواها أن الله سبحانه وتعالى عقد زواجه على بنى أسرائيل حينما تجلى لموسى فى سيناء وأشهد السماء والارض على هذا العقد (٢) .

وهكذا فضل الله اليهود ــ فى زعمهم ــ على سائر العالمين وسخر البشر كافة لخدمتهم واختار بنى اسرائيل لأداء رسالة حملها أنبياء منهم .

---

(١) قارن ذلك بما شرعه الاسلام الحنيف من سيادة مبدأ المساواة بين البشر وارتهان المفاضلة بينهم بمعايير خلقية وروحانية خالصة حيث يقول الله تعالى فى كتابه الكريم فى الآية ١٣ من سورة الحجرات : « **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم** » .

ويقول النبى الكريم :

« كلكم لآدم وآدم من تراب ؛ لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى».

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم » .

ويقول صلوات الله عليه مخاطبا قومه من بنى هاشم :

« يامعشر بنى هاشم لا يجيئنى الناس بالأعمال وتجيئون بالأنساب » .

(٢) Judaism, edited by Arthur Hertzberg, p. 119.

غير ان الثابت من مطالعة أسفار التوراة ان السلوك اليهودى لم يتسق مع هذا التفضيل . فلم يبد اليهود جدارتهم بهذا الشرف اذ لم يحافظوا على العهد فكفروا به وأزلهم الشيطان فغووا وضلوا ومرقوا عن طاعة الله وانبيائه ، وعبدوا العجل فى عهد موسى وعاقبهم الله بالضلال فى متاهات الصحراء اربعين سنة ثم استغفر لهم سيدنا موسى فتاب الله عليهم الا انهم عادوا فتمردوا وبغوا فى الأرض واكثروا فيها الفساد ، ثم كفروا بدينهم وتحللوا منه وقطعوا الصلة التى تربطهم بعهود الله ومواثيقه ، فأشركوا بالله وعبدوا الأصنام فترات طويلة من تاريخهم الباكر ، ولم ينفرد بهذا الكفر عامة الشعب بل تردى فيه خاصة انبيائهم وملوكهم المقربين ، على ما تروى توراتهم وعلى ما فصلنا فى حديثنا عن المجتمع اليهودى فى عصر وضع التوراة وتدوينها .

وبهذا اثبتوا انهم غير جديرين بعهد الله واصطفائه لهم لحمل رسالته .

والتوراة حافلة بآيات غضب الله وسخطه عليهم، والنعى عليهم مروقهم وعصيانهم ، وتسجل فسوقهم وتبذلهم .

وتقول التوراة فى الاصحاح الرابع عشر من سفر العدد برقم ١١ :

« وقال الرب لموسى حتى متى يهيننى هذا الشعب وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم » .

ونتيجة لهذا ، صب الله غضبه على بنى اسرائيل فأضلهم فى الصحراء اربعين عاما .

وجاء فى الاصحاح الثانى من سفر حزقيال برقم ٣ ، ٤ :

« وقال لى يا ابن آدم انا مرسلك الى بنى اسرائيل الى امة متمردة قد تمردت على هم وآباؤهم عصوا على الى ذات هذا اليوم . والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب انا مرسلك اليهم فتقول لهم هكذا قال السيد الرب » .

وتقول فى الاصحاح الثالث والستين من سفر اشعياء برقم ١٠ :

« ولكنهم تمردوا واحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدوا وهو حاربهم »

وتقول فى الاصحاح الثالث والستين من سفر اشعياء رقم ٧١ :

« لماذا اضللتنا يارب عن طرقك قسيت قلوبنا عن مخافتك »

وجاء فى الاصحاح الثالث من سفر ارميا رقم ٢٠ :

« حقا انه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمونى يا بيت اسرائيل يقول الرب » .

وفى الاصحاح التاسع من سفر التثنية رقم ٢٣ و ٢٤ يقول :

« وحين ارسلكم الرب من قادش برنيع قائلا اصعدوا امتلكوا الارض التى اعطيتكم عصيتم قول الرب الهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله . قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم » .

وجاء فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر التثنية رقم ٢٤ الى ٢٩ :

« فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب الى تمامهـا . امر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا خذوا كتاب التوراة هـذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هنـاك شـاهدا عليـكم . لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هو ذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى . اجمعوا الى كل شـيوخ أسـباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات واشهد عليهم السـماء والارض . لأنى عارف انكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخـر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الـرب حتى تغيظـوه بأعمال أيديكم » .

وتنعى التوراة على الأمة اليهودية قاطبة ما تردت فيه من فجور وتبذل ودنس فتقـول فى الاصـحاح السادس عشر من سـفر حزقيـال من رقم ٢٥ الى ٣٠ :

« فى رأس كل طريق بنيت مرتفعتك ورجست جمالك وفرجت رجليك لكل عابر وأكثرت زناك . وزنيت مع جيرانك بنى مصر الغلاظ اللحم وزدت فى زناك لاغاظتى . فهـا أنا ذا قد مددت يدى عليك ومنعت عنك فريضتك واسلمتك لمرام مبغضـاتك بنـات الفلسـطينين اللواتى يخجلن من طريقك الرذيلة . وزنيت مع بنى أشور اذ كنت لم تشبعى فزنيت بهم ولم تشبعى ايضا . وكثرت زناك فى أرض الكلدانيين . وبهذا ايضا لم تشـبعى . ما أمرض قلبك يقول السيد الرب اذفعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة » .

وجاء فى الاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثانى من رقم ٩ الى ١٧ :

« وعمل بنو اسرائيل سرا ضد الرب الههم أمورا ليست بمسـتقيمة وبنوا لأنفسـهم مرتفعات فى جميع مدنهم من برج النواطير الى المدينة المحصنة . واقاموا لأنفسهم انصابا وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء . واوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أمورا قبيحة لاغاظة الرب . وعبدوا الأصنام التى قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر . وأشهد الرب على اسرائيـل وعلى يهـوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلا ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى فرائضى حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى أرسـلتها اليـكم عن يد عبيدى الأنبياء ، فلم يسـمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفيـة آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم ، ورفضوا فرائضـــه وعهـده الذى قطعـه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم ، وساروا وراء البـاطل وصاروا باطلا ووراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن يعملوا مثلهم . وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسـجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبروا بنيهم وبنـاتهم فى النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لاغاظته » .

وهكذا تسجل التوراة ــ بما يغنى عن كل شرح وايضـاح كيف عصـا اليهود ربهم فى السر وفى العلن ، وكيف كانوا دائما أسوأ المثـل على الجحود والعصيان والكفر بالله وبدينه وبرسله وبجميع القيم الخلقية والانسانية .

ذلك بالاضافة الى ما تردده التوراة من مثالب منكرة تعزوها الى انبياء اليهود وأحبارهم ، وهم القدوة المثلى لليهود والمثل العليـا فى السـلوك وفى الخلق وفى التربية الدينية ــ على ما أشرنا اليه فى موضعه .

ولقد ثبت من التاريخ المتواتر أن الانحلال الخلقى كان الظاهرة السائدة بين اليهود فى أزهى عصورهم ، فقد كان الزنا واللواط منتشرين بينهم فى عهد سليمان انتشارا جعل من هيكل سليمان وفى عهد سليمان نفسه ماخورا للزنا والفجور (١) .

وبعد ، أفبعد ان رمت التوراة شعب اليهود بكل هذه المنكرات والمباذل وشهرت به فى أسفارها فوصمته بأقذع الصفات ، يمكن أن يقال ان اليهود هم شعب الله المختار الذى يحتكر فضله ويستأثر بنعمه وآلائه !!

فعلى أى أساس تم هذا الاختيار والتفضيل وهم على ما نعت عليهم التوراة منذ القدم وما أنكرته عليهم شعوب الارض طرا على مر العصور حتى كان مثارا لزرايتهم واضطهادهم ؟ وماذا تبقى من المثالب ونعوت الكفر والضلال للشعوب الأخرى التى يزعم اليهود ان الله فضلهم عليها وخصها بسوء المصير وسوء العذاب ، وقضى بأن تكون ادنى مرتبة من اليهود ومن حقهم استعبادها ؟

ولقد اثبتت التوراة بحق ان اليهود قوم لا يحفظون العهد غير جديرين بحمل الرسالة السماوية — وانهم شعب متمرد جاحد خائن للامانة . وتنبأ لهم موسى عليه السلام بالزيغ والفساد بعد موته وبما سوف يصيبهم من شر فى آخر الأيام جزاء على معصيتهم واستجلابهم غضب الله عليهم .

فهل يعتبر اليهود بعد هذا شعب الله المختار !!؟

اليس أساس اختيار الله لفريق ما عباده واصطفائه اياه — طاعته ومرضاته والتزام حدوده ؟

ان الثابت من نصوص التوراة ذاتها أن الله سبحانه وتعالى قد غضب على اليهود وتخلى عنهم فتركهم يهيمون فى الفيافى أربعين عاما بعد اتخاذهم العجل صنما معبودا من دون الله ، ثم أسلمهم الى البابليين ينكلون بهم تنكيلا مريرا ، ثم الى الرومان حيث ساموهم الخسف والهوان وشردوهم مزقا عبرة فى الآفاق واستهزأوا بمقدساتهم حتى أزالوا هيكل سليمان معبدهم المقدس العريق وأحالوه معبدا وثنيا يعبدون فيه الههم جوبيتير من دون الله .

فاذا كانت نصوص التوراة هى التى سجلت اختيار الله لهم وخلعت عليهم هذا الشرف المنيف من دون العالمين ، فان نصوص التوراة ذاتها — والتى أوردنا طرفا منها — ناطقة بأن هذا الاختيار لم يصادف أهله وانها قد جردتهم من شرفه ، فحق عليهم الحرمان من معقباته ونتائجه .

وهل يجوز أن يقال بعد ذلك ان هذا الشعب العاق المارق الذى عجز عن كبح جماح نفسه ، وبلغ به الكفر بالله أن ارتد عن دينه ولج فى عتوه وعناده فعبد الأصنام من دونه — هو صفوة خلق الله وانه وحده الجدير بحكم العالم !

الا ساء ما يأفكون وما يبغون .

ثم ان اليهود يتنادون بأن اختيار الله أنبياءه من بينهم وابشارهم برسالته

---

(١) كتاب قصة الحضارة تاليف ول ديورانت الجزء الثانى صفحة ٣٧٧ و٣٧٨ .

الدينية مأثرة يعتز بها اليهود قاطبة وتزدهيهم على العالمين ، لما فى هـــذا الاختيار من تكريم لهم وتحميلهم أمانة هذه الرسالة الربانية وعبء الدعوة لها ، وأن من آيات هذا الايثار والاصطفاء نجاتهم من فرعون وملئه وهم بعد قلة مستضعفة لا حول لهم ولا طول . ودحضـــا لهـــذا الزعم فان مقتضى اصطفاء اليهود وايثارهم بالاكرام ــ أن يؤمنوا بدينه ويتبعوا أحكامه ويضطلعوا بنشره ، وأن يكونوا مثلا يؤتسى بها بحسبانهم رواده السابقين وائمته الأوالى ، لا ان يسارعوا فى الكفر والارتداد عن دينهم وعبادة الأوثان .

فأما نجاتهم من المصريين الذين ساموهم سـوء العـذاب المهين فمبعثه تمكينهم من نشر الرسالة الربانية المقدسة ، شأنهم فى ذلك شأن اية طائفة من البشر يبعث الله من بينها نبيا برسالة ربانية فيؤيدها بنصره ويؤزرها بأيده تمكينا لدينه من الانبعاث والذيوع بين العاملين .

فليس ثم ما يدل على تفضيل العبرانيين على سائر العبـاد من خلقـه تفضيلا مطلقـا ابديا ، من آمن منهم ومن زاغ عن المحجـة وتنـكب السراط المستقيم . فالكل خلق الله وعبيده على سواء وهو سبحانه غنى عن العالمين ، فلا يميز بينهم الا على أساس من العمل الصالح وتقوى الله وطاعته باتباع أوامره واجتناب نواهيه ــ تلك لا شك معايير التفضيل والتمييز التى تقتضيها العدالة الالهية ، ومن ثم فلا مجال للتمييز اذا أهدرت القيم الدينيـة وكان التردى فى حماة المعاصى والانغماس فى أدران الرذيلة والامعان فيها باصرار ، بل ان المجال يكون حينذاك أدعى الى السخط ومؤداه الويل والثبور والعذاب الأليم .

ولقد تحفظت التـوراة فى اصطفاء بنى اسرائيـل وعلقت تفضيلهم على الامتثال لأوامر الله والخضوع لتعاليمه ، حيث تقـول فى الاصحاح التاسـع عشر من سفر الخروج رقم ٥ر٦ « فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهـدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب فان لى كل الأرض وانتم تكونون لى مملكة كهنة وامة مقدسة » .

وكيف يتفق القول باصطفاء اليهود على كافة الخلق ــ مع ما يعتقد به اليهـود أنفسـهم من أن الله قد غضب عليهم فصب عليهم صنوف العـذاب والاضطهاد ومزقهم فى الآفاق شر ممزق لعلهم يزدجروا ويرعووا ، حتى اذا ما ثابوا الى رشدهم وكفروا عن سيئاتهم واقلعوا عن غيهم تاب عليهم وبعث اليهم هاديا من لدنه يطهرهم من ادرانهم ويستصفى ايمانهم ودينهم ويحمـل لواءهم الى فلسطين أرض الميعاد .

وهيهات هيهات هذا المتاب فلما تبد معالمه واماراته ، فأين هو المخلص الذى بعث فيهم اليوم حتى يكون آية لتوبة الله عليهم وايذانا بالفتح المبين ، يأتمون به فى العودة الى أرض الميعاد تحقيقا للوعود الربانية التى حفلت بهـا التـوراة . ذلك مع أن الثابت المشـهود ان الله تاركهم يعمهون فى غيهم فهم مازالوا سادرين فى شقائهم ولم يبعث فيهم بعد ذلك المخلص المرتقب .

وليس ذلك بحـال من علامات الأصطفاء وامارات الاختيـار من دون العالمين .

وأخيرا ، فان تعدد الأنبياء فى المجتمع اليهودى من دون سائر المجتمعات البشرية حجة على اليهود وليس امتيازا لهم ، ذلك ان الله سبحانه يبعث الأنبياء ليهدى الضالين من عباده ، وطالما ادى النبى رسالته وثاب قومه الى محجة الرشد فهو حسبهم ، كما كان الشأن مع المسيحيين والمسلمين ، أما اليهود فقد اقتضت طبيعتهم الشاذة قيام أكثر من نبى بين ظهرانيهم ، لأنهم ما كانوا يمكنونهم من أداء رسالاتهم لجا فى الضلال والعناد وامعانا فى التمرد والعصيان . « كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (۱) » .

---

(۱) الآية ۷۰ من سورة المائدة .

## الشعب المختار
## فى رأى مبتكر لدافيد بن جوريون

منذ أن أميط اللثام عن بروتوكولات حكماء صهيون ، واسفرت برامجها عن المخطط الصهيونى البيت لاحتواء العالم بأسره واخضاعه لسلطان اليهود ، يسخرون لأمرهم حرثه ونسله ، فقد حرص الصهيونيون على التنصل من هذه البروتوكولات واعلان زيفها وبراءتهم منها .

ومنذ أن استقام الأمر لدولة اسرائيل وغدا مفروضا انفتاحها على المجتمع الدولي وتبادل المعاملات والعلاقات معه ، وجد المسئولون عن سياسة الدولة الناشئة بالغ الحرج فى ممارسة هذا الانفتاح فى ظل من الأمن والثقه ازاء دعوى اليهود المقدسة بأنهم شعب الله المختار الموعود بملك الارض وسيادة الخلق ، وهى الدعوى التى يؤمنون بها ايمانا عميقا وتردد ذكرها فى التوراة ، ومن ثم لم يكن من سبيل الى اخفائها او التنكر لها .

ولقد قدر دافيد بن جوريون ـ مؤسس دولة اسرائيل ـ اثر هذه الدعوى على علاقة دولته مع سائر الدول ، وعلى ثقة الراى العام العالمى فى سياستها واطمئنانه الى نواياها ، فهداه دهاؤه الى فكرة فريدة يغشى بها الأبصار والبصائر ليلفتها عن استظهار الطوية الصهيونية ويخفى عنها خطرها الجائح وذلك بالتهوين من مضمون الشعب المختار وخلع مفاهيم جديدة عليه عساها تخدع العالم فيسيغها ويطمئن معها على حاضره ومستقبله .

ولقد أبدى بن جوريون مفاهيمه المبتكرة فى صيغة حوار اجراه معه الكاتب اليهودى موشيه بيرلمان Moshe Pearlman ونشره فى عام ١٩٧٢ فى كتاب بعنوان « بن جوريون ينظر للخلف Ben Gurion Looks Back وفيه يزعم أن المقصود بالشعب المختار انه الشعب الذى اختار وليس الذى اختير كما قد يتبادر الى الذهن ، ذلك انه قد اختار التمسك بالوصايا الالهية العشر التى عرضها الله سبحانه على شعوب البشر فانصرفوا عنها ، وان الشعب اليهودى باختياره هذه الوصايا قد اختار جانب الرب مصداقا لما جاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع برقم ٢١ و ٢٢ : « فقال الشعب ليشوع لا بل الرب نعبد ، فقال يشوع للشعب انتم الشهود على انفسكم انكم قد اخترتم الرب لتعبدوه فقالوا نحن شهود » .

أما دعوى اليهود بأنهم سادة العالم طرا قد وهبهم الله ملكوته ـ حرثه ونسله ـ خالصا لهم من دون العالمين ، فان بن جوريون يفسرها بأن الله طلب الى اليهود أن يكونوا للعالم قدوة طيبة واسوة حسنة تعنو لها القلوب وتعشو الابصار وتشرئب الاعناق ، وبذلك يصبحون على رأس الشعوب قاطبة بما يبلغون من سمو الخلق واستمساك بالفضيلة ، وتغدو مثابتهم فى البقاع المقدسة كعبة تهطع اليها الامم من اقطار الارض تطمئن الى أفيائها ، ومنارة تستهديها وتقبس من حكمتها وفيوضها الربانية .

ويستفاد من هذا التفسير ـ فى رأى بن جوريون ـ التأويل المنطقى لنبوءات اشعياء فى الاصحاح الثانى من سفره من رقم ٢ الى ٤ ـ حيث يقول :

« ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى اليه كل الامم ، وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم

نصعد الى جبل الرب الى بيت يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل ؛ لا ترفع امة على امة سيفا ولا يتعلمون الحرب فى ما بعد » .

***

ولا جرم أن فى جماع ما يقول به بن جوريون فى هذا الصدد ليا فى التخريج وفى التأويل ، لم يقل به أحد من قبل ، ولم يدر بأخلاد دهاة اليهود على مدى الأعصر ، وانما أملته نوازع سياسية بحت ، يلتمس بها مخرجا من ضواغط الرأى العام التى شددت عليه النكير — بيد أن الواقع يدحض تأويلاته تلك ، فهى لاتستقيم مع ماورددته التوراة فى مواطن كثيرة من اسفارها، سواء بالنسبة لنكث اليهود لما عاهدوا الله عليه ، أو بالنسبة للمعنى الظاهر والمتواتر للشعب المختار .

كما أن هذا التخريج المبتكر لا يتسق مع ما يؤكده التلمود وتخطط له البروتوكولات صراحة — كما سبق أن أشرنا اليه فى موضعه — فضلا عن أنه يخالف ما استقرت عليه مفاهيم العقيدة الدينية اليهودية ، فى ظاهرها السافر وفى باطنها العميق ، منذ أن اعتنقها اليهود الاوائل حتى تقوله بن جوريون اخيرا مخادعة للعقول وتغريرا بالأفهام .

## تقييم وعود التوراة

نخلص من جماع ما فصلنا ـ فيما عرضنا له من تحليل للوعود الالهية بالملك اليهودى، ودراسة لملابسات صدور التوراة وجمعهـا ـ الى ظاهرتين متوافقتين جديرتين بالتأمل والامعان :

أولا : تكرار الوعد الالهى بالملك بصيغ مختلفة وحدود متباينة لأشخاص مختلفين منذ ابراهيم عليه السلام ، وفى أزمنة متباينة جيلا من بعد جيل ، دون نجازه لأى منهم مع ما هو مفروض فى المواثيق الالهية من الالزام وحتمية النجاز ، لأنها صادرة ممن بيده المصائر رب القدرة الفعال لما يريد .

ومع مقارنته بما ورد فى سفر التكوين من ان الله سبحانه وتعالى غالب على أمره منجز وعده مهما تطلب هذا الانجاز من اجراءات شاذة خارقة .

ثانيا : ما استبان بجلاء من دراسة نصـوص التـوراة وتاريخ وضعها وكيفية تأليف أسفارها وظروفه على ما فصلنا آنفا ـ سواء من الناحية الدينية الخالصة أم من وجهة النظر العلمية البحت ـ ان أسفار التوراة قد تعرضت كثيرا للتحريف وللتصحيف على مدى قرون طوال ـ وانه مسلم بأن الوصايا الالهية المنقوشة على الألواح ثم نصوص التوراة التى أودعها سـيدنا موسى تابوت العهد هي وحدها المنزلة من الله سبحانه وتعالى مباشرة على سـيدنا موسى رسوله وكليمه ، وأما ما عداها من متون التوراة فهى اضافات وحواش وتعليقات وضعت فى آماد متفرقة بمعرفة أشخاص متعددين ـ من الأنبيـاء والكهنة والمؤرخين ـ كان منهم من يستقل بسـفر بعينه ومنهم من يتنـاول أسفار أسلافه بالاضافة والتعليق والتنسيق .

وبهذا يكون لكل جيل من اليهود المتأخرين توراة خاصة يختلف عدد أسفارها من جيل لجيل .

ولايسوغ الزعم بأن تلك الوعود قد اضافها أحبـار اليهـود عن وحى الهى تنزل عليهم ، لما أن اخلافها وانعدام فاعليتها يدحض هذا الزعم ، لأن الله لا يخلف وعده ولا يوحى الا بالحق سـبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون .

ولا غرو ، فلقد رأينا كيف تضم أسفار التـوراة كل مدسـوس مفترى حيث تزكى من تؤثره من عشائر اليهود بالحظوة الدنيوية والربانية ، فتخلع عليه سابغ البركات وتوطىء له كل عسير وتسوغ له كل جانح من السـبل الملتوية وتطوع الظروف والملابسات لخدمته ، وتفتعل المبررات افتعالا ولو جافى بعضـها بعضا ، وتسـخر آيات التـوراة لتقريرها والتعريض بالانداد والمنافسين ولو تنكبت مساقها الطبيعى المعقول ، كما فى التشهير بنسل لوط من ابنتيه حتى تفقده صلاحيته لمناصب الزعامة والتشريف ، وكاختصاص يعقوب ونسله بالبركة الربانية والحظوة الدنيوية دون أخيـه عيسـو ودون مقتض ، بل وبطريق ملتوية غير مشروعة .

وكالتنديد بنسل حام بن نوح وتبرير اذلال ذرية ابنه كنعان لنسـل أخيه سام وتسويغ استرقاقها وخضوعها له قضاء الهيا مبرما ، حيث تقص التـوراة أن نوحا سـكر فنام فتعرى حتى انكشفت عـورته فلمـا رأى حام

عورة ابيه لم يسترها ، ثم اخبر اخويه سام ويافث فبادرا بستر عورة أبيهما ووجهاهما الى الوراء حتى لايرياها ، فلما استيقظ نوح وعلم بما وقع غضب على ابنه حام ولعن نسله وقال « ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم » ( سفر التكوين الاصحاح التاسع رقم ٢٥ و ٢٦ ) .

وتأسيسا على هاتين الظاهرتين ، فما دام أن وعود التمليك المزعومة قد فقدت أهم المقومات الالهية بفقد فاعليتها ، فانه لا يسوغ نسبتها الى الله جل وعلا ، تنزيها لعهود الله ومواثيقه من النكث والاخلاف ، ومن ثم لم يكن محيص من تجريدها من قدسيتها والقول بافتعالها اختلاقا وزيفا واضافتها الى أسفار التوراة من بعد - بمقتضى الحق المخول لكهنة اليهود - وعلى مراحل : موجهة الى ابراهيم ابتداء واذ لم تتحقق فقد اضيفت من بعده الى ولده اسحق ثم الى حفيده يعقوب .. وهكذا توالت الاضافة بتوالي الاشخاص الموعودين وتوالي المواثيق وتوالي المؤلفين وتوالي المناسبات الداعية اليها .

ولا يطاوعنا المنطق بالقول - بالنسبة للوعود العامة غير المخصصة - اعذارا لواضعيها - بأنها مجرد وعود مغريات ، أو لعلها أماني راودت أحلامهم فحلت لهم اضافتها اكبارا لشأن اليهود واستحثاثا لهممهم كافة !!

كما أنه لا يسع العقل والمنطق والايمان الصادق بالله الا أن تستبعد أن يكون ما حفلت به أسفار التوراة من هجر النعوت ولغو القول منزلا من عند الله - سبحانه - وان تنزه أشخاص الأنبياء من التردى فى مهاوى الاسفاف والرذيلة وتربأ بالتوراة - كتاب الله المنزل اسوة وهداية للبشر - أن تزكى من يوصم بهذا المنكر والبغى .

فلا مراء فى أن هذا اللغو من السير المرسومة المغرضة انما هو فضول املته الأهواء لغرض فى أنفس واضعيه ولا يستعصى ادراك كنهه من السياق العام .

فهو توجيه مقصود يرمى - فيما حوى من تجريح وتنديد - الى استبعاد فريق من مكان الصدارة بين اليهود وايثار شخص بعينه أو فرع من بنى اسرائيل بذاته بالتمجيد والتقديس ، وتأهيله للزعامة الروحية أو الدنيوية ، وتزكيته تأليفا للقلوب من حوله لأسباب وظروف استيقنها المؤلف أو هفت اليها نفسه أو انزل على حكمها تسليما بها .

وقد يقصد بهذا التوجيه تبرير مسلك غير سائغ أو دعم سياسة منشودة واهداف دنيوية يراد الباسها صفة القداسة لتسمو على كل حجاج وملاحاة .

ولقد كان رائد واضعى تلك العهود الالهية فى مجملها وتقولها ونسبتها الى الارادة الالهية المقدسة أن تستمد من هذه النسبة قوة مرهوبة تعنو لها الهام وتخشع القلوب دون تعقيب .

ومن هذا يستبين كيف رسم واضعو أسفار التوراة الطريق التى شاءوا للانبياء وللشعب اليهودى أن ينتهجوها ، ولو كانت طريقا حزونا ملتوية غير سواء ، ثم دفعوهم فيها دفعا وافتعلوا من حولهم الظروف والملابسات التى تحدوهم الى الهدف الذى يبتغون وينشدون .

وبعد ، أفيجوز ان يكون هذا اللغو منزلا من السماء او يقول به نبى وحيا من عند الله أو حتى يدعيه انسان لديه مسكة من ايمان !

ثم — أليس فيما سبق من شـواهد التمسـناها فى اصحاحات أسـفار التوراة مصداق لما انتهينا اليه من ان الوعد الالهى — على النحو الذى وردت نصوصه فى التوراة وبالمفهوم الصهيونى — وعد مفتعل مغموز فى صحته فلايعتد به . وهو على ذلك حجة الصهيونيين داحضة مهدرة ، لا سند لها من المفاهيم العقلية والمنطقية ولا من نصوص التوراة ذاتها .

واليس هذا — كذلك — مصداقا لما ورد فى القرآن الكريم حيث يقول فى الآية ٧٨ من سورة آل عمران :

« وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

واخيرا :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسـبون » ( سـورة البقرة آية ٧٩ ) .

## الفصل الثانى

## التفسير الروحى للوعود الالهية

### تأثير النظريات الفلسفية

لقد ظهر من فلاسفة اليهود ومفكريهم الأحرار من أعيتهم المواءمة بين الايمان المطلق بالنصوص الدينية وبين مقتضيات المنطق السليم بالنسبة لما تضمنته تلك النصوص من مفارقات واحكام ينكرها العقل والمنطق ولا تسوغها الشروح الحرفية الجامدة التى فرضها رجال الدين . فضاقوا بها وضاقت بتفكيرهم الحر وحاولوا التوفيق بين النصوص الدينية وبين المفاهيم العقلية عن طريق النظر الفلسفى والتاويل المعنوى .

ولقد أتى على الاسكندريه حين من الدهر خلفت فيه أثينا فى مكانتها العلمية العالمية وورثت عنها الفلسفة الاغريقية منذ العصر البطلمى . فكانت مزدرعا خصيبا للمذاهب الفلسفية المختلفة التى وضع مبادئها سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من كبار الفلاسفة والمفكرين ، وكان يقطنها حينذاك كثير من اليهود الذين وفدوا من فلسطين فى أعقاب الحملة التى شنها عليها بطليموس الاول ، أول ملوك البطالمة ، فى عام ٣٢٠ قبل الميلاد . ولقد استقر بهم المقام فى الاسكندريه وتأدبوا بالأدب اليونانى العريق ، وترجموا التوراة الى اللغة اليونانية والتى عرفت بالترجمة السبعينية ، وعولوا على هذه الترجمة فى شئون دينهم خصوصا بعد أن أهملوا لغتهم العبرية حتى عفا عليها النسيان .

وفى تلك المثابة العلمية المزدهرة أتيح للفيف من مفكرى اليهود الذين أعيتهم النظرة الكهنوتية الجامدة للنصوص الدينية اليهودية أن ينفعلوا بالمبادىء الفلسفية التى كانت سائدة حينذاك ، ومن أنبغ هؤلاء اليهود الذين تأثروا بالنظريات الفلسفية فى تقبلهم لأحكام الدين ، اليهودى فيلون الاسكندرى المولود بالاسكندرية فى عام ٢٠ قبل الميلاد والمتوفى فى منتصف القرن الاول الميلادى . فلقد تأثر بالآراء الفلسفية الأفلاطونية والارسطوطالية والرواقية والفيثاغورية ، وكان يتقبل ما ورد فى أسفار التوراة من نصوص ومرويات لا يجيزها العقل ولا تستقيم مع المنطق بحسبانها تعبيرات مجازية ذات معان رمزية ، وبذلك أمكنه التوفيق بين النصوص الكتابية وبين الفلسفة الالهية

التى تنزه الذات الالهية من التجسم وصفات التشبيه المادى التى تستفاد من ظاهر نصوص التوراة .

وقد وضع للتوراة شرحا مستفيضا على أساس هذه النظرية الفلسفيه . حيث يرى أنها تنطوى على حقائق أعمق مما يبدو من النصـــوص ، يستشفها على درجات من أوتى الفطنة الواعية والموهبة الفاحصـــة والاســتعداد الخاص لادراكها .

وتتفق آراء فيلون مع النظرية الصهيونية الأصلية ، اذ كان يؤمن بنظرية المسيح المنتظر ويرى توطن اليهود في فلسطين أرض الميعاد التى تعتبر قاعدة لزحفهم المقدس على أرجاء الأرض وحكم شعوبها وفرض شريعة موسى عليها . كما كان يعتقد أن اليهود هم أحق بخيرات العالم لانهم شعب الله المختار .

وكانت الأندلس موطنا للفلسفة الاسلامية حينا ما . وقد تتلمذ فيهـــا طائفة من اليهود وتدارسوا مأثوراتهم الدينية من خلال هذه الفلسفه ، ومنهم ابن جبريل ( سليمان بن جبيرول ) صاحب كتاب « ينبوع الحياة » والمولود فى عام ١٠٢١ م وأبو عامر يوسف بن صديق المتوفى سنة ١١٤٨ م ويحيا بن يوسف ابن بقوده صاحب كتاب « واجبات القلوب » الذى تأثر فيه بفلسفة الغزالى . ثم موسى بن ميمون ( ١١٣٥ - ١٢٠٤ م ) الذى تاثر بفلسفة أرسطو طاليس وبالفلسفة الاسلامية التى حمل لواءها الفارابى والغزالى وابن باجه والرازى وابن طفيل وخاصة آراء ابن رشد الفيلسوف الاندلسى الكبير .

ولقد كان لأفكار المعتزله وفلسفتهم وطريقتهم فى معالجة أمـــور الدين الاسلامى وتعليل أسراره وتفهمها عن طريق علم الكلام ( علم التوحيد ) (١) وتفسير القرآن الكريم نفسيرا رمزيا - كان لذلك تأثير عظيم فى تطوير الفلسفة اليهودية ، مما أوجد تيارات متضاربة فى تفهم الدين اليهودى وشرح طقوســـه وشرائعه ، فبينما نجد طائفة الربانيين المتزمته تأخذ بأحكام التلمود وشروح الحاخامات الجامدة ، اذ بطائفـــة القرائين المتحررة من العقائد الموروثة تروض أفكارها على هدى من مبادىء الفلسفة الاســـلامية المعتزله التى تتســـق مع الارسططالية والأفلاطونية الحديثة فتتمرد على أحكام التلمود ولا تعترف بها .

وقد وضع موسى بن ميمون (٢) كثيرا من المؤلفات الفلسفية التى تعتبر من أمهات كتب الفقه اليهودى ، ومن أشهرها كتاب « السراج » فى تفسير المشنا وكتاب « دليل الحائرين » أو « دلالة الحائرين » وهو كتاب فى الفلسفة اليهوديه تكلم فيه عن الصـــفات الالهية وعن النبوة ، وقد تأثر فيه بالفلسفة الاغريقية والفلسفة الاسلامية ، وبين فيه أنه لا تناقض بين العقل والوحى وبين فلسفة أرسطو وأحكام التوراة ، ويقول « ان ما ورد فى سفر التكوين من التوراة من كلام الله والألواح التى نقشت عليها بأصبع الله وصورة الله التى خلق الانسان على هيئتها كل ذلك كان تعبيرا مجازيا مجردا » وهو يفسر التوراة على هـــذا الاعتبار . غير ان هذه الآراء لم ترق للمحافظين من اليهود فأطلقوا على كتابه اسم « ضلالة الحائرين » .

---

(١) علم الكلام أو علم التوحيـد هـو علم العقائد وبيان ما جاء فى النبوات ويبحث فيه عن وجود الله وعن المرسل .

(٢) تتلمذ موسى بن ميمون على الفيلسوف الاسلامى ابن رشد وقد أهله علمه لان يكون محل ثقة الملك الأفضل نور الدين بن الحسن على بن صلاح الدين الأيوبى واختاره طبيبا خاصا له .

ومن فلاسفة اليهود فى أوربا بندكت اسبينوزا Benedict Spinoza وهو برتغالى الأصل نشأ فى هولنده ( ١٦٣٢ ــ ٦٧٧ م ) وكان متأثرا بآراء الفيلسوف ديكارت ــ وقد حاول التوفيق بين الفلسفة والدين فى كتابيه « الرسالة الدينية السياسية » و « الأخلاق » وتعرض فيهما لنظرة الدين والفلسفة للذات الالهية والعقائد الدينية ·

## مدى التفسير الروحى للوعود الالهية

اتسعت الآراء والنظريات الفلسفية والروحانية لاجتهاد المفكرين اليهود فى تفسير النصوص الدينية المستغلقة وتقبل أحكامها وتبرير ما يبدو فيها من شذوذ ومجافاة للنظر العقلى المتزمت ــ وكان شعارهم فى ذلك تأويل النصوص وتقبل تعبيراتها على سبيل المجاز والمعانى الرمزية . تأويلا يستشف ما فيها من معان باطنة يرهقون بها النصوص ويكدون العقل فى سبيل استخلاصها على غير ما يرى جمهرة اليهود ·

وعلى هدى من هذه الفلسفة المتحررة وبنظرة روحانية عميقة استظهر كثير من مفكرى اليهود مضـــــمون الوعود التى وردت فى التوراة على لسان الأنبياء منسوبة الى الذات الالهية ·

وبهذا يقول السير هنرى مورجانتو العلامة اليهودى فى كتابه « كل هذا فى حياة واحدة » ·

« وطبيعى (١) ان الأنبياء كانوا يهتمون بالحياة الروحية فقط فلم يتحدثوا عن القوة الأرضية العاتية وعن البركات العاديه » ·

ومن هذا القبيل أيضا أن كلمة « صهيون » تعنى عند اليهود التقليديين معنى رمزيا مؤداه المكان ــ حيثما كان ــ الذى يستقر فيه اليهود ويكونون لهم فيه دولة متحررة (٢) ــ بينما تعنى هذه الكلمة لدى اليهود الصهيونيين الاقليم الفلسطينى بالذات الذى يقع فيه جبل صهيون المقدس ·

وانه وان كانت التوراة أحد شطرى الكتاب المقدس لدى المسيحيين بيد ان دعوى اليهود عن الوعد الالهى بملك فلسطين لم تلق التأييد المطلق لدى الطوائف المسيحية ، فليس سوى فريق البروتستانت منهم من يميل الى تأييد دعوى اليهــود بايثارهم بملك فلسطين تصـــديقا لما ورد فى نصوص التوراة من وعود الهية ، تلك النصوص التى يأخذونها على علاتها بتزمت يلتزم المعنى الحرفى ، على خلاف سائر الطوائف المسيحية التى تحمل هذه الوعود على معان مجازية واجبة التأويل ·

فان الكثرة من المسيحيين ، والكاثوليك منهم خاصة ، ــ لا ترى التزمت فى تقبل هذه الوعود وتنكره على اليهود وعلى النصـــارى البروتستانت معــا فلا يأخذون بتعاليم التوراة والتفســـيرات الحرفيـــة لنصوصها ، وانما هم

---

(١) راجع كتاب « الصراع الســـياسى بين الصهيونية والعرب » تأليف العميد محمد فايز القصرى ــ الطبعة الأولى بالقــاهرة ســنة ١٩٦١ صفحة ٤٥ ·

(٢) كتــاب « العلاقات الــدولية العربية » تأليف الدكتور محمد حافظ ــ الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٥ صفحة ٢٢٤ ·

يقولون ــ ويشاركهم فى هذا طائفة من مفكرى اليهود الأحرار ــ بأن هذه الوعود هى فى حقيقتها رموز مادية لمعان روحية بعيدة عن الدلالات الظاهرة التى تبدو فى حرفية التفسير .

ثم ان تلك الوعود لم ترد فى الانجيل على وجه التركيز بما يشعر بما لها من أهمية خاصة أو دلالة صريحة على ملك دنيوى أبدى . ومن ذلك ما ورد فى أعمال الرسل الاصحاح الثالث برقم ٢٥ :

« أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لابراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض » .

فينحصر العهد هنا فى اضفاء البركة فحسب ، بركة ارتباط بينها وبين ملك أو حكم .

كما جاء فى الاصحاح السابع من أعمال الرسل من رقم ١ الى ٥ « ظهر اله المجد لأبينا ابراهيم وهو ما بين النهرين قبلما سكن فى حاران ، وقال له اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلم الى الارض التى أريك . فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين ، وسكن فى حاران ، ومن هناك نقله بعد ما مات ابوه الى هذه الأرض التى أنتم الآن ساكنون فيها ولم يعطه فيها ميراثا ولا وطأة قدم ، ولكن وعد أن يعطيها ملكا له ولنسله من بعده ولم يكن له بعد ولد » .

فلم يشر الانجيل الى تمليك البلاد الموعودة ملكا أبديا ، كما لم يخصص أيا من ذرية سيدنا ابراهيم بهذا الملك . وسجل الانجيل أن سيدنا ابراهيم مات ولم يكن له فى البلاد موطىء قدم يملكه رغم انه وعد بملكها هو ونسله من بعده من قبل أن ينجب .

وقد تحدد موضوع الوعد الموجه الى سيدنا ابراهيم ونسله فى الاصحاح الثالث من أعمال الرسل ــ باسباغ بركتهم على جميع قبائل الأرض .

وقد حدا التناقض الماثل بين نصـــوص التوراة وبين الواقع المادى ، الى محاولة تأويل هذه النصوص تأويلا مقبولا يحفظ عليها مكانتها المقدسة وما لها من ثقة مفروضة فى نفوس المتدينين .

ويوضح هذه الفكرة القس نيل . ك ولسون فى كتابه « الكتاب المقدس والمسألة اليهودية » حيث يقول :

« ان مواعيد الله تعالى لابراهيم ولذريته انما هى مواعيد روحية ، وان غاية هذه المواعيد هى خلاص الجنس البشرى خلاصا روحيا بواسطة نســـــل ابراهيم أى المسيح الذى جاء مرة الى هذه الأرض ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين ، والذى سيجىء ثانية ليقيم مملكة البر والسلام » . ثم يقول :

« وليس من المعقول أو من المقبول أن تكون سياسة الله الروحية ومعاملته للجنس البشرى قائمة على نزعة تعصبية كلها اثرة وكلها أنانية » الى أن يقول :

« فالصهيونية اذن لا تقوم على أسس كتابية ولا تمت بأى صلة للمواعيد الالهية أو الأقوال النبوية . فان كان دعاتها ومشايعوها يلتمسون لها سندا من أقوال الله تعالى فالكتب المقدسة منها براء » .

ولقد كان للمسيحيين أسوة بما جاء فى أسفار الانجيل من حيث تأويل

ما جاوز المنطق والعقل من نصوص التوراة ـ وهى العهد القديم من كتابهم المقدس .

ومن ذلك أن الأنجيل فسر الختان تفسيرا روحيا ـ وهو من شعائر اليهود المقدسة وعلاماتهم المميزة .

فقد جاء فى الاصحاح الثانى من رسالة بولس الرسول الى أهل رومية برقمى ٢٥ و ٢٦ « فان الختان ينفع ان عملت بالناموس ، ولكن ان كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة . اذ أن كان الاغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب عزلته ختانا » .

وفى نفس الاصحاح برقم ٢٨ و ٢٩ :

« لان اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديا ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختانا بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح ولا بالكتاب هو الختان » .

وجاء فى الاصحاح الرابع من رسالة بولس الرسول الى أهل رومية من رقم ١٣ الى ١٧ « فانه ليس بالناموس كان الوعد لابراهيم أو لنسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الايمان ، لانه ان كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الايمان وبطل الوعد . لأن الناموس ينشىء غضبا اذ حيث ليس ناموس أيضا تعد . لهذا هو من الايمان كى يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيدا لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط بل أيضا لمن هو من ايمان ابراهيم الذى هو أب لجميعنا ، كما هو مكتوب انى قد جعلتك أبا لأمم كثيرة » .

ويلحق المسيحيون سيدنا عيسى عليه السلام بنسل سيدنا داود ـ ولذلك فهم يرون أنه هو المعنى فى التوراة بالمسيح المنقذ ـ على خلاف ما يعتقد اليهود ـ وفى ذلك تقول « رسالة بولس الرسول الى أهل رومية » فى الاصحاح الحادى عشر من رقم ١١ الى ٢٦ . « وهكذا سيخلص جميع اسرائيل كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب » .

ولقد دان للفكرة الروحانية فى تأويل وعود التوراة طائفة من اليهود نخص بالذكر منهم اسحق ماير وايز Isaac Mayer Wise الذى صرح بهذا الرأى ودعا له فى مؤتمر فيلادلفيا المنعقد فى عام ١٨٦٩ .

وينطوى تحت التفسير الروحى لوعود التوراة ما يراه البعض أن ملك سيدنا ابراهيم الذى قضى الرب بأن يؤول تراثه الى نسله من بعده انما هو ملكوت روحانى ، نطاقه مدى انتشار ديانة التوحيد التى يبشرون بها ويسيطرتها الروحية على النفوس والأرواح فى الآفاق ، وليست السيطرة المادية المبنية على السلطان السياسى والحكم الادارى .

وهؤلاء يرون أن هذه الوعود قد تحققت بالنسبة لذرية سيدنا داود بانتشار الدين المسيحى فى مملكة روحية تتسع لها أقطار الأرض على يدى سيدنا عيسى عليه السلام ، مصداقا لما ورد فى الاصحاح الأول من انجيل لوقا من رقم ٣١ الى ٣٣ حيث يخاطب الملاك جبربل السيدة مريم بقوله :

« وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه . ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » .

ويوضح المسيح عيسى ماهية هذا الملك في الاصحاح الثامن عشر من انجيل يوحنا برقم ٣٦ حيث يقول :

« أجاب يسوع مملكتي ليس من هذا العالم لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم الى اليهود » .

أما المســـيح المنتظر الذى تعلقت به آمال اليهـود فى المتاب والغفران والمآب الى أرض الميعاد ، فقد أوله المفسرون بظهور سيدنا عيسى لتخليص الدين اليهودى من شوائب الكفر والزيغ ، وانشاء المملكة المسيحية الروحية فى رحاب الأرض .

وقد يقال ان وعود التوراة بتأويلها الروحى قد تحققت مرة أخرى بالنسبة لذرية سيدنا اسماعيل ببزوغ الدين الاسلامى بين يدى عقبه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام — وهو من سلالة اسماعيل — وانطواء مئات الملايين من البشر تحت لواء الاسلام فى ملكوته الروحانى العميم .

ويزكى هذا الرأى ما ورد فى القرآن الكريم من آيات بينات تشــير الى الصلة الروحية بين الدين الاسلامى وبين الدين الذى بشر به سيدنا ابراهيم من قبل ، من حيث تأسيسهما على عقيدة التوحيد والتســـليم لله وحده بالربوبية والاخلاص له فى العبادة والامتساك بالقيم الأخلاقية الفاضلة التى يدعو لها .

من ذلك قوله تعالى مخاطبا رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام — فى الآية ١٦١ من سورة الأنعام :

« قل اننى هدانى ربى الى سراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

ثم فى الآية ١٢٣ من سورة النحل بقوله :

« ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين »

وفى الآية ٧٨ من سورة الحج يوجه الله سبحانه وتعالى خطابه الى عامة المسلمين اتباع محمد عليه السلام — مؤكدا الصلة الروحية الوثيقة بين الدين الاسلامى وملة ابراهيم حيث يقول :

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم (١) وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا (٢) ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » .

وتضفى هذه الآية أبوة ابراهيم على اتباع محمد عليه السلام ، كما تشير الى ان المسلمين هم كل من أسلم وجهه لله حنيفا وآمن بعقيدة التوحيد دينا ، ســـواء تلقى هذه العقيدة عن ســيدنا ابراهيم أو عن ســيدنا محمد من بعد

---

(١) اجتباكم أى اختاركم .

(٢) فى هذا أى فى القرآن الكريم .

هذا ولعل مبنى القول بتأويل ملك ابراهيم ومن وعد به من ذريته بالملك الروحى ، ان مناط الملك الروحى هو ما عبرت عنه التوراة ( بالبركة ) التى اسبغها الله على سيدنا ابراهيم وعلى الصفوة من ذريته سواء منهم نسل اسماعيل أو نسل اسحق ٠

وتأييدا لذلك فانه حتى مع النص فى التوراة على حرمان سيدنا اسماعيل وذريته من ملك بلاد كنعان وايثار سيدنا اسحق ونسله به ، فان الله سبحانه وتعالى لم يحرمه من بركته وحفظ عليه مكانته الروحية حيث يقول فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين برقم ٢٠ :

« وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأكثره كثيرا جدا اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة » ٠

وعلى ذلك فان الملكوت الروحانى على رحبه يضم كلا من الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام ــ التى ينتسب أنبياؤها الى ذرية ابراهيم ٠

غير أن ذلك الانساق ــ وبهذا الاستنراء ــ فضلا عن أنكار الصهيونية لنهجه ــ لا يسيغه منطق التوراة ولا يطيقه سياق الوعود . فان تأويلها الروحانى فيه اعنات للنصوص التى رددتها أسفارها والتى يتمسك الصهيونيون بمضمونها المادى ، ومازال هذا التأويل قاصرا على تطويع التفاصيل التوراتية للمعانى الروحانية التى انتهى اليها ٠

اذ أن هذه الوعود قد شملت أقاليم جغرافية معينة ، ومنت بحيازتها أشخاصا عينتهم بأسمائهم . ثم انه واضح من تلك النصوص انها تفرق بين البركة ، وهى الجانب الروحانى مما خص الله به ذرية ابراهيم . وبين الملك المادى الموعود به والذى يتمسك به اليهود الصهيونيون ٠



## المبحث الثـــانى

# البــاب الـــرابع

# المناسك اليهودية فى فلسطين

## الفصـــل الأول

## وجود المعالم اليهودية المقدسة فى فلسطين

### ١ ـ صهـيون

صهيون Zion الذى تنسب اليه الدعوة الصهيونية . أحد البقاع الدينية اليهودية المقدسة ـ وهو اسم أحد جبال أربعة ـ هى صهيون وموريا وأكرا وبيضينا ، أقيمت عليها مدينة أورشليم ـ أى مدينة السلام ـ وهى المعروفة حاليا بالقدس أو بيت المقدس • وقد اشتهر من هذه الجبال جبل صهيون خاصة الذى يقع جنوبى المدينة حتى أصبح رمزا لمنطقة أورشليم كلها •

ولمنطقة صهيون منزلة الجلال والقداسة فى نفوس اليهود . ففيها يسكن الرب ـ فى زعم اليهود ـ كما جاء فى الفقرة الحادية عشرة من المزمور التاسع « رنموا للرب الساكن فى صهيون » ـ وفيها مدينة أورشليم قصبة ملكهم القديم الذى يطمعون فى بعثه واحيائه . ثم هى مثابة هيكل سليمان المقدس الذى أقيم بأمر من الله وأودع فيه التابوت الذى يضم نسخة التوراة ولوحى الشهادة التى أنزلها الله سبحانه على سيدنا موسى •

ومن صهيون يبعث الله المسيح الذى ينتظره اليهود منقذا ومخلصا مما كتب عليهم من عذاب وتشريد بعد توبتهم وعودتهم الى حظيرة الايمان الصحيح •

وبذلك غدت منطقة صهيون قبلة اليهود فى الآفاق . وكعبتهم التى يحجون اليها احياء لآمالهم الاستعمارية وأحلامهم الدينية التى رددتها التوراة •

واسم « صهيون » معروف منذ عصور موغلة فى القدم ترجع الى ما قبل وجود الشعب الكنعانى نفسه فى بلاد كنعان بالشام •

وقد مجدت صهيون أسفار التوراة واشادت بها المزامير فى أكثر من موضع ، حيث جاء فى الاصحاح الرابع من سفر ميخا برقم ٢ « من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » كما ورد فى المزمور الخمسين برقم ٢ « من صهيون كمال الجمال الله أشرق » وفى المزمور التاسع والستين برقم ٢٥ و ٣٦ « لأن الله يخلص صهيون ويبنى مدن يهوذا فيسكنون هناك ويرثونها نسل عبيده يملكونها ومحبو اسمه يسكنون فيها » •

وجاء فى المزمور السابع والثمانين برقم ٢ و ٣ :

« الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب · قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله · سلاه » ·

## ٢ ـ هيكل سليمان

لقد أكد من قدسية منطقة صهيون لدى اليهود بناء الهيكل المقدس الذى ورد فى التوراة أن سيدنا سليمان ملك اليهود أقامه فى عام ١٠١٢ قبل الميلاد بتكليف من الله سبحانه وتعالى فى مدينه أورشـــليم فى ســـفح جبل موريا ـ أحد جبال مدينة أورشليم الاربعة ـ حيث تقول التوراة فى الاصحاح الثالث من أخبار الأيام الثانى برقم ١ « وشرع سليمان فى بناء بيت الرب فى أورشليم فى جبل المريا حيث تراءى لداود ابيه » وبلغ طوله ستين ذراعا وعرضـــه عشرين ذراعا ، وقد استفاض وصفه فى الاصحاحات من ٥ الى ٨ من سفر الملوك الأول ·

وقد وضع فى ذلك الهيكل « التابوت الذى فيه عهد الرب الذى قطعه مع بنى اسرائيل » ( الاصحاح السادس من أخبار الأيام الثانى برقم ١١ ) وهو تابوت من خشب السنط صنعه موسى بأمر الهى ووضع فيه لوحى الشهادة الحجريين اللذين يتضمنان ـ على ما جاء فى التوراة ـ العهد الربانى والوصايا الالهية التى أوحى بها الى سيدنا موسى حين صعد الجبل فى سيناء منقوشة بيد القـــدرة الالهية ·

وقد فصل موضوع هذين اللوحين فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج برقم ١ و ٢٧ و ٢٨ وفى الاصحاح العاشر من سفر التثنية من رقم ١ الى ٥ ·

ويحتوى هذا التابوت كذلك على توراة موسى التى تشـــمل الأســـفار الخمسة الأولى ، مصداقا لما جاء فى الاصـــحاح الحادى والثلاثين من ســـفر التثنية من رقم ٢٤ الى ٢٦ حيث يقول « فلما كمل موسى كتابة كلمات هـــذه التوراة فى كتاب الى تمامها · أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا : « خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب اليكم ليكون شاهدا عليكم » ·

وكانت لتابوت العهد ـ فضـــلا عن ذلك ـ منزلة سامية فى نفوس اليهود اذ كانوا يعتقدون أنه عرش الههم يهوه الذى يتربع عليه ، وتشير التوراة الى ذلك صراحة فى الاصحاح الرابع من سفر صموئيل الأول برقمى ٣ و ٤ حيث تقول : « وقال شيوخ اسرائيل لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل فى وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا · فأرسل الشعب الى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم (١) » · ويفسر رجال الدين العبارة الأخيرة بأن تابوت العهد هو عرش الله الذى تحمله الكروبيم وهو الملائكة ·

وتصور « المدراش (٢) » مكانة الهيكل العالمية تصويرا خياليا حيث تقول

---

(١) الكروبيم هم ملائكة السماء بدرجاتهم وطوائفهم المختلفة الشاروبيم والصيرافيم ·

(٢) المدراش أى الدراســـات وهى شروح ودراســـات دينية تتضمن أقوال فقهاء اليهود حكمائهم وحواشيهم على النصـــوص المقدســـة بالمأثورات الدينية اليهودية ·

« تقع فلسطين بالضبط فى مركز العالم وتقع القدس بالضبط فى مركز فلسطين ويقع المعبد بالضبط فى مركز القدس وفى مركز المعبد بالضبط يقع الهيكل حيث توجد صرة الارض » .

هـــذا ، ولقد تعاورت يد الحدثان هيكل ســـليمان من بعد ، اذ دمره البابليون ابان غارتهم التى سبوا فيها اليهود وساقوهم أسرى الى بابل ، فلما أن فتح كورش ملك الفرس مدينه اورشليم عداة غزوه لبلاد بابل وســـمح لليهود بالعودة الى بلادهم بزعامه زرو بابل أعادوا بناء الهيكل فى مكانه القديم . فلما فتح الرومان فلســـطين أحرقه الامبراطور الرومانى تيطس فى عام ٧٠ الميلادى ابان خضـــوع اليهود لحكمه . ولما أن قام اليهود بالثورة فى عهـــد الامبراطور الرومانى ايليوس هادريان فى عام ١٣٢ للميلاد بزعامه باركوكبا وتعضيد من الحاخام اكيبا ، تولى القائد الرومانى تيتوس روفوس قمع الثورة بقسوة بالغة وأوسع الثوار نكالا وأمعن فيهم بطشا ، وانتقم منهم بتدمير مدينه أورشليم ومحو اسمها المعروفة به وأطلق عليها اسم ( ايليا كابيتولينا ) ثم أزال معالم هيكلهم الأثرى فبنى على انقاضه معبدا وثنيا للمعبود الرومانى جوبيتير . غير أن هـــذا المعبد ما لبث ان اهمل وتهدم حتى انقض من أساسه فى عهـــد الامبراطور قسطنطين بعد انتشار المسيحية فى أورشـــليم واستحال أطلالا وخرائب دارسة .

فلما أن فتح العرب المسلمون الشام أبى بطريق مدينة القدس تسليمها الا للخليفة نفسه ، فشخص اليها عمر بن الخطاب فى العام السادس عشر للهجرة حيث عقد مع أهلها وثيقة الأمان المعروفة بالعهدة العمرية ، ثم أقام مسجدا من الخشب فى خرائب كانت عند الصخرة المقدسة . وفى عام ٦٦ الهجرى ( ٦٨٥ الميلادى ) شيد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان على الصخرة المقدسة مسجدا فخما تعلوه قبة آية فى الروعة والرواء عرف بمسجد الصخرة أو قبة الصخرة ، وقد استغرق بناء المسجد ست ســنوات امتدت الى عهـــد الخليفة الوليد بن عبد الملك .

والى الجنوب من قبة الصخرة يوجد المسجد الأقصى حيث أقصى مكان وصله البراق بسيدنا محمد ليلة الاسراء والمعراج — وقد بدىء فى بنائه فى عام ٧٤ الهجرى ( ٦٩٣ الميلادى ) فى عهد عبد الملك بن مروان ثم أتمه ابنه الوليد من بعده .

وقد اختلف الباحثون فى تعيين مكان المســـجد الخشـــبى الذى أقامه الخليفة عمر بن الخطـــاب ، فيرى جمهرتهم أنه يقع فى مكان قبة الصـــخرة المشرفة ولذلك فقد يطلق بعضهم — وخاصة الافرنج منهم — على مسجد الصخرة اسم مسجد عمر ، بينما يرى البعض أن مكان ذلك المسجد الخشبى يقع فى الزاوية القبلية الشرقية من المسجد الاقصى فى نهاية الرواق الكبير حيث يوجد الآن المحراب المعروف بمحراب عمر أو مسجد عمر وهو خلاف المسجد العمرى المقام فى حارة النصارى جنوبى كنيسة القيامة بالقدس .

هذا وقد يطلق اسم المسجد الأقصى على الحرم الشريف الذى تضـــم أسواره كلا من مسجد الصخرة والمسجد الأقصى وسائر المعالم الاسلامية المجاورة لهما .

***

وهكذا اندثرت معالم هيكل سليمان القديمة الا من جدار باق من معبد جوبيتير الوثنى يقال أنه فى مكان الســـور الخارجى الذى كان يحيط بمنطقة

هيكل سليمان ويبلغ طول ذلك الجدار ١٥٦ قدما وارتفاعه ٥٦ قدما ويقع الآن غربى مسجد الصخرة خارج الحرم الشريف الذى يضم منطقة المسجد الاقصى . ولم يزل هذا الجدار قائما الى اليوم ويعرفه العرب باسم حائط البراق حيث ربط سيدنا محمد عنده البراق الذى حمله ليلة الاسراء والمعراج ، ولذلك شيد المسلمون الى جوارد مسجد البراق تيمنا وتخليدا لهذه الذكرى العطرة وقد هدم الاسرائيليون هذا المسجد أخيرا عند احتلالهم مدينـــة القدس فى عام ١٩٦٧ .

ولهذا الجدار مكانة سامية فى نفوس اليهود بحسبانه أثرا مقدسا من هيكلهم القديم ، ولا يفتأون يبكون عنده ملكهم الزائل وهم يتلون مراثى ارميا حتى أشتهر باسم حائط المبكى — ثم عرف بهذا الاسم رسميا منذ صدور المرسوم الملكى البريطانى فى عام ١٩٣٠ الذى حدد ملكيته للعرب المسلمين .

ويتوق اليهود الى اعادة بناء هيكل سليمان فى مكانه القديم الذى يزعمون أنه يشغله الآن المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة ، وهما من أهم المعالم الاسلامية المقدسة فى فلســـطين قاطبة . ولم يتورع أقطاب اليهود وزعماؤهم الرسميون عن المجاهرة بهذه الرغبة والحض على تحقيقها عنوة واقتدارا .



اليهود ينتحبون عند حائط المبكى بالمسجد الاقصى أو كما يعرفه اليهـــود بحائط المبكى

ولقد صرح الوزير البريطانى اليهودى الفرد موند ( اللورد ميلتشت ) فى عام ١٩٢٢ بأن « اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريبا جدا وأنه سيكرس ما بقى من حياته لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى (١) » .

ويضيف بن جوريون منشىء دوله اسرائيل الحالية فى تصريح له أصدره فى منتصف عام ١٩٢٨ « انه لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل » .

---

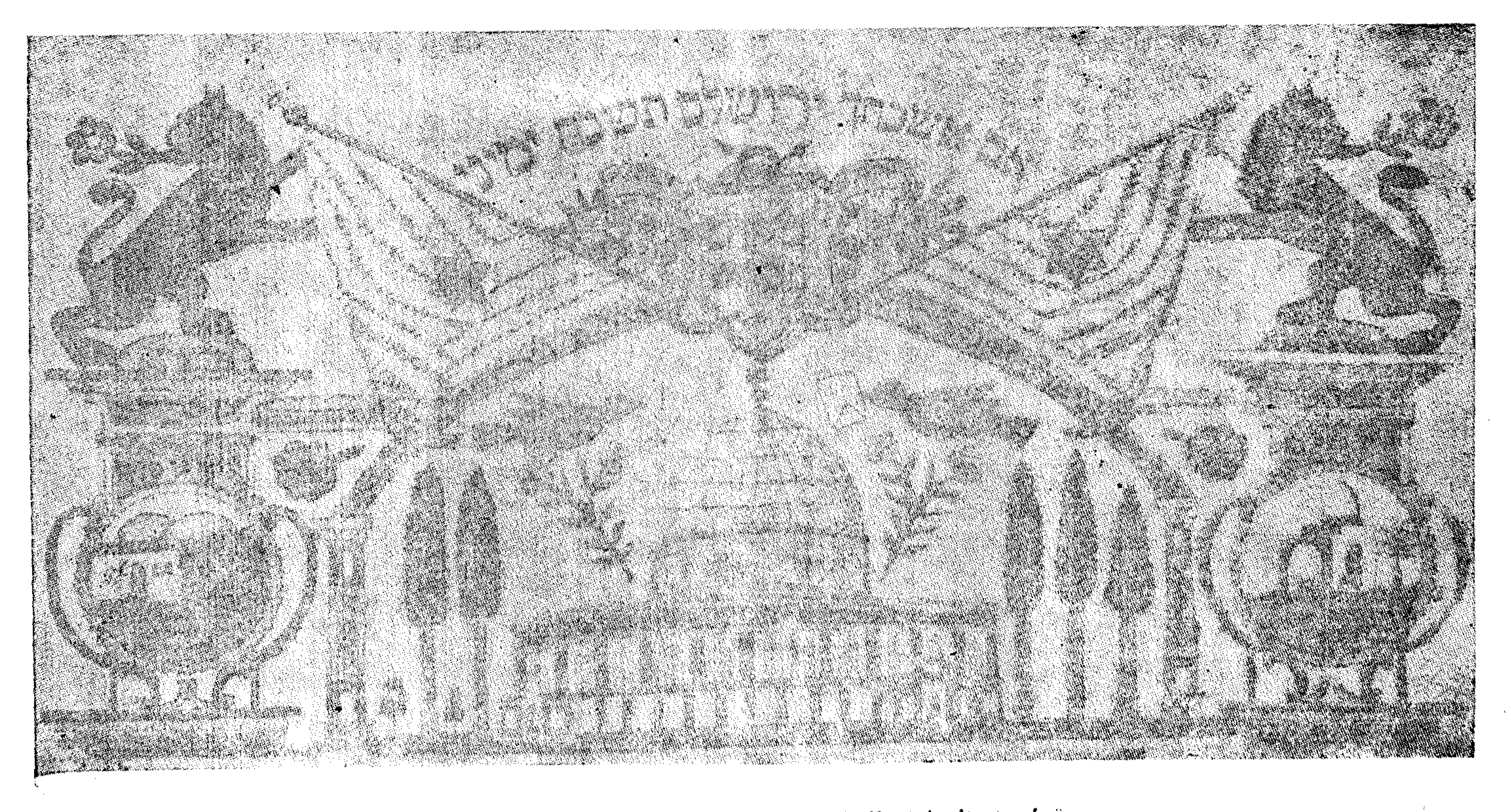
(١) كتاب « فلسطين والضمير الانسانى » للأستاذ محمد على علوبة ص ١١٥ .

ويردد اليهود هذا الأمل فى دائرة المعارف اليهودية كما ترده دائرة المعارف البريطانية كذلك ٠

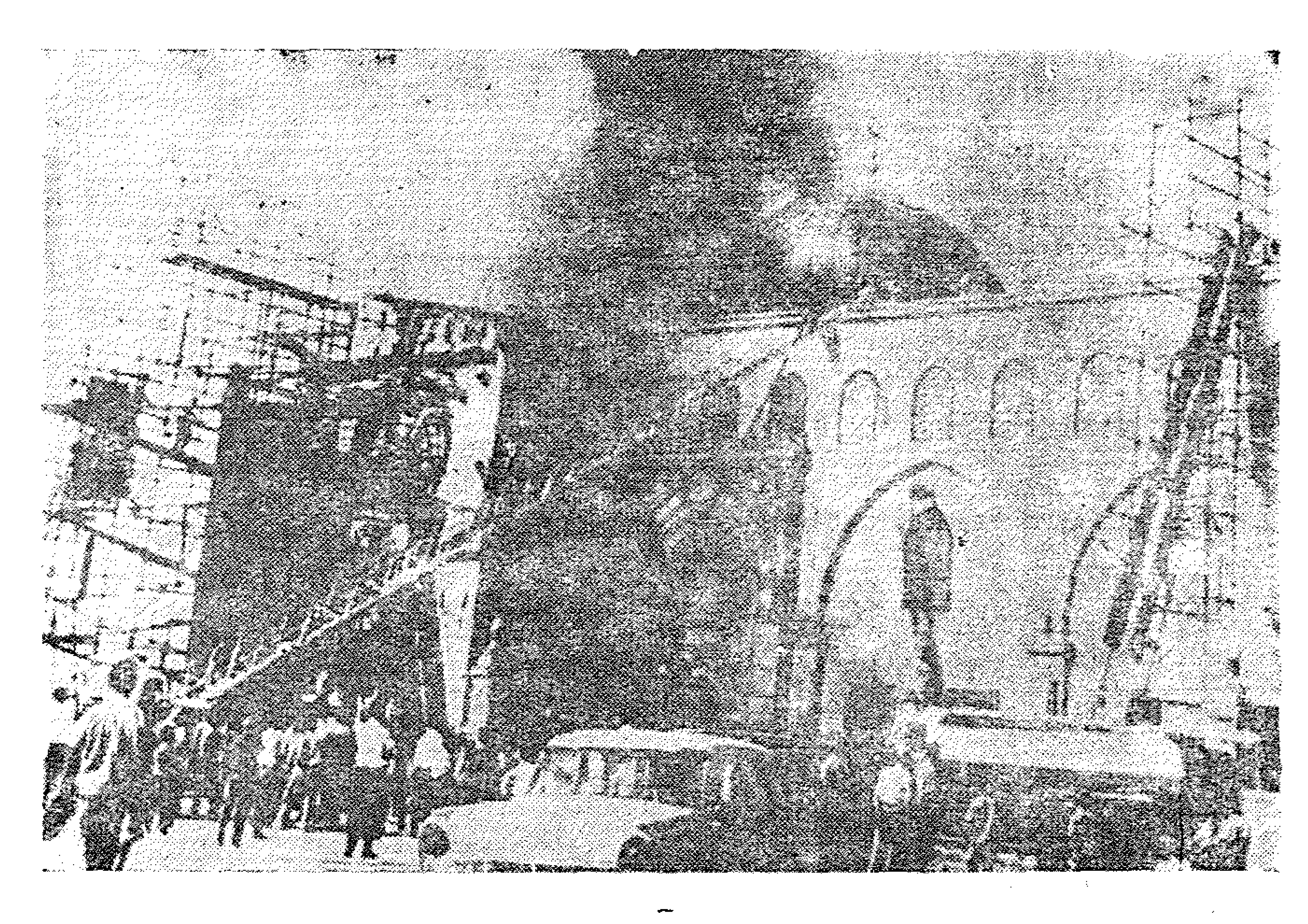
وقد نشر اليهود كثيرا من الخرائط والرسوم لمعالم فلسطين ــ منها صور للحــرم الشريف وقبة الصــخرة وقد وضــعوا عليها شعارهم القومى والدينى ودونوا عليها عبارات باللغة العبرية تؤكد تصميمهم على اغتصـــابها وازالتها واعادة بناء هيكل سليمان مكانها ، كما نشرت « لجنة صهيون » بيانا فى جريدة نيويورك تايمز الامريكية بتاريخ ١١ يونيو عام ١٩٦٨ ضمنته خريطة لمدينة القدس وقد خلا منها المسجد الأقصى وقبة الصخرة وجعل مكانهمــا ميدان الهيكل ٠

ولقد حاول اليهود بالفعل تدمير مسجد الصخرة والمسجد الأقصى توطئة لاحياء هيكل سليمان ، فقصفوهما بالمدافع فى عام ١٩٤٨ حتى تصدعت بعض الجدران والقباب ، الا أن المسلمين تعاونوا على ترميمها ورأب ما أصابهما من صدوع ، ثم عاود اليهود الكرة فأشعلوا النار فى مســجد الصــخرة فى ٢١ أغسطس من عام ١٩٦٩ بغية تدميره ، وقد أحرقت النار المكتبة والجانب الشرقى من المسجد بالفعل . وتراخت السلطات الاسرائيلية المحتلة دون خماد النيران حتى تأتى على المسجد ويستحيل أنقاضا ويسنح المبرر لازالته كلية ، ــ الا أن المواطنين العرب بالقدس هبوا متكاتفين لاطفاء الحريق وأنقذوا المسجد المقدس من دمار محقق ، وبذلك فوتوا على الصهيونية الفرصة التى افتعلتها ودبرتها للنيل من المقدسات الاسلامية ٠

وازاء اســتنكار الرأى العـــام العالمى لفداحة الجـــرم وادانة الحكومة الاسرائيلية ، فقد حاولت اسرائيل أن تدفع عن نفسها وزر تدبيره ومسئولية اقترافه ، فسارعت باسناد الجرم الى صنيعتها المهاجر الاسترالى المســيحى مايكل دنيس روهان ، الذى اصطنعته لتدرأ به وزر الاتهام عن نفسها وعن العنصر اليهودى كافه ، ثم مضت فى التمويه فقدمته للقضـــاء حيث يسرت لمحاميه التماس المعاذير القانونية حتى قضت المحكمة باعفائه من العقـــاب وبايداعه مصحة للأمراض العقلية ، بزعم أنه ملتاث العقل ــ وأن جنونه يرفع عنه المسئولية الجنائية ٠



صورة لمسجد الصخرة المشرفة رسم عليها اليهود شعاراتهم الدينية ودونوا
عليها عبارات باللغة العبرية تؤكد عزمهم على هدمه وبناء هيكل سليمان مكانه



محاولة اخماد الحريق الذى أشعله اليهود فى مسجد الصخرة
فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩

## الفصــل الثــانى

### تقييم الحق النــاشىء عن وجود المــالم المقدســة فى فلســطين

ان القول بأن وجود المعالم اليهودية المقدسة فى فلسطين مما يدعم حق اليهود فيها ـ قول مردود وسلاح ذو حدين .

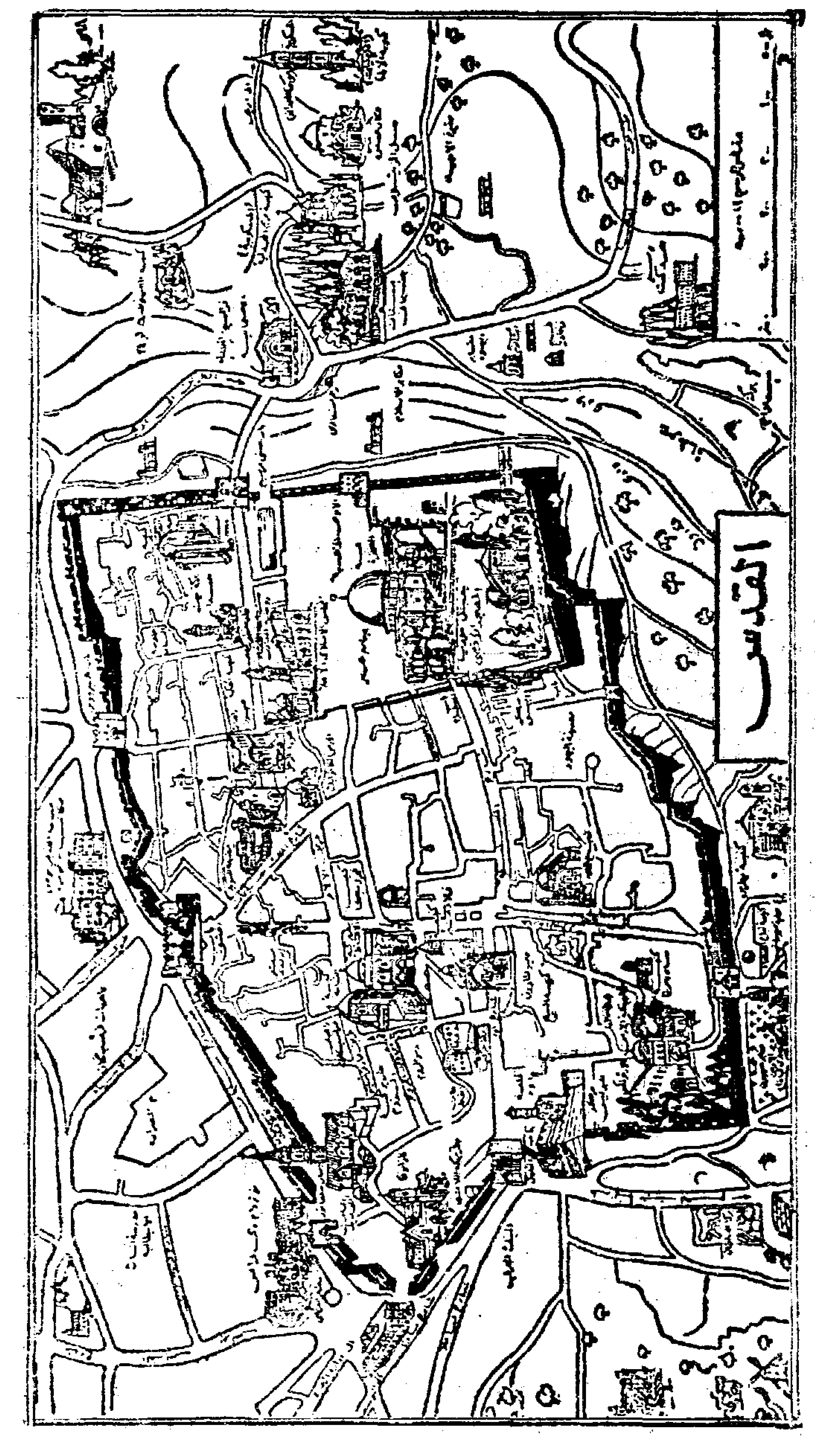
ذلك لأن ثم من ينازع اليهود هذا الحق بجدارة ، فان التسليم به يثير حقوقا مماثلة للمسيحيين وللمسلمين فى فلسطين ـ ولو ان كل فريق تمسك بحقه فى امتلاك فلسطين ضمانا لمقدساته فيها لتناوحت الحقوق واحتدم الصراع الطائفى بعنف ؛ فاندلعت فتنة دينية عاتية تغشى العالم أجمع لن تذر لليهود وهم قلة فى خضمه الزاخر ـ الا الضياع والفناء والخسران المبين .

فان فلسطين مهد الديانة المسيحية وفيها آثار السيد المسيح وأهم المزارات النصرانية المقدسة العريقة ، ففى بيت لحم توجد كنيسة المهد التى ولد فى مكانها السيد المسيح ، وفى أورشليم توجد كنيسة القيامة حيث يؤمن المسيحيون بأنه صلب فى مكانهــا .

ثم فيها المسجد الأقصى أولى القبلتين ـ وثالث الحرمين وثالث المساجد التى يشد اليها المسلمون الرحال ـ كما أنها تضم قبة الصخرة المشرفة (١) حيث نصب المعراج للنبى محمد صلى الله عليه وسلم فرقاه الى سدرة المنتهى فى أعلى عليين ليلة الاسراء والمعراج ؛ وحيث تركت قدماه أثرا ما زال باقيا على حجر صغير موجود بالجهة الشمالية الغربية من الصخرة المقدسة ، كما توجد على هذه الصخرة آثار حوافر البراق الذى حمله فى اسرائه من مكة الى بيت المقدس ، ويؤثر عن النبى صلوات الله وسلامه عليه أنه صلى بالأنبياء اماما فى تلك الليلة المباركة فى مكان يقع الى يمين الصخرة المشرفة .

---

(١) كسيت الصخرة المشرفة بالرخام فى عام ١٠١٩ م عندما احتل الصليبيون بيت المقدس وحولوا مسجد الصخرة الى كنيسة • اذ لاحظوا أن القساوسة يقتطعون أجزاء من الصخرة المقدسة ويبيعونها للحجاج المسيحيين مقابل وزنها ذهبا ؛ فلم يكن بد من سترها بالرخام للحيلولة دون الوصول اليها واتلافها ؛ وظل هذا الرخام يغطى الصخرة المشرفة حتى أزاله صلاح الدين الأيوبى بعد أن هزم الصليبيين فى معركة حطين فى عام ١١٨٧ م واسترد بيت المقدس •




رسم تخطيطي لمدينة القدس يبين اهم معالمها الدينية الأثرية

ويعتقد المسيحيون ـ على ما تروى التوراة ـ أن سيدنا ابراهيم همبذبح ابنه اسحق(١) فوق هذه الصخرة اذعانا لأمر الله ـ وعليها كان محراب السيدة مريم العذراء حيث كانت تتبتل وحيث كان النبى زكريا يختلف اليها من حين لآخر .

ويروى أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي المتوفى عام ٩٠٠ الهجرى فى كتابه « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » مأثورات جليلة تضفى على القدس من الأمجاد والقداسة ما يغلو بعضها حتى يبلغ مبلغ الأساطير .

وعلى هذا فان وجود المعالم الدينية فى فلسطين ليس حجة لليهود وحدهم ولا يؤثرهم بامتياز خاص على سائر الأديان السماوية .

وقد يكون ثم وجه للنظر فيما يقول به اليهود لو أن الأمر عناهم وحدهم أو لو أن الأماكن المقدسة كانت ممتنعة عليهم يصد عنها روادها ـ أما والأمر على خلاف ذلك فانه لايحمل الاعتداد بهذه الحجة واثارتها درءا لمنازع لا يخبو أوارها ، خاصة وأن المعالم الدينية المختلفة تتوفر لها الرعاية والصيانة وما هى جديرة به من تبجيل وتوقير ، ثم انها متاحة للكافة والسبيل اليها ميسرة لكل زائر من كل جنس ومن كل دين ومن كل حدب .

ولا تقتصر اهمية فلسطين لدى اليهود على مجرد وجود المعالم الدينية المقدسة فيها ورغبتهم فى الاشراف عليها ـ وانما هم يطمعون فى تمكينهم من اعادة بناء هيكل سليمان فى مكانه القديم .

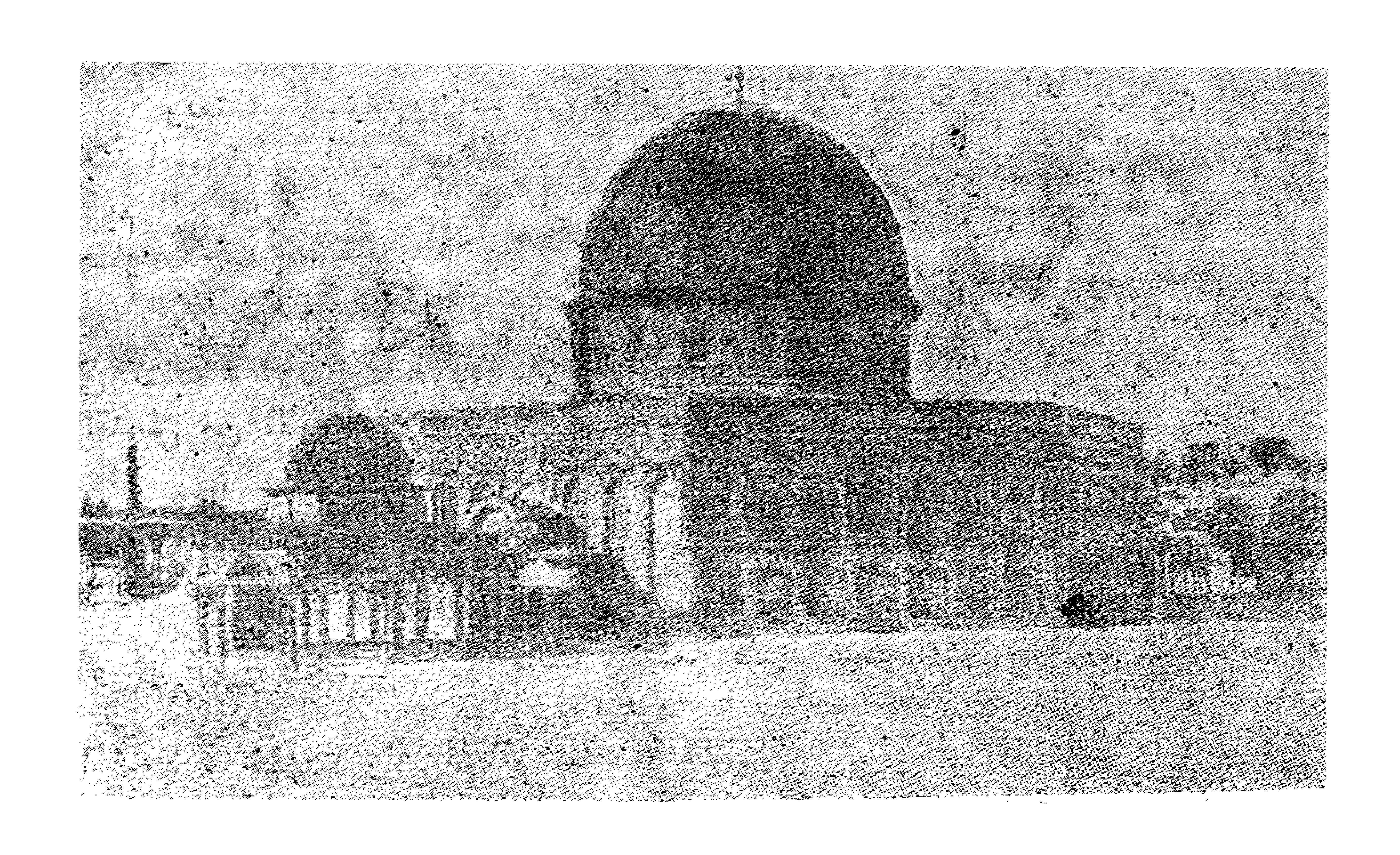
ومؤدى ذلك ـ لأمراء ـ ازالة المسجد الأقصى وقبة الصخرة .

ولو أتيحت لليهود هذه الفعلة لاندلعت فتنة هوجاء كانت نائمة لا تلبث أن تجتث الحرث والنسل ولا يعلم مؤداها الا الله وحده .

وشتان بين ما فعله المسلمون وما يريد الصهيونيون أن يقترفوه ، فان المسلمين قد بنوا المسجد الأقصى وقبة الصخرة على خرائب عافية وأطلال دارسة لهيكل وثنى مندثر ، بينما يريد اليهود أن يهدموا مسجدين اسلاميين مقدسين قائمين وعامرين فعلا ، ولهما مكانتهما السامية فى قلوب مئات الملايين من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأى مساس بهما سوف يثير حفيظتهم ويدفعهم الى المنافحة دونهما بالنفس والنفيس ورفع راية الجهاد المقدس ، مما لا يخفى سوء مغبته على الأمن العالمى وعلى الانسانية جمعاء .

---

(١) لم يعين القرآن الكريم فى سورة الصافات ( الآيات من ١٠١ الى ١٠٨ ) أى أبناء ابراهيم أمره الله بذبحه ، ويعتقد فريق من المسلمين أنه اسماعيل ؛ بينما يرى فريق آخر أنه اسحق ؛ اذ روى عن على وابن مسعود وكعب والحسن وقتادة أنه اسحق . وعن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب ومحمد بن كعب القرظى أنه اسماعيل . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم القولان جميعا ومن قال هو اسماعيل يحتج بقول الله سبحانه وتعالى عقب ذكر الذبح ( وبشرناه باسحق نبيا ) فلما كانت البشارة بعد الذبح دل على أنه اسماعيل ؛ واحتج الآخرون بانه ليس بشارة بولادته وانما هى بشارة بنبوته لأنه قال ( وبشرناه باسحق نبيا ) ـ ( كتاب أحكام القرآن لأبى بكر أحمد بن على الرازى طبع مطبعة الأوقاف الاسلامية بالقسطنطينية سنة ١٣٣٥ هـ ـ الجزء الثالث صفحة ٢٧٨ ) .



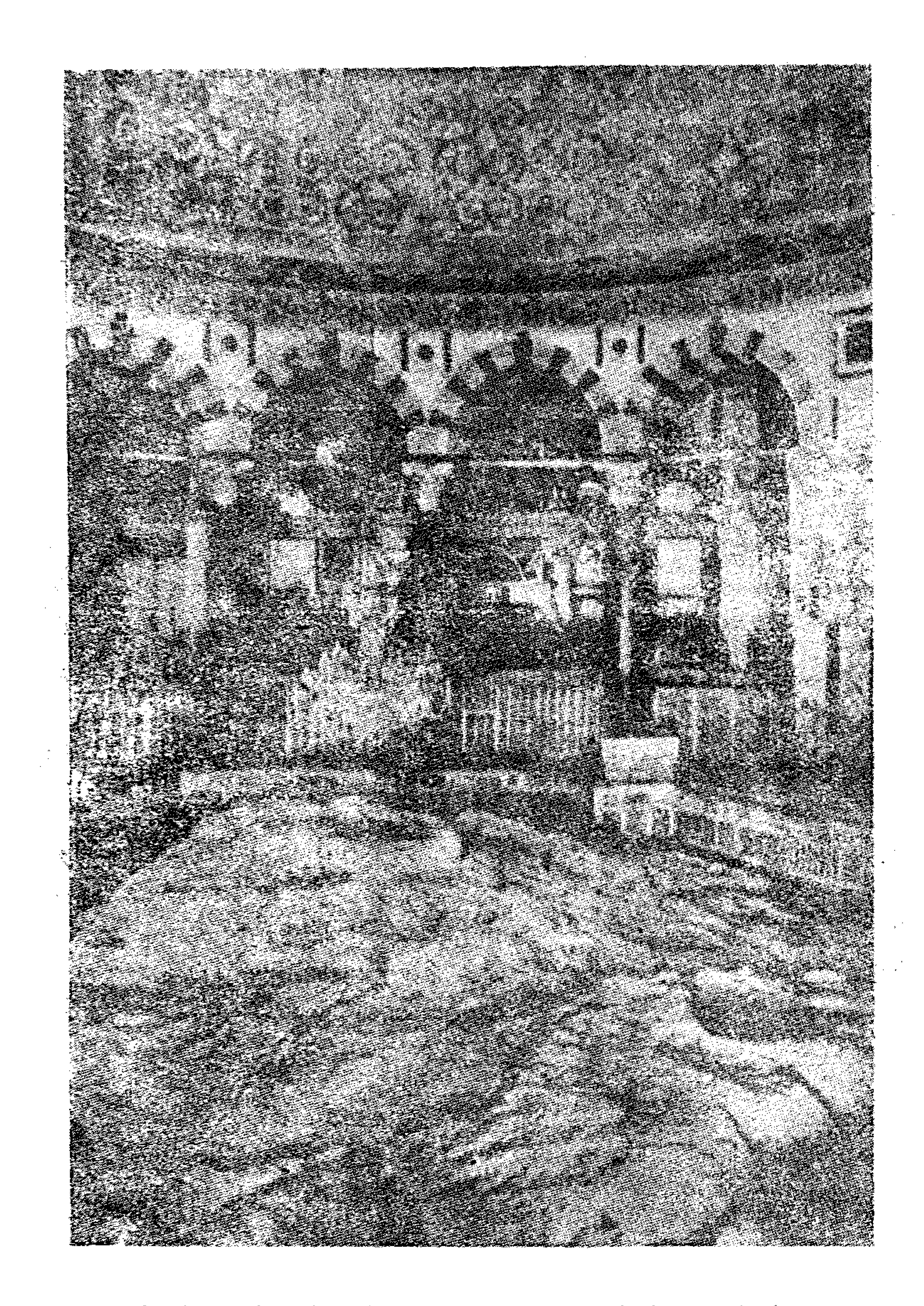
مسجد الصخرة وقبته من الخارج

## مكان هيكل سليمان

ان المتيقن من تاريخ فلسطين والمسلم به من كافة المصادر التاريخية أن تخريب أورشليم تم على يدى الامبراطور الرومانى ايليوس هادريان، وانه محا اسمها المعروف وخلع عليها اسم ايليا مشتقا من اسمه ودمر معالمها ومنشآتها الوثنية منها واليهودية على السواء ومن بينها هيكل سليمان .

بيد أن اليهود يضيفون الى ذلك ان المسجد الأقصى بناه المسلمون على انقاض معبد سليمان ، ويرتبون على هذا الزعم ملكيتهم لأرض المسجد وحقهم فى ازالته وتشييد الهيكل اليهودى مكانه ، وهم لذلك يتخذون من الحائط الغربى للحرم الشريف الذى يضم المسجد الأقصى مثابة يتباكون عندها على ملكهم العافى وهيكلهم الدارس ، حتى سمى بحائط المبكى بحسبانه من أطلال هيكل سليمان القديم .

من أجل ذلك نازع اليهود المسلمين فى ملكية هذا الحائط فى ابان انتداب الحكومة البريطانية لحكم فلسطين ، وبنوا حقهم فيه على واقع التاريخ ــ وقد لقيت هذه الدعوى تأييدا من حكومة الانتداب واتخذت خطوات فعلية تمهيدا لتمكين اليهود من ملكية الحائط وما حوله باصدار قانون بنزع ملكية الأوقاف الاسلامية الملاصقة للحرم الشريف الذى يضم جميع المعالم الاسلامية ، مما أثار اهل البلاد فهبوا فى عام ١٩٢٩ يدافعون عن مقدساتهم بعنف واصرار ، حتى اضطرت حكومة الانتداب الى تشكيل لجنة رسمية لتحقيق الدعوى وعرفت هذه اللجنة بلجنة شو نسبة الى رئيسها ، الا أن اللجنة لم تشأ البت فى الأمر لخطورته فاقترحت تأليف لجنة دولية خاصة ، وقد حصلت الحكومة البريطانية على موافقة عصبة الأمم على تشكيل هذه اللجنة فى ١٤ يناير سنة ١٩٣٠ ليكون لرأيها قيمته الدولية .



مسجد الصخرة من الداخل تتوسطه الصخرة المشرفة وعليها آثار حوافر البراق
الذى صعد به النبى محمد عليه الصلاة والسلام الى السماء ليلة الاسراء والمعراج

وفى مايو من ذلك العام شكلت اللجنة من ثلاثة أعضاء أحدهم سويدى والثانى سويسرى والثالث هولندى ، ومارست مهمتها فى ١٩ يونية سنة ١٩٣٠ وانتهت فى تقريرها الى أحقية المسلمين وحدهم بحائط المبكى وما يحيط به وما يتصل به لثبوت ملكيته للاوقاف الاسلامية — ووافقت عصبة الأمم على ذلك التقرير واعتمدته حكومة الانتداب البريطانية وأصدرت به مرسوما ملكيا عرف بمرسوم الحائط الغربى سنة ١٩٣٠ واعتبر هذا المرسوم متمما لدستور فلسطين الذى أصدرته حكومة الانتداب .

ومنذ ذلك الحين — ولاول مرة — عرف ذلك الحائط باسم المبكى ، وهو الاسم الذى اطلقته عليه اللجنة الدولية المذكورة فى تقريرها .

هذا ، وقد وصل المهندسون الذين كلفوا بترميم مسجد الصخرة على الوجه الذى تم فى عام ١٩٥٨ — الى نتيجة حاسمة تدحض مايدعيه اليهود بأن ذلك المسجد قد بنى على انقاض هيكل سليمان القديم .

ذلك أن اليهود يدعون أن الذبائح المحرقة كانت تقدم على الصخرة المقدسة ، وانه كانت تمتد منها قناة تسيل خلالها دماء الذبائح الى وادى السلوان .

غير ان المهندسين الذين قاموا بالكشف عن أساس مسجد الصخرة لتحديد مواصفات اصلاحه وصلوا بالحفر الى الصخر الطبيعى تحت المسجد، وقرروا أنهم لم يجدوا أى أثر لجدران أو مبان قديمة أو مجرى الدماء ، وهى المعالم التى يزعم اليهود أنها من آثار هيكلهم القديم ومعالمه المقدسة .

وأخيرا فان اليهود فور احتلالهم مدينة القدس العربية فى أعقاب حرب يونيو سنة ١٩٦٧ عكفوا على تحقيق مزاعمهم فى ملكية الاماكن المقدسة الاسلامية ، فقاموا بحفريات جادة فى منطقة المسجد الاقصى يستكشفون بها آثار هيكل سليمان القديم — بيد أن جهودهم لم تسفر عن أى أثر يدل على مكان ذلك الهيكل .

# المبحث الثالث

# مقومات الصهيونية السياسية



## المبحث الثالث

### لمحة تاريخية

لم يكن من سبيل لدى اليهود للاسفار عن نواياهم الاستعمارية لما أن مناط هذه النوايا دينى بحت، ومبناه نصوص التوراة وتعاليم التلمود والكبالا ودستوره القواعد التى حوتها اخيرا بروتوكولات حكماء صهيون .

وليس من هـذه الأسانيد جميعا ما يعترف به المجتمع العالمى ويؤمن بما جاء فيه ويرتفع لديه الى مرتبة اليقين والحق المجزوم به .

بل ان تعاليم التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون كانت من أسباب تألب الرأى العام الاوروبى على اليهود وما منوا به من اضطهاد وتعذيب ــ لما تضمنت من أطماع عدوانية وتعاليم فاسدة جانحة تثير الحقد والبغضاء وتعيث فى الارض بالفساد والخراب .

واذ كان القرن التاسع عشر منشطا رحيبا للنظريات القومية التى توفر عليها رجال الفكر وفجروا بها الوعى القومى المشبوب واستهدتها الشعوب فى ثوراتها الاستقلالية ــ فقد واتت الصهيونيين الفرصة للافادة من تلك النظريات وما تمخضت عنه الثورات التحررية التى انبثقت عنها ، فتمحلوا الذرائع التى توسلت بها الشعوب المتحررة لاحقاق مطالبها القومية حتى دانت لها :

وقد ساعد الصهيونيين امران :

أولا ــ اشتداد وطأة الاضطهاد والتعذيب ضد اليهود آنذاك فى شرق أوروبا وفى روسيا خاصة ــ مما استثار مشاعر العطف عليهم وحرك نحوهم الضمير الانسانى بالرثاء والاشفاق .

ثانيا ــ ماظفر به الصهيونيون ــ اسوة بسائر الشعوب المهضومة فى ظلال الحكومات الامبراطورية التى كانت تتقاسم أقطار المعمورة ــ من حقوق اجتماعية وسياسية كانوا محرومين منها وكانت ممارستها ممتنعة عليهم ــ مكنتهم من الادلاء برأيهم جهرة ، ومهدت السبيل للاصغاء اليهم واستدرار الشفقة والعطف لما يعانون .

وقد استهدف الصهيونيون فى حركتهم العلنية مطلبا يعتبر بالنسبة لاطماعهم العالمية الاصلية متواضعا محدودا ، اذ اقتصر على السماح لهم بالهجرة الى فلسطين باعتبارها وطنا قوميا لهم يمارسون فيه حقوقهم القومية بمنجاة من ويلات الاضطهاد والتعذيب .

وقد استندوا فى تبرير هذا المطلب الى دعوى القومية اليهودية الخاصة التى يزعمون انهم يتمتعون بها ويدين بها كافة اليهود فى بقاع الارض ، وان من حق هذه القومية اليهودية التوطن فى فلسطين بالذات لما لهم فيها من حقوق دينية وتاريخية رددتها كتبهم المقدسة .

ثم ان من شأن هذا الوطن القومى ان يعصمهم مما يحيق بهم من اضطهاد عنصرى لاحقهم على مدى التاريخ .

وكان موسى هيس اليهودى الالمانى ( ١٨١٢ - ١٨٧٥ م ) أول من نادى بالقومية اليهودية ، يحاول أن يربط بها بين اشتات اليهود أينما استقروا وجعل منها الدعامة السياسية للحركة الصهيونية .

وعلى ذلك فان المسوغات الاجتماعية والسياسة التى استحدثها اليهود الصهيونيون للاستيلاء على فلسطين تخلص فى ثلاثة انواع رئيسية من الحقوق : -

١ - حق القومية اليهودية فى التوطن فى صعيد واحد يجمع شمل اليهود .

٢ حق اليهود التاريخى فى العودة الى فلسطين وطن اسلافهم الذى شردوا منه .

٣ - الحق الانسانى فى تجنيب اليهود مايلاقون من اضطهاد عنصرى أينما استقر المقام بأوزاعهم فى فجاج الأرض .

ولا جدال فى أن الصهيونية مناطها الدين ، فأشياعها فى غنى به عن اى مسوغ دنيوى يزكيه ويؤكده ، وحسبهم ما يعتقدون من تفسير لنصوص الوعود الالهية واهتمامهم بوضع أيديهم على البقاع المقدسة - حافزا لهم على التوفر عليها والمنافحة دونها .

غير ان هذه العقيدة ظلت دفينة فى أطواء نفوسهم منذ قضاء الرومان على ملكهم فى فلسطين، لا تواتيهم الفرصة للاسفار عنها ولا يجدون لديهم الجرأة على الافصاح عن نواياهم ، فحاولوا تحقيقها عن طريق التسلل الخفى الى فلسطين ، غير انها كانت محاولات متفرقة غير مجدية ، الى أن وافى القرن التاسع عشر الذى امتاز بنضوج المبادىء التحررية التى نادى بها المفكرون الاحرار أمثال جان جاك روسو ومونتسكيو وزعماء الثورتين الامريكية والفرنسية ، والتى نجم عنها اشتعال ثورة فكرية وسياسية عارمة اجتاحت أوروبا وكانت حافزا على انفعال الوعى القومى وانبعاث الروح القومية واندلاع الثورات الوطنية الاستقلالية التى تمخضت عن ظفر القوميات المغموطة بكيانها الدولى والاعتراف لها بالاستقلال السياسى .

ولقد شجع اليهود على الاندماج فى هذه الغمرات الفكرية والانفعال بها والتفاعل معها والافادة منها ماظفروا به من حقوق مدنية وسياسية، كان للثورة

الامريكية ثم للثورة الفرنسية العتيدة فضل الريادة لها . ــ فقد تغير الوضع السياسي لليهود فى تلك الاقطار ونالوا من الحقوق الوطنية ماكان ممتنعا عليهم وكفلت لهم المساواة مع سائر المواطنين ، فنصت وثيقة استقلال الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٧٧٦ م على المساواة التامة بين المواطنين دون اعتبار للدين أو الجنس ــ كما قررت الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٧٩١ الغاء القوانين التى تحد من حريات اليهود ونشاطهم ، ثم اعترفت بهم كمواطنين يتمتعون بحقوقهم كاملة ، وفى ذلك يقول كليرمون تونير العضو بالمجلس التأسيسى ابان الثوره الفرنسية (١) «اننا لانمنح شيئا لليهود كشعب .. ونمنح كل شيء لليهود كمواطنين » وفى أعقاب الثورة الفرنسية بدات تفتح ابوابها احياء (الجيتو) ــ حيث كان اليهود ينطوون على انفسهم ــ بعد أن كان محرما على اليهود أن يعيشوا خارج اسوارها . وكان لهولندة قصب السبق فى افساح المجال لليهود وتلتها المانيا ثم النمسا ثم ايطاليا ثم سائر دول أوروبا .

وفى غضون القرن التاسع عشر اعترفت دول اوروبا الغربية وكندا بالحقوق المدنية لليهود ، ففى عام ١٨٢٨ م خول اليهود فى اقليم ورتمبرج الحق فى الالتحاق بالوظائف الاميرية وعضوية المجالس النيابية ، كما نالوا حقوقهم المدنية والسياسية فى كندا فى عام ١٨٣٨ م ، ثم منحوا هذه الحقوق فى عام ١٨٧٤م فى كل من انجلترا وهولندة والمانيا وبلجيكا والنرويج والدانيمارك ــ ثم توالى اعتراف سائر الدول لليهود بالمساواة فى الحقوق المدنية .

أما فى المشرق ــ فى ظلال الحكومات الاسلامية ــ فقد حظى اهل الذمة ــ يهودا ونصارى ــ برعاية الدولة وكفلت لهم قوانينها حقوق المواطن حتى دانت لهم مناصب الدولة العليا ، كما منحوا من الامتيازات الطائفية ما مكنهم من ممارسة نشاطهم الدينى فى معابدهم الخاصة وتنظيم أحوالهم الشخصية فى هيئاتهم القضائية الطائفية دون تدخل من سلطات الدولة .

هذا ــ ويعتبر القرن التاسع عشر عصر القوميات والانقلابات الثورية فى الفكر السياسى والنظريات الاجتماعية والاقتصادية .

وقد أسفرت الثورة الفرنسية فى أوروبا خاصة عن مبادىء انسانية هامة كانت لها آثار فعالة فى النظم السياسية المعاصرة ، كتقرير الحرية الدينية والمدنية والقضاء على الامتيازات الطبقية والطائفية .

كما ايقظت حروب نابليون فى أوروبا الوعى القومى والنزعات الاستقلالية بين شعوب القارة .

ومن ثم فقد حفل ذلك العصر بنشاط القوميات فى أوروبا ، تلك القوميات التى استثار نعرتها الكتاب والمفكرون وظاهروها بدعوتهم للحرية ، حتى طوعوا لها الرأى العام السياسى، وحظيت أخيرا بتأييد دولى كان من أبرز آثاره انفصال بلجيكا عن هولنده واستقلال بولنده عن روسيا وتشجيع حركات انفصال الولايات العثمانية فى أوروبا عن الامبراطورية العثمانية ونشوء دول

---

(١) كتاب ثمن اسرائيل تاليف الفرد ليلينتال What Price Israel, by Alfred Lilienthal ترجمة الأستاذين حبيب نحولى وياسر هوارى ــ كتاب الملايين ببيروت ــ الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٥ صفحة ١٥ .

البلقان المستقلة ، ـ وتحت تأثير النزعة القومية الجارفة استطاع بسمارك أن يوحد ألمانيا كما نجح كافور فى توحيد ايطاليا .

ولقد كان من اثر الانفعالات التحررية التى اجتاحت أوروبا ـ ان أضاءت السبيل لليهود الى معانى الامل الذى مافتىء يكظ نفوسهم منذ آماد طوال .

فقد كانت المساواة المدنية والاجتماعية التى حظى بها اليهود فى أوروبا الغربية، فيما حظيت به الاقليات القومية المختلفة من بعد طول غمط واهتضام، سببا فى الهاب الشعور بالحرية والنهم لمزيد منها ، واستجاشة المبادىء الصهيونية فى نفوسهم فى طمع بالغ وتمرد عنيف وجحود منكر ، وقد صرح كبار الصهيونيين انفسهم بأنه لو لم يتحرر اليهود فى أوطانهم لما وجدوا مثاراً لاطماعهم ومزدرعا خصيبا لآمالهم ومشجعا لهم على تحقيقها ـ وفى ذلك يقول باروخ هابانى Habani فى كتابه «تحرير اليهود» (١) «ان الصهيونيه تعتبر من ناحية ، رد فعل لتلك المرحلة التى اتسمت بتحرير اليهود فى فرنسا والمانيا تحررا يكاد يكون كاملا » .

ثم يستطرد :

« لقد كانت مرحلة تحرر اليهود ومنحهم سائر الحقوق مرحلة اساسية كان من آثارها قيام الحركة الصهيونية الاساسية كما أفضت الى طمع اليهود فى مزايا خاصة . فما أن تم لهم مطمعهم فى التحرر حتى اداروا ظهرهم لهذا المطمع واتجهوا الى جديد من المطامع» .

ولقد وجد الصهيونيون الفرصة متاحة لاشباع اطماعهم المكبوتة تحت ستار هذه الثورة الفكرية والسياسية الطاغية ، وأغراهم نجاح الحركات الوطنية بأن يلتمسوا لانفسهم الذرائع السياسية والقومية التى تمت بالسبب الوثيق الى الاحداث الجارية ، والتى تبرر لهم الاندفاع فى تيارها الجارف والاستفادة من جريانه لصالحهم ، فرأوا أنه أجدى عليهم لو انهم أدلوا بدلوهم هم أيضا للاغتراف من ذلك المعين الفياض أسوة بالقوميات الناهضة التى استقت من منهله السائغ وعمها خيره ونعمت أخيرا بالاستقلال فى أفيائه الوريفة .

ولكى يضمن اليهود لانفسهم التجاوب العالمى مع صيحتهم ، فقد التزموا ذات الايقاع السائد والنغم الجماعى الرتيب الذى استهوى العالم فصغا اليه ، ـ فاصطنعوا المسوغات والمعاذير التى يؤمن بها الراى العام العالمى وانضووا تحت الشعارات التى اعتنقتها الشعوب الثائرة المتحررة .

ومن ثم كان طبيعيا أن تقتصر الذرائع الصهيونية على العناصر الانسانية التى يتيسر اقناع الضمير العالمى بها ـ دون المسوغات الدينية الربانية التى هى ركيزتها الأصيلة والتى يستعصى بل قد يستحيل أن يقتنع بهما غير اليهود .

---

(١) انظر كتاب الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس ـ الجزء الثانى فى عدوان الغرب ـ تأليف الأستاذ محمد على الغتيت صفحة ٢٧٧ و٢٧٨ .

ولهذا كان حسبهم من تلك الذرائع مايتصل باقامة وطن قومى لهم فى فلسطين دون الافصاح عن أطماعهم الاستعمارية العالمية حتى لاتؤلب عليهم الرأى العام العالمى الذى هم فى أمس الحاجة الى تأييده ومناصرته .

ولقد اصطنعوا الحيلة والمخادعة حتى فى اعلان هذا المطلب المحدود ، اذ انهم طالبوا ابتداء بمجرد وطن قومى حيثما كان يأوون اليه ويعصمهم من الاضطهاد ، ثم تدرجوا فى الطلب الى بغيتهم الأصيلة فتشبثوا بفلسطين مأوى لهم ثم وطنا قوميا يقيمون على صعيده دولتهم العنصرية ، وأصبح الاستيلاء على فلسطين منوطا بتلك المبررات المحدثة جميعا .

ولو أن الاسباب السياسية والاجتماعية التى يجاهر بها الصهيونيون الآن كانت حقا هى الحافز لهم على المطالبة بوطن قومى يعتصمون به من ويلات الاضطهاد ويمارسون فيه نشاطهم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى فى أفياء وريفة من الحرية التى يفتقدونها ، لكان لهم فى أى قطر آخر من الأقطار التى عرضت عليهم وأتيحت لهم — غير فلسطين — غنى وندحة لسد حاجتهم واشباع رغبتهم دون ماعنت أو بغى يحيق بأحد .

أما فلسطين فان الدافع الدينى هو الذى حددها ووجه اليها الانظار بالذات — وهو السر فى تمسك الصهيونيين بها لايبغون عنها حولا ولايرضون بغيرها بديلا . ولئن اثار نهمهم ماكشفت عنه البحوث العلمية من وجود ثروة معدنية طائلة فى البحر الميت سواء مذابة فى مياهه او مترسبة فى قاعه حتى زاد تشبثهم بها ، الا أن الفكرة الدينية هى التى وجهت انظار اليهود الى فلسطين فى بادىء الامر وهى التى بنيت عليها النظرية الصهيونية أصلا .

ولقد حدث ان وفرت روسيا موطنا خاصا لاقامة الجالية اليهودية بين تخومها ، كان يمكن أن يوفر لهم اطماعهم السياسية لو ان مبنى هذه الأطماع كان الحافز السياسى وحده — فقد اصدر مجلس السوفييت الاعلى فى ٢٨ مايو سنة ١٩٢٣ قرارا بانشاء دولة يهودية مستقلة على الحدود المنغولية داخل اتحاد الجمهوريات السوفيتية أطلق عليها اسم بيروبيجان — غير أن اليهود لم يرحبوا بهذا القرار بل أهملوه حتى سقط واندثر ، وقد تزعم مقاطعة هذا القرار لفيف من اقطاب اليهود الروس على رأسهم الدكتور وايزمان وبن جوريون وموسى شاريت وجولدا مائير من زعماء رابطة «بوند» للعمال اليهود فى روسيا والمناهضة للحركة العمالية الروسية — وكرسوا نشاطهم لدعم حركة الاستعمار الاستيطانى لفلسطين .

فالاسباب السياسية والاجتماعية التى يدعيها الصهيونيون لم تكن هى دعامة النظرية الصهيونية وعمادها ، وانما هى تعلات محدثة ومسوغات طارئة غير أصيلة ، ابتدعوها تكأة يعتمدون عليها فى الاسفار عن دعوتهم وقناعا تتبدى به للعيان ظاهرة الجرم مستخفية المعالم المريبة وتموه به أطماعها الخفية — وعاونهم على ذلك ماكان يلاحق اليهود من صنوف العذاب والاضطهاد فى أوروبا وفى شرقيها خاصة (ثم فى المانيا النازية من بعد بوجه أخص) ساعدت على فاعلية حملتهم الدعائية المركزة وحركت نحوهم الضمير العالمى بالعطف والاشفاق .

ومن ثم فان الدوافع التى استمد منها الصهيونيون المسوغات السياسية والاجتماعية التى واجهوا بها الرأى العالمى تبريرا لطلبهم اقامة وطن قومى فى فلسطين تتخلص فيما يلى :

أولا : ما قررته الثورتان الامريكية والفرنسية من حقوق طبيعية للانسان حفز اليهود على المطالبة بحقوقهم الفردية والجماعية المسلم بها والتي تواتر اعتراف الدول بها لمواطنيها . تلك الحقوق التى كانت تمنحهم حرية الرأى وكانت مشجعا لهم على انشاء الجمعيات الخاصة ، وتنظيم الحملة الدعائية المركزة التي وطأت لهم أذهان العالم والضمير العالمى واستمالت الرأى العام على أوسع نطاق .

ثانيا : نشاط الحركات القومية فى خلال القرن التاسع عشر وتقرير حق المصير للقوميات المختلفة — مما وجدوا فيه مسوغا لادعاء حقوق قومية لهم أسوة بالقوميات الناهضة .

ثالثا : قيام المذابح اليهودية فى شرق أوروبا وفى روسيا خاصة ، وانتهاز فرصة انفعال الرأى العام فى أوروبا عطفا واشفاقا على اليهود مما أتاح لهم المبرر للتجمع فى وطن قومى يلوذون به .

وليست هذه المذابح هى وحدها السبب المباشر لاجتراء اليهود على الجهر بطلب وطن قومى لهم دون الخشية من تألب الرأى العام عليهم ومناهضة الحكومات لهم .

والا فان اليهود قد عانوا من البأساء والضراء على مر العصور مالا يقل بشاعة وعنفا عما حاق بهم فى روسيا فى العصر الحديث . فقد ذاقوا الهوان والعذاب ألوانا على يدى البابليين والرومان ، ونكل بهم الاسبان فى ظل محاكم التفتيش تنكيلا مروعا ، — ومع ذلك فلم تواتهم الفرصة للاسفار عن أهدافهم ولم تبلغ بهم الجراة حد طلب انشاء وطن قومى — ولئن واتتهم فانهم ماكانوا ليلقوا اى تأييد عالمى — اذ كانوا واثقين من انهم لن يجدوا لهم آذانا مصغية وانه لن يكون الجواب على طلبهم سوى مزيد من النكال والتعذيب .

وتأسيسا على ذلك فقد أعلن اليهود المسوغات السياسية والاجتماعية التى التمسوها مناسبة للظروف الدولية المواتية — يتذرعون بها فى انشاء حق قومى لهم فى فلسطين — ادعوها وتمسكوا بها فى مواجهة الرأى العام خارج مجتمعهم فقط ، اما فيما بينهم فقد كان السند المشروع الوحيد لأطماعهم هو نصوص التوراة والتعاليم الدينية فحسب .

وتخلص تلك المسوغات الحدثة فى ثلاث :

١ — حقوق القومية اليهودية فى التوطن .

٢ — حق اليهود التاريخى فى فلسطين

٣ — الاضطهاد العنصرى ضد اليهود فى انحاء العالم .

وبالاضافة الى هذه المسوغات فقد صادفت الدعوة الصهيونية ترحيبا من بعض الدول التي عانت من مفاسد اليهود فى ربوعها ، اذ وجدت فى اجابة طلبهم فرصة للتخلص منهم بتوطينهم خارج حدودها حيثما شاءوا دون أن تتكلف طردهم عنوة والتعرض لثائرة الرأى العام وللنقد واللائمة .

وهكذا ، فانه رغما عن الطابع الدينى الذى يسم الصهيونية وأهدافها الاقليمية بسمة غلابة — فان فكرة الدولة اليهودية حينما برزت فى صورتها

الايجابية الحديثة لأول مرة لم يكن الباعث الديني عمدتها وقوامها، ذلك الباعث الذى يستند الى الوعد الالهى بالعودة الى فلسطين وامتلاكها .

وانما استجاش ذلك الباعث الاجتماعى كوامن النعرة الدينية المختفقة فى اخلادهم واحياء الآمال العظيمة فى أعماقهم ، فما أن نضجت الفكرة وتبلورت حتى تركزت فى انشاء وطن قومى فى فلسطين ، حيث استغلت فكرة الوعد الالهى فى دعمها والترويج للدعوة بين اليهود واستثارة الخوالج الدينية لديهم، استدرارا للعطف عليها والاستجابة لها والتجاوب معها .

أى أن الاهداف الاقليمية اليهودية ــ حينذاك ــ لم تكن مرتبطة بفلسطين بالذات ، وانما توخى بها اليهود المضطهدون أصالة تجميعهم فى دولة يهودية تجيرهم ويمتنعون بها ، ويمارسون فيها حياتهم العنصرية بمنجاة من بوائق الاضطهاد ، أيا كانت هذه الدولة ودون التقيد باقليم معين .

وكأنما كانت تحتثهم لهفة الاستعصام داخل «جيتو» دولى يوفر لهم التكامل العنصرى فى ظلال وريفة من الامن والطمأنينة ، كحل عاجل لمشكلة طارئة ملحة .

غير انهم ما ان استشعروا تعاطفا من المجتمع الدولى حتى اعتلجت فى اعماقهم الفكرة الدينية التى كانت تقبع مستنيمة عن خور واستكانة ، مستوفزة تتحين الفرص السانحة ، فاختلطت العنصرية السياسية بالعصبية الدينية فى مشيج دفيق محتدم ، استنبت الفكرة الصهيونية المحدثة وهيأ لهـا المناخ الصالح ليذر شطؤها ويستوى ويستغلظ ، وأخذت الفكرة الصهيونية بالأعنة صوب فلسطين ليا ، يحدوها نداء التوراة وتستاقها الحوافز السياسية ، حريصة على أرض الميعاد لاتريم عنها ولاتلوى على شىء مما توفر لها من عروض سخية موطأة .

وبهذا تستبين العلة فى فشل المحاولات المغرية ــ سواء من الهيئات المعنية أو من الشخصيات اليهودية ذاتها ــ والتى أريد بها تخصيص غير فلسطين وطنا قوميا لليهود يعصمهم من غوائل الاضطهاد ، ويعصب شتاتهم فى صعيد واحد يبسطون عليه سلطانهم ويمارسون فيه حياتهم العنصرية الخاصة .

ويعتبر الدكتور جودائوب ليو بنسكر Leo Pinsker ( ١٨٢١ ــ ١٨٩١ م ) ــ مؤسس جمعيات عشاق صهيون ــ أول من نادى بانشاء دولة يهودية تضم المهاجرين وتعصمهم من نير الاضطهاد ــ وقد صرح فى كتابه «التحرير الذاتى» بأن « هدفنا ليس هو الأرض المقدسة بل أية بقعة من الأرض تخصص لنا » . وكان يحلم بأن تكون هذه الارض فى أمريكا الشمالية .

وكان أحد هاعام Ha'am ( ١٨٥٦ ــ ١٩٢٧ م ) ــ أحد كبار زعماء جمعية عشاق صهيون ــ يرى أن هدف هذه الجمعية ثقافى بحت ، وأن الغرض من هجرة اليهود الى فلسطين انشاء مركز للثقافة اليهودية فيها ، وأما القول بانشاء دولة يهودية فى ربوعها فأمر خرافى لم تقصد اليه الحركة (١) .

---

(١) كتاب العلاقات الدولية العربية للدكتور محمد حافظ غانم ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ ــ مطبعة نهضة مصر بالفجالة صفحة ٢٠٤ .

ولقد كان البـارون ادموند دى هيرش ـ وهـو من سراة اليهـود فى النمسا ـ من أكبر المتحمسين لجمع شتات اليهود المشردين فى صعيد واحد ـ واسس لذلك جمعية الاستعمار اليهودى . غير أنه لم يتمسك بفلسـطين وطنا قوميا، وانما كان يدعو الى توطين اليهود فى الأرجنتين أو كندا أو الولايات المتحدة الامريكية أو السودان أو جنـوب أفريقيـا أو اسـتراليا . وبلغ به الحمـاس انه تبرع بعشرة ملايين من الجنيهـات لشراء أراض فى الأرجنتين وقفها على توطين اليهود ، ولم يسـتطع تيودور هرتزل ان يقنع دى هيرش ليتخذ مشروعه طابعا سياسيا ، اذ كان دى هيرش يخشى معاداة المسلمين اذا ما تركزت الجهود فى انشاء دولة يهودية فى فلسـطين ، ويرى ان صـداقة المسلمين وثقتهم اثمن لدى اليهود واجدى عليهم من دولة يهـودية يتولون أمرها .

كما ان تيودور هرتزل زعيم الصهيونية ورائدها فى العصر الحدث لم يكن يتمسك بفلسطين وطنا قوميا لليهود اذ يقول « يكفى أن يعطونا اية قطعة من الارض تتناسب وحاجات شعبنا تكون لنا السيادة عليها » ، واقترح أن تكون الارجنتين أو فلسطين ـ ايهما على السواء دون تمييز ـ وطنا قوميـا يجمع شتات اليهود من ارجاء العالم فى دولة يهودية ، لولا ان قرر المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد فى مدينـة بال بسويسره عام ١٨٩٧ تخصيص فلسطين لاقامة الوطن القومى اليهودى فيها ، ومن ثم حاول هرتزل فى عام ١٩٠١ اغراء السلطان عبد الحميد عاهل تركيا ببيع فلسـطين لليهـود بثمن مجز لتكون وطنا قوميا لهم ، الا ان السلطان رفض التنازل عنها بأى ثمن . فعرض الحاخام تاجر حاخام بيروت على هرتزل ان يفاوض البـاب العـالى فى شراء أراضى الجزيرة العراقية الا أن هرتزل لم يوافق على رأيه . كما رفض هرتزل عرضا آخر تقدم به فريق آخر من اليهود يقضى بشراء جزيرة مدغشقر من فرنسا أو غينيا من انجلترا لتوطين اليهود فيهما .

فلما ان تعثرت جهود اليهود نحو آمالهم فى فلسـطين حاول اسرائيـل زانجويل الذى تولى رئاسـة المنظمة الصهيونية بعد وفاة هرتزل ـ انشـاء مستعمرات يهودية يهاجر اليها اليهود فى أوغنده أو كنـدا أو اسـتراليا او انجولا ـ غير ان محاولاته فشلت لأنها لم تلق تأييدا من الحكومات المختصـة

ومن ثم تضافرت جهود الصهيونيين مصابرة ابتغاء تحقيق آمالهم فى فلسطين بالذات على ما فصلنا آنفا .

وفى عام ١٩٠٣ اقترح جوزيف تشمبرلن واللورد لاندسون انشاء وطن قومى لليهود فى مستعمرة أوغنده الافريقية ، وقد أعلن حزب مزراتشى اليهودى المتدين موافقته على هذا الاقتراح ، كما رحب به تيودور هرتزل ووافق عليه المؤتمر الصهيونى السادس من حيث المبدأ على أن يبت فيه برأى نهائى على ضوء ما تقرره لجنة فنية مشكلة لدراسة مدى صلاحية أوغنده لاسـتطان اليهود ، ولما عرضت اللجنة تقريرها على المؤتمر الصهيونى العام الذى عقد فى عام ١٩٠٥ قرر رفض المشروع وأصر حاييم وايزمان وأشياعه على « فلسطين أو لا شىء » واطلقوا على هذا الوطن المقترح الوطن القومى المظلم المدلهم .

هذا ، وقد اوضحت الخريطة رقم ١٠٤ من اطلس اسرائيل الجـديد The New Israel Atlas الصادر فى عام ١٩٦٨ الاقاليم التى تداولتها العروض ـ اليهودية والدولية ـ لتوطين اليهود فيها منذ عام ١٧٩٠ م حتى عام ١٩٣٨

ــ وقد شملت ــ حسب الترتيب الزمنى ــ أوكرانيا ــ سهول روسيا ــ اعالى نهر المسيسبى وتنيسى بأمريكا الشمالية ــ آسيا الصغرى ــ القوقاز ــ نيوجيرسى ــ مدين فى شمال غربى شبه الجزيرة العربية ــ الارجنتين ــ شبه جزيرة العرب ــ قبرص ــ السودان ــ أوغندة ــ صحراء سينا ــ برجواى ــ كندا ــ صحراء نيفادا ــ البرازيل ــ ليبيا ــ غرب افريقيا ــ روديسيا ــ العراق ــ استراليا ــ كولومبيا بأمريكا الجنوبية ــ انجولا ــ اكوادور ــ الصومال الايطالى ــ غيانا البريطانية ــ تنجانيقا ــ كينيا ــ واخيرا الدومينيك .

ولا ريب ان المحاولات المتكررة التى اغفلت فلسطين من حساب اليهود ابتداء كوطن قومى تدل بجلاء على عدم تمسكهم بها ، وعلى أن الدافع الدينى لم يكن آنذاك هو الحافز لهم على حركة التوطين وانما كان رائدهم الاستعمار السياسى وحده .

واخيرا ، وبالاضافة الى ما استظهرنا من عوامل دينية وسياسية تدفع اليهود الى التشبث بفلسطين ، ــ فثم حافز اقتصادى أثير لديهم يثير تكالبهم على امتلاكها ــ وهم عبيد المال وأرباب الصناعة والاقتصاد ــ ذلك ان الابحاث العلمية كشفت عن وجود ثروة معدنية وكيميائية طائلة فى مياه البحر الميت ومترسبة فى قاعه ، قدرها الخبراء بنحو اثنين واربعين مليونا من الأطنان المترية من كلورور البوتاسيوم وكلورور الكالسيوم وكلورور الصوديوم وبرومات المغنسيوم وكميات وفيرة من البوتاس لا ينضب لها معين . وقد قومت هذه الثروة الهائلة بمبالغ مالية خيالية يفوق حصرها كل تقدير .



# الباب الأول

# المقومات التاريخية

## تمهيد

يزعم اليهود ان فلسطين موطنهم الأصلي وانهم أصحابها القدامى لم يغادروها الا عنوة وقهرا على أيدى الغزاة الفاتحين ، ومن ثم فان حقهم التاريخى فيها لم يزل قائما لان الغزو والتشريد لايمكن ان يقضيا عليه ، وهم يتمسكون بهذا الحق ويستندون اليه فى تبرير عودتهم اليها وامتلاكها .

وجدير بالذكر ان هذا الحق الذى يدعيه الصهيونيون لم يحتجوا به الا مؤخرا فى تلمسهم لذرائع يعززون بها دعواهم الواهنة ، فلم يشر اليه داعيتهم هرتزل فى كتابه «فى الدولة اليهودية» كما لم يشر اليه المؤتمر الصهيونى الأول المنعقد فى مدينة بال ، وكيفما كان الأمر فسنحاول هنا دراسة هذا الحق على ضوء التاريخ الثابت الصريح مستعينين بما ورد فى التوراة ذاتها من سير واخبار .

ان مبنى الحق التاريخى لشعب فى بلد ما ان يكون هذا البلد هو الوطن الأصلى لذلك الشعب وان يكون الشعب أول مستعمر وطئته اقدامه واستقر به المقام فيه ــ أو ان يكون مبنى هذا الحق طول الاقامة والتوطن لسلالات وأجيال عدة على مر العصور أيا كان سبب الاقامة المكسب لهذا الحق ، واما أن يكون الحق فى ذاته مستندا الى الفتح الحربى حين كان الغزو مشروعا ومعترفا دوليا بما يترتب عليه من حقوق فى جانب الغازى المنتصر .

وفيما يلى نعالج هذا الحق التاريخى فى شتى صوره بالنسبة للدعوى الصهيونية .

## الفصل الأول

### المهد الاول للعبرانيين

ينتسب اليهود الى سيدنا ابراهيم الخليل الذى ينتمى الى قبيلة كانت تقطن أور الكلدانيين على الضفة الغربية لنهر الفرات قبيل التقائه بنهر دجلة فى أقصى الجنوب من بلاد العراق المعروفة وقتذاك ببلاد الكلدان .

ذلك أمر مقطوع به سواء من البحوث العلمية أو من نصوص التوراة ذاتها ، وان اختلف المؤرخون فى تحديد الشعب الذى ينتمى اليه سيدنا ابراهيم وعشيرته وهل كان كلدانيا أو أموريا أو آراميا ، على أن المسلم به ـ وهو ما يعنينا فى بحثنا ـ ان هذه الشعوب جميعا شعوب عربية سامية .

وشبه الجزيرة العربية ـ فى مناطقها الوسطى والشمالية ـ هى مهد الأرومة السامية جمعاء ، ومنها نزحت الشعوب السامية فى موجات مهاجرة متتابعة سعيا وراء الرزق كلما قسا عليها الجدب وألح القحط فى صحراء شبه الجزيرة .

فمن خلال هذه الفيافى الضنينة بالرزق انبعث الاشوريون والأكاديون والبابليون والكلدانيون الى الشرق والشمال الشرقى فى سهول الفرات ، ثم تلتهم أفواج هاجرت شمالا فأقام منها الفينيقيون على ساحل البحر الابيض المتوسط، ونزل الكنعانيون فى الضفة الغربية لنهر الاردن حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ونزل الكنعانيون فى الضفة الغربية لنهر الاردن حتى ساحل البحر الابيض ، وعرف سكان المنطقة الشمالية الشرقية لنهر الاردن بالسوريين .

ومن السهول العراقية ـ انحدرت أفواج من القبائل السامية غربا وجنوبا حيث اختلطت بسكان كنعان ومنطقة نهر الاردن .

ومن جهة اخرى نقد نزحت من الشمال الى الأقاليم الجنوبية من آسيا الصغرى شعوب اخرى من غير الجنس السامى منها الحثيون والحوريون والميتانيون .

كمـا اقبلت أفواج من شـعوب البحر من جزيرة كريت وجـزر البحر الابيض ونزلت على ساحل البحر الابيض المتوسـط بين مدينتى يافا وغزه وعرفت هذه الأقوام بشعوب البولاساتى .

ولم تنقطع موجات الهجرة فى هذه المنطقة ـ وفيما تقص التوراة فقد هاجرت قبيلة سيدنا ابراهيم من موطنها فى أور الـكلدانيين الى الشـمال فى سهول الفرات بزعامة تارح أبى ابراهيم عبر نهر الفرات ، فلما توفى تارح فى مدينة حاران فيما بين النهرين ارتحل ولده ابراهيم حوالى عام ١٨٠٠ ق.م مع من آمن برسالته الدينية من عشيرته الى الغرب والى الجنوب حتى بلغ تخوم مصر ، ثم صعد ثانية الى بلاد كنعان يضرب فى بواديها طورا فى شرقى نهر الاردن وطورا آخـر فى غربيه يدعو الى الله ويبشر بدينـه ، الا أنهم لم يصادفوا ترحابا من أهل البلاد فانحدروا جنوبا حيث اتجه قسم منهم بزعامة لوط ابن أخيه الى ساحل البحر الميت واتجـه القسم الآخر الى بير سـبع بقيادة سيدنا ابراهيم حيث أنجب ابنه اسحق وولد لاسحق ابنـه يعقـوب المعروف باسرائيل أبى الاسباط الاثنى عشر . وقد أتيح لسـيدنا يوسـف الصديق ـ احد هؤلاء الاسـباط ـ الاقامة فى مصر وتولى خزائن المؤن فيها ابان القحط الذى اجتاح البلاد على ما هو معروف ومشهور .

وقد هاجر يعقوب مع أبنائه ـ بنى اسرائيل ـ واحفاده الى مصر مع من تبعه من قومه وأتباعه لواذا بولده يوسف من شر المجاعة حيث أكرم يوسـف مثواهم وانزلهم فى أرض جاشان وتشمل الآن وادى الطميلات واقليم الشرقية بالوجه البحرى فيما يلى فرع دمياط شرقا .

وقد ظل بنو اسرائيـل فى مصر أربعمائة وثلاثين سنة ـ على ما تقـول التوراة فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج برقم ٤٠ ـ غير ان اليهـود ما لبثوا أن انحازوا الى ملوك الهكسـوس الغزاة الذين احتلوا مصر وتولوا مقاليد السلطة فيها على كره من المصريين ـ فلما ان تمكن المصريون من طرد أولئك الغزاه لم ينسوا خيانة اليهود الدخلاء وموالاتهم للاعداء المحتلين على عادتهم فى الانحياز للغـالب ولو على حسـاب الوطن الذى يؤويهم ، فحقـد المصريون عليهم وقسـوا عليهم فى المعاملة واسـتذلوهم وسـخروهم فى بناء معابدهم وقصورهم . وظل اليهود يرسفون فى عبودية المصريين حتى اضطروا الى الفرار من مصر الى بوادى شـبه جزيرة سـيناء بزعامة سـيدنا موسى ـ حوالى عام ١٣٠٠ ق.م ـ حيث نزلت عليه الرسالة السماوية ـ وكانت عدتهم قد بلغت حينذاك ستمائة الف نسمة على ما ورد فى التوراة .

وسيدنا موسى هو الذى الف بين عشائر اليهود وجعل منها امة واحدة واطلق عليها اسما جامعا وأدخلها فى دين واحد .

غير ان اتباع سيدنا موسى ما لبثوا ان نزغ الشيطان بينهم فارتدوا عن دينهم وعصوا الله وعصوا موسى جهرة ، وعبـدوا العجل فغضب الله عليهم وأضلهم فتاهوا فى البيداء يضربون فى أعمائها اربعين سنة على غير هدى . ولما توفى موسى خلفه فى زعامة بنى اسرائيل خادمه يشوع بن نون الذى حاول غزو فلسطين غير أن اليهود لم يتمكنوا من بسط سلطانهم على تلك البـلاد الا فى عهد داود عليه السلام .

وقد كان يقطن مناطق فلسطين وسوريا فى ذلك الوقت ومن قبل أن يهبطها اليهود العبرانيون ــ شعوب مختلفة ورد بيانها فى الاصحاحات الخامس عشر من سفر التكوين والثالث عشر والثالث والعشرين والثالث والثلاثين من سفر الخروج وتناثرت أخبارها فى غيرها من أسفار التوراة ــ وأهم هذه الشعوب :

القينيون والقنزيون والغزيون والقدمونيون والرفائيون والجرجاشيون والكنعانيون والأموريون والحثيون والفرزيون والحوريون واليبوسيون والفينيقيون .

وكانت فلسطين جزءا من بلاد كنعان ــ التى عرفت بهذا الاسم نسبة الى الشعب الكنعانى الذى كانت له الغالبية فيها .

أما اسم « فلسطين » فهو الصيغة اليونانية للفظ « فلاشت » التى رددتها التوراة فى كثير من أسفارها (١) ويعنى أرض البولاساتى Pulasati (٢) وهو اسم شعب من شعوب بحر ايجه التى توافدت على الاقليم السورى فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

وقد هاجم شعب البولاساتى مصر مع غيره من شعوب البحر ، فتصدى لها رمسيس الثالث فرعون مصر وهزمها بحرا وبرا حوالى عام ١١٩١ قبل الميلاد، وشتت شملها فارتدت على أعقابها، ونزل شعب البولاساتى على الساحل الجنوبى بسورية حيث أقام وعرفت البلاد باسمه فيما بعد فسميت فلسطيا Philistia واستطاع على مر السنين أن يوطد فيها سلطانه ويضيف اليها عددا من المدن الكنعانية الداخلية .

وينتمى الفلسطينيون الى أصل أوروبى تدل عليه الرسوم التى وجدت منقوشة على البناء التذكارى الذى أقامه رمسيس الثالث بمناسبة انتصاره عليهم .

كما يستدل على قدومهم من جزر اليونان ببحر ايجة ــ وجزيرة كريت خاصة ــ طراز الخزف الذى أدخلوه فلسطين (٣) .

ويشير الاسم الذى يطلقه اليهود على مدينة القدس « أورشليم » الى أصله الكنعانى الأول فقد كانت المدينة تعرف قبل الهجرة العبرانية الى تلك المنطقة باسم « يبوس (٤) » نسبة الى قبيلة اليبوسيين احدى القبائل الكنعانية العربية الأصل التى كانت تقطن فى بلاد كنعان ، ثم اشتهرت باسم « أورسالم » أى مدينة السلام نسبة الى مليكصادق ملك اليبوسيين الذى كانت تخضع لحكمه ــ اذ كان يلقب بملك السلام لما أثر عنه من جنوحه الى الموادعة وتوفره على استتباب الأمن واشاعة السلام .

---

(١) أنظر : سفر الخروج الاصحاح ١٥ وسفر أشعيا الاصحاح ١٤ والمزامير الاصحاح ٦٠ .

(٢) كتاب تاريخ العالم . الناشر جون هامرتون الجزء الثانى صفحة ٨٨ و٨٩ .

(٣) كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تأليف الدكتور فيليب حتى وترجمه عن الانجليزية الدكتور جورج حداد والأستاذ عبد الكريم رافق ــ دار الثقافة بيروت ــ نشر مؤسسة فرانكلين الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧ ــ الجزء الأول صفحة ١٩٧ .

(٤) تؤكد التوراة ذلك فى الاصحاح الحادى عشر من سفر أخبار الأيام الأول برقم ٤ .

وقد ورد هذا الاسم فى رسائل تل العمارنة التى أرسلها حاكمها عبدخيبا الى تحتمس الاول فرعون مصر ( ١٥٥٠ق.م ) يطلب اليه حمايته من أعدائه العبرانيين .

ومن هذا الاسم الكنعانى اشتق العبرانيون اسم أورشليم بذات المعنى.

ويلاحظ أن اليهود كانوا يطلقون على هذه المدينة فى عهد الملك داود اسم « مدينة داود » الا ان الاسم الكنعاني الأصل « أورشليم » هو الذى حرص عليه اليهود وشاع فى الدول الاوروبية .

وهكذا فليس العبرانيون أول من استعمر فلسطين أو أيا من أقطار الشام ، بل انهم كانوا ضيوفا ثقلاء فرضوا أنفسهم على شعوب كثيرة كانت تقطنها من قديم ــ بعد ان طال بهم الترحال والتنقل بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الكلدان وكنعان ومصر ، ثم انهم حين رسا بهم المطاف فى شطر من بلاد كنعان لم يكونوا من الكثرة بحيث يصبحوا غالبية فيها ، وانما كانوا من القلة بحيث كان من الميسور ضياع معالمهم وآثارهم ، سواء بالاندماج فى الشعوب الأصيلة فى المنطقة أو بالسبى والتشتيت على مدى التاريخ .

## الخـــلاصة

### أ ـ من الناحية الموضوعية

أولا ـ ان سيدنا ابراهيم وعشـيرته ـ وهم الأصـول الأولى لليهـود العبرانيين ـ ليسوا من اهل فلسطين ولكنهم ساميون أصلا وكلدانيون موطنا وفدوا على أرض فلسطين مهاجرين من شبه جزيرة العرب .

ومعلوم ان بنى اسرائيل هم ابناء يعقوب حفيد ابراهيم عليهما السلام .

ثانيا ـ ان العبرانيين الذين هاجـروا من أور الكلدانيين مع سـيدنا ابراهيم ليسوا أبناءه من صلبه ، وانما هم أفراد أسرته وطائفة من قبيلته التى ينتمى اليها .

ثالثا ـ ان العبرانيين الذين هاجروا الى مصر ليسوا جميعا أولاد سيدنا يعقوب ، أى انهم ليسوا جميعا بنى اسرائيل بالذات ، وانما هم ابناؤه وطائفة من عشيرته ثم من آمن من أهل البلاد بملة ابراهيم عليه السـلام ـ على يديه وعلى أيدى أسلافه من أنبياء اليهود .

ولقد رافق الاسرائيليين المهاجرين من مصر بقيادة سيدنا موسى كثير من رقيق المصريين الآبقين من الاستعباد المصرى .

رابعا ـ ان يهود فلسطين القدامى ـ حتى فى أزهى عصورهم ـ لم يكونوا جميعا من بنى اسرائيل ، وانما كان بعضهم من العشائر التى وفدت مع ابراهيم من أور الكلدانيين ثم انفصلت عنه بزعامة لوط ابن اخيـه حيث أقامت على ساحل البحر الميت، وبقى منها من نجا من الخسف الذى أصاب قوم لوط، ثم انضم اليهم بنو اسرائيل بعد عودتهم من مصر بقيادة يوشع بن نون ـ خليفة سيدنا موسى ـ ومن خلفه من زعمائهم .

ويضاف الى هؤلاء العبرانيين وبنى اسرائيل ـ من دان للدين اليهودى من سكان فلسطين كالحيثيين الذين كان لهم شأن كبير فى دولة داود عليـه السلام .

على أن هؤلاء الدخلاء قد اندمجوا فى الاصول اليهودية الاصلية وفقـدوا مقوماتهم الخاصة وأصبحوا يهودا اسرائيليين .

## ب ـ من الناحية النظرية

أولا ـ عند من يقول بأن عشيرة سيدنا ابراهيم وسلالته قد عرفت فى مهجرها ببلاد الشام باسم العبرانيين لأنها عبرت نهر الاردن غربا الى مقرها الجديد ـ فان هذا اللقب فى ذاته يحمل معنى اغترابها عن بلاد الشام وعن بلاد كنعان خاصة ، ويدل على أن العبرانيين شعب طارىء عليها غير أصيل فيها .

ثانيا ـ أن سيدنا ابراهيم وسيدنا موسى لم ينشآ فى فلسطين بل ان سيدنا موسى نبى اليهود لم تطأها قدماه قط .

بينما أن فلسطين هى مهد السيد المسيح وبها قبره وفيها نشأت دعوته وخلدت أهم المعالم والمشاهد المسيحية المقدسة .

ثالثا ـ ان اسم فلسطين نفسه لا صلة له بالعبرانيين اطلاقا وانما هو ينسب الى شعب أوروبى وافد من جزر بحر ايجه .

بل ان الاسم القديم لبيت المقدس ـ أورشليم ـ ذلك الاسم الذى يتمسك به اليهود قاطبة حتى اليوم ـ يدل على أصل لايمت الى العبرانيين بسبب ، وانما يرجع الى أصل كنعانى .

والعرب هم الذين اطلقوا اسم بيت المقدس على تلك المدينة من قبل أن تدين لحكمهم .

## الفصـــل الثـــانى

## حق الفتح

لقد كان سيدنا ابراهيم وقومه حين وفدوا على تخوم الشام مجرد رعاة رحل يجوبون اطراف البلاد ، يبشرون بالتوحيد ويدعون لعبادة الله وينتجعون بواديها سعيا وراء الكلأ والمرعى ، فلم يستقر بهم المقام فى حواضرها لمجافاتها لحياة الرعى وعيشة البدو .

وثابت من نصوص التوراة أن سيدنا ابراهيم توفى ولم يملك فى اقطار الشام عقارا سوى الحقل الذى اشتراه بجهة المكفيلة فى مدينة حبرون بأرض كنعان من شخص حثى الجنس يدعى عفرون بن صوحر ، وقد ابتاع هذا الحقل لاعداد مقبرة له فيه وقد دفن فيها فعلا .

وقد ظل العبرانيون على حالهم البدوية حتى بعد ان عادوا مع بنى اسرائيل من مصر وعلى رأسهم نبى الله موسى عليه السلام ـ فقد باءوا بغضب من الله لعصيانهم وارتدادهم عن دينه الذى ارتضاه لهم واتخاذهم العجل معبودا من دونه ـ فتركهم فى ضلالتهم يعمهون فى أعماق الصحراء على غير هدى أربعين سنة توفى خلالها سيدنا موسى وتولى أمر بنى اسرائيل من بعده خادمه وخليفته يشوع بن نون وقد كان أسمه هوشع ثم دعاه موسى باسم ـ يشوع ـ وقد شاء يشوع أن يستقر بهم فى بلاد فلسطين التى وعده الله بها ، فحاول غزوها من أطرافها الجنوبية الا انه لم يستطع السيطرة الا على جزء ضئيل من فلسطين .

وتصرح التوراة بأنه رغما عن أن الله سبحانه وتعالى قد وعد يشوع بملك عريض فى بلاد الشام الا انه لم يستطع الاستيلاء الا على مساحة صغيرة منها، وفى ذلك يقول الاصحاح الاول من سفر يشوع من رقم ١ الى رقم ٥ : ـ

« وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا ، موسى عبدى قد مات فالآن قم اعبر هذا الاردن انت وكل هذا الشعب الى الارض التى أنا معطيها لهم أى لبنى اسرائيل . كل موضع تدوسه

بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى ، من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات ، جميع أرض الحثيين الى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم . لايقف انسان فى وجهك كل أيام حياتك ، كما كنت مع موسى أكون معك لا أهملك ولا أتركك» ــ غير أنه لم يتحقق له ملك الاقطار التى وعده الله بها .

هذا ، ولقد استطاع بنو اسرائيل بقيادة يشوع أن يستولوا على منطقة التلال الداخلية من بلاد فلسطين ، ثم اقتسموها فيما بينهم تسعة أسباط ونصف من أسباط يعقوب ، لكل سبط منطقة معينة يمارس فيها حياته فى نظام قبلى لا تجمعهم حكومة مركزية موحدة ، وانما يتولى امورهم العامة شيوخ منهم عرفوا فى التوراة بالقضاة .

ويذكر سفر القضاة من أسفار التوراة أن بنى اسرائيل تعرضوا فى عهد القضاة لكثير من الغزوات : وانهم خضعوا لحكم ملك آرام النهرين ثم ملك مؤاب ثم ملك حاصور ثم أهل مدين والعمالقة واهل المشرق ثم ملك جدعون ثم أبيمالك ثم العمونيين ثم الفلسطينيين .

وأخيرا استطاع شاؤول بن قيش (١) ــ وهو من سبط بنامين ــ أن يوحد صفوفهم تحت امرته وأن ينصب نفسه ملكا عليهم ، وقد تمكن جيشه بقيادة داود بن يسى من هزيمة جليات (٢) قائد الفلسطينيين .

غير أن حكم شاؤول لم يدم سوى عامين اثنين ثم خلفه داود ملكا على بنى اسرائيل فى عام ١٠٠٠ ق.م حيث اتخذ مدينة يبوس عاصمة لمملكته وأطلق عليها اسم « مدينة داود » ثم غلب عليها اسم أورشليم أى مدينة السلام .

وقد استطاع داود أن يوسع رقعة ملكه فى فلسطين ثم خلفه سليمان الحكيم الى أن توفى فى عام٩٣٥ قبل الميلاد، حيث انقسمت مملكةاليهود فىأرض كنعان ــ وهى بلاد فلسطين ــ الى مملكتين يهوديتين فقامت مملكة اسرائيل فى الشمال بمعاونة شيشاق الاول فرعون مصر وكانت عاصمتها مدينة السامرة أو السامرية (١) ــ كما قامت مملكة يهوذا فى الجنوب واتخذت مدينة أورشليم عاصمة لها ، وقد اعترفت هذه المملكة بالسيادة لشيشاق الاول كذلك .

وحتى ذلك الملك اليهودى الاسمى لبلاد فلسطين لم يعمر طويلا ، فقد قضى على مملكة اسرائيل فى عام ٧٢١ قبل الميلاد . على يد سرجون الثانى ملك الأشوريين .

كما خضعت مملكة يهوذا لغزوات الدول الكبرى المحيطة ببلاد الشام ، وكانت أهمها غزوة نخاو ملك مصر وهزيمتها فى موقعة مجدو عام ٦٠٨ قبل الميلاد التى انتهت بقتل ملكها يوشع وضم مملكة يهوذا الى الامبراطورية المصرية ، وظلت كذلك حتى أغار عليها بختنصرالثانى ملك بابل فى عام٥٨٦ قبل الميلاد وقضى على مملكة يهوذا نهائيا ودمر هيكل سليمان ونهب محتوياته وساق اليهود الى بلاد بابل أسرى . «وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة

---

(١) شاؤول هو المذكور فى القرآن الكريم باسم طالوت .
(٢) جليات هو المذكور فى القرآن الكريم باسم جالوت .
(٣) السامرة أو السامرية هى مدينة نابلس الحالية .

البأس عشرة آلاف مسبى وجميع الصناع والأقيان ، ولم يبق احد الا مساكين شعب الأرض» . ( كما يروى الاصحاح الرابع والعشرون من سفر الملوك الثانى برقم ١٤) .

فلما أن غزا الملك كورش الاكبر ملك الفرس بلاد الكلدان (مملكة بابل) وأخضعها لحكمه فى عام ٥٥٠ قبل الميلاد سمح لليهود - بايعاز من امه إستير اليهودية - بالعودة الى فلسطين ، كما رد اليهم ماسبق أن اغتصبه بختنصر الثانى من اسلاب هيكل سليمان، ومن ثم عاد زروبابل زعيم اليهود الى أورشليم مع من قبل العودة معه من سبايا اليهود وقام بترميم هيكل سليمان فى عام ٥٣٥ قبل الميلاد . ثم خضعت بلاد الشام لحكم الاسكندر الاكبر الى ان توفى وخلفه البطالمة فى مصر والسلوقيون فى سورية . ولقد نشب النزاع بينهما حول السيطرة على فلسطين وانهتز اليهود هذه الفرصة فأشعل الكاهن الاعظم متاتيا وأولاده الخمسة المعروفون بالمكابيين نيران الثورة الا ان الملك السلوقى أرستبولس تمكن من السيطرة على الحكم فى عام ١٠٤ قبل الميلاد واستمر الحكم فى أسرته حتى تم للرومان غزو البلاد بقيادة بومبيوس فى عام ٦٣ قبل الميلاد وخضعت فلسطين لحكمهم ، ثم هب يهود أورشليم بالثورة على الحكم الرومانى فى عام ٦٦ للميلاد بقيادة رئيس كهنتهم حنانيا فى عهد الامبراطور تيطس وأصاب الثوار بعض النجاح الا ان الرومان استطاعوا قمع الثورة ونكلوا بالثائرين وحرقوا هيكل سليمان فى عام ٧٠ الميلادى .

ثم عاود اليهود الكرة عام ١٣٢ للميلاد فثاروا على الامبراطور هادريان ثورة عاتية بقيادة بركوكبا يعضده الحاخام اكيبا - بغية تحرير فلسطين من الحكم الاجنبى واستقلال اليهود بالحكم فيها ، فجرد عليهم هادريان حملة هائلة بقيادة نيلوس روفوس الذى بطش بالثوار وفتك بهم فتكا ذريعا ودمر أورشليم عن آخرها .

وعمد الرومان الى استئصال شأفة اليهود من فلسطين فأوسعوهم قتلا وتنكيلا وتشريدا ، وطمسوا معالمهم الدينية المقدسة فهدموا هيكل سليمان واقاموا على أنقاضه معبدا وثنيا للاله جوبتير ، وحرموا عليهم سكنى أورشليم ومنعوهم من زيارة مابقى من الاماكن المقدسة الا مرة كل عام ، وأصبحت أورشليم مدينتهم المقدسة ولاية رومانية تحت اسم «ايليا كابيتولينا» وعرفت البلاد باسم فلسطين .

ومنذ الغزو الاشورى لمملكة اسرائيل والغزو البابلى لمملكة يهوذا انقرض ملك اليهود ولم تقم له من بعد قائمة حتى منتصف القرن العشرين بعد الميلاد، حين مكنت لهم انجلترا من اغتصاب أرض فلسطين من أصحابها العرب حيث لفقوا لهم دولة اسرائيل بمعاونة الولايات المتحدة الامريكية والدول الاستعمارية الضالعة معها .

ويبين من متابعة الحكم اليهودى فى فلسطين ان اليهود لم يستقلوا بالحكم فيها منذ أن هبطوا اليها لأول مرة حتى منتصف القرن العشرين للميلاد سوى مائة وثمانية عشر عاما، وهى الفترة من عام ١٠٠٢ قبل الميلاد حين أسس شاؤول المملكة اليهودية حتى عام ٩٣٥ قبل الميلاد فى ختام حكم سليمان وحين انشطر ملك اليهود فى فلسطين الى مملكتين منقوصتى السيادة - ثم من عام ١٠٤ قبل الميلاد حين استقلت أسرة المكابيين بالحكم حتى عام ٦٣ قبل الميلاد حيث سقطت البلاد فى أيدى الرومان .

ولست فى تقديرى لفترة استقلال اليهود بالملك فى فلسطين متجنيا على التاريخ اليهودى ـ وانما انا اعتبر من وجهة نظر بعض المؤرخين سخيا متساهلا فى هذا التقدير الى حد ما ، فان العلامة جيمس هنرى برستد يرى أنه فى خلال الفترة التى أدخلتها فى تقديرى قد أتى على الدولة اليهودية حين من الدهر تعثر فيه استقلالها وتقلصت سيادتها ـ حتى أنه يرى ان الملك سليمان الحكيم نفسه ـ ويعتبر عهده ازهى العصور اليهودية ـ كانت تربطه بفرعون مصر صلة التبعية السياسية لدرجة اعتبره معها برستد مجرد وال مصرى على اقليم فلسطين (١) .

وواضح مما أسلفت أن العبرانيين حين استقروا فى أرض فلسطين لأول مرة دخلوها غزاة طارئين ، غير أن الملك لم يستتب لهم ولم ترسخ فيها أقدامهم ، فما لبثوا أن غزاها المصريون ثم سيطر عليها الأشوريون ثم البابليون ثم الاغريق ثم البطالمة ثم الرومان ثم العرب الذين بسطوا سلطانهم عليها ردحا طويلا من الزمن حتى آلت الى ملك الأتراك العثمانيين مع احتفاظها بصفتها العربية .

ولم يتمكن اليهود من بسط سلطانهم على الاقليم الساحلى من فلسطين قط ، فلقد كان الجزء الشمالى من الساحل تحت سيطرة الفينيقيين بينما كان شطره الجنوبى خاضعا لحكم الفلسطينيين بصورة دائمة ، وقد استطاع هؤلاء الفلسطينيون أن يهزموا بنى اسرائيل هزيمة منكرة فى عام ١٠٥٠ قبل الميلاد حيث استولوا على تابوت العهد وحملوه معهم الى أشدود ، كما انهم هزموا شاؤول (طالوت) ملك بنى اسرائيل فى مطلع القرن الحادى عشر قبل الميلاد وتوغلوا داخل البلاد مما حمله على الانتحار فى عام ١٠٠٤ قبل الميلاد ثم صلب هو وأبناؤه .

ولقد اكتسبت كل أمة غزت فلسطين حقوق الفتح قبلها والتى يفرضها الغازى المنتصر ويقرها لنفسه بحد السيف ويقره عليها العرف الدولى ، بحيث كانت كل غزوة تجب الحق المكتسب للغزاد السابقين ، بالتناوب ، غير ان هذه الامم الغازية جميعا بما فيها اليهود العبرانيون ـ لم يكن لها من أثر قومى مخلد فى فلسطين ، سواء فى الثقافة أو فى الاحوال الاجتماعية او حتى فى العصبية البشرية ، اذ كان بحسبها أن تتولى السلطات العامة من عليائها فى ترفع يتشامخ بها عن مستوى الشعب ، فلم تعن بالتجاوب معه أو الاندماج فيه أو مشاركتها فى مقوماتها الخاصة انفة وصلفا .

ينطبق ذلك على جميع الامم التى كانت لها صلات بفلسطين أو الشعب الفلسطينى ، فيما عدا الغزوة العربية وحدها ، التى تركت لها طابعا دامغا طغى على مقومات الفلسطينيين الاصلية ووسمهم بالطابع العربى الواضح . ذلك أن الفتح العربى لم يكن غزوة حربية مثارها حب السلطة وشهوة الحكم وهدفها انتهاب المغانم واهتبال الاسلاب ، وانما كانت فتحا اجتماعيا وعمرانيا يبتغى أداء رسالة انسانية تشمل كل مقومات الحياة ، فتغلغلت المعالم العربية الاسلامية فى أعماق الشعب بطبقاته وتفاعلت معه وانفعل بها فى تمازج عنصرى قوى حتى غدا الشعب الفلسطينى عربيا خالصا دما ولحما ، لسانا وروحا ؛

---

(١) تاريخ مصر من أقدم العصور الى العصر الفارسى تاليف جيمس هنرى برستد صفحة ٣٥٧ .

فغلبت عليه العروبة فى طباعه وفى لغته وفى عصبيته ، كما ساد الدين الاسلامى شعب فلسطين مع ان فلسطين مهد المسيحية ومثابة اليهودية .

ولم ينل من عروبة الشعب الفلسطيني خضوعه من بعد لعناصر غير عربية كالمماليك الاتراك أو الفرس أو الاتراك العثمانيين ، اذ أن هذه العناصر اقتصرت على تولى أزمة الحكم دون مشاركته حياته الاجتماعية الخاصة .

وعلى هذا ، فليس لليهود حق شرعى قائم فى فلسطين ـ أيا كان هذا الحق ـ فانه حتى مع التسليم بقيامه ـ ابان حكمهم القصير المدى ـ فان هذا الحق ـ ومبناه الغزو الحربى ـ قد سقط بما طرأ عليه من فتوح متوالية ، وبقيت للشعب الفلسطيني ـ بعد زوال كافة حقوق الدول الغازية المترتبة على الفتح الحربى ـ صفة العروبة التى اكتسبها ولازمته ، وحافظ عليها قرونا طوالا حتى تلاشت فيها سائر العناصر القومية وبرزت القسمات العربية من دونها سائدة واضحة غلابة متأصلة فى أعماقه ، ومن ثم تبدت المقومات العربية مقوماته الأصيلة المعترف بها دوليا .

ولقد عزز الحق الناشيء عن الفتح العربى بحق قانونى آخر يقره العرف والقانون الدوليين .

ذلك أنه بعد انتصار عمرو بن العاص على الحاكم الرومانى أرطبون فى موقعة اجنادين فى عام ١٥ الهجرى (٦٣٦ الميلادى) ـ دانت للعرب مدن فلسطين التى دخلوها عنوة كنابلس ويافا وعسقلان .

أما باقي المدن التى صمدت لحصار المسلمين ولم يتم فتحها فقد آثر سكانها المسالمة والتنازل عنها للفاتحين العرب صلحا حقنا للدماء ، واشترط وفد القدس ( وكانت تسمى ايلياء ) بزعامة البطريق صفرونيوس ـ وعلى غرارهم وفد مدينة الرملة ـ أن يكون التسليم للخليفة نفسه ، فشخص عمر ابن الخطاب الى فلسطين حيث أبرم عقود الصلح وتم استلام المدن المستسلمة استجابة لرغبة أهليها (١) .

---

(١) راجع فى ذلك كتاب قضية فلسطين أمام القانون الدولى تاليف الدكتور محمد طلعت الغنيمى ـ الطبعة الأولى صفحة ٧٠ الى ٧٦ ـ وكتاب مبادىء القانون الدولى العام تاليف الدكتور محمد حافظ غانم صفحة ٣٦٨ ـ وكتاب الكامل لابن الأثير أبى الحسن على بن عبد الواحد الشيبانى الجزء الثانى صفحة ٢٨٦ .



## المبحث الثالث

## الباب الأول

## الفصل الثالث

## التوطن الدائم على المدى الطويل

ان البحث في مدى أحقية اليهود بفلسطين بالتقادم المكسب المبنى على التوطن الدائم على المدى الطويل ـ مرتبط بخلوص العنصر الاسرائيلى وبقائه كجنس متميز مستقل حتى يمكن تتبع اقامته فى فلسطين وتحديد مداها .

ولقد سبق أن أثبتنا ان بنى اسرائيل بعد أن هبطوا أرض كنعان قد تغيرت طبيعتهم وفقدوا عنصرهم الاسرائيلى باندماجهم فى عناصر شتى ، وانضمام غيرهم من الاجناس اليهم ممن كانت تكتظ بهم بلاد كنعان واعتنقوا الدين اليهودى ، وقد نشأ عنهم شعب تجمعه العقيدة الدينية الا انه ينتمى الى اصول عرقية متنوعة تضم عناصر سامية وغير سامية ، فأما اذا قصرنا بحثنا على اليهود أى معتنقى الديانة اليهودية فان حجتهم داحضة عن حقهم فى تملك فلسطين بالتقادم المكسب ، ذلك لأن الدين لا صلة له اطلاقا بأى حق اقليمى ، والا لحصرنا الديانات المختلفة فى مناطق معينة لاتتعداها وامتنع عليها الانتشار فى فجاج الارض .

ومن جهة ثالثة فانه يخلص من متابعة تاريخ اليهود منذ ان هبطوا فلسطين لاول مرة ، أن نزولهم بها فى عهد ابراهيم كان نزولا عابرا من غير استقرار ، ولم يكن لهم فيها مقام مستقر الا بعد أن دخلها يوشع غازيا ـ ثم مكثوا فيها أمدا فقدوا خلاله عنصرهم الاسرائيلى الخالص ـ تقض مضاجعهم من آن لآخر موجات من الاضطهاد والتشريد ، تمزق شملهم فى فجاج الارض بددا وتقطع بهم الاسباب بفلسطين ، حتى فقدوا ذاتيتهم ومقومات كيانهم القومى ، واستحالوا مواطنين فى كل بلد حلوا به واستقامت لهم الحياة فيه .

ولقد طرد اليهود من دون سكان فلسطين جميعا مرة عند غزوة سرجون الثانى ملك أشور ـ ومرة أخرى عند الغزو البابلى الاول المعروف بالسبى البابلى . مما يدل على أن توطنهم فيها لم يكن مكينا وطيدا .

ثم توالت مطاردة فلولهم فى اثر كل غزوة منوا بها فتفرقوا فيما جاورهم من الاقطار ، وهاجر فريق منهم الى شبه الجزيرة العربية حيث اقام فى الجهات الحضرية منها ، فنزل فى الحجاز فى مناطق يثرب وخيبر وما والاها ، كما نزل فى اقليم اليمن حيث انتشر الدين اليهودى واعتنقه كثير من أهلها خصوصا فى عهد الرومان .

كما أن كثيرا من اليهود الذين سباهم البابليون فى عام ٥٨٦ قبل الميلاد ونفوهم فى بابل قد طاب لهم المقام فى المنفى ورفضوا العودة الى فلسطين حينما أطلق سراحهم وأذن لهم بالعودة الى بلادهم فاستقروا فى العراق أو فيما تاخمها من بلاد الفرس .

ولقد آثرت طوائف اليهود الهجرة من فلسطين طوعا كما حدث فى عام ٣٢٠ قبل الميلاد حينما غزا القائد الاغريقى بطليموس بلاد فلسطين ، فقد رافقه كثير من اليهود فى عودته الى مصر حيث أختاروا مدينة الاسكندرية مقاما دائما لهم لايريمون عنه ولايبغون عنه حولا .

ويبين من ذلك كيف أن اليهود ــ حتى فى عنصرهم الخليط ــ لم تتوفر لهم الاقامة الدائمة المستقرة الهادئة على المدى الطويل ، وهى الظروف التى تمنحهم حق العودة اليها والارتباط بها بالتقادم المكسب للحق .

هذا ــ بينما أن العرب منذ غزوهم فلسطين فى عام ٦٣٦ م ــ قد حافظوا على اقامتهم فيها منذ حينذاك ولمدة اربت على ثلاثة عشر قرنا متوالية، تم فى خلالها امتزاجهم بسكان البلاد الاصليين وكانوا اعمق تأثيرا فيهم ــ حتى تم تعريبهم تعريبا كاملا واكتسابهم مقومات القومية العربية بشكل ظاهر مشهور ومعترف به دوليا .

وبهذا تأيد حق العرب فى فلسطين بالتقادم المكسب بوضع يدهم وممارسة سلطتهم فى البلاد عديدا من القرون المتصلة .

مع ملاحظة أن فقه القانون الدولى العام قد استقر على اكتفاء بوضع اليد لمدة خمسين عاما متواصلة لاكتساب الملكية الدولية (١) وقد انتهى الى ذلك المبدأ الفقيه باسكال فيور Pasquale Fiore فى المادة ٥٦٢ من تقنينه (٢) كما طبق ذلك المبدأ فعلا فى اتفاقية التحكيم المبرمة سنة ١٨٩٧ بين بريطانيا وفنزويلا عند تعيين حدود غيانا البريطانية .

---

(١) كتاب : القانون الدولى العام للدكتور على صادق أبو هيف ــ الطبعة الرابعة صفحة ٣٤٤.

(٢) Le Droit International Confidié et sa Sanction. Par Pasquale Fiore. Traduction française par Chrétien, Paris, 1890.

# الباب الثانى

# المقومات الإنسانية

## الفصـــل الأول

## عــزلة اليهــود
## العصبية الدينية والطائفية اليهودية

لما يزل للنعرة ـ عنصرية كانت أم طائفية ـ شــأن ملحـوظ فى تاريخ البشرية منذ فجر التاريخ من قبل ان تبزغ الحضارات الاولى ، ومبناها الأرومة المتحدة والعصبية المشتركة والجنس الواحد ـ ومظهرها التحيز والتناصر والتآلف .

والتعصب العنصرى والطائفى مدعاة للشقاق والتحــزب والتنابذ بين مختلف العصبيات ، فاذا ماخالجه شعور العزة بالتفوق العنصرى على نحو ما ـ ماديا كان هذا التفوق أم ادبيا ـ خــامره نزق العنصرية وحمية الاســتعلاء والشموخ ، وشابه فى كثير من الاحوال نوازع عــدوانية يذكى أوارها امتلاك أسباب القوة والسلطان ، فتزيدها علوا وعتوا وتغــدو مصـــدر اعنــات وبغى ونكال .

ومثار النعرة العنصرية بما يؤودها من آنفة وعنجهية ـ الاستئثار بمنقبة يعتد بها على نحو ما ، مما يبعث فى الجوانح شعور الصلف والتيه ، ســواء اكانت هذه المنقبة مناطها القوة وبسطة النفوذ ، أو المستوى الحضارى الرفيع، أو الملكات الفكرية الفذة ، أو العقيدة الدينية ، أو الارومة والنسب ، أو استواء الخلق ونصوع البشرة ، أو الحسب والنسب ، أو حتى النسب والجاه فى الجماعات القبلية .

ولقد اعتنقها الاغريق والرومان فى المدنيات العريقة ، كما تحمس لها فى اعماء البادية بنو قريش فى العرب الجاهلية ، ولازمتهم هذه الحمية ابان الدولة الأموية ، يفاخرون بها شعوب الامبراطورية الاسلامية أنفة واستعلاء ، على الرغم من مجافاتها لمبدأ المساواة التى تنادى بها تعاليم الاسلام الحنيف .

وحتى فى العصور الحديثة ، قد مارست التعصب العنصرى بصورة ما ـ دول ضاربة فى المدنية بسهم وافر ـ فقد كان التعصب للجنس الآرى من

اسس السياسة النازية التى اصطنعها هتلر واستبدت به فظاهرها بقوة وعنف ، ومازال الجنس الابيض فى كثير من الدول يمارس التعصب العنصرى حيال الشعوب الملونة بدرجات متفاوتة ، وان اضطهاد الزنوج والتمييز العنصرى فى الحقوق فى الولايات المتحدة الامريكية وفى جنوب افريقيا لمظهر كالح للتعصب العنصرى يتحدى القوانين الوضعية والسماوية والمثل الاخلاقية على السواء .

على انه كلما درج المجتمع فى مراقى الحضارة صعدا وسادت القيم الانسانية المثالية وشاعت مبادىء المساواة العامة ، تهذبت النعرة العنصرية وضاق نطاقها وخفت حدتها فى مظاهرها الجانحة المتجنية على الاقل .

هذا — والمفروض أن الاديان السماوية جميعا تحارب الصلف العنصرى بل الصلف فى أى من صوره ، لانه يجافى ماتدعو اليه من المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات ، وقصر المفاضلة بينهم على أسس من العمل الصالح والخلق الرضى وطاعة الله فحسب ،دون أعتبار لحسب أو نسب ، وبحسبانهم جميعا ينتمون الى آدم وحواء أصلا مشتركا ، والتراب هو العنصر الذى خلقا منه ابتداء . ومن ثم فلا وجه للتمييز بينهم على أساس من الاصل أو الجنس .

غير أن اليهود — على النقيض من كل دعوة سماوية أو انسانية تدعو الى المساواة بين البشر — يؤمنون بتفوقهم العنصرى ويتعصبون لطائفتهم تعصبا لازمهم منذ قيام الدين اليهودى حتى اليوم .

ولقد اثبتنا فيما تقدم أن أساس العنصرية اليهودية — هو فى حقيقته الطائفية الدينية وليست العنصرية الجنسية أو القومية التى يدعونها .

فاليهود قد آثروا العزلة الفكرية والاجتماعية حيث يتجمعون فى أحياء خاصة من المدن تعرف عادة فى معظم أقطار اوروبا وامريكا باسم الجيتو (١) Ghetto وتعرف فى المانيا باسم حارة اليهود Judengasse وفى أسبانيا باسم جودريا Juderia وفى مصر باسم حارة اليهود ، وفى المغرب العربى باسم الملة ، وفى اليمن باسع القاع‌قاع ، وفى تركيا باسم يهودى محلى — بينما يطلق اليهود على غيرهم من سائر الامم اسم الجوييم أى الأمميين او الاجانب ويعنى فى عرفهم الكفرة والانجاس . وهو مشتق من الكلمة العبرية (جوى) أى أمة .

اما غير اليهود فانهم يعرفون لدى العلماء والباحثين المحايدين باسم جنتيل Gentiles ، واليهود يتواصون فى مجتمعاتهم بالوحدة والانعزال عن عقيدة دينية متعصبة حيث يقول التلمود : «ان الأجانب (الجوييم) — أى غير اليهود — كلاب ، لانه مذكور فى سفر الخروج ان الاعياد المقدسة لم تجعل للاجانب ولا للكلاب » . ولهذا فان التلمود فى مبحث يباموث ص ١٠٩ ب يحرم صراحة اختلاط اليهود بغيرهم من الجوييم .

---

(١) اشتق اسم الجيتو من الكلمة الايطالية العامية بورجيتو ، وهى اسم حارة فى مدينة البندقية خصصت لسكنى اليهود بمعزل عن غيرهم من المواطنين منذ عام ٥١٦ م ثم حرف الاسم الى جيتو واصبح يعنى اصطلاحا حارة اليهود أو الحى اليهودى .

وهذا التخريج الغريب قد أملاه التعصب الذميم والغطرسة العنصرية الغاشمة .

ولقد كان عزرا ونحميا — وهما من كبار كهنة اليهود المتنبئين — يحظران على اليهود الزواج من غير قومهم .

ومن ناحية أخرى فقد كان يغذى هذه النزعة الانعزالية فى نفوسهم شعور الاقلية الطبيعى بالحاجة الى التكتل والتجمع الطائفى .

ولقد اسس اليهود المهاجرون الى فلسطين فى خلال القرن التاسع عشر وفيما بين عامى ١٨٨٣ و ١٩٠٠ م خاصة — بعض المستعمرات الزراعية وكان معظمها بجوار يافا وحيفا والقدس ، غير أن هؤلاء المهاجرين قد حافظوا على عزلتهم التقليدية حتى فى مهجرهم (١) «فأخذوا ينشئون مدارسهم ويستخدمون فيها اللغة العبرية ، وكانت لهم منشآتهم الخاصة ، وعملتهم التى يتداولونها ، ومحاكمهم التى يحتكمون اليها ، وكانوا ينفرون من بقية السكان ويعيشون كأنهم دولة وسط الدولة » .

ولقد ظلت العصبية كامنة تعتمل بين جوانح اليهود لاتفتأ تجيش بها صدورهم فتؤزهم ازا طالما آمنوا بدينهم وتذاكروا نصوص التوراة التى يستندون اليها فى تمجيد عنصرهم والاعتداد بامتيازهم ، باعتبارهم شعب الله المختار الذى اصطفاه من دون العالمين لحكم شعوب الارض طرا بينما سخر هذه الشعوب لخدمته وفرض عليها الاذعان لسلطانه والانصياع لمشيئته .

وسوف نبين بالتفصيل عند دراسة تعاليم التلمود — مظاهر التعصب العنصرى اليهودى .

---

(١) عن مقال للدكتور محمد عوض محمد بك بعنوان « كفاح العرب السياسى ضد الصهيونية » منشور فى كتاب العالم العربى — مقالات وبحوث فى بعض شئونه السياسية والعلمية — اصدار جامعة الدول العربية — القاهرة سنة ١٩٤٩ الجزء الأول صفحة ٢٩ .

# الفصل الثانى

## الاضطهاد العنصرى ضد اليهود

### لمحة تاريخية

يتذرع الصهيونيون فى تمسكهم بوطن قومى يلم شعثهم ، بما حاق بهم ومايتعرضون له من تنكيل واضطهاد عنصرى على مدى التاريخ فى كل بلد حلوا به أقلية مستضعفة هضيمة ترهقها الذلة والمسكنة ، ولقد كان اليهود موضع المقت والزراية والانتباذ أينما حلوا ، هذه حقيقة لا مراء فيها يؤيدها التاريخ والواقع المشهود وتجمع عليها شتى الدول التى حـل بها اليهـود فى أى من العصور منذ العهد الفرعونى السحيق حتى العهد النازى فى المانيا الحديثة .

فلقد ناصبهم قدامى المصريين العداء وقسوا عليهم قسوة آثـروا معهـا الفرار من وجههم بزعامة سيدنا موسى .

ثم سباهم البابليون ونفوهم فى بابل ، ثم سامهم الرومان سوء العذاب ومزقوهم فى شعاب الارض، واجلاهم تيطس الرومانى عن موطنهم فى فلسطين، وفى عام ١٣٥ للميلاد صدر قانون أدريانوس الرومانى يحظر فيه على اليهود دخول فلسطين والا تعرضوا لحكم الاعدام ، وظل هذا القانون ساريا حتى الفتح العربى ، وقد اشترط نصارى أورشليم على عمر بن الخطاب لتسليم مدينتهم اليه أن لايدخلها اليهود فأجابهم الى ماأشـترطوا على ذلك فى العهـد الذى أعطاهم وعرف فيما بعد بالعهدة العمرية حيث تقـول «ولايسـكن بايلياء (أى القدس) معهم أحد من اليهود » (١) .

ولقد رماهم مفكروا الرومان وفلاسفتهم بكل نقيصة خلقية واجتماعية ، فكانوا موضع الازدراء وخاصة من الفيلسوف سنكا الذى ندد بهم وبأخلاقهم وتقاليدهم .

وفى العصور الوسطى حملت عليهم الدول الاوربية التى يقيمون فيهـا حملة شعواء ، وعملت على التضييق عليهم حيثما ثقفوا ، وكان الاضطهاد فى

(١) تاريخ الأمم والملوك للامام أبى جعفر محمـد بن جرير الطبرى . مطبعة الاسـتقامة بالقاهرة الجزء الثالث صفحة ١٠٥ .

اسبانيا أبهظ اصرا ، فقد استصدر الملك ريكاردو قرارا من المجلس الكنسي بطليطلة في عام ٥٨٩ م ضيق على اليهود وحد من نشاطهم الاجتماعي ، ثم زاد اضطهادهم في عهد الملك سيسيبوت Sisibut المتوفى عام ٦٢١ م ، على اثر استهزائهم بالمقدسات المسيحية واعتيادهم على حرق الصليب في عيد اليوريم امعانا في السخرية من المسيحيين والاستخفاف بهم ، وفي عهد الملك شنتيلا Chentila قرر المجلس الكنسي طرد اليهود من البلاد ، وفي عام ٦٥٣ م اصدر الملك ريسسويند Receswind أمرا ملكيا بتحريم اقامة اية شعائر دينية غير مسيحية ، وقرر عقاب من يخالف ذلك بالقتل أو الحرق أو الرجم حتى الموت ، وفي عهد الملك ايجيكا Egica صودرت أملاك اليهود ووزعت على المسيحيين (١) .

ولم يكن الاضطهاد في سائر الدول الاوروبية أو التي سيطر عليها الاوروبيون أخف وطأة منه في اسبانيا .

فعندما استولى الصليبيون على بيت المقدس في عام ١٠٩٩ م طردوا اليهود منها وصادروا أملاكهم .

وفي عام ١٢١٥ أصدر البابا انوسنت الثالث امرا يحتم على اليهود وضع شارات على ملابسهم تميزهم عن المسيحيين الذين يتمتعون وحدهم بحقوق يحرم منها اليهود .

واصدر فيليب أوجست ملك فرنسا مرسوما في أواخر القرن الثاني عشر يقضي بطرد اليهود طرا من بلاده .

وفي عام ١٢٩٠ م أصدر الملك ادوارد الاول قرارا بطرد اليهود من انجلترا عن بكرة أبيهم درءا لمفاسدهم التي كان المجتمع البريطاني يرزح تحت وطأتها ، وأمهلهم حتى يوم عيد جميع القديسين من تلك السنة ، وتوعد من يتوانى منهم عن مغادرة البلاد بالشنق والتمثيل بجثته .

وظلت البلاد محرما على اليهود أن يطأوها منذ حينذاك حتى عام ١٦٥٧ م في عهد أوليفر كرومويل حيث أذن لمن يشاء منهم أن يتردد على انجلترا أو يقيم فيها .

ولقد حذت سائر دول أوروبا حذو انجلترا فحملت على اليهود حملة عاتية ، وأوسعتهم نكالا وتشريدا ، فضيقت عليهم الخناق ولفظتهم من أقطارها لفظا قاسيا مهينا .

---

(١) لقد استرد اليهود اعتبارهم في أسبانيا بعد ذلك حين اطمانت بهم الحياة في الأندلس في ظلال الحكم العربي وطاب لهم المقام في رحابه رخيا وريفا وحظوا من سماحة الاسلام وتسامحه بما مهد لهم مناصب الحكومة حتى دانت لهم مقاليد الوزارة ، من ذلك أن الطبيب اليهودي حسداي بن شبروط وزر لعبد الرحمن الناصر وللحكم الثاني ( ٩٤٥ - ٩٧٠ م ) كما استوزر باديس أمير غرناطة في القرن الحادي عشر الميلادي - صموئيل اللاوي بن يوسف بن نغريلة المعروف لدى العرب باسم اسماعيل بن يهوسف ابن تغريلة ؛ ثم استخلف من بعده ابنه يوسف كما تولى اسحق بن يعقوب منصب صاحب الشرطة بها حينذاك ؛ وأسندت وزارة سراقسطة الى ابي الفضل بن يوسف بن حسداي في القرن الثاني عشر في عهد حاكمها المقتدر بالله .

وفى أواخر القرن الخامس عشر زاد اضطهاد اليهود فى أسبانيا والبرتغال وكان الاضطهاد فى أسبانيا أشد وطأة بتأثير التعصب الدينى الذى مارسته محاكم التفتيش ضد الطوائف غير المسيحية على وجه الاطلاق ، مما اضطر اليهود الى الفرار الى شمال افريقيا وجنوب أوربا وانجلترا وامريكا ، خصوصا بعد صدور الأمر بطردهم جملة من اسبانيا فى عام ١٤٦٢ م وعرفوا منذ حينئذ بالسفارديم من سفراد وتعنى لديهم أسبانيا ، بينما عرف يهود وسط اوروبا وشرقها بالاشكنازيم من أشكناز أى المانيا .

وفى أوائل القرن السابع عشر قرر الكاردنيال اكزيمنس Ximenes وزير ملك اسبانيا اجلاء اليهود عن اسبانيا هم ومن بقى بها من المسلمين ، فغادروها الى المغرب العربى والى رحاب الدولة العثمانية (١) .

وقد أظهر اليهود فى خضم الحملات العنصرية العنيفة التى ظلت تطاردهم على مر العصور — الى الهجرة من مقارهم الى المانيا وايطاليا والى بلدان أوربا الشرقية خصوصا بولندة . وقد انسوا الى رحاب البلاد الاسلامية فى المشرق بخاصة ،حيث كانت أرحب صدرا ، فحظوا بمعاملة أقل اعناتا وأكثر تسامحا وكفلت لهم الحرية الدينية المطلقة .

على أن الواقع انه حتى فى البلاد التى هاجر اليها اليهود لواذا من ويلات الاضطهاد لم ينالوا فيها حقوق المواطنين كاملة ، فقد قيدت فيها حقوقهم فى شتى المجالات وفى المجال الاقتصادى خاصة — كما حرم عليهم تملك الاراضى شأن الأجانب الغرباء . ومن ثم عكفوا على الربا يمارسونه بدهاء وجشع ممارسة تخصص وتركيز ، يبتزون به الثروات ويدمرون الاقتصاد الوطنى ويجلبون الخراب والافلاس المجتمع أينما حلوا ، غير أنه بتطور الافكار السياسية والنظريات الاجتماعية فى أوروبا والتى أسفرت عن فصل الدين عن الدولة فى مجال السياسة ، والاعتراف بحقوق الانسان ، وشيوع الحركات التحررية تأييدا لهذه الحقوق ، فقد كفلت الدول لمواطنيها المساواة فى الحقوق وفى الواجبات ، وبذلك تخفف اليهود من كثير من القيود التى كانت تعتاق مناشطهم ، وكفلت لهم الدساتير من الحقوق المدنية والسياسية ما مكنهم من ممارسة نشاطهم الخاص اكثر ثقة واطمئنانا .

وتقريرا للواقع ، فانه رغم صدور القوانين التى ترد الاعتبار المدنى والسياسى لليهود ، فما فتئت حركات الإضطهاد تلاحقهم فى أوروبا ، تجاوبا مع السلوك الجانح الذى لازم اليهود والتزموه ولم تستطع تلك القوانين تخليصهم من اصره بل زادتهم عتوا وجحودا ، استثار عليهم الحفائظ لتصب عليهم نقمتها جزاء وفاقا .

فقد اشتدت وطأة الاضطهاد عليهم فى فرنسا منذ عام ١٧٩٤ م منذ محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى دريفوس بتهمة الخيانة العظمى وافشاء أسرار فرنسا العسكرية للالمان أعدائها التقليديين الالداء .

كما كان صدور قانون الخدمة العسكرية فى روسيا فى عام ١٨٢٧ م وتطبيقه على المواطنين اليهود فيها من اهم الاسباب التى أوغرت صدورهم وحملتهم على مناواة الحكومة الروسية والتمرد عليها ، مما انعكست آثاره

---

(١) كتاب العلاقات الدولية العربية تاليف الدكتورة عائشة راتب صفحة ١٣٢ وما بعدها .

السيئة على الاسلوب الرسمي والعرفي في معاملتهم ، ـ وضاعف من حـدة التوتر بين اليهود والحكومة الروسية انتهى بمقتل القيصر اسكندر الثاني في عام ١٨٨١ م بأيدي اليهود .

وكان طبيعيا ان تتخذ الحكومة الروسية اجراءات عنيفة مضادة حفاظا على سلامة الدولة وامنها ، فأصدر القيصر اسكندر الثالث قوانين مايو سنة ١٨٨٢ التي حددت اقامة اليهود وارغمتهم على تـرك مسـاكنهم في القـرى والضواحي والقبوع في المدن التي اذن لهم بالمقام فيها لايبرحونها .

وقد زاد اضطهادهم في انحاء العالم بصفة عامة منذ اذاعـة بروتوكولات حكماء صهيون في عام ١٩٠٥ م ، التي أسفرت عن اطماعهم الملتاثة في السيطرة على العالم طرا بعد تحطيم قواه ومقدراته .

وبهذا كان السلوك اليهودي هو الذي يعرقل منح اليهـود حقـوقهم السياسية والمدنية ، وهو الذي يؤلب عليهم الدول التي كانت منحتهم تلك الحقوق طواعية .

ولقد كانت محنة الاضطهاد النازي لليهود في المانيا انكى ما مني به اليهود في القرن العشرين ، وافدح مارزئوا به من ويلات ، سواء في عدد الارواح التي ازهقت او الأموال التي صودرت أو في طرائق الانتقام الرهيب والتشفي المروع التي اتبعت في التنكيل الفردي والابادة الجماعية .

ولما ان استحكمت حلقات الاضطهاد من دون اليهـود في دول أوروبا ، اتجهت أنظارهم الى فلسطين ـ وكانت تحت سـيطرة الاتراك العثمـانيين ـ فشدوا اليها الرحال مهاجرين يشجعهم ماتجمع عليه تعاليم الاسلام من رعاية للذميين من أهل الكتاب . وقد تكونت في أوروبا جمعيات يهودية تهدف الى تنشيط الهجرة الى فلسطين وتيسـيرها وتمويلها بالمـال وتأييدها بمختلف الوسائل .

## اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية

نظرا لما بدا واضحا منـذ قيام دولة اسرائيل من صـلة تعاطفيـة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين الصهيونية العالمية ، ازدادت مع الأحداث وثوقا وتأييدا حتى تبنت الولايات المتحدة آمالها واضفت عليها رعايتها وحمايتها .

فقد رأينا أن نستعرض مركز اليهود في الولايات المتحدة خاصة لنكشف عن كنه هذه العلاقة واصالتها .

ولقد كانت السياسة التقليدية للولايات المتحدة الأمريكية منذ استقلالها تقوم على كراهية اليهود ومقاطعتهم والعمل على التخلص منهم ، درءا لمفاسدهم واتقاء لشرورهم التي يذرونها في أعقابهم ويلوثون بها المجتمعات التي يتطفلون عليها .

ويؤكد بنيامين فرانكلين الزعيم الأمريكي الكبير هذه السياسة في خطابه

الذى القاه بمناسبة تدوين دستور الولايات المتحدة الامريكية حيث يقول(١) :

« هنالك خطر كبير على الولايات المتحدة الأمريكية وهذا الخطر هو اليهود . فى أى أرض يحلون يصبح المستوى الخلقى والمعنوى والمعاملات التجارية تجرى بصورة غير شريفة» .

ثم يقول :

« إننى أحذركم أيها السادة وأقول لكم اذا لم تخرجوا اليهود من أمريكا الى الأبد فان أولادكم واحفادكم سيلعنونكم فى قبوركم » .

ثم يستطرد :

« أن اليهود يشكلون خطرا فى امريكا اذا سمح لهم بدخولها ، وسوف يعرضون مقوماتنا الاجتماعية للخطر ، ولذلك يجب أن يخرجوا من بلادنا بموجب الدستور » .

وقد ظل هذا الاطار القاتم يجلل الصفحة اليهودية فى التاريخ الامريكى حتى بدت شوهاء منفرة ، وانعكست لها انطباعات عابسة مقيتة فى المجتمع الأمريكى استوحت منها تقاليده الراسخة فى معاملة اليهود بين ظهرانيه .

وقد طرأ اخيرا على السياسة الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية مانحرف بها لتنحاز للصهيونية جهرة وتلتحم معها التحاما ينسق بين جهودهما وأهدافهما (٢) ، بيد ان ذلك التحول لم يتجاوز السياسة الامريكية الخارجية بعد أن أغرتها الامبريالية العالمية لتنساق فى ركبها فتدرع بها ، ثم غررت بها فبوأتها مركز الزعامة لتحكم استغلال نفوذها فى منطقة الشرق الأوسط خاصة، لما تمتاز به من مركز استراتيجى ممتاز وموارد طبيعية سخية .

كما حمل الولايات المتحدة الخوف من مواجهة التيارات الاشتراكية الجارفة على الحرص على ان تأخذ السبيل على المعسكر الاشتراكى من منافذه الخلفية المطلة على الشرق الأوسط ، حيث تستشرف على معقله الروسى من تلك المنطقة التى تعلقت بها الأطماع الاقليمية لليهود .

وكان فى قيام دولة يهودية فى فلسطين تحقيقا وافيا للهدفين كليهما .

وقد كان لهوية رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وميولهم الخاصة اكبر دافع لهذه السياسة المنحازة لتمضى فى مساقها الوعر قدما دون روية أو احتفال بما قد يعتاقها ماديا أو معنويا . فقد حملت الهوية الماسونية للرئيس الامريكى هارى ترومان على أن يتمادى فى تلبية الرغبات الصهيونية على حساب المصالح الامريكية حينذاك . وهو يعترف فى مذكراته بأنه وافق على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود رغم أن وزارة الخارجية ووزارة الدفاع الامريكيتين كانتا ضد هذا التقسيم وتعارضان انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وان

---

(١) كتاب اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية تاليف الأستاذ ايليا أبو الروس طبع ببيروت سنة ١٩٦٤ صفحة ١٣٠ و ١٣١ نقلا عن الأصل المودع بمعهد فرانكلين بمدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .

(٢) راجع أيضا الفصل الثانى من الباب الثانى من المبحث الرابع من هذا الكتاب بعنوان « الحاجة الى المال والى النفوذ اليهودى » .

فورستال وزير الدفاع الامريكى استقال من منصبه احتجاجا على اصرار ترومان على انشاء دولة يهودية . وقد ذكر دين اتشيسون فى مذكراته الخاصة ـ وكان مساعدا لوزير الخارجية الامريكي حينذاك ـ أنه عارض ترومان بشدة فى موضوع تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية بها .

ذلك ـ أما السياسة الداخلية فى الولايات المتحدة تجاه اليهود فما برحت تنطوى على المبادىء التقليدية التى استقرت فى المجتمع الامريكى منذ استقلاله بحكومته .

ومبناها الحذر والريبة تلقاء اليهود بما قد ينال من حقوقهم الوطنية .

ولقد أوضحت اللجنة الأمريكية للمساواة فى التوظف ـ فى التقرير المقدم منها الى لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم المتحدة ـ أن اليهود فى أمريكا لايتمتعون بنفس حقوق المواطنين الآخرين فى التوظف ، كما أن بعض النوادى المخصصة للطبقة الممتازة من المجتمع الامريكى مثل نادى نيويورك الرياضى ونادى بوسطن والنادى السلامى لاتقبل أعضاء يهود فيها .

هذا ، ومازال ممتنعا على اليهود السكنى فى بعض الأحياء الأمريكية . كما حدث للممثلة الأمريكية المعروفة باربارا سترايصاند ، اذ لم تستطع الحصول على شقة فى الشارع الخامس ( أكبر شوارع نيويورك ) حيث يرفض قبول السكان اليهود (١) .

ولئن خلت القوانين الرسمية من هذه النزعة التعصبية بيد أن العرف والتقاليد المستقرة مانفكت حفيظة عليها وسلطانها يعلو على كل قانون مسنون .

ويعترف الكاتب اليهودى ستيفن ايزاكس Stephen D. Isaacs رئيس مكتب جريدة واشنطن بوست فى نيويورك فى كتابه «اليهود والسياسة الامريكية Jews and American Politics أن عقدة معاداة السامية مابرحت مستقرة فى أعماق الامريكيين تزحم مشاعرهم بالمرارة والكراهية لليهود ، وانما يشغلهم عنها انهماكهم فى أعمالهم المجزية التى تستبد بتفكيرهم وتملك عليهم جهدهم وتستغرق وقتهم ، ويجنها بين أعطافهم ماينعمون به من رفاهة ورخاء يصرفهم عما يعتقدون من نحس اليهود وختلهم ، بيد أن هذا الشعور الدفين ما برح فى انتظار ما يستثيره كجذوة الجمر تؤججها لفحات الهواء ـ فما أن تحيق بالامريكيين بائقة اقتصادية تعركهم ، أو تلم بهم ضائقة مالية يعانون وطأتها ، حتى ينقلبوا على اليهود باللائمة والاتهام ، ويفجروا فيهم حقدهم المكبوت ، يقينا منهم بأنهم أس البلاء ومكمن النحس ومصدر كل ضنك ولأواء .

★ ★ ★

ذلك عرض عاجل لمكانة اليهود فى الهيئة الاجتماعية اينما حلوا فى أقطار الارض ، استظهرنا فيه كيف كانوا دائما مصدر البؤس والفتن والأزمات ، وكيف كانوا لذلك موضع الزراية والمقت والاضطهاد فى شتى المجتمعات الانسانية على اختلاف نحلها ومذاهبها وعلى تباين فى وطأة الاضطهاد فى كل منها .

---

(١) هذه الواقعة منشورة فى جريدة الأهرام بالعدد الصادر بالقاهرة فى ١٩ مارس سنة ١٩٧٠ بالصفحة الأولى .

## الأسباب الفعلية للاضطهاد

### ١ ـ السلوك اليهودي التقليدي :

يزعم اليهود أن ما يعانون من عنت ورهق مرده القصاص لدم المسيح ـ عليه السلام ـ اذ يلقى المسيحيون عليهم تبعة سفكه واهراقه لانهم المسئولون عن صلبه ويقع على رؤوسهم وزر قتله ـ جيلا من بعد جيل . مصداقا للاعتراف الذى سجله الانجيل عليهم فى قولهم فى الاصحاح السابع والعشرين من انجيل متى برقم ٢٥ : « دمه علينا وعلى أولادنا » .

بيد أن هذا التعليل ان جاز فى حق المجتمعات المسيحية فانه لا يجوز بالنسبة لغيرها ممن لا تعتقد بصلب سيدنا عيسى المسيح ولا تقول بقتله أصلا، فلا دم حينئذ ولا ثأر لا على اليهود ولا على غيرهم .

على أن دعوى اليهود تلك ، ليست من القوة بحيث تنهض وحدها دافعا للمسيحيين على اضطهادهم والتحامل عليهم ، بدليل ان المجمع المسكونى العالمى ـ المنعقد فى مدينة روما فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٦٥ برئاسة البابا بولس السادس قد وافق عن طيب خاطر على اصدار وثيقة دينية تقصر تبعة قتل المسيح على اليهود الاوائل وحدهم الذين اقترفوا هذا الجرم ـ وتبرىء خلفهم جميعا من وزره وترفع عنهم مسئوليته .

وقد جاء فى الوثيقة : « ومع أن ذوى السلطة عند اليهود واتباعهم قد حرضوا على موت المسيح ، فان ماارتكب اثناء آلامه لايمكن أن يعزى دون تمييز الى جميع اليهود الذين كانوا عائشين اذ ذاك ولا الى يهود أيامنا .

« ومع أن الكنيسة هى شعب الله الجديد ، فانه يجب الا يعير اليهود بحجة الاستناد الى كتب مقدسة بأنهم ملعونون أو مرذولون .. (١) » .

وقد كان اقرار المجمع المسكونى للفقرة التى تنفى مسئولية اليهود الجماعية عن صلب المسيح باغلبية ١٧٨٥ صوتا مقابل ١٨٨ صوتا .

ويلاحظ أن المجمع المسكونى قد ابدى تسامحا كبيرا فى اجابة اليهود الى طلبهم البراءة من دم المسيح، لما فى هذه التبرئة من تناقض بين مع عقيدة الخلاص على يدى المسيح ، وهى الدعامة الاولى للديانة المسيحية التى عللت عقيدة الصلب وبررت أهدافه .

ذلك لأن مبنى عقيدة الخلاص أخذ الابناء بجريرة الآباء ، وتحمل البشرية الى يوم القيامة وزر خطيئة ابيها آدم التى أخرجته من الجنة ـ الا من آمنوا برسالة الخلاص فان المسيح قد افتداهم بدمه المسفوح على الصليب ، وتحمل من أجلهم آلام الصلب تكفيرا عن زلة أبيهم الأبدية .

هذا ، بينما تتضمن وثيقة التبرئة قصر تبعة صلب المسيح على اليهود

---

(١) راجع فى ذلك كتاب « نحن والفاتيكان واسرائيل » تأليف الأستاذ أنيس القاسم واصدار مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية طبع بيروت سنة ١٩٦٦ .

القدامى الذين عاصروا الصلب وخصت منهم أولئك الذين حرضوا الحاكم الرومانى على قتل المسيح ، وحدهم ، وبالتالي تبرئة اليهود الحاليين كافة من اصره لانقطاع الصلة المباشرة لهم بتلك الجريمة .

ثم يزعم اليهود أن موجات التعذيب التى اجتاحتهم فى ألمانيا النازية تعزى الى سياسة التعصب العنصرى التى آثار نقمها الهر أدولف هتلر ــ مستشار الرايخ الالمانى ــ قاسية عاتية .

غير أن الواقع أن سياسة التعصب العنصرى التى اصطنعها هتلر فى المانيا كانت موجهة ضد العناصر غير الآرية جمعاء يهودا أو غير يهود ، ولكنها لم تتخذ مظهرها الانتقامى الدموى العنيف الا ضد اليهود وحــدهم من دون العنــاصر السامية قاطبة ، التى لم تتعــرض لمثــل ماتعــرض له اليهــود من تعــذيب وانتقام .

ومن ثم فلاجرم ان الاسباب التى يعزو اليها اليهود بغضهم واضطهادهم ومبناها تبعة صلب المسيح ــ فى البــلاد التى تدين بالمســيحية ــ والتعصب العنصرى ضد الاجناس السامية ــ فى ألمانيا النازية ــ لاتســتقيم مع اجمــاع الراى العام العالمى على امتهانهم والاضطغان عليهم فى سائر الدول والمجتمعات الانسانية على مدى التاريخ .

فان سائر الديانات وشتى الامم لاتحمل لليهود الا الضغن والكره والمقت، أنظر فى ذلك كيف يعرض القرآن الكريم باليهود فى الآية رقم ٨٢ من ســورة المائدة حيث يقول :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا »

ثم قارن ذلك بما تلا هذه الفقرة من تلك الآية عينها فى شأن المسيحيين ــ حيث يقول :

« ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . »

فالقرآن يشيد بالمسيحيين وعلاقاتهم المتسمة بالود والألفة ، وينــدد باليهود ويصمهم بالعداوة ، مع أن ثم خلافا جوهريا فى الأصول العقائدية بين المسيحية والاسلام فيما يتصل بصفة سيدنا عيسى والقول بصلبه ، مما لانظير له فى مدى الخلف العقائدى بين الاسلام واليهودية ، ومما يدل على أن العقيدة الدينية ليست هى أساس النظرة الاســلامية للمســيحيين ولليهود فى مغزى الآية ، وانما هى نظرة اجتماعية معيارها الخلق والطباع والمعــاملة من غير تجن أو ممالأة .

ومع ان المذهب البروتستانتى المسيحى هو أدنى المذاهب المسيحية الى العقائد اليهودية ، اذ انه يعتمد على نسخة التوراة العبرية التى يعول عليهــا اليهود ، ثم هو يفسر ماجاء بها تفسيرا حرفيا أدنى الى تفسير اليهود ــ خلافا لسائر الطوائف المسيحية ــ الا اننا نجد ــ رغم ذلك ــ أن نظرة البروتستانت الى اشخاص اليهود لاتقل عن نظرة المسلمين اليهم . فيقول عنهم مارتن لوثر المصلح المسيحى الكبير ومؤسس المذهب البروتستانتى :

« (١) انا أؤكد ــ وليس على الارض من يستطيع أن يغير رأيى ــ أن

---

(١) كتاب من لوثر الى هتلر بيتر .ف. وينر ترجمة الاستاذ رمزى يسى مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة صفحة ١٠٩ .

اليهود كما هم فى هذه الايام ليسوا الا فرعا من الاشرار الخبثاء والضاغنين . الذين تشتتوا فى جميع الأرجاء كما تشتت التتار والغجر ومن اليهم من الافاقين ليضايقوا الشعوب بالربا ، وليتجسسوا على بعضهم ، ويزاولوا الخيانه ، ويسمموا الآباء ، ويخطفوا الأطفال ، وهم بالاختصار يرتكبون كل ضروب الخيانة والاضرار بالغير » .

ولا جرم ان هذا الاجماع العالمى على سياسة موحدة ضد اليهود ينفى مظنة التجنى عليهم والاجحاف بهم والافتئات عليهم .

ويعترف الزعيم الصهيونى تيودور هرتزل فى كتابه «الدولة اليهودية» بهذا الوضع حيث يقول «ان المشكلة اليهودية قائمة ومن السخف ان ننكر ذلك .. فهذه المشكلة تقوم وتوجد حيث يعيش اليهود مهما قل عددهم ، وهى اذا خلا منها مكان استوردها معهم اليهود المهاجرون اليه» ثم يستطرد فيقول «اننا معشر اليهود نتجه ــ بطبيعة الحال ــ الى البلاد التى لانلقى فيها اضطهادا غير ان مجرد وجودنا فى بلد ما يثير ضدنا الاضطهاد حتما » .

وهذا قول حق مسلم به ولا مرية فيه ، فاليهود حيثما حلوا يحملون فى اطوائهم وفى أعقابهم اسباب كراهيتهم واضطهادهم ، لانها أسباب شخصية لصيقة بهم كامنة فى طبيعتهم وخلقهم وفى عقائدهم التى يدينون بها .

ومن ثم فلابد ان يكون فى ذات اليهود وماجبلوا عليه مايدعو الى معاملتهم هذه المعاملة الشاذة ، ويضرب من حولهم نطاقا من الكراهية والمقت والاحتقار والريبة ، التى غدت من بعد مثار شكايتهم وسلاحا منأسلحة الدعوة الصهيونية المشرعة .

حتى انه لما اجتاح الطاعون الأسود المانيا فى عامى ١٣٤٨ و ١٣٤٩ م نسب الوباء الى تدبير اليهود ، تارة بأنهم سمموا الآبار تحت تأثير الحقد وتارة أخرى بأنه من سحرهم الذى شهروا بممارسته ولهذا فقد سيموا نكالا واضطهادا جزاء وفاقا .

ويعتبر التلمود اصدق صورة للتعاليم التى يدين بها اليهود والتى يبثها فى أطواء نفوسهم ويحضهم على انتهاج مسالكها ــ وهى فى ذاتها كافية لأن تثير الحفائظ وتؤلب النفوس عليهم ــ حتى أصبحوا امثولة بين الشعوب ورمزا للأنانية والخبث والرياء ومضرب الامثال فى الجشع البغيض فى كل عصر ومصر ، وحتى اصبحت كلمة يهودى صفة زرية مهينة وسبة يتنابذ بها الناس من كل الشعوب ، وقد استعملها الانجليز بمدلول ادق يبرز مااختص به اليهود من سوء الخلال وفساد الطوية ، فان فعل to Jew (يتهود) مشتق من كلمة Jew اى يهودى ، ويعنى يغش أو يدلس أو يغبن فى التجارة أو يخدع فى المساومة بطرق غير شريفة ولا مشروعة .

وقد اجمل قاموس بنجوين السمات التى يتميز بها اليهود فى تعريفه لليهودى بأنه «عضو فى الجنس العبرى مؤمن بالديانة العبرية مراب مبتز تاجر ذكى بخيل غادر غشاش » .

كما ورد فى صدد التعريف باليهودى ــ بالقاموس الهولندى الذى اصدرته دار النشر الهولندية «مارتينوس نيجوف» ــ أن كلمة يهودى كثيرا ماتستخدم فى السب والتشهير ، فيقال مثلا «اليهودى القذر العجوز» .

وقد اثار هذا التعريف أحد اليهود الهولنديين ، فأقام دعوى على دار النشر أمام المحكمة الهولندية بلاهاى لاصدار حكم بحذف التعريف المشين من القاموس ، الا أن مدير دار النشر رد على الاتهام بدفع مفحم مبناه أن القاموس يسجل استعمالات اللغة ولايصنعها ، وأن الاحرى بالمدعى أن يوجه الاتهام الى الملايين الذين يتكلمون اللغة الهولندية (١) .

وقد انتهت المحاكمة برفض الدعوى .

ويقول جواهر لال نهرو «أصبحت كلمة يهودى نفسها تعنى الخيانة وسوء الاستعمال ، أصبحت مرادفة للبخيل والمرابى الشحيح (١)» .

ولعل من أبلغ المأثورات العالمية التى خلدت نقائص اليهود وماجبلوا عليه من طمع مقيت وحقد قاتل ، رواية تاجر البندقية التى وضعها عميد الأدب المسرحى الانجليزى الخالد وليم شكسبير — يتندر فيها بما جبل عليه اليهود — فى شخص المرابى شايلوك — من خبث وجشع وحقد — ويشهر بهم متعمقا هذه الخصال فى أطواء نفوسهم ويعرضها فى صورة نكراء شائهة .

## ٢ — تعاليم التلمود :

تعنى تشريعات التلمود بتنظيم المجتمع اليهودى والبشرى عامة ، وتحدد قواعد التواصل الفكرى والتعامل الاجتماعى بين اليهود وبين من سواهم من الشعوب .

وقد تجردت هذه التشريعات والقواعد من معانى الانسانية وانطوت على الوان من التعصب الذميم وانكار القيم الخلقية ، مما يعد وحده كافيا لاستهداف اليهود صنوف المقت والزراية حيثما حلوا .

فتأسيسا على ماجاء فى التوراة من أن اليهود شعب الله المختار ، يقرر التلمود أن الشعب اليهودى أسمى الشعوب طرا وأن «الفرق بين درجة الانسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقى الشعوب » .

وبهذه النزعة المتجنية الجائرة يتعامل اليهود مع غيرهم من الشعوب ، على أساس من التمييز العنصرى المتطرف والعزلة الاجتماعية عن ترفع واستعلاء وغرور .

فكل من ليس يهوديا اجنبى ، وكل أجنبىعنهم كافر ووثنى زنديق بنجوة من رحمة الله غير جدير بنعمه وآلائه ، ومن ثم تحل لليهود حياته وأمواله مغنما حلالا طيبا . ويقول المرابى «البو» فى التلمود «سلط الله اليهود على أموال باقى الأمم ودمائهم» وقد فسر علماء التلمود عبارة «لاتسرق مال القريب» التى وردت فى الوصايا المقدسة بقولهم ان الأمى أى غير اليهودى ليس بقريب وأن سيدنا موسى لم يكتب فى الوصية « لاتسرق مال الأمى » وعلى ذلك فان سلب ماله لا يكون مخالفا للوصايا .

---

(١) أشارت جريدة الأهرام الى هذه الدعوى فى الصفحة الأولى من عددها الصادر بالقاهرة فى يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٠ .

(١) Glimpses of World History, by J. Nehru, pp. 762-763.

بل ان عدالة التلمود تحبذ جريمة قتل اليهود لمن عداهم من البشر لأنهم فى عرفه من الكفار الوثنيين ، ويضفى التلمود على هذه الجريمة المنكرة قداسة دينية باعتبارها قربانا لله يتزلفون بها اليه بحافز دينى مقدس . حيث يقول التلمود «من العدل ان يقتل اليهودى بيده كل كافر لان من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله » .

وهكذا يحض الدين اليهودى على تقديم القرابين البشرية ، وينكر التلمود الرافة والرحمة على غير اليهود ، ويحض على التنكيل بمن يقع منهم فى مأزق او يحيق به خطر بدلا من مساعدته والاخذ بيده او حتى تركه وشأنه ، فيقول «اذا وقع أحد الوثنيين فى حفرة وجب أن تسدها بحجر» .

بل الأدهى من ذلك ، ان عرض الاجنبى مباح لليهود ـ كأنما مقاييس الأخلاق والفضائل نسبية لديهم حتى أنه «لايخطىء اليهودى اذا انتهك عرض الاجنبى فكل امراة ليست من بنى اسرائيل بهيمة وكل من ليس يهوديا أجنبى» ويقول التلمود فى موضع آخر « ازن بالذكور والاناث من غير اليهود لأنهم حيوانات » .

والغريب أن من تعاليم التلمود مايجافى ماجاء فى التوراة من وصايا الهية موجهة الى سيدنا موسى تحض على الفضيلة والعدل وتدعو الى الامتساك بهما .

ومن هذا يبين الى أى مدى يتنكب اليهود الجادة ويخالفون تعاليم دينهم ويعصون ماأنزل اليهم من أوامر الهية ، ويستبدلون بها أقوال كهانتهم وحاخاماتهم ولو جافت العقل والخلق .

فاننا نرى التوراة ـ على النقيض مما أوردنا من تعاليم التلمود ـ تدعو الى الامانة والتزام الصدق وحسن المعاملة مع سائر الخلق بشرا وعجماوات .

فقد جاء فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج رقم ٣ : ـ

« ولاتحارب مع المسكين فى دعواه » وفى رقم ٤ من ذلك الاصحاح : ـ

« اذا صادفك ثور عدوك أو حماره شاردا ترده اليه »

وفى رقم ٧ من ذلك الاصحاح : ـ

« ابتعد عن كلام الكذب ولاتقتل البرىء والبار لأنى لا أبرر المذنب »

وجاء فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج برقم ٢٣ و ٢٤ : ـ

« واذا فتح الانسان بئرا أو حفر انسان بئرا ولم يغطها فوقع فيها ثور أو حمار فصاحب البئر يعوض ويرد فضة لصاحبه والميت يكون له » .

هذا ، ويحض التلمود على التمييز العنصرى ومحاباة اليهود فى المعاملات المالية فتعاليمه تسمح «بغش الأمى (أى غير اليهودى) واخذ ماله بواسطة الربا الفاحش ولكن اذا باع اليهودى أو اشترى من أخيه اليهودى شيئا فلايخدعه ولايغشه » .

ومن مظاهر المحاباة والتعصب العنصرى لليهود فى تعاليم التلمود انه

«على اليهودى أن يحلف عشرين يمينا كاذبة ولايعرض أحدا من اخوانه اليهود لضرر ما » .

«ولاتظلم الشخص الذى تستأجره لعمل ما اذا كان من اخـوتك أمـا الأجنبى فمستثنى من ذلك » .

والتلمود يحمل حملة شعواء على المسيحيين والمسلمين بصفة خاصة : فهو يسمى سيدنا عيسى المسيح عليه السلام «يهوديا مرتدا» ويصفه بأنه «كافر لايعرف الله فيكون المسيحيون كفرة مثله » .

ويقول أيضا « سيظل المسلمون فى النار الى الأبد لانهم لايغسلون سوى أيديهم وأرجلهم !!؟ والمسيحيون لأنهم لايختتنون » .

متجاهلا أن المسلمين محتم عليهم الوضوء عند كل صلاة ، وأن الاغتسال فرض حاتم عليهم شرعا فى مناسبات كثيرة ـ بالاضافة الى موجبات النظافة التى تحث عليها تعاليم الاسلام .

ومن عجب أن التلمود يحبذ ارتكاب المعـاصي والانغماس فى الشـهوات المحرمة مادام ذلك بنجوة عن العيون والارصاد فيقول : ـ

« انه مصرح للانسان أن يسلم نفسه للشهوات اذا لم يستطع مقاومتها بشرط أن يكون ذلك سرا (١) » .

أى أن الاسرار فى اجتراح المعصية كاف بذاته لاباحتها وتبريرها وجعلها مشروعة .

وهكذا يمعن اليهود فى مقارفة المعاصى والتردى فى المخازى والموبقات على امل المغفرة التى وعدهم بها التلمود حيث يقول : ـ

« لليهود يوم لغفران الذنوب ومنها الأيمان الزور واذا نهب اليهودى او سرق من الأجنبى شيئا لايرده . ـ وهذا الذنب يمحى يوم الغفران ، ويوم الغفران العام هو اليوم الذى يصلى فيه اليهود صلاة يطلبون فيها الغفران عن خطاياهم والايمان التى أدوها زورا والعهود التى تعهدوا بها ولم يوفوها . وتقوم الصـلاة فى محفـل عـام ليلة عيـد ويوم الغفران وهو واحـد فى كل سنة » .

### ٣ ـ الجشع وابتزاز الاموال : ـ

لقد شهر عن اليهود تخصصهم فى الشـئون المالية وتفننهم فى ابتزاز اموال الشعوب عن طريق الربا الفاحش والمضاربات المالية المريبة بما يترتب عليه من مآس ودمار للمجتمع .

---

(١) قارن ذلك بما جاء فى القرآن الكريم فى الآية ١٥١ من سورة الأنعام : ـ
« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منهـا وما بطن » .
وفى الآية ٣٣ من سورة الأعراف : ـ
« قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

وقد بلغ من سعيهم للكسب الحرام أنهم كانوا يجمعون العملات الذهبية والفضية وينتقصون من أوزانها ببرد اطرافها واختلاس البرادة المتحصلة ، ثم يعيدون طرح العملات الناقصة الوزن فى الاسواق للتعامل بها (١) .

واليهود وراء كل عدوان مسلح وفتنة عارمة يسعرون وقدتها ابتغاء ابتزاز الاموال والفوز بالغنائم من الغالبين والمغلوبين على السواء ، ودون تمييز بين ظالم ومظلوم ، فحسبهم مايغلون ويفيدون . فهم تجار الأسلحة والمؤن لكلتى الطائفتين المتصارعتين بالنقد او بالنسيئة بفاحش الربا — وكانوا فى العصور القديمة فى ركاب كل معركة يبتاعون الاسرى ويتاجرون فى الرقيق وفى أسلاب الحرب .

وكان احتراف الربا وابتزاز أموال المواطنين عن طريقه السبب الرئيسى لحملة الاضطهاد العنيف التى قام بها الروس ضد اليهود فى عامى ١٨٨١ و ١٨٨٢ فى قطاع السكن الذى كان مسموحا لهم بالاقامة فيه فى المناطق الروسية الغربية ، وقد اعتبرت السلطات الرسمية ذلك التيار الاضطهادى انتفاضة من أغلبية السكان على المرابين اليهود الذين كانت الحدود ماتزال مفتوحة فى وجوههم .

وترتب على ذلك اصدار قوانين حدت من حق اليهود فى السكن وفى وسائل المعيشة (٢) .

ثم ان استئثارهم بجمع المال قد مهد لهم السيطرة على الحكومات وتسخيرها لخدمتهم ؛ وتنفيذ مآربهم على حساب الافراد والشعوب ، وسبيلهم الى ذلك القروض التى يمنحونها للدولة أو رشوة الحكام وتطويعهم لأغراضهم ، مما كان مثار السخط والنقمة من المجتمعات العامة والخاصة على السواء .

ولقد كانت الثورة الصناعية التى سيطرت على اقتصاد أوروبا فى القرن التاسع عشر مزدرعا خصيبا للنشاط المالى اليهودى ، لاعتماد تلك الثورة على رؤوس الاموال الضخمة التى استأثر بها اليهود والمصارف اليهودية .

الا أن اليهود اساءوا استغلال هذه الفرصة واحالوها وسيلة للابتزاز الجشع ، وسبيلا للتدخل فى الشئون السياسية عن طريق السيطرة على الدخل القومى والميزانية العامة ، مما أسفر عن كثير من الأزمات المالية الخانقة والفضائح السياسية المؤثرة على دواليب الحكم .

ففى غضون هذه الحقبة كان أحفاد ماير انسلم روتشيلد — الصراف الفرنسى اليهودى (١٧٤٣ — ١٨١٢ م) يهيمنون على اقتصاديات أوروبا هيمنة تامة ، وكانت مصارفهم فى لندن وباريس ونابلى وفينا وفرانكفورت ذات اثر فعال فى نشوء الازمات المالية التى عانت أوروبا من مساوئها ، فقد استغلوا نشاطهم المالى الدائب فى دعم المصالح اليهودية على حساب الشعوب

---

(١) History of the Jews in England, by Cecil Roth, Oxford, 1941, p. 44.

(٢) انظر مقال شمويل ايتنجر بعنوان « الشعب اليهودى وأرض اسرائيل » المنشور فى كتاب من الفكر الصهيونى المعاصر من مطبوعات مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية طبع بيروت سنة ١٩٦٨ صفحة ٤٦ .

الاوروبية التى انشبوا مخالبهم فى رقابها ، وخربوا اقتصادياتها بالمضاربات المالية والازمات المفتعلة بتدبير واحكام .

ولقد صاحبت هذه السيطرة المالية قوة فى النفوذ السياسى لبيت روتشيلد طغى على الحكومات ، وتمكن من استغلاله لصالح اليهود دون اعتبار للصالح الوطنى أو الاجتماعى لشعوب اوروبا ودولها ، حتى عم السخط على اليهود ونسب اليهم كل شر يحيق بالمجتمع .

فلما انكشف امر اليهود فى إفتعال الأزمات الاقتصادية والفضائح المالية بفرنسا ـ مما كان له اثر واضح فى التوجيه السياسى للبلاد ـ هب الكتاب والمفكرون يهاجمون اليهود هجوما عنيفا ويبصرون الرأى العام بمدى خطورتهم على الحضارة الصناعية وعلى الاقتصاد الفرنسى والسياسة الفرنسية بعامة ، وكثرت المؤلفات التى تكشف عن السلوك اليهودى الأنانى الجشع وعن خيانتهم للاوطان التى آوتهم ومنحتهم حقوق المواطنين .

## ٤ ـ عقوق الأوطان :

استنادا الى الوعد الالهى بالعودة الى فلسطين ، يعتبر اليهود أنفسهم اجانب فى البلاد التى يقيمون فيها ، فهم يلتزمون الاستقلال الاجتماعى الى أن تتاح لهم العودة الى فلسطين أرض الميعاد ، حيث يمارسون حياتهم الطبيعية وحقوقهم الكاملة كمواطنين .

وهم لذلك يتحللون من مظاهر الولاء للأوطان التى تؤويهم ولايخلصون لها ، فلايعترفون من صفة المواطنين بغير الحقوق والمزايا التى تغدقها عليهم هذه الصفة ، ـ أما الواجبات والتكاليف المقابلة للحقوق الوطنية ـ فانهم لم يؤمنوا بها ولم يذعنوا لها طواعية ، ولم يتجاوبوا مع الوطنيات التى آوتهم رحابها ومنحتهم حقوقها .

ولقد كان من اسباب تألب اليهود على الحكومات القيصرية فى روسيا ـ قوانين الخدمة العسكرية التى أصدرها نيقولا الاول قيصر روسيا فى عام ١٨٢٧ م والتى قضت بتجنيد اليهود أسوة بسائر المواطنين ، والزمتهم بالتعبير عن ولائهم للدولة بالانخراط فى جيشها الذى يذود عنها ويحميهم من غوائل الاعداء ويوفر لهم الامن والدعة .

فقد تمرد اليهود على ذلك القانون وناوؤوه لتعارضه مع الأنانية العنصرية التى تفرض عليهم الانطواء الاجتماعى والاستقلال الطائفى ، وأجمعوا أيدهم وكيدهم يتحدونه ، وعملوا منذ ذلك الحين على مناهضة نظام الحكم فى روسيا ومظاهرة كل حركة ثورية ترمى الى الانتقاض عليه وتقويضه .

وبالنظر الى تأصل خصلة العقوق الوطنى فى نفوس اليهود فانه عقب انتشار مبادىء الثورة الفرنسية فى أوروبا تبشر بالمساواة الاجتماعية بين المواطنين ـ ناهض بعض أعضاء الجمعية الوطنية فى باتافيا منح اليهود هذه المساواة متسائلين : «كيف يستوى اليهودى ـ وهو الذى ينتظر المسيح والعودة الى وطنه ـ أن يكون مواطنا أمينا للدولة الهولندية ؟ » ولقد أفحم

اليهود هذا التساؤل ولم يسعهم الا أن يزعموا أن انتظار المخلص ليقودهم الى ارض الميعاد ليس سوى عادة دينية وعبادة تقليدية لا غير (١) .

ويعزى اختصام المصريين القدامى للاسرائيليين واضطهادهم حتى شق عليهم المقام ولم يسعهم الا الفرار بقيادة سيدنا موسى ــ الى أن بنى اسرائيل كانوا ضالعين مع الهكسوس الذين كانوا يحتلون مصر ، يمالئونهم على المصريين ابتغاء الافادة على حساب أصحاب البلاد الذين آووهم وأكرموا مثواهم وأحسنوا وفادتهم وكانت لهم عليهم أياد ومآثر ، ذلك لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أجانب فى مصر حسبما أوعزت اليهم عقيدتهم الدينية ، فليس لها عليهم حق الاخلاص لها مهما طال مقامهم فيها ، وهم يستحلون ايقاع الضر بها مادامرا يجنون من ورائه نفعا ماديا .

بل انهم ناوؤوا الحكم الوطنى الجديد لما حرمهم من امتيازات كانوا يتمتعون بها فى ظل الاحتلال الهكسوسى (٢) . حتى أنهم دبروا مؤامرة يهودية ضد سلامة الدولة المصرية (٣) .

وقد رأى مستشاروا فرعون وكهنته أن عزلة بنى اسرائيل هى مصدر الخطر ومكمن التحزب والائتمار ، وأن تكاثر عددهم يركز هذا الخطر ويضاعفه ، فاستقر الرأى على فل عصبيتهم والقضاء على عزلتهم بالتخلص من الاطفال الذكور منهم تحديدا لنسلهم ، ثم استبقاء الاناث حتى يضطررن الى الزواج من المصريين ويتم الاندماج وتنتهى العزلة (٤) .

### ٥ ــ القرابين البشرية :

يعتبر الدم المسفوح من الشعائر الدينية المقدسة عند اليهود ، والتوراة حافلة بالمناسبات الدينية التى تهرق فيها دماء القرابين مرضاة للرب ، استدرارا للبركة واسباغا للقداسة .

ولم يكن نحر الأضاحى ابتغاء الفدية وطلبا للحومها أصالة ، وانما كان سفك الدماء هو موضوع القربان ، والدم المراق هو أداة النسك ومؤدى العبادة . وكان فى هيكل سليمان « مذبح » للقرابين تسيل منه الدماء فى قناة مديدة حفاظا عليها ، ومازال فى كل معبد يهودى « مذبح » تمارس فيه هذه الشعيرة المقدسة .

ولم تقتصر القرابين المقدسة لدى اليهود على اضاحى الأغنام والانعام ، فلقد أثر عنهم ممارسة القرابين البشرية ــ من غير اليهود ــ حيث يستنزفون دماء الضحايا ليستكملوا بها الطقوس الدينية التى سنها التلمود قربانا للاله يهوه ، واهمها مزج الفطائر المقدسة بالدماء البشرية فى وقفة عيد الفصح .

---

(١) أنظر مقال شمويل ايتنجر بعنوان « الشعب اليهودى وأرض اسرائيل » ــ المنشور فى كتاب « من الفكر الصهيونى المعاصر » من مطبوعات مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية ــ بيروت سنة ١٩٦٨ صفحة ٤٤ .

(٢) Civilization of the Near East, by E.H. Weach, p. 83.

(٣) كتاب قصة العقائد للأستاذ سليمان مظهر صفحة ٢٨٦ .

(٤) كتاب « مقارنة الأديان » ( ١ ــ اليهودية ) تاليف الدكتور أحمد شلبى طبع القاهرة سنة ١٩٦٦ صفحة ٤٢ .

وتعتبر مراسم الختان أول مناسبة فى حياة اليهودى تمارس فيها الطقوس الدموية فى أبسط صورها ـ الحيوانية والبشرية معا ، ـ اذ يتولى الحاخام عند ختان الطفل ـ فى اليوم الثامن لمولده ـ مزج قطرة من دم قربان حيوانى بكأس من الخمر ثم اضافة قطرة من دم الختان اليها ، حتى اذا ما تم امتزاجها غمس خنصره فى الكأس ووضعه فى فم الطفل مرتين (١) . ومن تقاليد الزواج أن يصوم الزوجان يومهما الاول ثم يقدم لهما الحاخام بيضة مسلوقة مغموسة فى دم مسيحى (٢) .

وقد هال الرومان تعطش اليهود للدماء البشرية وسعيهم اليها دأبا بدافع دينى مسعور ، فأصدروا فى عام ٦٥٨ للميلاد قانونا يحرم القرابين البشرية ويعاقب بالقتل على ممارستها أو الاشتراك فى اقترافها (٣) .

ويحاول اليهود أن يتنصلوا من هذه الجريمة الوحشية ، بيد أن نصوص التلمود لا تفتأ تدعو لها وتشيد بها ارضاء لالههم يهوه ، ولئن كانت نصوص التلمود سرية على مجتمع « الجوييم » بحيث تخفى على غير اليهود ، فلقد سجل التاريخ وقائع محددة لعديد من هذه الجرائم ، كما اعترفت بها بعض المراجع اليهودية صراحة ، كدائرة المعارف اليهودية (٤) وكتاب « اللاسامية » للمؤرخ اليهودى برنارد لازال ، وكتاب « السر المكتوم » للحاخام « تاوفيطيوس » (٥) .

ويروى أن الفتاة اليهودية بنود المولودة بمدينة اللاذقية من بلاد الشام فى عام ١٨٢٠ م قد شاهدت بنفسها ما كان يمارسه قومها فى طقوسهم الدينية من استنزاف لدماء أعدائهم ليصنعوا منها الفطير المقدس فى وقفة عيد الفصح.

ولقد هالها الأمر ،حتى تمردت على عقيدتها اليهودية واعتنقت النصرانية ثم نذرت نفسها لله وترهبت باسم الراهبة كاترينا (٦) .

وتروى هذه الفتاة أن من الطقوس اليهودية المقدسة الولوغ فى الدماء ، فاذا ما أعوزت المؤمنين من اليهود الضحايا البشرية استعاضوا عنها بديكة بيضاء يصلبونها ثم يخزونها بآلات حادة حتى اذا سالت دماؤها تلقوها بحرص ومزجوها بالفطير المقدس .

---

(١) كتاب « أضواء على الصهيونية » تأليف الأستاذ مصطفى السعدنى طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٩ صفحة ٩٨

(٢) كتاب الصهيونية في التاريخ تأليف الأستاذ صابر عبد الرحمن طعيمة طبع القاهرة صفحة ١٧٦ .

(٣) كتاب أضواء على الصهيونية تأليف الأستاذ مصطفى السعدنى طبع سنة ١٩٦٩ صفحة ١٠١ .

(٤) انظر دائرة المعارف اليهودية طبعة سنة ١٩٠٤ صفحة ٦٥٣ .

(٥) الكتاب مطبوع فى القاهرة سنة ١٨٩٠ ـ وقد ثار مؤلفه الحاخام تاوفيطيوس على الطقوس الدموية اليهودية حتى تزعزعت عقيدته الدينية وتحلل منها واعتنق الدين المسيحى أخيرا .

(٦) كتاب اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية تأليف الأستاذ ايليا أبو الروس طبع بيروت سنة ١٩٦٤ صفحة ٧٢ .

وقد تضمن كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود تأليف الدكتور روهلينج وترجمة الدكتور يوسف نصر الله ، كثيرا من حوادث التضحيات البشرية التى اقترفها اليهود فى انجلترا وفرنسا والمانيا والنمسا واسبانيا وايطاليا وروسيا واليونان ورودس ودمشق .

كما ادرج الاستاذ أسد رستم فى المجلد الرابع من كتابه « المحفوظات الملكية المصريه ببيان وثائق الشام » طائفة من الوثائق تؤكد ممارسة اليهود للتضحية بدماء أعدائهم ، وقد تضمنت هذه الوثائق اقرارا كتبه الحاخام موسى أبو عافية عن مقتل الراهب الايطالى البادرى توما وخادمه ابراهيم قمارة اللذين ذبحهما اليهود بمدينة دمشق فى فبراير عام ١٨٤٠ ( ذى الحجة سنة ١٢٥٥ ) لمزج دمائهما بالفطير المقدس — وقد أدين فى هذه المذبحة تسعة من اليهود وصدر الحكم باعدامهم — الا ان الجالية اليهودية تمكنت بمساع متواصلة من اللورد مويزمونتيفور ومن كراميو — من زعمائها المشهورين — من الحصول على عفو من محمد على باشا والى مصر والشام وقتئذ — وقد انتهى الأمر بالحاخام موسى ابو عافية أن أشهر اسلامه باسم محمد مسلمانى (١) .

ومن آثار ممارسة اليهود لتقديم القرابين البشرية أن وجد طفل فى الثانية من عمره قتيلا فى مدينة ترنت بايطاليا فى عام ١٤٤٥ م ، فاتهم اليهود بقتله وقامت ضدهم ثورة ضارية ازهق فيها كثير من أرواح اليهود (٢) .

كما حدث فى عام ١٩٦٣ ان ضبطت امرأة يهودية باحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتى متهمة بثقب أذن طفلة من غير دينها لتحصل على قطرات من دمها لتمزجها بالفطير المقدس فى عيد الفصح (٣) .

### ٦ — التعصب العنصرى :

لئن واربت احكام التوراة لاتباعها باب التعصب هونا ما ، فانهم قد دفعوه على مصاريعه حتى أصبح التعصب سمتهم الصارخة مدى الدهر ، فالتوراة تدعو فى بعض تعاليمها الى التمييز الطائفى تجانفا عن الحق ومجافاة للعدل ، والى التحيز اليهود فى العلاقات الاجتماعية فى غير معدلة ، فتحض على التفرقة فى المعاملة بين اليهود وبين غيرهم حيث تقول فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية برقم ١١ و ٢٠ .

« لاتقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض

---

(١) كتاب اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية للأستاذ ايليا أبو الروس طبع بيروت سنة ١٩٦٤ صفحتى ٩٠ و٩١ — والوثائق المشار اليها فى المجلد الرابع من كتاب المحفوظات الملكية المصرية ببيان وثائق الشام للأستاذ أسد رستم محفوظة بقصر عابدين بالقاهرة تحت رقمى ١٧ و ٥١ بالمحفظة رقم ٢٥٩ .

(٢) كتاب المجتمع الاسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم للدكتور فؤاد حسنين على مطبعة الرسالة سنة ١٩٦٧ صفحة ٢١ .

(٣) كتاب أضواء على الصهيونية تأليف الأستاذ مصطفى السعدنى طبع القاهرة سنة ١٩٦٩ صفحة ١٢٦ .

بربا . للاجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لاتقرض بربا يباركك الرب الهك فى كل ما تمتد اليه يدك فى الأرض التى انت داخل اليها لتمتلكها » .

وبالاضافة الى ما افاض فيه التلمود من شرائع وأحكام شاذة تنفر سائر الشعوب من اليهود ، وتسخطها عليهم وتثير عليهم فى قلوبها الموجدة وتدب بينها وبينهم دبيب الخلف والشقاق ، فقد تضمنت بروتوكولات حكماء صهيون كثيرا من القواعد التى وضعوها منهاجا لتحقيق أحلامهم الصهيونية ، بحكم العالم والسيطرة على مقدراته ، وهى فى ذاتها تعمل على اثارة جو من الفساد والفوضى والفتن الاجتماعية باشاعة الظلم والانحلال الخلقى والتفرقة العنصرية وافتعال الأزمات الاقتصادية ، كما تحض على اقتراف كل منكر مادام مؤداه الوصول الى ما يبتغون .

وهكذا أفاضت بروتوكولات حكماء صهيون فى تبيان وسائل تحطيم الحكومات والشعوب ، وافتنت فى طرائق غزوها ماديا وأدبيا حتى تدين لليهود ويتم استسلامها صرعى خائرة ، فتناولت النواحى الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية جميعا بروح نزاعة للشر والفساد على ما بينا تفصيلا من قبل .

## دعوى اضطهاد يهود الجزيرة العربية
## فى صدر الاسلام

يزعم الصهيونيون أن اليهود كانوا منبثين فى شعاب الجزيرة العربية حتى فجر الاسلام وانه كان لهم فى مدينة يثرب تركيز عددى ملحوظ، ونشاط اقتصادى دائب ، ونفوذ سياسى وطيد ، حتى عرفت المدينة بالاسم العبرى « يثرب » ، ثم تعرضوا لموجات من الاضطهاد بدأت منذ عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم حين اجلى عنها فريقا منهم ، وانتهت باستئصال شأفتهم على يدى عمر بن الخطاب خليفة المسلمين من بعده .

ذلك مجمل دعواهم التى ما فتئوا يلغطون بها والتى ينتهون بها الى أن مدينة يثرب ـ المدينة المنورة ـ اقليم يهودى سليب من حقهم استعادته لحوزتهم واستلحاقه بدولتهم العنصرية العافية التى يتوفرون اليوم على بعثها ودعمها فى الشرق الوسيط . وقد عرضوا فعلا على الملك عبد العزيز آل سعود أن يسمح لهم بالهجرة الى شمال الحجاز لاستيطان ربوعه نظير مقابل مالى سخى ، ووسطوا لذلك المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الامريكية فى اواخر الحرب العالمية الثانية .

ونظرا لخطورة هذا الادعاء لما يرتب عليه اليهود من حقوق اقليمية فى الجزيرة العربية تخولهم اقتحام الحرم الاسلامى المقدس والسيطرة على معالمه الروحية .

كان حريا بنا أن نتقفاه بالتمحيص لنتحرى عناصره ونجلو ما ران عليه من زيوف واغاليط ، تبيانا لملاك الأمر واستظهارا لوجه الحق الناصع الشفيف .

ولقد تضاربت أقوال المؤرخين عن تاريخ غشيان بنى اسرائيل للجزيرة العربية لأول مرة بصورة جماعية ، وتردد التوراة أن أرض سيناء وشمال الجزيرة العربية كانا ملاذا لفلول بنى اسرائيل كلما قست عليهم وطأة القمع والتشريد فى فلسطين ، خاصة بعد أن خرب الرومان أورشليم فى عام ٧٠ للميلاد .

كما يذكر صاحب الأغانى (١) أن بنى النضير وبنى قريظة وبنى بهدل قد هاجروا من الشام الى الحجاز فرارا من بطش الروم حيث أقاموا فى منطقة يثرب ووادى القرى وتيماء .

فالتاريخ المتواتر أن اليهود فى منطقة يثرب والى الشمال منها فى خيبر كانوا دخلاء طارئين من غير عرب شبه الجزيرة ، وان اذهان العرب لم تتهيأ

---

(١) كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى الجزء التاسع عشر صفحة رقم ٩٥ .

فى تلك البقاع لاعتناق الدين اليهودى ، لأن اليهود حافظوا فيها على نظامهم القبلى المنغلق وعنصريتهم المتزمتة المتمايزة .

أما فى اليمن فيرجع ظهور الدين اليهودى فى ربوعها الى عهد الملكة سبأ ، وكانت على صلة بسليمان الحكيم ملك اليهود ـ بيد أن ذيوعه فى اليمن لم يتم الا منذ أن اعتنقه بنو حمير ونشط ملكهم ذو نواس لنشره بحد السيف ، ومن ثم جاوزت اليهودية اليمن الى ما جاورها من الأقطار العربية المتاخمة .

وأن ما حاق بيهود يثرب وما حولها على أيدى المسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من خصومات اضطرت فريقا منهم الى الجلاء عنها ، لم يكن الا ضرورة اضطر اليها المسلمون حقنا للدماء ودفعا لأذى اليهود ودرءا لشرورهم .

وهى ضرورة لم يلجأ اليها النبى ازاء مخالفيه فى العقيدة من غيراليهود. فلقد كانت العلائق بين اليهود وبين النبى عليه الصلاة والسلام سلسة رخية يسودها الوئام والألفة والتحالف ، وتنتظمها عهود ومصالحات متبادلة ، ثم ما لبث اليهود أن نفسوا على المسلمين انتصار دعوتهم وانطلاقها فى فجاج الحجاز ، واشفقوا على كيانهم العنصرى أن يتداعى وينصهر فى هذا المجتمع الجديد ، فقلبوا للمسلمين ظهر المجن وتنكروا لما بينهم من مواثيق ، وعملوا على مناهضة الدعوة وتخضيد شوكة المسلمين ، تارة بالتطاول على الاسلام وعلى الرسول ، وتارة بتأليب قبائل العرب على المسلمين ، وتارة ثالثة بالاسهام مع أعداء الاسلام فى حصارهم والتواطؤ على قتالهم . مما أوغر صدور المسلمين واوجدهم عليهم واضطرهم الى المنافحة دون عقيدتهم وأمنهم وتأديب العادين منهم ، وقمع مايبيت اليهود من فتن قبل أن يستشرى خطرها، حتى آثروا الجلاء عن مواقعهم والعودة أدراجهم الى الشام من حيث وفدوا .

وتجمل أسباب الخلاف بين المسلمين واليهود فيما يلى :

١ ـ اجترأ اليهود على التعريض بالنبى وبرسالته فسلقوه بألسنة سليطة حداد ، وحاولوا النيل من الاسلام بالسفسطة العقيمة واللجاج البذىء الجارح، مستغلين سماحة النبى ورحابة صدره خاصة بعد أن أسلم طائفة من عظماء اليهود وأحبارهم ، كالحصين بن سلام ومخيريق ـ ومن قبيل ذلك أن فيحاص ابن عازوراء من يهود بنى قينقاع سأل أبا بكر الصديق ـ بقصد تعجيزه ـ عن ذات الله وخلقه ومن أية مادة خلق ، وما الى ذلك من الأسئلة الخبيثة التى استنفذت حلم أبو بكر وأعيت صبره حتى اضطر الى ضربه لتأديبه .

وقد جاوز اليهود فى تهجمهم على الاسلام ما تقوله الكفرة المشركون ، حتى انهم نسبوا الى اله المسلمين الفاقة والعوز ، وعزوا اشتراع الصدقات وفرض الزكاة الى حاجة به تقتضيه الاستقراض والاستجداء ، سبحانه الغنى رب الأرباب له ملك السموات والأرض .

كما تطاولوا على أعراض المسلمين تطاولا مهينا فاستباح كعب بن الاشرف لنفسه التعرض لمحارم المسلمين وشبب بأم الفضل بنت الحارث وبغيرها من نساء المسلمين مما استفز نخوتهم واستثار حميتهم والهب غيرتهم على أعراضهم .

وكان يتزعم اليهود فى الكيد للمسلمين سلام بن أبى الحقيق من خيبر وكعب بن الأشرم من زعماء بنى النضير وبلفائهم .

وقد ادعى بعضهم الاسلام رياء حتى يتمكن من السعى بين المسلمين بالفرقة والنميمة والافتراء على الدين بالاباطيل التى عرفت فيما بعد بالاسرائيليات .

ومن ثم لم يسع المسلمين الا الحفاظ على دعوتهم وتامين جانبهم كيد اليهود بتطهير المدينة من بنى قينقاع مثابة الشر فيها .

٢ ــ لم يرع اليهود المواثيق والعهود التى عقدوها مع المسلمين فنقضوها ولجوا فى الخصومة غير مراعين الا ولا ذمة ، فقد تخلف يهود المدينة عن معاونة المسلمين يوم أحد نفاذا لما بينهما من عهد ، وبلغ الغدر بيهود خيبر وبنى النضير وهم حلفاء النبى أن تحزبوا مع كفار قريش لقتال المسلمين .

٣ ــ دبر اليهود المؤامرات للغدر بالنبى واغتياله لولا أن حفظه الله ورد كيدهم فى نحورهم ، كما حدث حين توجه عليه الصلاة والسلام الى بنى النضير يستعينهم فى دية قتيلين من بنى عامر قتلهما عمرو بن أمية الضمرى ــ فبينما كان عليه السلام جالسا الى جنب جدار من بيوتهم اذ ندب اليهود من بينهم عمرو بن جحاش ليصعد الى البيت ويلقى على النبى صخرة ليقتله ، فأوحى الله الى رسوله الخبر فقام لتوه وقفل راجعا واحبط تدبيرهم (١) .

٤ ــ سعى اليهود بالفتنة بين المسلمين انفسهم لتهن وشائجهم ويرفض شملهم كما فعل أشاس بن قيس حين حاول ايقاظ عداوة الجاهلية المتوارثة بين قبيلتى الأوس والخزرج ــ بعد أن قضى عليها اسلامهما ــ واثار ثائرتهما باستذكار ما قيل من الشعر فى تلاحيهما يوم بعاث ــ حتى شهر كل منهما سيفه فى وجه الآخر وكاد يستحر بينهما القتال لولا تدخل النبى عليه الصلاة والسلام ووأد الفتنة قبل استفحالها .

٥ ــ دأب اليهود ــ رغم ما بينهم وبين المسلمين من مصالحات ــ على استعداء المشركين على المسلمين . كما فعل يهود يثرب حين نظم زعيمهم كعب ابن الأشرف قصيدة لاهبة تحريضا لقريش على الثأر لقتلى بدر . وكما فعل يهود خيبر ومن نزح اليهم من بنى النضير اذ تولى سلام بن ابى الحقيق وكنانة بن ربيع وهوذة بن قيس ــ من زعمائهم ــ تحريض قريش ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ــ ثم غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ــ على التحزب لقتال المسلمين فى الموقعة المعروفة بوقعة الأحزاب أو غزوة الخندق .

وقد بلغ من حرصهم على تأليب الأحزاب على المسلمين انهم اغروا غطفان بتنازلهم لها عن ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع خيبر وحدائقها .

كما حرض حيى بن أخطب أبناء جلدته من بنى قريظة على نقض العهد الذى كان بين كعب بن أسد وبين النبى ــ حتى انصاعوا لأمره ونقضوا العهد وانضموا الى اعداء المسلمين فى وقعة الاحزاب التى كان النصر فيها حليف المسلمين .

وهكذا لم يكن جوار اليهود مطمأنا للمسلمين فقد استأمنوهم فاختانوهم وغدروا بهم ، ولم يكن ثم محيص من اصطناع الحزم والردع لأخذ السبيل على كيد اليهود ومؤامراتهم .

---

(١) سيرة النبى لأبى محمد عبد الملك بن هشام الجزء الثالث صفحة ١٤٣ طبع القاهرة سنة ١٣٨٤ هجرية ( اصدار كتاب التحرير ) .

ومع ذلك فقد حرص المسلمون على ان لا يتجاوز الردع من عانوا عدوانه وبالقدر الذى يدفع عنهم أذاه ، حتى اذا ما استتب الأمر للمسلمين وأخلد اليهود الى الموادعة لم يكن ثم حاجة بالمسلمين الى اللدد والخصام ، فألانوا لهم جانبهم وسالموهم ولم يكلفوهم من امرهم رهقا وأمنوهم على أرواحهم وأموالهم وعقيدتهم .

ولو ان الأمر كان محض الرغبة فى اشباع نزوة عنصرية أو الاستجابة لنزعة دينية متعصبة لما كان ثم ما يحول دون القصاص منهم جزاء وفاقا والقضاء عليهم قضاء مبرما بعد استسلامهم فى خيبر . ولكان لهذه النزوات والنزعات صدى عميق فى معاملة النصارى وهم أعمق فى الخلاف العقائدى مع المسلمين .

وثم شواهد كثيرة على سماحة المسلمين ورفقهم بمن يجنح من اليهود الى السلم والموادعة ، سواء قبل استتباب الأمر للمسلمين أو بعد خضوع البلاد لسطوتهم ــ نكتفى منها بالأمثلة الآتية :

١ ــ كان النبى عليه الصلاة والسلام حريصا على التزام التسامح الدينى مع اليهود بحسبانهم أهل كتاب سماوى ، امتثالا للسنن الاسلامى العام الذى نص عليه القرآن الكريم فى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ثم اعمالا لما ورد به خاصا بأهل الكتاب بالذات فى الآية ٤٦ من سورة العنكبوت « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا أنفسهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » ــ وفى الآية ٦٨ من سورة المائدة : « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » . وهذه السور كلها نزلت على النبى فى المدينة المنورة .

وقد حدث أن تساب مسلم ويهودى فقال المسلم والذى اصطفى محمدا على العالمين وقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين ، فلطم المسلم اليهودى فشكا الى النبى عليه الصلاة والسلام فدعا المسلم ونهره قائلا : « لا تخيرونى على موسى (١) » .

وقد تجلت روح التسامح الدينى بصفة خاصة بعد أن اظهر الله نبيه على اليهود وانتصر عليهم فى خيبر . فقد كان مما وقع فى أيدى المسلمين من الغنائم حينذاك صحائف متعددة من التوراة فلما طلبها اليهود أمر بتسليمها اليهم (٢) .

وكان من وصايا النبى لعامله معاذ بن جبل بعد هزيمة اليهود فى خيبر أن « لايفتن اليهود عن يهوديتهم (٣) » . وبناء على ذلك ظل يهود البحرين على دينهم .

وبالمثل فقد كانت ريحانة بنت عمرو فى الفىء بعد غزوة النبى لبنى

---

(١) صحيح البخارى الجزء الثالث صفحة ١٥٨ .

(٢) تاريخ الخميس للدياربكرى الجزء الثانى صفحة ٦٠ ــ وقارن ذلك بما فعله الرومان عقب فتحهم أورشليم حين داسوا كتب اليهود المقدسة بالنعال وأشعلوا فيها النيران .

(٣) فتوح البلدان للبلاذرى صفحة ٧١ .

قريظة فعرض عليها الزواج وضرب الحجاب فأبت فتركها الرسول حرة على دينها .

٢ ـ فضلا عن التسامح الديني ـ فقد كانت معاملة الرسول لأعدائه تتسم بروح انسانية كريمة تباين ماجرى عليه العرف الدولي حينذاك في معاملة المنتصر للمهزوم ، وتباين ما لقي اليهود على أيدي البابليين والرومان ، بل وما لقي العرب في العصر الحديث على يدي اليهود انفسهم .

فلقد صالح النبي يهود وادي القرى ـ بعد انتصاره عليهم ـ واقامهم على أراضيهم وذراريهم وأموالهم ، وفعل مثل ذلك مع يهود منطقة الكتيبة وبني غادية وعريض وفدك وتيماء وأهل مقنا وبني حنينة ، حيث صالحهم من غير قتال ولم يكلفهم سوى الجزية .

ولما حاصر النبي بني قينقاع واستسلموا له ، شفع فيهم عبد الله بن أبي سلول حتى رضي النبي أن يخرجوا من المدينة الى وادي القرى ، وهناك اقاموا ردحا من الزمن وانضم بعضهم الى بني النضير ثم رحل الباقون شمالا الى أذرعات على حدود الشام .

ولما اشتد القتال ببني النضير سألوا النبي أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة فصالحهم على ذلك .

وقد درج المسلمون في حروبهم على الا يقتلوا النساء والأطفال ، وربما كان قتلهم لامرأة من بني قريظة في حربهم لتلك القبيلة لأنها ألقت رحى على مسلم فقتلته فكان القصاص منها حقا وعدلا .

٣ ـ تباينت معاملة الرسول لعداء اليهود تباينا عماده التناسب بين الجرم والجزاء ، فقد كان يكتفي في غالب الاحيان بحملات تأديبية ينزع بها من ناصيته العداء من اليهود أو يقمع فتنة تطل برأسها لتتخرم المجتمع ، كما فعل مع يهود خيبر حين حرضوا أعداء المسلمين على محاربتهم وساهموا مع الأحزاب بنفوذهم وأموالهم في حصار المسلمين بالمدينة المنورة ، ثم غدروا بوفد من المسلمين بعث به النبي اليهم لمصالحتهم .

وكما فعل مع يهود بني قريظة جزاء لهم على نقضهم حلف الرسول واشتراكهم في غزوة الأحزاب .

حتى اذا ما امتثلوا واستكانوا وأمن جانبهم رفع عنهم يده ووسعتهم مغفرته وأضفى عليهم حمايته وأمنهم على أنفسهم وأموالهم .

ذلك بينما أصر عليه السلام على اجلاء بني قينقاع وبني النضير عن المدينة حين امعنوا في غلوائهم وغدا وجودهم خطرا على المسلمين يقض أمنهم ويهدد أرواحهم وأموالهم .

وبينما اكتفى بالنسبة لغير هؤلاء وأولئك بفرض الجزية عليهم في مقابل حمايتهم وتأمينهم ، وحتى هذه الجزية لم يفرضها على يهود البحرين وترك لهم الحرية الدينية الكاملة .

وكان دستوره في هذه السماحة ورحابة الصدر قول الله تعالى في

الآية ٨ من سورة الممتحنة التي انزلت على النبي خلال اقامته في المدينة المنورة :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

★★★

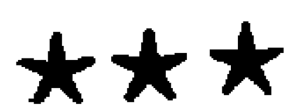
وهكذا بقيت طوائف يهودية كبيرة في بلاد الحجاز وفي المدينة المنورة ذاتها طوال عهد النبي عليه الصلاة والسلام : تنظم علاقاتها بالمسلمين مصالحات وعهود أبرمها النبي وظلت ناجزة مرعية بعد وفاته ، فأقرها أبو بكر الصديق حتى توفي ، ثم أقرها عمر بن الخطاب من بعده ، فأقام اليهود على أملاكهم وأموالهم — الا انه مالبث أن أمر يهود خيبر بالجلاء عنها الى تيماء وأريحاء بعد أن نكثوا العهد واعتدوا على — عبد الله بن عمر كما يروى أبو اسحق (١) .

ويزعم اليهود ان عمر بن الخطاب أمر باخراج اليهود من خيبر لما بلغه ان النبي عليه الصلاة والسلام قال في جعه الذي قبضه الله فيه « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» وحديث « أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب » ، وغير ذلك من الاحاديث التي زعموا انها تأمر باجلاء اليهود عن شبه الجزيرة العربية .

غير ان الواقع ينقض هذا الزعم ، فقد ظل اليهود في بلاد الحجاز طوال عهد الرسول ، كما ظلوا في بلاد اليمن وفي جهات متفرقة من اطراف الجزيرة العربية حتى اليوم لم يتعرض لهم المسلمون بسوء . كما بقيت الأغلبية لليهود في وادي القرى حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، ووجدت طوائف منهم في جهات تيماء في القرن الثاني عشر للميلاد (٢) .

ولهذا فان فريقا من الباحثين الافرنج انفسهم وعلى رأسهم العالم ليزنسكي Leszynsky لا يطمئنون الى ما زعمه اليهود سببا لمناهضة عمر بن الخطاب ليهود الحجاز ويقولون بأنه مختلق . وقد أعلن ليزنسكي ارتيابه في الاحاديث المنسوبة الى النبي في هذا الصدد ، وقرر انها موضوعة ظهرت بعد وفاة الرسول لأغراض خاصة ، وهو يدعم ارتيابه في صحتها بأنها لم ترد في كتب صحاح الأحاديث المعروفة (٣) .

أما عن اغلاق مدينة بيت المقدس ( ايلياء ) في وجه اليهود بعد فتح الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب — فقد كان شرطا وضعه نصارى المدينة — التي كانت في حوزتهم — لتسليمها لخليفة المسلمين ، وذلك تأمينا لهم من شرور اليهود التي طالما ابتلوا بها .



(١) سيرة ابن هشام الجزء الثالث صفحة ١٩٧ .

(٢) كتاب تاريخ اليهود في بلاد العرب للدكتور اسرائيل ولفنسون ( أبي ذؤيب ) صفحة ٨٦ — وقد كان الدكتور ولفنسون مدرسا للغة العبرية بجامعة القاهرة ثم رحل الى اسرائيل فور قيامها حيث عمل بها كبيرا لمفتشي اللغة العبرية .

(٣) المرجع السابق صفحة ١٨٤ .

وبعد ، فاننا فى تقييمنا لدعوى الصهيونيين التى يسوغون بها اطماعهم فى بقاع من الحجاز ، يزكو بنا ابتداء أن ننوه بالحقيقة التاريخية التى تسلم بها التوراة ذاتها ، ومقتضاها أن اليهود القدامى فى البلادالتى كانت لهم بهـا اقامة فى أرض الحجاز كانوا دخلاء وافدين من انحاء الشام ، مجرد لاجئين هبطوا اليها فرارا من قهر الغزاة وضنك الحياة ، فآوتهم حين لاذوا بهـا ووسعتهم رحابها حين ضاقت بهم منازحهم .

وأخيرا — واجهازا على مزاعم الصـهيونيين بأن اضطهادا حاق بهم فى صدر الاسلام استنفرهم من مقامهم فى شبه الجزيرة العربيـة — وفى منطقة يثرب بالذات — الى الشام كرة أخرى ، بحسبنا أن نسجل — بالاضافة الى ما فصلنا آنفا — شهادة العالم اليهودى اسرائيـل ولفنسون فى مقـدمة كتابه « تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام » فى تعليل الخلاف الذى نشب بين الرسول ويهود يثرب حيث يقول :

« كانت الضرورة الطبيعية لنجاح مشروعات المسلمين تقضى حتما بوقوع العراك الشديد بين الطرفين — ومن أجل ذلك فقد تغيرت الحالة تغيرا جوهريا بعد أن انتهت الخصومة السياسية بين الرسول وبطون يثرب ، حتى شرع اليهود ينظرون بعيون الاكبار والاحترام الى جيوش المسلمين التى كانت تغمر كالسيل أقطار العالم ونواحيه .

الى أن يقول :

« وقد كان اليهود فى أغلب مدن العراق يخرجون لاسـتقبال جيـوش المسلمين بالحفاوة والاكرام لأنهم يؤثرونهم على غيرهم — اذ يرون فيهم قوما يؤمنون بالله موسى وابراهيم .

« ولقد ازدادت هذه الروابط متانة مع الزمن حتى دخل اليهود فى جيوش المسلمين ليقاتلوا معهم فى أقاليم الأندلس .

« وينبغى ألا يغيب عن البال أن الخسارة القليلة التى لحقت بيهود بلاد الحجاز ضئيلة بالقياس الى الفائدة التى اكتسبها اليهود من ظهور الاسلام ، فقد أنقذ الفاتحون المسلمون آلافا من اليهود كانوا منتشرين فى أقاليم الدولة الرومية وكانوا يقاسون ألوانا شتى من العذاب » .

## دعوى معاداة السامية
## والاضطهاد النازى

لقد فطن الألمان الى أصبع اليهود فى الفضائح المالية التى اجتاحت المانيا فى القرن التاسع عشر على مابينا آنفا ، فالتهبت نفوسهم بالحقد عليهم وظهرت حركة العداء العنيف التى اتخذت شكل المناهضة العنصرية لليهـود ، والتى نادى بها ابتداء الفيلسوف الألمانى هنريخ فون تريتشكة الاسـتاذ فى جامعـة برلين وصاحب العبارة المشهورة «ان اليهود بلاؤنا» وتكونت لتنفيذ هـــذه السياسة «عصبة محاربة السامية» .

وقد كان من أسباب ذلك التدهور الشامل الذى أصاب المجتمع الالمانى سيطرة اليهود على شئون الحياة فى المانيا بما عرف عنهم من جشع شديد وشره للمال ، وتصور مسز فاجنر ــ أرملة الموسيقى الالمانى المشهور ــ للورد بلفور احتكار اليهود لأسباب الحياة وشئون المجتمع فى المانيا قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى بقولها (١) « ان اليهود فى المانيـا قـد اسـتولوا على المسرح والصحافة والتجارة والجامعات الألمانية . وانهم يضعون فى جيوبهم بعد مائة عام فقط من تحريرهم كل شىء بناه الألمان فى قرون» .

وامتدادا لهذه الحركة العنصرية ، وعلى هدى من كتابات هنريخ فـون تريتشكة ــ فقد تكون فى فينا فى أواخر القرن التاسع عشر « الحزب المعادى للسامية » بزعامة الأمير ليختنشتين والدكتور لوجر ــ يهدف الى الحد من النفوذ اليهودى الانانى الهدام الذى استفحل فى البلاد .

وبذلك يتضح بجلاء أن دعوى معاداة السامية ليست دعوى جزافية وانما كان المقصود بها اليهود ابتداء وليس العنصر السـامى على اطـلاقه ، وذلك تأسيسا على مايدعيه اليهود من أنهم ينتمون الى الجنس السامى (٢) .

ومن ناحية أخرى فقد كانت تعاليم التلمود من أسباب انفجار الشعور العدائى ضد اليهود ، فقد أفاض الكتاب فى شرح ماتنطوى عليه هذه التعاليم من فلسفة هدامة وسياسة مخربة وعداء مسـتحكم ضـد المجتمعات غـير اليهودية ــ وقد بدأ الحملة ضد اليهود العالم الألمانى ايزنمنجر Fisenmenger فى القرن الثامن عشر .

---

(١) كتاب الصهيونية فى المجال الدولى للدكتور محمد عبد المعز نصر صفحة ١٠١ وقد نقل وايزمان هذا الحديث عن اللورد بلفور .

(٢) سوف تثبت فيما بعد خطأ الزعم القائل بأن اليهود ينتمون الى الجنس السامى عند بحثنا لدعوى القومية اليهودية .

ومن ثم اندلعت الحركات الشعبية المعادية لليهود ضـارية عاتيـة ، خصوصا بعد ما أشيع أن اليهود فى ممارستهم لطقوسهم الدينية يقدمون قربانا بشرية من المسيحيين .

وقد بلغ اضطهاد اليهود فى المانيا النازية غايته من القسوة والعنف ، مما أودى بحياة الكثيرين منهم واستصفى اموالهم وتفزعهم فى فجـاج الارض أوزاعا لايلوون على شيء ، يلتمسون مهجرا مأمونا يلوذون به حذر الموت الذى يلاحقهم ويقفو آثارهم حثيثا .

بيـد أن هـذا الاضـطهاد لم يكن مرده التعصب العنصرى كما يـدعى الصهيونيون ، وانما كان مبعثه ذات الأسباب التى كانت مثار الشكوى من سائر الدول التى رزئت باليهود ، ومبناها السلوك اليهودى المأثور الذى استفحل شره فى المانيا وكان من أسباب تدهورها الاقتصادى والسـياسى ، وقـد كان مؤدى هذه الظروف التعسـة هزيمتها فى الحرب العالمية الاولى واكراهها على التسليم للحلفاء ، بما فرضت عليها معاهدة الصلح بفرساى من شروط بالغة القسوة .

فقد تولى اليهـود زمام الأمور فى المانيا وقتذاك فكان منهم بروس وزير الداخلية وهاس وزير الخارجية وشيفر وزير المالية ــ كما كان وزراء بروسيا جميعا من اليهود . وفضلا عن ذلك فقد كان حاكم بافاريا وحاكم المجر يهوديين، وكان الوفد الألمانى فى مؤتمر الصلح بباريس مكونا كله من اعضاء يهود .

ولقـد كانت معـاهدة فرساى وعصبة الأمم كلها من وحى الصهيونيين وصنع اليهود ، وقد صرح الزعيم الصهيونى ناحـــوم زوكونوف فى المؤتمر الصهيونى المنعقد فى كارلسباد سنة ١٩٢٢ بأن عصبة الامم فكرة يهودية وأنها صنيعة لليهود (١) .

ويعترف لوسيان وولف مندوب الجمعيات اليهودية الذى حضر اجتماع مجلس عصبة الامم فى جنيف «بأن هذه العصبة تتفق قراراتها مع انبل التقاليد اليهودية واقدسها ، وأن واجب اليهود المقدس ان يؤيدوا هذه العصبة بجميع الوسائل الممكنة (٢) » .

وقد أيد هذا الرأى الزعيم الصهيونى اسرائيل زانجويل .

ولقد كانت معاهدة فرساى تحقيقا للمخطط الصهيونى الذى يرمى الى تقويض أركان العالم تمهيدا للسيطرة اليهودية على مقدراته ، فكانت وبالا على الدول جميعا ، المنتصرة فيها والمهزومة على السواء ، بما خلف من مشـــاكل سياسية واقتصادية ، حتى شاعت بينها الفاقة والقلق وأدت الى انقســام العالم الى كتل دولية متناوئة متطاحنة ، كان من جرائها قيام الحرب العالمية الثانية بدلا من القضاء على أسباب الشحناء والبغضاء .

---

(١) كتاب فلسطين والضمير الانســانى للأستاذ محمد على علوبة صفحة ١٦٥ .

(٢) عن كتاب مقدمة قرارات حكماء صهيون بالفرنسية ــ طبعة برنار جراســيه سنة ١٩٢٧ وأشار اليه الأســتاذ محمد على علوبة فى كتابه « فلسطين والضمير الانسانى » صفحة ١٣٠ .

ولم يفد من هذه المعاهدة سوى اليهود أصحاب المصارف وبيوت المال ، فقد أجزلت لهم الثراء ووفرت لهم الاموال الطائلة والنفوذ القوى .

ولقد نشأ أدونف هتلر وسط الظروف العصيبة التى تناوحت البلاد من كل جانب وأحس بكل الويلات التى جرها اليهود على وطنه ، وحرك فى أطوائه عوامل الحقد ما ألم بنفسه من شرورهم ومفاسدهم واستئثارهم بخيرات بلده ثم جحودهم له وقيامهم بأعمال التجسس ضده والخيانة له .

فلما آلت اليه زعامة المانيا وأصبح مستشارا للرايخ الالمانى عقد العزم على التخلص من شرورهم ، حماية لكيان المانيا واقالة لعثرتها من الانهيار ، فتوفر على استئصال اليهود أينما ثقفوا ، ولم يكن التعصب العنصرى رائده عند اختيار هذه السبيل الوعرة ، بدليل أن العنصرية التى كان يعمل على احيائها بين بنى وطنه — كانت للجنس الآرى ضد شعوب الجنس السامى قاطبة ، بينما لم يلق غير اليهود من سائر الشعوب السامية — ما لاقى اليهود من اضطهاد واعنات .

وقد كان أوتوشتراسر احد مؤسسى الحزب النازى ثم انشق عليه اخيرا وأصبح من أكبر معارضى الهر هتلر — وهو يصف أحوال المانيا فى عام ١٩١٩ فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ويكشف عن أساليب اليهود لابتزاز الأموال واثارة الفتن ، ودورهم فيما حل بالبلاد من دمار وافلاس حيث يقول :

« (١) وانطلق هؤلاء التجار الجشعون (يقصد اليهود) يستغلون جوع الشعب ، وتدهور قيمة المارك فجعلوا يبتاعون المؤن من البلاد الاجنبية ويبيعونها فى المانيا بأسعار مرتفعة جدا ، ولم يكتفوا بذلك بل استغلوا مصرف الرايش (الرايخ) نفسه ثم تسللوا بمهارة الى دور الحكومة ومصالحها واتصلوا بكبار الموظفين والوزراء انفسهم ، فشككوا الجماهير فى أولئك الذين كانوا يمثلون السلطة ويدافعون عن الطبقة الفقيرة المخدوعة بحكم عملهم ، وحدثت فضائح من بعض يهود غاليسيا امثال «كوتسكر» و «بارمات» و «سكلاريك» هزت صرح المالية الألمانية المتداعى الأركان ، وأثارت فى البلاد موجة من السخط والاشمئزاز ، وواصل الاخوان «بارمات» اللذان طردا من الرايش أعمالهما الفاضحة فى هولندة ، حيث ظهر لهما فى العام الماضى عمل آخر من أعمالهم ومناوراتهم المجرمة ،

« أما الاخوة الثلاثة «سكلاريك» فانهم قد رحلوا الى تشيكوسلوفاكيا حيث استأنفوا أعمالهم ومشاريعهم القذرة » .

ثم يصف هتلر تغلغل اليهود فى المانيا فى ذلك الحين ويكشف عن أهدافهم الباغية ، وعن أساليبهم الملتوية الماكرة لتقويض المجتمع والسيطرة على مقدراته ، مما دعاه الى أن يختصهم بالاضطهاد فيقول :

« (٢) أن مصدر الشر كله هم هؤلاء اليهود . انهم يسممون العالم . ومنذ

---

(١) كتاب أنا وهتلر تأليف أوتو شتراسر وترجمة الأستاذ عبد الحليم سليمان كساب مطبعة دار المستقبل بالقاهرة صفحة ٢٣ و ٢٤ .

(٢) المرجع السابق صفحة ١٣ و ١٤ .

معرفتى اياهم وفهمى لهم لم التق برجل فى الطريق الا سألت نفسى هل هو يهودى ام لا .

« فالصحف الاشتراكية الديموقراطية يديرها اليهود . وهؤلاء اليهود يخفون مبتكرات شيطانية تحت ستار من الآراء والافكار الاشتراكية ، فهم يريدون أبادة الامة وازالة الفوارق العنصرية ، وهم يقودون العمال ويقولون بتحسين حالهم، والحقيقة أنهم يرمون الى استعبادهم وقتل وطنيتهم وشرفهم لاقامة الدكتاتورية الصهيونية الدولية . وسيحققون بالقوة ما لم يمكنهم تحقيقه بالاقناع » .

« وجمعيات هؤلاء اليهود منظمة تنظيما دقيقا . فلهم مساعدون فى جميع مصالحنا الادارية حتى فى أعلى المراكز وارقاها ، ويعاونهم اخوانهم فى الملة فى جميع انحاء البلاد فهم خميرة التخريب والهدم ، يجرون الفرد والشعوب الى مهاوى الانحطاط والامتهان » .

واخيرا يصور هتلر الطبيعة اليهودية تصويرا منكرا فى مجمل قوله : (١).

« اليهودى رمز للشيطان ولم يخلقه الله بل خلقه اله آخر » .

فهو لم يشر الى العنصرية كحافز له على سياسته العنيفة ضد اليهود ، وانما كان الحفاظ على كيان الدولة ودرء الشرور والمفاسد عنها هما رائده وعماد سياسته .

ولئن غشت الاسباب السلوكية التى دعت الى اضطهاد اليهود فى المانيا مسحة عنصرية ، فان مرد ذلك اعتبارات ايديولوجية خالصة ، نتيجة التنازع على خصيصة الامتياز العنصرى بين الالمان ـ صفوة الجنس الآرى ـ من جهة ، وبين اليهود ـ شعب الله المختار ـ من جهة اخرى ، وما استتبع ذلك من صدام وجدانى حاد بين الصلف الالمانى والاستعلاء اليهودى .

وقد اذكى الصدام العقائدى والغرور العنصرى بين الفريقين اوار الاضطهاد وضاعف من حدته وتصاعده .

---

(١) كتاب هتلر قال لى تاليف الدكتور هرمان راوشننج من زعماء النازى ورئيس مجلس شيوخ دانزيج ترجمة الأساتذة صادق راشد ومحمد كامل حسن وعبد الحميد فائق الطبعة الثالثة بالقاهرة صفحة ١٧٦ .

## السلوك اليهودى هو علة الاضطهاد

لا جرم أن سلوك اليهود هو العلة الوحيدة لما منوا به من اضطهاد اينما ثقفوا وعلى مدى الأعصر ، فلما أن افتقدوا من يستصرخونه ويجيرهم عمدوا الى خداع الرأى العام العالمى ، فعزوا مايتعرضون له من اضطهاد مروع فى أوروبا الى نزعة عنصرية تتعصب ضد الجنس السـامى كافة ـ أطلق عليهـا أحيانا اسم حركة اللاسامية ـ وهم يبتغون من اشاعة هذه الفرية دفع مانسب اليهم من سلوك مقيت مثير للحفائظ ، ثم اكتساب أنصـار لهم من العنـاصر السامية ينتصرون لهم ويشدون من أزرهم .

بيد أن اضطهاد اليهود نتيجة لمعاداة السامية ان هى الا دعوى مفتراة غير سائغة توشك أن تجوز على الرأى العام العالمى ، يدحضها ماأسلفنا من وقائع مجزوم بها بررت ذلك الاضطهاد ، فضلا عن أن أيا من الشعوب السامية لم يتعرض لما تعرضت له طائفة اليهود من ازدراء ومهانة ومقت ، وأخيرا فان اليهود أنفسهم ينتمون الى أجناس مختلفة ومختلطة سـامية وغير سـامية يستحيل معها ردهم الى جنس معين كما سنبين فيما بعد .

وقد اسلفنا كيف أن معاملة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ليهـود الحجاز كان طابعها الوئام وحسن الجوار ماأخلدوا الى السلم والموادعة ، ولم يجنح المسلمون الى المضاغنة والغلظة الا كاجراء أمن وقائى اقتضته مجابهة السلوك اليهودى المأثور ، لردع كلبه وكف نبوه كلما غلب على اليهود ديدنهم وأملى لهم كيدهم فنزعوا الى المألوف من شرتهم وتحللوا من العهودوالمصالحات التى عقدوها مع المسلمين ، حتى اذا ماأقلعوا وارعووا وضع الاحتراب أوزاره ووسعتهم أكناف المسلمين الوادعة الآمنة .

★★★

والواقع أن اليهود هم الذين وضعوا على أبصار العالم المناظير السوداء التى تتبدى وجوههم من خلالها كالحة زرية بغيضة تثير السخط والنفور .

فان السلوك الجانح الذى التزمه اليهود تنفيذا لتعاليم احبارهم المتوارثة كان السبب المباشر لنفور المجتمع منهم وتحـامله عليهم ، وابتعاث الأسباب السياسية والاجتماعية التى ينادى بها الصهيونيون ذريعة لاقامة وطن قومى لهم .

وان فى اتباع الشرائع والتعاليم التى يحضهم كهنتهم على الامتسـاك بهـا مايستثير مشاعر البغض والازدراء من حولهم ، ثم هى تفرض عليهم التعصب الطائفى واصطناع العزلة الاجتماعية التى اتخذوا انفسهم بها ثم راحوا يشكون منها .

★★★

وبعـد ، فأيا ماكانت الاسـباب العامة للاضـطهاد التى يتذرع بهـا

الصهيونيون ـ فليس ثمة مايشكون منه الآن بعد ان كفلت الدساتير العالمية المساواة المدنية والسياسية لمواطنيها كافة ، على اختلاف مذاهبهم الاجتماعية ونحلهم الدينية ، وبعد أن سقطت آخر مظاهر التعصب العنصرى ضد اليهود بسقوط حكومة هتلر النازية فى المانيا ، واصبحت المانيا الغربية الآن أكبر حليف لليهود تؤازر بالمال والعتاد دولتهم اسرائيل تعويضا عما لاقى اليهود على ايدى النازيين .

ثم بعد أن تحولت روسيا من معتقل يعانى فيه اليهود الشظف والضيق الى منطلق حر لنشاطهم وجهودهم حتى وسعتهم أرفع مناصب الدولة ، فكان منهم قادة الثورة البلشفية وأرباب الصولة والسلطان فى الحكومة الروسية الحمراء ، فكان ياكوف سوفورديلوف صديق لينين الحميم أول رئيس للجمهورية الروسية ، كما تبوأ بنيامين ديمشنس مناصب نائب رئيس الوزراء فى الاتحاد السوفييتى ورئيس اللجنة الادارية الحكومية لشئون المواد الخام والتجهيز التكنيكى وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، وتولى سيمون جينسبرج رئاسة بنك التعمير والانشاءات فى الاتحاد السوفييتى ، واصبح اللفتنانت جنرال دافيد دراجنسكى اليهودى قائدا لسلاح الدبابات ورئيسا لاكاديمية المهندسين فى الجيش السوفييتى .

ولقد نشرت مجلة جويش ابينيون الامريكية مقالا فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ بتوقيع دابى ستيفن وايز نوهت فيه بما حصل عليه اليهود فى روسيا بعد قيام الثورة البلشفية من حقوق وحريات لم يظفر بمثلها اليهود فى اية دولة أخرى .

وقد تأكدت هذه الحقوق والحريات بحماية قانونية صارمة واعتبرت معاداة السامية ـ مصدر العداء والهوان لليهود فى أوروبا ـ جريمة وطنية معادية للثورة البلشفية ذاتها .

كما اشارت تلك المجلة الى ان اليهود كانت فى أيديهم مقاليد الحكم الفعلى فى روسيا كفاء ما أبلوا فى انجاح الثورة البلشفية ، اذ بلغت نسبة ما دان لهم من المناصب الرفيعة فيها ٦١٪ منها ، فكان منهم رئيس البنك المركزى وقائد الجيش فى اكرانيا ومعظم أساتذة الجامعات والسفراء ورجال القضاء والادارة العليا .

وأخيرا ، وليس آخرا ، فقد اتخذ اليكسى كوسيجين رئيس مجلس الوزراء السوفييتى الحالى سكرتيرة يهودية له .

وفضلا عن ذلك كله فان اليهود يتمتعون فى الاتحاد السوفييتى بحرية فكرية رحيبة ، فلهم مجلة شهرية تصدر باللغة العبرية تعرف باسم سوفيتش هايملاند ، كما أن لهم مسرحا خاصا تقدم عليه التمثيليات بلغتهم العنصرية المحلية «اليديش» التى مازالت منتشرة بين كثير من اليهود الروس .

★★★

وبذلك انحسر القناع عن الدافع الصهيونى المغرض الذى يكمن وراء التعلل بحجة الاضطهاد ضد اليهود ـ ولعل فيما يذكر آرى تاتاكودار ـ استاذ علم الاجتماع فى الجامعة العبرية ، وصفا لليهودى الحق أو الصهيونى بعبارة

أوضح — مايقضى على فكرة ارتباط الحركة اليهودية الصهيونية بالاضطهاد أو الشعور بالظلم ، تلك الحركة التى ترمى لا الى مجرد ايجاد ملاذ لليهود المضطهدين يعصمهم من ويلات العسف ، وانما تهدف أولا الى انشاء دولة عنصرية يهودية — حيث يقول (١) : —

« أن اليهودى حقا هو من يشعر بأن هناك مشكلة يهودية حتى لو عاش بمفرده فى جزيرة نائية» .

وهو يقصد باليهودى حقا ذلك الذى يؤمن بما ورد فى الكتب المقدسة اليهودية ويحرص على الامتثال لتعاليمها بلهفة وشغف ويقين ، وباعتبار أن المشكلة اليهودية هى المشكلة الخالدة التى بعثتها التعاليم المقدسة : مشكلة أرض الميعاد وشعب الله المختار — وهى مشكلة دينية عميقة لا علاقة لها بالاضطهاد أو الشعور به لأنها نابعة من الكتب المقدسة مباشرة كعقيدة ملزمة مناطها الوجدان الدينى بغض النظر عن اى سبب آخر قد يتمحل به .

★★★

ولعل ابلغ ما نختم به هذا البحث ، قول الفيلسوف برتراند راسل فى رسالته الى المؤتمر الدولى للبرلمانيين المنعقد بالقاهرة فى فبراير سنة ١٩٧٠ بشأن ازمة الشرق الأوسط وعدوان اسرائيل على البلاد العربية :

« ان ما تقوم به اسرائيل لا يمكن أن يغتفر ، وان اثارة أهوال الماضى لتبرير أهوال الحاضر نفاق صارخ (٢)» .

---

(١) مشار اليه فى كتاب اسرائيليات تاليف الأستاذ أحمد بهاء الدين الطبعة الثانية بدار الهلال بالقاهرة صفحة ٦٨ .

(٢) الرسالة منشورة فى مجموعة وثائق المؤتمر الدولى للبرلمانيين بشأن أزمة الشرق الأوسط — الناجمة عن عدوان اسرائيل على البلاد العربية فى يونيو سنة ١٩٦٧ — والمنعقد بالقاهرة فى المدة من ٢ الى ٥ فبراير سنة ١٩٧٠ صفحة ٦٥ .

# الباب الثالث

# المقومات الاجتماعية القومية اليهودية

## المبحث الثالث

## الباب الثالث

### الفصـل الأول

### التعريف بالشعب والأمة والدولة والقومية

**الشعب :**

تصبح الجماعة من الناس شعبا حين تحس بطابعها الخاص وبصفاتها التى تميزها عن الجماعات الاخرى .

**الأمة :**

ويصبـح الشـعب أمة اذا توافر له الاسـتقرار على بقعـة معينة من الارض .

**الدولة :**

وتصبح الامة دولة اذا قامت من بينها هيئة تمارس سلطات الحكم فيها ؛ فعنصر الاستقرار فى بقعة معينة من الارض شرط لازم لكى يصبح الشـعب أمة ويكتسب مقوماتها (١) .

غير أن هذا العنصر المادى يتطلب عنصرا معنويا أصيلا يضفى على الامة طابعها السياسى يعرفه هوريو (٢) بوجود رابطة روحية من شأنها أن توثق شعور الوحدة بين الجماعة .

ويخلص هذا العنصر المعنوى فى الرغبة المشتركة بين افراد الشعب فى العيش معا وتكوين وحدة سياسية ــ أو بمعنى آخر ــ على حد تعبير الفيلسوف الفرنسى رينان (٣) : وجود أهداف مشتركة تعمل الجماعة على تحقيقها على

(١) راجع كتاب القانون العام للأستاذ بونار Roger Bonnard أستاذ القانون العام فى فرنسا طبعة سنة ١٩٤٤ صفحة ٣ .

(٢) أنظر فى ذلك موجز القانون الدستورى للأستاذ هوريو Hauriou طبعة سنة ١٩٢٣ ص ٣٥

(٣) كتاب المفصل فى القانون الدسـتورى تأليف الدكتور عبد الحميد متولى مطبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ الجزء الأول صفحة ٢٠٩ .

مايتسع له مضمون هذه الاهداف من شئون الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

**القومية :**

القومية مناطها الأمة فهى جماع عناصرها واركانها المادية والمعنوية ومقتضاها وجود روابط وجدانية واجتماعية ثابتة توثق الفرد بامته بنوع من القرابة المعنوية فى مجموعة متماسكة ، وتضفى عليه خصائصها ومميزاتها الذاتية .

فالقومية هى مجموعة العناصر التى تحول الشعب الى امة متجانسة وتتحقق بها سمات الانتماء اليها والارتباط بها .

**عناصر القومية :** لقد اختلف العلماء فى تحديد عناصر القومية غير انها لا تخرج فى مجموعها عن طبيعة التكوين الجسمانى والنفسى والثقافى وارتباط المصالح الاجتماعية والمادية ، ومقتضاها وحدة الأصل أو الجنس ووحدة اللغة ووحدة الدين ووحدة الثقافة ووحدة التاريخ ثم وحدة الوطن الجغرافى — بما تفرضه هذه العناصر من سمات جثمانية وآثار نفسية وانطباعات فكرية وحياة مستقرة اجتماعية واقتصادية وسياسية مشتركة .

ويشترط ابتداء فى العناصر الفعالة فى تكوين القومية أن تكون ثابتة اصيلة غير طارئة ولا مكتسبة ؛ وليدة أجيال متعاقبة . ثم اجتماعها متكاملة متكافلة .

وتتفاوت العناصر التى عددناها فى فاعلية كل منها وأصالتها فى تكوين القومية ، فثم من يهون من فاعلية هذا العنصر أو ذاك او ينكر عليه فاعليته بتاتا — فمن علماء الاجتماع والتاريخ من يحصر مقومات القومية فى عناصر التاريخ واللغة والموطن والثقافة (١) .

ومنهم من يقصرها على عنصرى اللغة والتاريخ ويستبعد سائر العناصر وخاصة عنصر الرقعة الجغرافية (٢) .

بينما يعرف البعض الآخر القومية بأنها(٣) « عقد اجتماعى فى شعب له لغة مشتركة وجغرافية مشتركة وتاريخ مشترك ومصير مشترك ومصلحة اقتصادية مادية مشتركة وثقافة نفسية مشتركة . وهذا العقد يجب أن يكون فيه كل هذه المقومات مجتمعة — اما السلالة والدين والعنصرية فلا تشكل مقومات للقومية » .

---

(١) كتاب « دراسات فى العالم العربى تأليف الدكتور محمد أنيس اصدار معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة للدول العربية سنة ١٩٥٨ صفحه ٣١٠ .

(٢) يؤيد هذا الرأى الأستاذ ساطع الحصرى فى مؤلفاته : « ماهى القومية » مطبعة دار العلم للملايين ببيروت صفحات ٤٥ و٤٦ و٢٥١ و « حول القومية العربية » لنفس المطبعة الطبعة الأول سنة ١٩٦١ صفحة ٩٤ وما بعدها و « آراء وأحاديث فى القومية والوطنية » صفحة ٣١ .

(٣) كتاب معنى القومية العربية تاليف الدكتور جورج حنا — طبع بيروت سنة ١٩٥٧ صفحة ٣٠ .

ويكتفى كثير من العلماء بتأثير البيئة الطبيعية فى تكوين القومية أمثـال فشت ( فيختة ) وهيجل فى ألمانيا وبرجس فى الولايات المتحدة الامريكيـة ، حيث يقولون بأن القومية وليدة الوحدة الجغرافيـة لأنها مثـابة الارتبـاط بالعوامل المناخية والنفسية واللغوية والنظم السياسية والتقاليد الاجتماعية . تلك التى تتمخض أخيرا عن جنسية وطنية مشتركة .

هذا ، ولقد انعقد اجماع العلماء فى العصر الحـديث على اغفـال عنصر الأصل أو الجنس كعامل فعال فى تكوين القومية والاعتراف بما لها من حقوق أقرتها النظريات العلمية الحديثة .

على أن وحدة الجنس ومثلها وحدة الدين ـ كلتاهما قد فقدتا فاعليتهما وصلاحيتهما للاعمال فى المجتمع الحديث . ذلك لأنهما يكونان اقوى وافعـل فى خلق القومية المشتركة لدى القبائل البـدائية فحسب ، فهما منـــاط العصبيات الراســـخة بين تلك المجتمعــات الفطرية التى توثق بين افرادها ويخضعون لأحكامها .

## الحقوق السياسية للقوميات

نقصد بالحقوق السياسية للقوميات مدى أحقية الجماعات القومية فى التمتع بالاستقلال بالحكم وشئون الادارة العامة ، ونخص من الجماعات القومية تلك التى تشترك فى وطن واحد مع قوميات أخرى تتمتع بالأغلبية العددية ، حيث قد تتضارب المصالح العامة وتتنازع السياسات القومية على مناطق السلطة ومظاهر النفوذ .

أما ما عدا ذلك من حقوق الأقليات فليست مجال بحثنا، فان المعاهدات الدولية وقرار الجمعية العامة لعصبة الامم الصادر فى سنة ١٩٢٣ وكذلك ميثاق الأمم المتحدة ثم اعلان حقوق الانسان الصادر من الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ كلها قد كفلت للاقليات المواطنة سواء أكانت فردية ام جماعية حريات مدنية ودينية وسياسية أصبح مسلما بها من جميع الدول .

فقررت لكل فرد بصفته عضوا فى المجتمع حقوقه الأساسية فى الحياة وفى الحرية الشخصية والدينية والفكرية والسياسية ، وفى التمتع بالمساواة مع سائر افراد المجتمع فى الدولة فى الحقوق والواجبات وفى التعيين فى الوظائف العامة ، وذلك دون تمييز بسبب الجنس او اللون او اللغة او الدين أو الرأى السياسى او اى رأى آخر ، أو الأصل الوطنى أو الاجتماعى أو الثروة أو الميلاد أو اى وضع آخر ، ودون تفرقة بين الرجال والنساء .

كما قررت للاقليات المختلفة ــ سواء كانت عنصرية ام دينيه ام لغوية ــ حقوقا خاصة فى الدول التى تقيم فيها ، يقتضيها مجتمع الاقلية ولا تتعارض مع المصالح الأساسية للدول ، كاستعمال لغتها الخاصة واقامة مؤسسات ثقافية ودينية واجتماعية خاصة ، وذلك بالاضافة الى الحقوق العامة التى يخولها اكتساب جنسية الدولة ، ثم سائر الحقوق المكفولة للفرد بصفته عضوا فى المجتمع .

غير أن محكمة العدل الدولية الدائمة قد تحفظت فى رأيها الرابع الذى اعلنته فى عام ١٩٣٢ فى صدد حقوق الأقليات فقررت أن هذه الأقليات لاتستطيع أن تطالب بامتيازات لا يتمتع بها سائر الرعايا فى الدولة .

وقد حظيت حقوق الفرد بضمانات دولية وبضمانات دستورية فصلتها الدساتير المختلفة تفصيلا محيطا .

وعلى الرغم من ان الحركات القومية الاستقلالية قد حظيت بتأييد جمهرة الكتاب فى القرن التاسع عشر ، وعلى الأخص رينان فى فرنسا وكلهون وليبر وبرجس فى الولايات المتحدة الامريكية وفشت وسافينى وبلانتشلى فى المانيا وماتزينى فى ايطاليا وكشوت فى المجر وبلاكى فى بوهيميا واكتيل فى ايرلنده ،

بيد أن الآراء تباينت فى مدى احقية القوميات فى الاستقلال بتنظيمها السياسى .

فقد أنكر البعض نشوء أى حق سياسى خاص للقوميات ، باعتبار أن الوعى القومى انما هو شعور معنوى خالص مرتبط بالفكر الباطن كالعقيدة الدينية (١) أما النظم السياسية فان مناطها العلاقات الاجتماعية والتنظيمات الخارجية ؛ ومن ثم فمن حق الدولة المطلق أن تضم كافة الشعوب التى تحتويها بغض النظر عن قوميتها الخاصة .

ويعترض هذا الرأى على منح حقوق سياسية للقوميات لما ينجم عن ذلك من تمزيق للقوى وتشتيت للجهود الجماعية فى الاقليم الجغرافى الواحد، ثم ما تثيره النزعة القومية من غرور وتعصب عنصرى ، وما يتبع ذلك من اضطهادات ومشكلات اجتماعية وسياسية فى المحيط المحلى وفى المجال الدولى ، طالما عانت منها البشرية على مر العصور .

غير أن هذا الرأى ان جاز فى ظل النظريات التى لا تعتد بالاقليم الجغرافى كعنصر أصيل من عناصر القومية ، فانه لا يجوز فى نطاق الرأى الراجح الذى يعتبر الرقعة الجغرافية العنصر الفعال الأصيل فى مقومات القومية .

ومن ثم فان الرأى السائد فى العصر الحديث — عصر انهيار الاستعمار وانكار الاستعباد السياسى فى شتى صوره — وفى ظل نظريات حقوق الانسان وحق الشعوب فى تقرير مصيرها — يسلم بحق القوميات فى اختيار النظام السياسى الذى ترتضيه وتدين له .

وانه مع التسليم للقوميات ذات الأغلبية العددية بحق التمتع بالاستقلال السياسى فى نطاقها الجغرافى ، فان التساؤل يثور عن مدى الحقوق السياسية المخولة للاقليات القومية التى تتخلل الأكثرية الغالبة وتعيش بين ظهرانيها .

فاذا لم تتميز الأقلية بالتجمع فى صعيد واحد يضمن لها الغلبة العددية فيه وكانت متناثرة فى رحاب الأغلبية مبثوثة فى اكنافها من غير تركيز عددى، فلن يسعها حينذاك الا أن ترضخ للواقع وتندمج فى المجموعة الغالبة وتذوب فيها وتستسلم لحركة الامتصاص التى تقضى بها سنة العلاقات الاجتماعية بين البشر . ولا يكون لها حينذاك الا ضمان المساواة فى الحقوق وفى الالتزامات .

ثم يمتنع عليها الاستقلال السياسى لافتقارها الى اقليم جغرافى محدد تمارس حياتها فى ربوعه ؛ وحيث لن يتوفر لها هذا الاقليم الا عن طريق الغصب واغتصاب الشعوب الأخرى مما لا تقره العدالة ويتنافى مع حقوق الانسان المسلم بها .

ولا يثور التساؤل الجدى الا حيث تتجمع الأقليات فى اقليم معين — اذ انه ليس من صالح البشرية تمزيق أوصالها فى قوميات مستقلة صغيرة فى معترك الحياة الصاخب ، حيث تصطرع القوى ولا يكون بقاء الا الاقوى ؛

---

(١) كتاب تاريخ النظريات السياسية وتطورها تاليف الأستاذ حسن خليفة — الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٣٩ صفحة ٣٥٦ .

فحينئذ لا ينبغى أن يسلم لهذه القوميات بحقها فى الاستقلال الا اذا كانت امكانياتها البشرية والمادية تسمح لها بالبقاء فى ذلك المصطرع، والا كان الأجدى عليها والأجدر بها ان تقنع بشكل من الحكم القومى فى صورة استقلال ذاتى يمكنها من ممارسة تقاليدها وعاداتها الخاصة وتكييف علاقاتها الاجتماعية والاقتصادية على هداها .

بل ان ثم من يقول بان الأكثرية القومية فى الدولة لها الحق المطلق فى أن تفرض سلطانها على الأقليات القومية فيها ، حفاظا على قوة الدولة وضمانا لصالح الأقلية ذاتها وسلامتها فى المعترك الدولى .

ولا يكون للاقلية حينذاك الا تامينها من الاضطهاد وضمان العدالة فى المعاملة ، والمساواة فى الحقوق والواجبات فى المجتمعات التى تضمها الدولة .

وان فى التكوين السياسى لجمهورية تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى وسويسرة وللمركز السياسى لمنطقة الألزاس واللورين فى انضمامها لفرنسا تارة ولألمانيا تارة أخرى لأمثلة بينة على مدى اندماج القوميات المختلفة فى تنظيم سياسى موحد .

## الفصل الثانى

## دعوى القومية اليهودية على ضوء المعايير العلمية

يزعم الصهيونيون أن اليهود جميعا ينتمون الى قومية يهـودية مميزة لها ذاتيتها ومعالمها وقيمها الروحية والمادية . وانهم ــ بمختلف أجناسهم ــ يحملون سماتها وملامحها المتجانسة التى تلازمهم أينما أقاموا فى انحاء العالم، ومظهر هذه القومية لديهم اتحادهم فى الجنس والاصل وفى اللغة وفى الدين وفى الثقافة وفى التاريخ ، وهم يربطون بين هذه القومية المشتركة وبين فلسطين بروابط دينية ووطنية .

ويعتبر موسى هيس رائد القومية اليهودية ، فهـو أول من نادى بهـا وشيجة اجتماعية وسياسـية تجمع أوزاع اليهود على معنى مشترك وتحت لواء واحد .

ويقول الزعيم الصـهيونى الكبير تيودور هــرتزل T. Hertzel فى كتابه «الدولة اليهودية» (١) ان « الصفة القومية لليهود لا يمكن انكارها أو هدمها وان المشكلة اليهودية مشكلة قوميـة ولايمكن حلهـا الا بتحويلها الى مشكلة سياسية دولية »

كما يقول بن هالبرن (٢) Ben Halpern « ان من حق اليهود الاعتراف الدولى بقـوميتهم ومايترتب على ذلك من تخصيص وطن يقيمـون فيـه ويمارسون فيه سيادتهم» .

وسنتناول بالتقييم والتعقيب دعوى الصهيونية فى خصوص القوميـة اليهودية على ضوء كافة المعايير التى اصطلح عليها علمـاء الاجتماع ، والتى تتصل بالقومية من قريب أو من بعيد، راجحة كانت هذه المعايير أو مرجوحة .

(١) The Jewish State, by Dr. Theodor Hertzel Cohen, edit., New York, 1943.

(٢) The Jewish State, by Ben Halpern, edit., Harvard, 1961, p. 4.

# ١ ـ وحدة الجنس

## اولا ـ تقييم الجنس كعنصر من عناصر القومية

فى تقييمنا للاجناس البشرية كعنصر فعال فى تكوين القوميات ، ينبغى تحديد الضوابط الفاصلة بين الاجناس فى امشاج المجتمع العانى المتشابك ، ثم تكييف السلالات وتقييمها فى ذاتها وتبيان مدى أصالتها ونقائها ، حتى يمكن تحديد معالم كل منها وخصائصها المميزة ومدى تفردها بقومية معينة .

غير انه يشوب الاحتكام الى عنصر الجنس فى نطاق القومية أمران ينبغى أن يكونا قيد الاعتبار :

**الأمر الأول : ـ**

ان عنصر الجنس عنصر متشعب المستويات مختلط المعالم مستطرد الفروع ، يعسر تحديده باحكام والأخذ به قاعدة مسلمة .

فعلى اى أساس ينهض الجنس عنصرا فعالا فى تكوين القومية ؟

هل على أساس التقسيم الذى أخذ به فلاسفة الشرق القدامى والمستمد من روايات التوراة ، فينسب شتات البشر الى أبناء نوح الثلاثة الذين تفرقوا فى شعاب الارض شيعا بعد الطوفان وعمر نسلهم أقطارها على مدى الدهر ، وهم سام Sam (Shem) وموطنه بلاد العرب ومايليها من أقطار الشرق الادنى ـ وحام (Ham) Cham وموطنه أفريقيا ويافث Japheth وموطنه آسيا الصغرى وأوروبا ومنه انحدرت الشعوب المعروفة بالجنس الآرى أو الهندو أوروبى .

ام على أساس التقسيم الجذرى البيولوجى الذى يقسم الاجناس البشرية الى اقسام أربعة : الاسود أو الاثيوبى وموطنه وسط أفريقية وجنوبها ، والاصفر أو المغولى وموطنه وسط آسيا وشرقها ، ـ والابيض أو القافقازى ( أو الهندى الافغانى أو الهندى الآرى ) وموطنه الشمال الغربى للهند وآسيا الصغرى وأوروبا وشعوب البحر البلطى واهل الشمال البيض ـ ، واخيرا الجنس الاسترالى وموطنه القارة الاسترالية .

مع ملاحظة ان الفرض الأول يقصر القوميات فى اقطار الدنيا على أنواع ثلاثة ، بينما تقتصر فى الفرض الثانى على اربعة أقسام فحسب ، ـ وهذا ـ كما يبدو جليا ـ قول غير واقعى وغير سديد .

أم أننا نأخذ بالتقسيم الاكثر تفصيلا والذى يوزع سلالة سام بين أبنائه الخمسة ، وسلالة حام بين أبنائه الاربعة ، وسلالة يافث بين أبنائه السبعة ، ــ على ما تفصل التوراة فى الاصحاحين العاشر والحادى عشر من سفر التكوين .

أم ذلك التقسيم الذى يوزع السلالات البشرية بين سبع سلالات متميزة بالنظر الى تركيب الرؤوس فيها وهى : الأقزام والاستراليون والافريقيون والمغول (سكان النجاد الاسيوية الوسطى) والجنس الاسمر ــ أو كما يعرفه اليوت سميث Elliot Smith بالجنس السامى ــ (فى بلاد البحر الابيض المتوسط وشمال افريقية وشبه جزيرة العرب) والجنس الألبى ( ومقامه فى الاناضول وشبه جزيرة البلقان وجبال الكربات والالب والهضبة الوسطى فى فرنسا واليونان الشمالية) وأخيرا أهل الشمال فى اقليم البحر البلطى .

أم نمعن فى التفريع فنأخذ بالتقسيم الفرعى الذى يقسم الجنس الآرى مثلا الى هنود وفرس وميديين واغريق ورومان وغاليين وجرمان وانجلو سكسون وارلنديين وروس وبولنديين .

ويقسم الجنس الأصفر الى صينيين ويابانيين وتتار وأتراك ومجريين وفنلنديين .

والجنس السامى الى عرب وكنعانيين وبابليين واشوريين وعبرانيين وفينيقيين وأرمن .

ويبدو أن هذا التقسيم غير واقعى ايضا ، لأنه يجمع فى الجنس ــ وفى القومية بالتبعية ، وعلى سبيل المثال ــ بين الهنود والجرمان أو بين الصينيين والفنلنديين ــ وهو جمع لاتأخذ به القوميات الحديثة .

فاذا ماتقصينا الأجناس البشرية تفريعا لأسقط فى أيدينا وازداد الامر غموضا وتعقيدا ، فالجنس العربى مثلا ينقسم الى قبائل وعشائر وبطون وافخاذ ، لكل منها كيان واعتبار فى علم الانساب والعصبيات ، فمنهم القحطانيون والعدنانيون ومن القحطانيين قبائل كهلان وحمير ومن العدنانيين بنو نزار وربيعة ومضر وقريش ــ وهكذا يتسلسل بنا التفريع طرائق قددا بالنسبة لكل أصل بل ولكل فرع من الاجناس البشرية .

فالى أى مستوى من مستويات التقسيم الاصلية والفرعية ينتهى بنا المقام فى الاعتداد بالجنس البشرى كعنصر أصيل من عناصر القومية ؟

هل نتصاعد الى الاقسام الرئيسية العليا حيث يتسع نطاق كل قسم فيضم شعوبا كثيرة ، ومن ثم تقتصر القوميات العالمية على ثلاث أو أربع أو سبع كما أسلفنا .

مع ملاحظة أننا كلما ارتفعنا بالتقسيم مع التركيز والتأصيل فسننتهى بالبشر جميعا الى أصل واحد مشترك ــ الى آدم أبى البشر .

كما أن التقسيم الدينى نفسه يؤكد أن البشر جميعا ينتمون الى أصل واحد يتمثل فى سيدنا نوح ــ وأن الصفات الخاصة التى تميز بها نسل كل من أولاده انما اكتسبها من طول مقامه فى البيئة التى استقر فيها .

هذا ــ أم اننا نمضى فى التسلسل حدورا حتى تتشعب بنا الفروع الى الشراذم فى كثرة عددها وضآلة مقدارها ، وينتهى بنا الامر الى تمزيق أوصال القوميات الحاضرة المسلم بها .

تلك مشكلة يتسع فيها المجـال لكل ذى رأى مغـرض ولكل ذى هوى ومصلحة ، فلاتنتهى الى اجماع بات حاسم .

ثم ما حكم سـكان المنـاطق المكتشـفة حديثا والتى استعمرها اخلاط المهاجرين من شتى الأجناس كما فى الامريكتين وفى استراليا ؟

هل يتوه الجنس بين أوزاعهم ونحكم عليهم بالضياع ونجردهم بذلك من صفة القومية ، رغم مرور أحقـاب صهرتهم وصقلتهم وجمعت بينهم بروابط بيولوجية واجتماعية وثيقة حتى أصبحوا هجينا له صفاته ومميزاته الاصيلة التى تتضح بجلاء من المقارنة بينهم وبين المهاجرين المحدثين الذين لم يتم لهم التطور البيئى والتكييف البدنى والعقلى فى الوطن الجديد وظروفه الطبيعية والاقتصادية والفكرية .

هذا ، ومن المعقول أن يحمل الانسان معه صفاته الجنسية فى أى وطن حل به لأنها مميزات شخصية لصيقة به ، بيد أن الواقع أيضا ان طول مقامه وذريته فى أى من الاقطار بعيدا عن وطنه القومى كفيل بأن يبت الصلة بين نسله وبين ذلك الوطن القومى ، فالبيئة الاجتماعية والجغرافية الجـديدة سـوف تطغى وتجرده من صفاته الأصيلة وتضفى عليه سمات القومية الجديدة .

ذلك أن الصفات الجثمانية واللغة والطباع ومظاهر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية سوف تتغير دون شك لتوائم المجتمع الجديد ، فتكتسب صفاته بفعل الزمن والمناخ وآثار المصاهرة والاختلاط الاجتماعى .

★★★

ونحن فيما ذهبنا اليه لاتتجنى على البشرية ولا نستأثر برأى لنا نعتسف به الحقائق العلمية ، فان ما استشهدنا به لا يعدو أشهر الآراء العلمية فى هذا الصدد ، فثم كثير من التقسيمات المتباينة التى اعتمد فيها علماء الاجناس على المميزات البيولوجية ، وهى تقسيمات متضاربة تنم عن مدى الحيرة والبلبلة دون الوصول الى رأى حاسم مقنع .

فبينما يقسم العالم السويدى كارلوس لينوس Carlus Linnaeus الجنس البشرى الى أربع مجموعات رئيسية ــ وهو أول تقسيم علمى معروف يرجع الى عام ١٧٤٠ م ، اذ يقسمه بلومنباك Blumenback فى عام ١٧٧٥ م الى خمسة اقسام متباينة (١) .

وفى عام ١٩٠٠ م ــ بعد اكتشاف أجناس من البشر لم تكن معروفة ــ ذهب جوزيف دنيكر Joseph Deniker الى أن الجنس البشرى تتوزعه ستة أجناس رئيسية أساسها صفات خاصة فى الشعر والأنف والعينين، يتفرع عنها تسعة وعشرون جنسا فرعيا .

---

(١) The Body, by Anthony Smith, Penguin Books, 1970, pp. 35-37.

وفى عام ١٩٣٤ م أعلن ايجـون فون اكســتدت Egon von Eickstedt ان البشر ينتمون الى ثلاثة أقسام رئيسية ، الابيض الاوروبى والاسودالزنجى والأصفر المغولى ، ويتفرع من هـذه الأقسـام الرئيسية تسـعة وعشرون فرعا .

بينمـا ذهب العـالم الامريكي جارن S. M. Garn فى عام ١٩٦١ الى ان المجموعة البشرية تنتمى الى تسعة أجناس رئيسية ، هى الامريكى الهندى والملانيزى والمكرونيزى والبوليزى والاسترالى والاسيوى (ويشمل الفلبينى واليابانى والاسكيمو والمنغولى والتبتى ) ثم الهندى الأوروبى ( ويشمل ايضا سكان شمال افريقيا والشرق الادنى ) ثم الأفريقى ( جنوب الصحراء ) ـ ثـم أدرج تحت ستة من هذه الاقسام التسـعة اثنتين وثلاثين شـعبة ، وبذلك أصبح تقسيمه يضم خمسة وثلاثين جنسا .

واخيرا ، وفى عام ١٩٦٦ م حـاول العـالم الأمريكي بويد W.C. Boyd تقسيم الاجناس البشرية على أساس فصائل الدم ، فعزاها الى ثلاثة عشر قسما متميزا .

**الأمر الثانى :**

ان نقاء السلالات البشرية بالنسبة لأى من التقسيمات السابقة مستحيل استحالة مطلقة ، فلايوجد مايمكن اعتباره جنسا نقيا تنحدر منه ـ عبر التاريخ الطويل ـ سلالات خالصة المعالم ، فيما خلا السلالات البدائية الدنيـا التى مازالت تعيش فى عزلة مطلقة ـ بالنسبة للعالم الخارجى على الاقل ـ فى افريقيا وآسيا واستراليا ، (١) وهى قلة لا يعتد بها فى خضم الحياة الزاخر .

فالانسان مدنى بطبعه وقد طال امتزاج سلالاته على مر العصور حتى فقـد صفاته الأصلية سـواء بالتصاهر أو الاختلاط المستمر عن طريق الغزو أو الاستعمار أو الهجرات الجمـاعية أو الفـردية أو التعـامل الاجتمـاعى والاقتصادى .

وبهذا تعسرت نسبة الشعوب المختلفة بوجه قاطع الى الأجناس البشرية التى تواضعت عليها النظريات العلمية .

ذلك أن مبنى نقاء السلالات هو العزلة المطلقة ـ وهذه العزلة ان كانت محتملة فى الماضى فانها عسيرة بل مستحيلة فى الحاضر ، فى عصر تشابكت فيه المصالح ويسرتها طرق المواصلات الحديثة ـ فضـلا عن أنه لايمكن تصـور الانغلاق والعزلة المطلقة فى الماضى ، فما انفكت الفتوح الحـربية والهجـرات الاستعمارية الجماعية والفردية سبيلا مشاعا لتحطيم أسوار العزلة وتخطى الحدود الطبيعية والمصطنعة ، وحتى فى الانظمة القبلية الموغلة فى القدم درجت القبائل المغيرة على سبى النساء واسترقاق الرجال وانجـاب جيل مـولد هجين من هؤلاء السبايا والرقيق .

ويلاحظ أن فكرة تقسيم الأجناس وتفريعها سواء على أسس دينية أم

---

(١) The Races of Man, by A.C. Haddon, Cambridge, 1924, p. 2.

على أسس علمية ـ تؤكد ان الاصل العنصرى غير حاسم فى تحديد القومية ، وأن نشأة الاجناس تستند أساسا الى البيئة الجغرافية وتأثيرها على المدى المديد فى تشكيل كل جنس وتكييف صفاته وملامحه واسباغ خصائصه الجسمانية التى تميزه عن غيره من الاجناس التى تضمها الأسرة الانسانية .

ففى التقسيم البيولوجى تتفرع السلالات عن اربع اجناس رئيسية، وفى التقسيم الدينى تتفرع السلالات عن ابناء نوح الثلاثة ، وهم بدورهم ينتمون الى اب واحد هو نوح عليه السلام ، ثم ما لبثوا ان اختلفوا اختلافا مبينا واكتسبوا صفات طارئة وطباعا جديدة حينما تفرقوا وتأقلم كل منهم فى بيئة مختلفة عن الاخرى .

ويبين من هذا ان التقسيمات التى تواضع عليها علماء الأجناس تقسيمات اجتهادية فى الواقع غير مجزوم باحكامها ، كما ان الاعتماد على هذه التقسيمات لاستنباط عناصر نقية محددة ومتميزة يستند الى فرض جدلى بحت ينقضه الواقع المشهود والملموس .

وتأييدا لذلك ، فقد تبين للجنة الهجرة الامريكية ان العناصر الأوروبية التى هاجرت الى امريكا واستقرت فيها قد تأقلمت جثمانيا بحيث تغير شكل الراس وحجمها واصبح مماثلا للصفات العامة فى البيئة الأمريكية الأصيلة .

ولقد اثبت صحة هذه النظرية العلامة البريطانى فلندرز بترى Flinders Pitrie عالم الآثار المصرية فى أواخر القرن الماضى ـ من بعد طول استقراء وبحث (١) .

كما قرر مؤتمر علماء الاجناس المنعقد فى لندن سنة ١٩٣٤ أن الجنس الآرى الصميم أصبح لاوجود له فى العصر الحديث لامتزاجه بعناصر أخرى وانصهاره فيها (٢) .

وعلى هذا فلئن كان ثم من يقول بتأصيل عنصر الأصل او الجنس فى تكوين القومية فان الرأى السائد الآن لدى جمهرة العلماء يستبعد هذا العنصر من معالمها الاصلية .

---

(١) أنظر كتاب « مقدمة اجتماعية لدراسة النظرية العامة للقومية » تأليف الأستاذ محمد بكر خليل صفحة ١٦٢ من مطبوعات معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية .

(٢) كتاب المفصل فى القانون الدستورى تأليف الدكتور عبد الحميد متولى طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ الجزء الأول صفحة ٢١٣ .

## ثانيا ـ الطائفة اليهودية تضم اجناسا مختلفة

### ١ ـ الأصول الجنسية التاريخية

فى دراستنا للأصول الجنسية الأولى التى ينتمى اليها أوزاع اليهود فى أنحاء العالم سنأخذ فى الاعتبار بصفة اساسية ماورد فى اسفار التوراة مما يتصل بهذا الموضوع ومما يسلم به الصهيونيون فيغنينا عن كل محاجة .

ويخلص تاريخ العبرانيين فى أن قبيلة عربية ـ والعرب من الجنس السامى ـ نزحت من بلاد العرب الى بلاد الكلدان ـ العراق الحالية ـ واقامت فى مدينة ( أور ) غربى نهر الفرات قريبا من مصبه ـ ثم انفصلت احدى العشائر بزعامة تارح وعبرت نهر الفرات صاعدة شمالا الى مدينة حاران بين النهرين حيث توفى تارح وخلفه ابنه ابراهيم عليه السلام ـ وواصل الترحال مع زوجته سارة وابن أخيه لوط ومن تبعه من قومه ، وتجول بين ربوع العراق وكنعان ـ فلسطين الحالية ـ حيث قضى نحبه ودفن بها ـ وعرف قومه منذ حينذاك بالعبرانيين .

وثابت تاريخيا أن قوم موسى الذين نفر بهم من مصر فى متاهاتهم بصحراء سيناء على مدى أربعين عاما ـ قد أمتزجوا بسكان هذه المنطقة وخاصة بأهالى مدين فى أقصى الشرق من سيناء وأصهروا اليهم واقتبسوا كثيرا من أفكارهم وتقاليدهم وخصائصهم المحلية .

ثم أن العبرانيين ـ بعد استقرارهم فى أرض كنعان وامتلاكهم شطرا منها ـ قد تغيرت طبيعتهم واختلط عنصرهم ففقدوا جنسيتهم الاولى باندماجهم فى عناصر شتى وانضمام غيرهم من الأجناس اليهم ممن اعتنقوا الدين اليهودى خصوصا فى زمن النبى داود والنبى سليمان الحكيم ـ عليهما السلام ـ كالحيثيين ـ وهم شعب لا ينتمى الى الجنس السامى ـ وكانت لهم منزلة رفيعة فى دولة اسرائيل بعد اعتناقهم الدين اليهودى ، فدانت لهم مناصب الجيش الهامة فى عهد الملك داود .

ولقد تزاوجت عشيرة ابراهيم مع شعوب كنعان (١) وكانت النتيجة هى الشعب العبرانى الذى اتصف بأصول عرقية متنوعة تضم عناصر سامية وحيثية وغيرها من العناصر غير السامية . وهذه العناصر هى التى اخذت من اليهود كثيرا من الملامح السامية (٢) .

---

(١) كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تأليف الدكتور فيليب حتى وترجمه عن الانجليزية الدكتور جورج حداد والأستاذ عبد الكريم رافق ـ نشر مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر » طبع دار الثقافة ببيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧ الجزء الأول صفحة ١٩١ .

(٢) God and Man in Early Israel, by J.W.D. Smith, p. 5.

هذا وان كثيرا من أقطاب اليهود ـ حتى فى العصور الاولى لليهودية ـ والذين اشادت بذكرهم التوراة ، صلتهم ببنى اسرائيل واهية أو منبتة اصلا. فهذا سيدنا يوسف قد تزوج أسنات المصرية ابنة كاهن اون وأنجب منها ولديه منسى وافرايم ( سفر التكوين اصحاح ٤١ رقم ٤٥ و ٥٠ ) وسيدنا داود نفسه وهو جد السلالة الموعودة بالحكم السرمدى لم يكن اسرائيليا خالصا فان اباه يسى هو ابن عوبيد بن بوعز من زوجته راعوث المؤابية .

وامعانا فى تهجين ذرية داود والنأى بها عن أصلها الاسرائيلى فقد تزوج داود من ابنة ملك جشور الكنعانى ، وفضلا عن ذلك فان شعيب النبى من اهل مدين ، كما أن أيوب صاحب السفر الكبير من أسفار التوراة عربى الأرومة .

ومعروف ان سيدنا موسى تزوج صفورة بنت يثرون كاهن مدين وشيخها ، كما أن سيدنا سليمان الحكيم قد أصهر الى فرعون مصر ، كما تزوج الملك برمبام اليهودى من ابنة شيشاق الاول فرعون مصر تقربا اليه وليستظل بحمايته العسكرية والسياسية .

بل ان سيدنا سليمان الحكيم كانت له ـ كما تروى التوراة فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الاول من رقم ١ الى ٣ ـ سبعمائة من السيدات وثلاثمائة من السرارى ينتمين الى أصول جنسية مختلفة ، مصرية ومؤابية وعمونية وأدومية وصيدونية وحثية ، وبذلك فان ابناءه منهن لم تكن دماؤهم عبرية صافية وانما كانوا هجينا من العنصر العبرى والعناصر الغريبة التى تنتمى اليها امهاتهم .

وبعد أن قضى الأشوريون على مملكة اسرائيل على يدى الملك سرجون الثانى داب هو وخلفاؤه من ملوك اشور على سبى اليهود وطردهم من بلادهم واستدعاء قبائل من بلاد بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب ليحلوا محلهم فى منطقة السامرة عاصمة اسرائيل .

وقد امتزج المستوطنون الجدد ببنى اسرائيل ونشأ عن تزاوجهم الشعب السامرى ، واذ كانت التوراة تتألف فى ذلك الحين من الأسفار الخمسة الأولى فقط فقد اقتصر عليها ايمانهم كتابا مقدسا ، وما زالوا ينكرون غيرها من الأسفار التى وضعت بعد ذلك ولا يعترفون بها (١) .

ومن ثم لم يصبح اليهود الأوائل بنى إسرائيل وحدهم ، كما فقد بنو اسرائيل عنصرهم الخالص الأصيل .

هذا ، وهناك عدد غير قليل من الأقوام الصغيرة كالأدوميين والعمونيين والاسماعيليين يرجعون اصلهم الى سيدنا ابراهيم ، بينما يزعم العبرانيون أنهم وحدهم ذرية ابراهيم الشرعيون مع اعترافهم بقرابة الآخرين لهم .

---

(١) كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تاليف الدكتور فيليب حتى ـ الطبعة العربية المترجمة عن الأصل الانجليزى بقلم الدكتور جورج حداد والأستاذ عبد الكريم رافق ـ طبع دار الثقافة ببيروت ونشر مؤسسة فرانكلين ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧ الجزء الأول صفحة ٢١٤ .

(٢) كتاب اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى تأليف الدكتور جوستاف لوبون وترجمة الأستاذ عادل زعيتر مطبعة حجازى سنة ١٩٥١ صفحة ٣٢ .

ومصداقا لما أوردنا من حيث اختلاط أنساب اليهود يعترف الكاهن عزرا فى الاصحاح التاسع من السفر الموسوم باسمه بأن الزواج من غير اليهوديات كان فاشيا بين اليهود فى عصره حتى كان مثارا لاعتراضه وشكواه — حيث يقول فى رقمى ١ و ٢ :

« تقدم الى الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب اسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والمؤابيين والمصريين والأموريين . لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى . وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولا » .

فهو يعترف هنا صراحة بشيوع التزاوج بين شعبه — المقدس — وبين الشعوب الأخرى التى لم ترق الى مصاف القداسة .

بل ويعترف نحميا فى الاصحاح الثالث عشر من سفره بأن تأثير البيئة التى عاش فيها اليهود الأوائل كان فعالا لدرجة طغت على لغتهم القومية حيث يقول فى رقمى ٢٣ و ٢٤ :

« فى تلك الأيام أيضا رايت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات ومؤابيات ونصف كلام بنيهم باللسان الاشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب » .

كما جاء فى الاصحاح الثالث من سفر القضاة برقم ٥ و ٦ « فسكن بنو اسرائيل فى وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . »

وتعقيبا على ذلك يقول الدكتور تيودور هـ . روبنسن الحائز على الدكتوراه فى اللاهوت وأستاذ اللغات السامية فى كلية الجامعة بكارديف :

(١) « ونحن نستخلص كذلك أن استقرار بنى اسرائيل لم يتم فى جوهره الا بعد أن فنيت القبائل الكنعانية فى العبرية أو فنيت هذه فى تلك ، ومما هو جدير بالملاحظة أن قبيلة يهوذا ترد الى أم كنعانية » .

ثم يستطرد :

« ان وجوب جمع الكلمة على الوقوف فى وجه الفلسطينيين وغيرهم من الأعداء قد أدى الى اندماج بنى اسرائيل فى الشعوب التى كانت موجودة فى هذه الديار » .

ثم يجمع رايه فى قوله :

« ومن ثم فاننا لا نستطيع ان نعد بنى اسرائيل شعبا موحدا الا بعد أيام داود ، وليس من شك فى أن هذا الشعب مختلط الأصول وان دماء كثيرة قد كونته فى صورته الأخيرة » .

وهكذا اختلط بالعبرانيين الأوائل واندمج فيهم على مر العصور — شتى الأجناس ممن تبعوا دعوة أنبيائهم المرسلين ابتداء .

---

(١) من مقال للدكتور تيودور .هـ روبنسن بعنوان « اسرائيل فى ضوء التاريخ » منشور فى كتاب « تاريخ العالم » لناشره السيرجون هامرتون الطبعة العربية الجزء الثانى صفحة ١٠٦ .

فضلا عن أن شعوبا متعددة فى الشرق وفى الغرب قد انضمت الى الطائفة اليهودية فى العصور المتأخرة بعد اعتناقها الدين اليهودى مع احتفاظها بقومياتها الوطنية الخاصة لغة وجنسا وثقافة ، كيهود شرق أوروبا ، فلا تكاد تجمعهم بالطائفة اليهودية فى بقاع الأرض سوى الروابط الروحية التى آمنوا بها . ومثلهم كذلك يهود الفلاشا فى الحبشة والتاميل فى الهند .

وعلى ذلك فمن علماء الأجناس من يرى أن تسعة أعشار يهود العالم لا يمتون الى اليهود الاولين بأى شبه (١) ويؤيد هذا الرأى العالم اليهودى فردريك هيرز (٢) .

ومن أبلغ الشواهد على ذلك ان شعب الخزر ــ وهو شعب حربى وثنى ينتمى الى الجنس التترى التركى ــ قد نزح فى القرن الاول الميلادى من أواسط آسيا الى الاصقاع الروسية فيما بين نهرى الدون والفولجا حتى البحر الاسود ، ثم واصل غاراته غربا حتى دانت له فى القرن الثامن للميلاد مناطق شاسعة من شرق أوروبا وأنشأ له فيها دولة قوية مرهوبة الجانب . ومنذ عام ٦٩٢ للميلاد ــ اختار بولان ملك الخزر الدين اليهودى دينا رسميا للدولة واعتنقه هو وافراد شعبه واستعان فى اقامة شعائره برجال الدين من اسبانيا .

وقد ظلت مملكة الخزر قائمة حتى استطاع الروس أن يتغلبوا عليها فى ختام القرن العاشر الميلادى وضمتها الامبراطورية الروسية العتيدة . ثم ما لبثت أن انسلخت عن روسيا أقاليم من المناطق التى كان يسيطر عليها شعب الخزر من قبل ــ وتكونت منها دول بولندة ولتوانيا وغاليسيا ورومانيا.

ولهذا نجد ان اليهود فى تلك الأقاليم يرجعون بنسبهم الى شعب الخزر التركى الجنس ، كما تؤكد ذلك صفاتهم الخلقية ومعالمهم الجثمانية ، فهم لا يمتون الى الجنس السامى بصلة ، ذلك الجنس الذى ينتمى اليه بنو اسرائيل القدامى .

هذا ، وليس من يزعم ان الدين اليهودى وقف على بنى اسرائيل خاصة او العبرانيين عامة ، وان رسالته قاصرة عن تجاوز مهبطها الى فجاج الارض ، ممتنعة على سائر الشعوب والاجناس فى مختلف الآفاق ــ خلافا لمقتضى كل رسالة سماوية مقصود بها هداية البشر وصالح الانسانية جمعاء من غير تحديد أو تخصيص .

ذلك فضلا عن أن التعاليم الدينية اليهودية ذاتها تحض اليهود على العمل الدائب لنشر دينهم على أوسع نطاق حتى يسود العالم أجمع ، وهو ما نشط له اليهود منذ القدم وما يؤيده انتشار دينهم بين أمم لا تمت بسبب الى الأصل العبرانى ولا الجنس السامى بعامة ، حتى انهم اصطنعوا الحرب وسيلة لاكراه شعب الادوميين على اعتناق اليهودية فى عهد الملك اليهودى يوحانان هوركانوس بعد أن استولى على بلادهم عنوة (٣) .

---

(١) Races of Europe, by W.Z. Ripley, p. 392.

(٢) Races and Civilisation, by Friedrich Herz, p. 313.

(٣) تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام للدكتور اسرائيل ولفنسون اصدار لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٢٧ صفحة ٧٢ .

ويروى التاريخ ان ذا نواس اليهودى ملك حمير - فى بلاد اليمن - دعا نصارى نجران الى اليهـودية وخيرهم بين اعتناقها أو قتلهم ، فلما ابوا أمر بقتلهم والقائهم فى أخدود احتفره لهم ثم اشعل فيه النار ، والى ذلك اشـار القرآن الكريم فى سورة البروج (١) .

وبينما نجـد أن اليهـودية قد غزت اليمن فى أوائل القرن السـادس الميلادى فاعتنقها كثير من عرب اليمن فى عهد ذى نواس - اذ نجد أفواجا من سكان أوروبا الشرقية وخاصة من روسيا والمجر يدخلون فى الدين اليهودى زرافات فى القرنين الخامس عشر والتاسع عشر .

ويؤكد العالم اليهودى فريدرك هرتز النمساوى انتشار الدين اليهودى بين مختلف شعوب العالم فى كتابه عن الجنس والحضارة حيث يقول : « كثيرا ما اعتنقت اليهودية طوائف من اليونان والرومان وغيرهم من الشعوب وحدث هذا بوجه خاص فى القرنين الثانى والاول قبل الميلاد ، وفى العصور الوسطى والحديثة - رغم كل الصعوبات والعقبات - قد تحولت جماعات كثيرة الى الديانة اليهودية وعلى الأخص فى البلاد السلافية » .

كما يعترف بذلك أيضا الاستاذ لوى Loewe أستاذ اللغـة العبرية جامعة اكسفورد (٢) .

ثم اننا لو اخذنا بالرأى المرجوح الذى يعتد بوحدة الأصل كنعصر من عناصر القومية - مع افتراض احتفاظ الأصل العبرانى لليهود بنقائه وسلامته كما يدعى الصهيونيون - نقول لو اننا سلمنا بهذا الرأى - جدلا - لاختـل الوضع وازداد الأمر تعقيدا ، وخاصة أن من يعتد بوحدة الاصل من الباحثين يستبعد عنصر الارض المشتركة كشرط اساسى لتكوين القومية .

ذلك لأن بنى اسرائيـل فى نشـأتهم الأولى قبـل اختلاطهم بغيرهم من الشعوب على مدى التاريخ - هم العبرانيون الذين وفدوا من بلاد الـكلدان جنوبى العراق ، ولقد اختلف المؤرخون فى تحديد الجنس الذى ينتمى اليـه سيدنا ابراهيم وعشيرته فقيل انه كان كلدانيـا أو أموريا أو آراميـا (٣) . وهذه الأجنـاس الثـلاثة تتفرع عن الجنس العربى الذى ينتمى بدوره الى الجنس السامى ، وهؤلاء جميعا قد نزحوا أصلا من شبه الجزيرة العربية - أى انهم ينتمون الى الأمة العربية بصلة الأرومة المشتركة .

وعلى هذا يعتبر اليهود الأوائل عربا لا ينفردون بجنس مسـتقل وانما تشاركهم فيه شعوب كثيرة ، وهو مالم يتمسك به اليهود فى دعواهم ، وكان الاخلق بهم أن يكون رائدهم العنصرى اللواذ بالأصل العربى المشترك فيما لو

---

(١) سيرة النبى لأبى محمد عبد الملك بن هشام الجزء الأول صفحة ٣٦ .

(٢) انظر فى ذلك دائرة المعارف البريطانية فى مادة الدين اليهودى .

(٣) راجع فى ذلك كتاب مقدمة فى الحضارات القديمة - القسم الأول تاريخ العراق للعالم العراقى طه باقر صفحة ١٠٥ وصفحة ١٣٩ و ٩٥٦ وما بعدها وكذلك كتاب « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين » للدكتور فيليب حتى - النسـخة العربية الطبـعة الثـانية ببيروت سـنة ١٩٥٧ الجزء الأول .

صح ادعاؤهم باحتفاظهم بأصلهم العنصرى نقيا متميزا وهو ما ينقضه الواقع والتاريخ على ما أسلفنا .

ذلك فضلا عن ان افتقارهم الى عنصر اللغة المشتركة بينهم وبين العرب ـ على ما سنرى ـ ينتفى معه انتسابهم الى القومية العربية ـ حيث ان من لا يعتد بعنصر الأرض المشتركة من علماء الاجتماع والأجناس يشترط لتكوين القومية وحدة اللغة بين ابناء القومية الواحدة .

## ب ـ المعالم الجسمانية

يقطع علم الأجناس بأن تعدد الأصول الجنسية لابد أن تكون له مظاهر وانطباعات بيولوجية فى التركيب الجسمانى تبرز الخصائص المميزة لهذه الأصول .

وعلى ذلك كانت دراستنا للتركيب الجسمانى لليهود تعليلا وتأييدا لما اثبتناه من تعدد الأصول العرقية التى انبتت شتات اليهود فى أنحاء العالم .

فالملاحظ ابتداء ان اليهود فى شتى اقطار الأرض يختلفون فيما بينهم اختلافا جوهريا فى السحنة وفى القوام وفى تكوين الرأس وفى لون البشرة والعيون والشعر .

ويقول رينان فى هذا الصدد (١) . « ليس هناك شكل type يهودى بل هناك أشكال يهودية متعددة » .

اى أن اليهود خليط من شتى الأجناس البشرية .

ولا يوجد من اليهود من يمكن اعتبارهم فى حالة نقاء عنصرى سوى طائفة السامريين المقيمين فى احدى قرى نابلس فى عزلة اجتماعية تامة ، وهم فى سبيلهم اليوم الى الانقراض العاجل اذ لا يتجاوز عددهم مائتى نسمة ، ومن ثم فلا يسعنا الاعتداد بهم فى بحثنا هذا الا كحالة رمزية وانموذج فريد للمقارنة فحسب .

والسامريون كجنس نمطى اصيل لليهود العبرانيين يمتازون بطول القامة والرؤوس المتوسطة والوجوه الضيقة الطويلة واللون الاسمر الذى يتخلله اللون الفاتح بنسبة اكبر من المعهود فى سلالة حوض البحر الأبيض المتوسط .

واليهود من حيث العنصر ثلاث طوائف اساسية متميزة وهم الاشكنازيم والسفارديم والشرقيون .

فاليهود الاشكنازيم Ashkenazim يزعمون انهم ينتمون الى قبيلة يهوذا ويمثلون من ٨٠ الى ٩٠٪ من يهود العالم، وموطنهم الأصلى شرق اوروبا

(١) Les Races et l'Histoire, par Eugène Pittard, Paris, 1924, p. 413.

ووسطها وينتسب اليهم معظم يهود العالم الغربى والامريكيون خاصة . كما يمثلون ارقى المستويات العلمية والحضارية بين اليهود .

واليهود السفارديم Sephardim يزعمون انهم من نسل قبيلة بنيامين ، ولذلك فهم يدعون لأنفسهم مركزا دينيا ممتازا ــ وموطنهم حوض البحر الابيض المتوسط ، وهم ينتمون الى أصل اسبانى أو الى شعوب غرب افريقية .

أما اليهود الشرقيون فينتشرون فى التركستان الروسية والقوقاز وايران والعراق والشام ومصر واليمن .

وتختلف كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث عن الأخرى اختلافا بينا فى التركيب الجسمانى .

فالاشكنازيون بصفة عامة اشبه بالصقالبة الشماليين ، وهم يمتازون بالوجه المستدير والرؤوس العريضة والأنف المحدب القصير والعيون الرمادية الصغيرة . وان سادت بين اشكناز أوروبا العيون الضخمة البارزة مع الجفون الثقيلة المنتفخة .

هذا ، بينما يستدل من التكوين الجسمانى لليهود المنتشرين على سواحل بحر البلطيق على أنهم يرجعون الى أصل آرى ويشتركون معه فى لون البشرة الناصعة البياض والعيون الزرقاء والشعر الاصفر فضلا عن تكوين الرأس وسائر الخصائص التشريحية .

أما السفارديون فيشبهون سلالة حوض البحر الابيض المتوسط بوجه عام ، ويمتازون بالوجه البيضاوى والرؤوس المستطيلة والأنف الضيق والعيون اللوزية المستطيلة والشعر الاسود .

ويحتفظ اليهود الشرقيون بشكل الراس السائد فى البيئات المختلفة التى يقيمون فيها ، فهم ذوو رؤوس عريضة حيث يوجدون فى بلادالتركستان الروسية والقوقاز وشمال ايران وشمال العراق ــ بينما يتميزون بالرؤوس المستطيلة فى شمال افريقيا ومصر وفلسطين وجنوب العراق وجنوب ايران . وتوجد العيون المغولية المسحوبة فى بعض يهود وسط آسيا والعيون الشريطية الغائرة فى يهود شبه الجزيرة العربية .

وبالاضافة الى هذه الانماط اليهودية الرئيسية يمتاز يهود الحبشة المعروفون بالفلاشا Falasha ( اى الاجنبى او المهاجر ) بسمرة البشرة والشعر المجعد ، كما أن يهود التاميل Tamel ــ فى كوتشين غربى الهند ــ سود البشرة ذوو سحن هندية ، ومثلهم فى سواد البشرة اليهود المقيمون فى جنوب الصحراء الكبرى والمعروفون بالداجاتون Daggaton

كما يوجد فى امريكا اللاتينية مجموعات من اليهود الزنوج أو الخلاسيين ذوى البشرة السوداء المهجنين من الزنوج واليهود المهاجرين ــ ويوجد كذلك بعض اليهود ذوى البشرة الصفراء فى بلاد التركستان .

ويلاحظ بصفة عامة أن شكل الراس عند اليهود يماثل شكل الرأس فى البيئة التى يوجدون بها حتى انها لتستطيل فتصبح كقمع السكر فى البيئة الأرمنية القافقازية كالمواطنين المحليين تماما .

وقد اجمع علماء الأجناس على ان شكل الرأس هو اهم الصفات البيولوجية التى تتميز بها الشعوب لأنها تخضع لعوامل الوراثة العنصرية .

وفضلا عن ذلك فانه يوجد من بين اليهود طويل القامة والربعة والقصير وذو الأنف المستقيم والمحدب الأقنى والمقعر ، ومنهم كذلك ذو البشرة السوداء والسمراء والبيضاء والشقراء والصهباء والصفراء .

وبالاضافة الى هذه المفارقات المتميزة ، فان دماء اليهود تنتمى الى فصائل مختلفة ، ثم انها تخالف تماما دماء اليهود السامريين الذين يعتبرون أقرب اليهود الى قدامى العبرانيين بما ورثوا عنهم من معالم وملامح لم تكد تشبها آثار الاختلاط بالشعوب الأخرى .

★★★

وهكذا يبين كيف ان اليهود فيما بينهم يختلفون فى الخصائص العضوية وفى الأصول العرقية التى ينتمى اليها أوزاعهم .

اما عن طائفة اليهود اجمالا بالمقارنة مع الشعوب الأخرى مقارنة بيولوجية ـ فان أهم الخصائص التى تواضع المجتمع البشرى على تمييز اليهود بها تتمثل فى عنصرين أساسيين : السحنة اليهودية وتتركز فى ملامح الوجه اجمالا ، ثم شكل الأنف على وجه التخصيص .

**السحنة اليهودية :** ليس مرد الطابع الخاص الذى يتبدى فى ملامح الوجه لدى اليهود عوامل بيولوجية أصيلة وانما هى مسحة تكسو الوجه مزاجها الكآبة والأسى والغموض والدهاء ، فهى سمات انفعالية وظاهرة اجتماعية وليدة عوامل قاسية مزيج من الارهاق الوجدانى والتوتر العصبى والقلق النفسى ، من أثر الاضطهاد والانطواء الاجتماعى على مدى التاريخ ، وقد ساعد على شيوعها بينهم واحتفاظهم بها المجتمع الحبيس الكظيم الذى التزموا أو الزموا بالعكوف عليه فى بيئة الجيتو ، حيث يمارسون الانتخاب الاجتماعى والجنسى والمهنى ، ويتوارثون تلك السمات الدامغة التى عرفت أحيانا باسم « تعبير الجيتو » (1) .

وتأييدا لذلك ، فان هذه السحنة المتميزة غير معروفة بين يهود أمريكا لانقطاع صلتهم بمجتمع الجيتو اثر فكاكهم من اسره منذ رحيلهم من أقطار العالم القديم .

**الأنف اليهودى :** اما عن الأنف اليهودى وهو الانف الاقنى المحدب ، فقد ثبت علميا أنه ليس خاصا باليهود وحدهم ، وأن نسبة شيوعه بينهم لا تزيد عن نسبة وجوده بين سائر الأجناس البشرية ، فنسبة انتشاره بين يهود بولنده مثلا لا تزيد عن ٩٪ وبين يهود نيويورك ١٥٪ وبين يهود غاليسيا ٣٠٪ ولا يوجد اطلاقا بين يهود لتوانيا حيث يوجد بينهم ذوو الانف المقعر بنسبة ٥٠٪ .

هذا ، بينما يوجد الانف الاقنى المحدب بنسبة كبيرة بين العرب

---

(1) كتاب اليهود انثروبولوجيا تاليف الدكتور جمال حمدان ـ سلسلة المكتبة الثقافية العدد ١٦٩ • طبع دار الكاتب العربى بالقاهرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٦٧ صفحة ٦٥ •

والأفغانيين وكثير من الاوروبيين من غير اليهود ، وتصل هذه النسبة فى جنوب شرقى بولندة الى ٣٣٪ (١) .

ولهذا يرى علماء الأجناس انه من الخطأ نسبة الانف الاقنى الى اليهود، فيلحقه العالم كون Coon بالجنس السامى لشيوعه بين شعوبه (٢) بينما يرى هادون Haddon ان هذا الأنف يرجع الى أصل ارمينى (٣) .

وقد لاحظ البروفسور مونتاجو Montagu فى دراسته للانماط اليهودية المختلفة (٤) ، ان الصفات البدنية التى تعزى الى اليهود كالقامة القصيرة والأعين القاتمة الغامضة والأنف الأقنى والجلد والشعر الدهنيين والشفاه الغليظة والبدانة فى النساء ـ انما هى صفات عامة وليست قاصرة على اليهود وحدهم . فاليهود الصينيون لا يكادون يختلفون عن سائر الشعب الصينى ، و ١٥٪ من اليهود البولنديين عيونهم لامعة و ١٨٪ من يهود المجر و ٥١٪ من يهود رومانيا شعرهم أشقر ، بينما ، بينما يوجد كثير من اليهود فى جميع الأقطار شعرهم أحمر .

★★★

ومن جماع ما تقدم يتجلى الخلاف الجنسي الجوهرى بين شتيت اليهود فى أقطار المعمورة الحارة والباردة والمدارية ، اذ ينتمى أوزاعهم الى البيئات التى يستوطنونها من حيث التركيب العضوى والمظهر الشكلى ، مما يسقط دعوى العنصرية اليهودية .

وعلى هذا الراى كان اجماع علماء الأجناس ، اذ يرى البروفسور مونتاجو Montagu انه لم يوجد ولا يوجد قط جنس يهودى قائم بذاته (٥) .

كما يقرر جورج ساكس George Sacks بعد دراسة مستفيضة للاجناس البشرية ، أن اليهود لا يكونون جنسا بشريا مستقلا ، وانما هم مجرد مجتمع دينى (٦) .

ويؤكد هذا الراى انتونى بارنيت Anthony Barnett أستاذ علم الحيوان بجامعة جلاسجو ـ ويخلص منه الى أن دعوى معاداة السامية دعوى غير معقولة بالنسبة لليهود (٧) .

وبهذه النتيجة الحاسمة يعترف رافائيل باتاى مدير معهد هرتزل بنيويورك فى قوله : « ان ما وصل اليه علم الانثروبولوجيا الطبيعية يبين أنه بعكس المعتقد الشائع ـ لا يوجد عنصر يهودى (٨) . »

كما يسلم بهذه النتيجة ايضا الزعيم اليهودى برونو كرايسكى ، زعيم الحزب الاشتراكى بالنمسا ومستشار الحكومة النمسوية الاخير ، فى تصريح

---

(١) المرجع السابق صفحة ٦٣ .

(٢) Have the Jews a Racial Identity, by C.S. Coon.

(٣) The Races of Man, by A.C. Haddon, Cambridge, 1924.

(٤) و (٥) The Body, by Anthony Smith, Penguin Books, 1970, p. 38.

(٦) The Intelligent Man's Guide to Jew Baiting, by George Sacks, 1934.

(٧) The Body, by Anthony Smith, Penguin Books, 1970, p. 38.

(٨) كتاب « فى مواجهة اسرائيل » تأليف الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله العدد ٣١٩ من سلسلة اقرأ طبع دار المعارف بمصر فى يوليو سنة ١٩٦٩ صفحة ٤١ .

له اذاعته وكالة الانباء الفرنسية فى ٢١ اكتوبر سنة ١٩٧٥ ونشرته جريدة الاهرام فى الصفحة الثانية من عددها الصادر فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٧٥ .

## ٢ ـ وحدة اللغة

اما عن اللغة باعتبارها أداة النشاط الفكرى والثقافى والتواصل الاجتماعى ووسيلة التفاهم والتعامل بعامة ـ فانها بيقين سمة بارزة من سمات القومية الأصيلة ، ومفاعل حيوى وطيد يعين على توثيق الروابط الروحية بين الافراد ، بما لآدابها من تأثير فى التوجيه الفكرى واستثارة الأحاسيس والمشاعر المشتركة ، وان اعوزها الاعتماد على عناصر اخرى من عناصر القومية لتكون فيصلا فى تحديدها .

فان اللغة وحدها لا تكفى لايجاد القومية المشتركة ، بينما يشترط فى القومية المشتركة وحدة اللغة ، بدليل ان الولايات المتحدة الامريكية وكندا واستراليا وكثيرا من المستعمرات البريطانية تتكلم الانجليزية ، كما ان دول أمريكا اللاتينية تتكلم الاسبانية والبرتغالية ، ولم يدع أحد أن لانجلترا أو اسبانيا أو البرتغال حقا قوميا فى هذه البلاد ، ذلك رغم ان الاسبان والبرتغال ـ بالاضافة الى اللغة ـ يشتركون مع سكان امريكا اللاتينية فى الانتماء الى أصل لاتينى .

فاللغة ليست طبيعة لازمة ، وانما هى عادة مكتسبة لا أثر للجنس أو الوراثة عليها ، وانما تدين لمن يتعلمها ويتدرب عليها ـ والبيئة والمجتمع هما المزدرع الذى تنبت فيه وتترعرع .

وقد كان العرب يرسلون أبناءهم الى البادية ليكتسبوا فيها الفصاحة والبلاغة ، ويقوموا السنتهم ويعودوها على النطق الصحيح واللهجة السليمة ، والطفل الصغير ينشأ على ما تعود سماعه من لغات وما تكسبه المرانة والدربة من سليقة لغوية . فالمصريون اليوم لا يتكلمون لغة الفراعنة القدامى ـ وسكان الولايات المتحدة الامريكية ـ وهم أخلاط من المهاجرين ـ لا يتكلمون لغات اسلافهم .

فاللغة على ذلك مرتبطة بالبيئة مثابة المصالح الشخصية ومحك المعاملات المشتركة ، وبهذا كان ارتباطها بالاقليم الجغرافى والموطن أوثق من ارتباطها بالجنس المشترك .

هذا ، أما عن اللغة العبرية التى يزعم اليهود انها لغتهم القومية ، فانها لم تكن لغة سيدنا ابراهيم وعشيرته ، ولم تنشأ الا بعد استيطان ذريته فى أرض كنعان بأمد طويل .

فقد كانت اللغة الآرامية ـ لغة شرق الجزيرة الفراتية وشمالها ـ هى لغة العبرانيين الأوائل وهى لغة قريبة جدا من اللغة العربية الشمالية .

فلما أن حلوا فى بلاد كنعان ـ ارض فلسطين ـ واختلطوا بأهلها نشأ عن امتزاج لغتهم الآرامية باللغة الكنعانية ـ لغة أهل البلاد ـ لغة جديدة لم

تتكون مقوماتها الا بعد طول استعمال وتداول ، وتخللتها فى أثنائه آثار لغوية أخرى سامية وغير سامية ــ وقد عرفت هذه اللغة الجـديدة باللغة العبرية نسبة الى الأصل العبرانى الذى يزعم اليهود انهم جميعا ينتسبون اليه .

وان المسلم المعروف ــ دون امتراء ــ أن كل يهودى ــ بالمفهوم المطلق ــ فى شتى أنحاء العالم فيما وراء حدود اسرائيل يتكلم بلغة البلد الذى يقيم فيه ويتلقى بها ثقافته ويتعامل بها مع مواطنيه .

فكان الاسرائيليون من نسـل يعقـوب فى مصر يتكلمون اللغـة المصرية ( الهيروغليفية ) ، وقد أثبت الدكتور فؤاد حسنين على أن أسفار التـوراة الخمسة المنسوبة الى سيدنا موسى قد دونت ابتداء باللغة المصرية القـديمة لغته ولغة قومه ، كما أثبت أن اللغة العبرية لم تنشأ أو تعرف الا بعد وفاة سيدنا موسى بزمن طويل وبعد دخول قومه بلاد كنعان (١) .

هذا ــ وقد كان سبايا اليهود فى منفاهم ببابل يتكلمون اللغة الآراميـة لغة البابليين القومية ، كما أن اليهود الذين فروا من فلسطين الى الاسكندرية فى العصر البطلمى قد تأقلموا فى مثابتهم الجديدة واستعملوا اللغة اليونانية اذ كانت لغة الحياة اليومية فى البلاد حينذاك ؛ حتى انهم نسـوا لغتهم العبرية واستبهمت عليهم أسفار التوراة واضطروا الى ترجمتها الى اللغة اليونانية فى عصر بطليموس الثالث ؛ وهى الترجمة المعروفة الآن بالترجمة السبعينية .

وكذلك نجد أن اليهـود الذين هاموا على وجوههم من ويلات الرومان اشتاتا فى شبه الجزيرة العربية شـمالها وجنـوبها ، قد تأقلمـوا فى بيئتهم الجديدة واصطنعوا لغتها فى معاملاتهم وصاغوا بها آدابهم ، وقد خلفت طائفة من بلغائهم مأثورات شعرية تعتبر من عيون القصيد العربى الرصين .

وفى العصر الحاضر نجد أن اللغة الانجليزية هى لغة اليهـود فى أمريكا الشمالية وفى الهند ، بل انها لغة الصلاة والطقوس الدينية التى يمارسـونها فى معابدهم الخاصة هناك .

وحتى اللغة الخاصة التى يتكلمها اليهود فى عزلتهم الطائفية بين أسوار الجيتو فانها غير موحدة ، فالاشكنازيون ــ وموطنهم ألمانيا أصلا ومنها تفرعوا فى بوهيميا وبولندة ووسط أوروبا وغربها ، يتكلمون لغة اليدش Yeddish المشتقة من اللغة الالمانية ، واسمها محرف من كلمة يهودى باللغة الالمانيـة ، وتتخلل هذه اللغة عناصر لغوية شتى : ايطالية ويونانيـة ولاتينية وصـقلية الا انها تكتب بالحروف العبرية .

والسفارديون ــ وموطنهم الغالب اسبانيا وشـمال افريقيـا والاقطار الشرقية من حوض البحر المتوسط والبلقان فانهم يتكلمـون لغة محرفة عن الاسبانية تعرف باسم اللادينو Ladino . ( أى لاتينى ) أو دزوديزمو Dzudezmo وتدخلها بعض الألفاظ العربية والتركية ، ويتكلم الفلاشا ــ فى شمالى الحبشة ــ لغة الأجاو الكوشية القديمة .

---

(١) كتاب التوراة الهيروغليفية تأليف الدكتور فؤاد حسنين على من صفحة ٤٦ الى ٥٣ .

وقد يقال ان اللغات المحلية التى اختص بهـا اليهـود فى الاقطار التى يعيشون فيها تتخللها جميعا عناصر لغوية عبرية بالاضافة الى سائر العناصر اللغوية الأخرى .

على أن حال هذه اللغات فيما تشترك فيه من عناصر عبرية ليس بأوضح من حال اللغات الاوروبية التى تشترك فى اصل لغـوى واحـد تفرعت عنـه كالأصل اللاتينى أو الجرمانى أو الانجلوسكسونى — بينما يقطع الواقع المشهود بأن العنصر المشترك فيما بينها عديم الجدوى فى صنع قومية مشتركة ولا أثر له اطلاقا فى هذا المجال .

أما اللغة العبرية فان من يعرفهـا من اليهـود انما اكتسـبها بالتعليم والدراسة كأية لغة أجنبية غريبة على المجتمع الذى يعيش فيه ، لا يستخدمها فى معاملاته الاجتماعية اليومية .

ولا يتكلم اليهود اللغة العبرية اصالة الا فى محاولة بعث هـذه اللغة التى تزعمها فى العصر الحديث بن يهوذا الملقب بأبى العبرية الحديثة والذى ناضل فى سبيل اعتمادها لغة محـكية ، ثم تبنت هـذه المحـاولة دولة اسرائيـل الحديثة .

ويعترف دافيـــد بن جوريون فيما نشرته له صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون الامريكية فى مايو سنة ١٩٦٢ — لمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لقيام دولة اسرائيل — بأن اللغة العبرية لغة فقدت حياتها اذ لم يتحدث بهـا أحد طوال الفى سنة .

ولئن احتج اليهود الصهيونيون بأن اللغة العبرية تجمع اليهود اجمعين فى عبادتهم وصلاتهم بحسبانها لغة التوراة فانه يمكن أن يقال — فى مقابل ذلك — ان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم للمسلمين فى أنحاء العالم كافة ولا سبيل الى استبدالها أبدا ومع ذلك فلم يزعم أحد بأنها وحدها تجمع المسلمين تحت لواء قومى واحد ، على تباعد مواطنهم وتفرقها فى فجاج الارض شرقا ومغربا، سواء اقتصر المامهم باللغة العربية على آيات القرآن وحدها أم انهم تبسطوا فى تعلمها للالمام بعلوم القرآن وأحكام الدين الاسلامى بعامة .

ولا يعنينا فى صدد دراستنا لعناصر القومية بالنسبة لليهود ما انتهى اليه علماء اللغة من أن مجموعة لغات الشعوب التى نزحت من موطنها الاصلى فى شبه الجزيرة العربية الى الشمال فى أراضى العراق وبلاد الشام — كالعربية والسريانيـة والكنعـانية — ترجع كلها الى أصـل تاريخى واحـد اشتقت منه وتفرعت عنه .

ذلك لأن طول الزمن والأحداث التاريخية والاجتماعيـة قد فصلت بين هذه اللغات وباعدت بينها ، بحيث استقلت عن بعضها تماما وانفردت كل منها بخصائصها ومناهجها وقواعدها ، وفقدت الرابطة المعنوية التى كانت تجمع بينها والتى لا يستظهرها سوى الدراسة الفقهية اللغوية المتعمقة كأثر تاريخى فحسب .

فاللغة تكتسب أهميتها كمفاعل للقومية من كونها وسيلة فعلية وفعالة فى التفاهم والتواصل الفكرى وفى التفاعل الاجتماعى على اختلاف مناهجه ، ولا شأن للاصل التاريخى بذلك كله .

## ٣ ـ رابطة الدين

اما عن رابطة الدين بحسبانها من مقومات القومية المشتركة ، فانها لا تنهض دليلا قاطعا على اكتساب هذه القومية ، فحسب الدين أن يبتعث الطائفية أو يدعم رابطة القومية ، ولكنه وحده لا يمكن أن يخلق القومية أبدا .

حقا ان العقائد الدينية والسياسية ـ كما يقول الدكتور غوستاف لوبون (١) ـ « ذات دور فعال وحيوى فى خلق وحدة الشعور والتفكير التى تساعد على استمرار الجماعات » لأن ذلك المجال المعنوى هو موطن تأثير تلك العقائد .

ولا ريب فى انالتعاليم الدينية التى تحض اليهود ـ بمختلف اجناسهم ـ على التجمع الطائفى والعزلة الاجتماعية فى البيئات التى يعيشون فيها ـ هى التى ساعدت على احتفاظ الجماعة اليهودية بطابعها وصفاتها الخاصة منذ القدم حيثما حل أفرادها ، مما حال دون تذويبهم وانصهارهم تماما فى تلك البيئات .

بيد أن ذلك لا يعنى أن تلك العقائد قد خلقت منهم قومية مشتركة ، ذلك لأن القومية لا تعتمد على الدين أصالة كعنصر فعال من عناصرها المقومة ، فقد تشتمل القومية الواحدة على أكثر من دين دون أن يتأثر وجودها أو تفقد أحد عناصرها الفعالة ، بل انه قلما تنفرد القومية بدين واحد يسودها سيادة مطلقة فينضوى تحته كافة من يستظل بظلها وينتمى اليها .

كما أن لكل دين أتباعه المنبثون فى شتى اصقاع الارض من كل جنس ومن كل لون ، ينتمون الى جنسيات وقوميات متعددة فعلا ، فلا تكاد تجمعهم سوى رابطة روحية وهى بحسبهم ـ بينما أن الرابطة القومية رابطة سياسية واجتماعية .

فالوحدة الدينية لا تمنع من وجود تفاوت كبير بين شعوبها سواء فى الفكر أو فى التقاليد أو سائر مقومات القومية ، تفاوتا يباعد بينها فى المشارب والحياة الاجتماعية ويحول دون تقاربها أو اندماجها السياسى .

ونحن نلاحظ أن الدين المسيحى فى أوربا لم يجمع بين شعوبها فى تنظيم سياسى واحد بل انتظم دولا مختلفة ما برحت فى شقاق وتناحر عبر التاريخ.

كما ان انتشار الاسلام بين دول الشرقيين الأدنى والأوسط لم يوثق بينها برابطة سياسية أبدا ، وعلى العكس فقد كانت الدولة العباسية في الشرق مناهضة للدولة الاسلامية فى الأندلس ، ولم يكن للدين من أثر فى توحيد القومية بين شعوب الدولتين .

كما نشاهد دولا تعتنق دينا معينا بل وتتزعم معتنقى هذا الدين فى العالم ، بيد أنها رغم ذلك لم تحملهم على نبذ قومياتهم الأصلية واكتساب

---

(١) Bases Scientifiques d'une philosophie de l'Histoire, par Gustave Le Bon, édit. 1931.

قومية موحدة مبناها الدين وحده ، فالدولة العثمانية كانت تتزعم المسلمين ويشمل سلطانها رقعة الخلافة الاسلامية فى المشرق والمغرب ، ومع ذلك فقد ظلت قوميتها تركية ، كما حافظت كل ولاية من ولاياتها الاسلامية على قوميتها الوطنية الخاصة ، بغض النظر — فى هذا المقام — عن دينها الاسلامى الذى يجمعها ، وهى بالطبع خلاف الجنسية السياسية المشتركة .

ولم تلبث هذه القوميات التى ضمتها الامبراطورية المشتركة ان انهارت وتفككت الى أصولها حينما وهت الوشائج الادارية والسياسية التى كانت تربطها بحزم وقوة ولم يغن عنها الدين حينذاك شيئا ، كما ان معتنقى الديانة البوذية فى الصين وفى الهند كثرة غالبية — ومع ذلك فلم يقل أحد بأن ثم قومية هندية صينية معا ، أو أن احدى القوميتين الهندية أو الصينية قد طغت على الأخرى ، أو ان ثم قومية بوذية مشتركة .

## ٤ — الثقافة المشتركة

ان مؤدى الثقافة المشتركة التجانس العقلى الذى ييسر التفاعل الروحى والتجاوب العاطفى ، ويوطىء النفوس لتقبل العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية والسياسية المشتركة المبنية على العلوم والفنون والآداب واصطناع الفنون القومية وتذوقها .

وتستند دعوى القومية اليهودية الى اشتراك اليهود فى تاريخ حضرى واحد وثقافة يهودية واحدة توثق بينهم بأواصر فكرية مشتركة ، غير أنه يجمل بنا ابتداء ان ننبه الى أن اللغة هى قوام الثقافة بحسبانها وعاء العلم وأداة التعبير والفهم وسبيل المعرفة . وقد أثبتنا فيما سبق ان اليهود فى أقطار الارض لا يتكلمون لغة واحدة خاصة مجمعا عليها من أشتاتهم ، ورغم ذلك فان المقطوع به أن الشعب اليهودى لم تكن له ثقافة خاصة وليس له تراث علمى او فنى مأثور أو نشاط حضرى مميز يؤثر عنه .

(١) « فلقد أتى الشعب الذى عرف فيما بعد بالعبرانيين بشكل متجولين ومغامرين ومرتزقة وجنود لا ارتباط لهم ، ثم استقروا بالتدريج بين السكان الذين سبقوهم وفاقوهم فى مدنيتهم ، وتعلموا منهم حرث الارض وبناء المنازل وممارسة فنون السلم وأهم من ذلك القراءة والكتابة ، ويضاف الى ذلك كله أن العبرانيين تركوا آلهتهم السامية القديمة واتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم . واللغة الفينيقية واللغة العبرانية القديمة كما هى مدونة فى العهد القديم لا تختلفان الا من ناحية اللهجة » .

ويحسبنا ما سجله عليهم مؤرخ الحضارات الكبير الدكتور جوستاف

---

(١) كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تأليف الدكتور فيليب حتى النسخة العربية الطبعة الثانية ببيروت سنة ١٩٥٧ الجزء الأول صفحة ١٩١ .

لوبون فى كتابه « اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى » حيث يقول « (١) ظل اليهود حتى آخر مرحلة من تاريخهم فى أدنى درجة من الحضارة قريبين من دور التوحش الخالص » .

ثم يقول : « (٢) ولم يجاوز قدماء اليهود أطوار الحضارة السفلى التى لا تكاد تميز من طور ألوحشية ، وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل ، فكان أمرهم كأمر جميع العروق الدنيا التى تكون فى أحوال مماثلة ، فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما فى حضارتها أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية ودعارتها وخرافاتها » .

ولقد عجز اليهود عن ابتداع حضارة مستقلة أو اضافة جديد الى الحضارات المعروفة وقتذاك ــ أو حتى أن يضربوا بسهم فى الحضارات التى عاشوا فيها ونعموا بها ، فهم قد استعانوا فى بناء قصورهم وتشييد معابدهم بذوى الفنون والمهن المختلفة من الامم الاخرى خصوصا من الفينيقيين ــ كما تشهد بذلك توراتهم .

ولم يؤثر عنهم مخلفات تاريخية تعبر عن حضارة مزدهرة لهم فى فلسطين كما خلف غيرهم من الامم من الآثار العمرانية والفكرية مايشيد بذكرهم ويخلد تاريخهم التليد .

ذلك فضلا عن أن حظهم من التأليف والادب كان محدودا ويقول الدكتور جوستاف لوبون : (٣) « واذا عدوت العهد القديم وجدت بنى اسرائيل لم يؤلفوا كتابا ــ والعهد القديم هذا لم يشتمل على شيء يستحق الذكر سوى ماجاء فيه من بعض الشعر الغنائى واما مااحتواه من أمور أخرى فيتألف من رؤى أناس متهوسين ومن اخبار باردة وأقاصيص داعرة ضارية» .

ذلك قول التاريخ فى اليهود ــ على أن يهود العالم اليوم يختلفون فى ثقافتهم اختلافا بينا سواء فى مضمونها أو فى مستواها تبعا لبيئاتهم الوطنية التى يقيمون فيها .

فثقافة اليهود فى اوربا وأمريكا غيرها بالنسبة ليهود اليمن مثلا كما وكيفا . وهى ثقافات متباينة نابعة من البيئات التى يعيشون فيها واستقوا من مناهلها .

فليست ثمة ثقافة يهودية خاصة الا فى شئون الدين فحسب ، وفى الشعر الغنائى الدينى خاصة الذى يتجلى فى المزامير المختلفة ، وهذه لا تأثير لها على تكوين القومية للشعوب فان لكل دين ثقافته الخاصة المنتشرة بين أتباعه على امتداد مواطنهم بغض النظر عن اختلاف قومياتهم .

---

(١) كتاب اليهود وتاريخ الحضارات الأولى للدكتور جوستاف لوبون ترجمة الاستاذ عادل زعيتر ــ مطبعة حجازى سنة ١٩٥٠ صفحة ٤٣ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٠ .

(٣) المرجع السابق صفحة ٢٢ .

## ٥ ــ الوطن المشترك

ان الاساس الرئيسي للقوميات هو قيام مصالح مشتركة ومعاملات مادية متبادلة توثق بين المجموعة البشرية التى تدين بها وتدعم بينها الترابط العاطفي والعملي معا ، هذا الترابط الوثيق الذى ينتج عن التعايش المشترك والتفاعل الدائب والتجاوب الايجابى المتصل مع البيئة والمجتمع فى الصعيد الواحد المتصل الاجزاء على المدى المديد .

فالمواطن ــ على هذا ــ هو مناط القومية الذى تتكامل على صعيده سائر مقوماتها وعناصرها ، لما انه مثابة التفاعل البيئى والاجتماعى الذى يؤدى الى التكيف والتأقلم والتجانس القومى ، فى الخوالج الوجدانية وفى مجرى النشاط الانسانى وفى أسلوب الحياة وفى العرف والتقاليد المستقرة اجتماعية كانت أم سياسية .

بدليل أن الوطن الواحد الذى تسوده قومية واحدة قد يجمع بين اكثر من دين وأكثر من لغة كما فى الهند مثلا فان جنسية الوطن هى التى تضفى على المواطنين أخيرا وتشملهم جميعا، وكذلك الحال فى سكان أمريكا المستعمرين الطارئين الذين وفدوا عليها من شتى الأقطار والاجناس ، فقد يسر لهم الوطن المشترك تهجين سلالة موحدة الصفات على المدى الطويل ، واندماجها فى بيئة واحدة تفرض عليها خصائصها وتوجه نشاطها الانسانى وتكيف نظمها الاجتماعية والسياسية ، ومن ثم فقد خلقت بين السلالات المهجنة مشاعر قومية مشتركة تصرمت معها الأواصر التى كانت تربط بينها وبين أوطانها الاصيلة وخلعت عليها جميعا قومية وجنسية جديدتين أصيلتين .

ولايمنع وجود هذه القومية الشاملة من التعدد الطائفى فى نطاقها كالطوائف الدينية وسائر الاقليات العنصرية فى شتى دول العالم .

فالوطن اذن هو البيئة التى تكيف المواطنين وتربط بينهم بوشائج المصالح المشتركة وأواصر العاطفة المتحدة معا ، وهو البوتقة التى تصهر مختلف المقومات والعناصر وتهجنها وتوائم بينها على الصعيد الواحد وتشكل منها عنصرا واحدا مميزا . فضلا عن أنها عنصر من عناصر البيئة التى تكتسب فيها السليقة اللغوية أيضا ، اى ان القومية ــ كما يرى فشت (فيختة) وهيجل وبرجس ــ هى وليدة الوحدة الجغرافية ومنها تستمد مقوماتها الاصيلة التى تكفى لقيامها واكتساب الجنسية الوطنية القانونية والطبيعية .

ذلك الى أن عوامل الطبيعة والمناخ وسائر العوامل الجغرافية المرتبطة بالبيئة تؤثر فى التركيب الجثمانى تأثيرا عضويا ــ كما بينا ــ كاللون والسمات الخلقية وشكل الراس وابعادها وأبعاد الجبهة ، وهى المميزات الرئيسية للاجناس البشرية المعروفة .

وكما تخلع الهجرة على المهاجرين على المدى الطويل صفات الوطن الجديد ومميزاته ، فانها كذلك تخلع عنهم صفات الوطن الذى نزحوا منه وتخلوا عنه .

ولاجدال فى أن بعثرة اليهود فى اقطار الارض لآماد تمتد الى آلاف السنين قد حرمتهم من عنصر الوطن المشترك ، وبالتالى قد حرمتهم من المزايا

الأساسية العديدة التى يوفرها هذا العنصر ، حتى ولو فرضنا جدلا أنهم كانوا يتمتعون بها من قبل .

ولا مشاحة أيضا فى أن مصالح اليهود الموزعين فى أنحاء العالم تختلف — ان لم تتضارب — باختلاف مواطنهم التى انفعلت بها وتفاعلت معها وارتبطت بها فى شئون الحياة ومقوماتها ، سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية .

فمصالح اليهود فى البلاد الناهضة غيرها فى البلاد المتخلفة ، وفى البلاد الصناعية غيرها فى البلاد الزراعية ، وفى البلاد الرأسمالية غيرها فى البلاد الاشتراكية أو الشيوعية .

وهكذا لكل طائفة منهم منهاجها ومصالحها التى ارتبطت بها .

وهذا يفسر لنا كيف أن الصهيونيين فى أمريكا قد آثروا البقاء فيها — الى جوار مصالحهم — حيث قد ارتبطوا بها بروابط المصلحة الوثيقة ، ولم ينزحوا الى اسرائيل رغما عن حماسهم البالغ فى الدعوة لها .

وبهذا أيضا يبين بجلاء لم كان حرص اليهود الصهيونيين بادىء ذى بدء — فى سبيل انبعاث قومية يهودية مستقلة — على تثبيت أقدامهم فى اقليم جغرافى يضمهم وينتسبون له ، فانصرفت جهودهم الى توطينهم حيثما دان لهم التوطن دون تحديد ، فاقترحوا سيناء لولا أن ناهضت الحكومةالمصرية هذا الرأى واقترح هرتزل — الارجنتين وطنا قوميا ووافق على تخصيص أوغنده لهذا الغرض .

وهكذا لم يركزوا جهودهم فى بلد معين يلتئم فيه جمعهم — الى أن تبلور هذا الامل فى فلسطين ، تحفزهم العوامل الدينية المتصلة بهذا الاقليم — ليخلقوا لهم قومية يتذرعون بها ويثبتون على أرضها دعاماتها ولو كان ذلك على حساب القومية العربية القائمة فعلا منذ أحقاب طوال استأدت الاعتراف بها فى المحيط الدولى .

ولايعتد فى هذا الصدد بما يقول به الصهيونيون وما ردده المؤرخ اليهودى سلفادور من « أن اليهودى ينقل وطنه معه دائما داخل نعل حذائه (١)» .

فانه فضلا عما يتضمن هذا القول من اعتراف مبين صريح بوجوب الوطن كعنصر أساسي لتقرير القومية ، فانه يبدو تهربا من الحقيقة وتحايلا على الواقع وذريعة متهافتة عاجزة عما يبتغون من تبرير لتخلف عنصر الوطن من مقومات القومية اليهودية والاكتفاء من دونه بالواقع الأبتر .

---

(١) كتاب الغرب والشرق من الحروب الصليبية الى حرب السويس الجزء الثانى فى عدوان الغرب تأليف الأستاذ محمد على الغتيت صفحة ٢٧٩ .

## ٦ ـ التاريخ المشترك

التاريخ المشترك هو الرابطة الروحية التى توثق بين أفراد الأمة بوشائج لا تنفصهم عراها ، ومبناها القرابة المعنوية الناجمة عن المشاركة الوجدانية فى الاحداث ، والآلام ، والآمال ، والمصير ، والعدو المشترك ، ووحدة التقاليد ، والعادات المتوارثة على مر العصور .

وغنى عن البيان أن اليهود فى مختلف الاقطار ومن مختلف الاجناس لايجمعهم تاريخ وطنى واحد مادام كل فريق منهم ينتمى الى جنس مختلف والى بلد يختلف عن الآخر .

ذلك لأن البيئة الجغرافية هى المسرح الذى يقوم عليه التاريخ بدوره ، وهى التى تهيىء للمجتمع البشرى الظروف والمؤثرات الفعالة التى يتكيف بها فى تنظيمه الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

وينكر الفيلسوف جان بول سارتر حق اليهود فى اصطناع قومية وطنية أو حتى اشتراكهم فى عاطفة واحدة أو تاريخ واحد أو تراث فكرى مشترك ، ذلك لان تاريخ وطن اليهود فى فلسطين قد اندثر منذ ألفى سنة . فليس سوى العقيدة الدينية رابطة تؤلف بينهم ويشتركون فيها (١) .

★★★

ومن هذا يبين بجلاء أن السمات التى يدعيها الصهيونيون ـ وحتى تلك التى تتوافر فعلا فى الجاليات اليهودية فى أقطار الارض ان سمحت بقيام عصبية دينية فانها لاتكفى لاكتساب قومية يهودية مشتركة ، يستظل بظلها يهود العالم وتضفى عليهم ذاتية مستقلة وكيانا قوميا مميزا ايان شط بهم المقام .

فان افتقار اليهود الى عنصر الوطن المشترك ـ مهما توافرت لهم من مقومات الأمة ومهما أوتوا من عناصر أخرى للقومية ـ لن يرقى بهم الى مصاف الأمم ، فلن يزالوا شعبا حسبه صفاته الخاصة التى تميزه عن سائر الجماعات البشرية ، تلك الصفات التى اكتسبها من التعاليم الدينية التى يعتنقها ويدين لها والتى توجهه فى حياته الخاصة والعامة .

وبالتالى فلن يكتسب اليهود قومية خاصة ينضوون جميعا تحت لوائها ، وانما هم ينتسبون الى شتى القوميات التى يعيشون فى اكنافها وتضمهم رحابها ، والتى تتميز بمعالم متباينة الى حد التنافر فى بعض الاحيان .

ومابرحت دولة اسرائيل الحالية تعانى الكثير من أثر تباين القوميات التى ينتسب اليها رعاياها من اليهود أنفسهم ، حتى قال دافيد بن جوريون احد أقطاب الصهيونيين المؤسسين لدولة اسرائيل والذى تولى رئاسة وزارتها ردحا من الزمن :

« ان فوضى عنيفة ومخيفة تحتاج اسرائيل نتيجة لتباين لتباين الخصائص الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لفئات عديدة من اليهود لاتجمع بينها أية رابطة (٢) » .

---

(١) كتاب « عدو السامية .. واليهودى » لجان بول سارتر .

(٢) كتاب نهاية اسرائيل تاليف الأستاذ صبرى أبو المجد ـ طبع القاهرة سنة ١٩٦٠ صفحة ٣٧ .

أما مايلاحظ على اليهود من طابع مميز وصفات يشتركون فيهـا منذ القدم حيثما حل افرادهـم فى أقطـار الارض ـ فان الاسـتاذ بلنتشـلى Bluntschli (١) أستاذ العلوم السياسية بجامعة هايدلبرج ـ يعزوها الى التعاليم الدينية التى تساعد على احتفاظ الجماعات بطابعها وصفاتها ، مصداقا لما يقول به الدكتور غوسـتاف لوبون (٢) « ان العقـائد الدينيـة والسياسية ذات دور فعال وحيوى فى خلق وحدة الشعور والتفكير التى تكفل الموقف » (٣) :

أما جان بول سـارتر فانه يعلل الطابع الذى يتميز به اليهـود بقوله :

«ان اليهودى يولد وحوله جو من الاسـتعباد والاشـمئزاز والنفـور والكراهية ، انه يولد ليجد نفسه فى موقف «الملعون» واذا به يكتسب بالتالى الصفات المادية والمعنوية والسياسية والاقتصادية التى تترتب على هـذا الموقف » (٣) .

وقد ساعد نظام العزلة الاجتماعية داخـل أسوار الجيتو والأحيـاء اليهودية الخاصة ، على احتفاظ اليهود فيما بينهم بالطابع الذى يميزهم عن الشعوب الأخرى يتوارثونه ويخلعونه على من ينتسب اليهم من جديد .

## اهتمام الصهيونيين بصنع قومية يهودية

لقد فطن الصهيونيون الى قصور مقوماتهم العنصرية والدينية عن خلق قومية يهودية يعترف بها العلم ويقتنع بها الرأى العام المتحضر ، فوطدوا عزمهم منذ اتجاههم الى اصطناع العوامل الاجتماعية والسياسية ذريعة يحتجون بها لتوطين شتاتهم فى صعيد واحد ـ الى غرس بذور القومية فى مجمعاتهم وبثهـا بين أفرادهم بغية اختلاق هذه القومية المفتقدة .

ولقد استحال على اليهود تنفيـذ مقـررات مجلس حكماء اليهود التى اصدرها فى عـام ٧٠ للميلاد ، والتى تنص على الحفـاظ على لغتهم العبرية وثقافتهم اليهودية وعنصريتهم الاسرائيلية ، فكان للبيئات التى ضمتهم أثرها الفعال فى القضاء على اللغة العبرية كلغة متداولة ـ يؤثرونهـا فى معـاملاتهم الجارية ـ حتى فى محيطهم الخاص .

كما كان لضرورات الحياة الاجتماعية واعتناق عناصر شتى من البشر للدين اليهودى ـ أثرها فى القضاء على وحـدة الجنس التى كانـوا يعتزون بهـا .

ومن ثم كان من مناهج الصهيونية ـ التى نشطت لهـا وتوفرت عليهـا

---

(١) كتاب نظرية الدولة للأسـتاذ بلنتشـلى The Theory of State by G.K. Bluntschli الطبعة الثالثة الانجليزية ترجمة للطبعة السادسة الألمانية .

(٢) Bases Scientifiques d'une Philosophie de l'Histoire, par Gustave Le Bon, édit. 1931.

(٣) كتاب « عدو السامية .. واليهودى » لجان بول سارتر .

اجهزتها المختلفة منذ تجديد دعوتها فى العصر الحديث ـ احياء اللغة العبرية ونشرها بين اليهود كلغة تخاطب وتعامل ـ وانشاء جامعة يهودية تكون موطن اشعاع للثقافة اليهودية ومثابة للغة العبرية وآدابها .

وتحقيقا لهذا الهدف اوعزوا الى الحكومة البريطانية أن تبادر اثر اعلان وعد بلفور بتقرير اللغة العبرية لغة رسمية فى فلسطين الى جانب اللغتين العربية لغة البلاد الأصلية والانجليزية لغة المحتل الحاكم .

وقد تم انشاء الجامعة العبرية بالفعل، فوضع اللورد اللنبى حجر الأساس سنة ١٩١٨ ثم افتتحها اللورد بلفور فى أول ابريل سنة ١٩٢٥ فى عهد الانتداب البريطانى .

واذ كان المسلم به أن الوطن هو موئل القومية ومحور مقوماتها جميعا فقد حرص الصهيونيون بادىء ذى بدء ـ فى سبيل ابتعاث قومية يهودية مستقلة على تثبيت اقدامهم فى اقليم جغرافى يضمهم وينتسبون له .

فانصرفت جهودهم الى توطينهم حيثما دان لهم التوطن دون تحديد ، فاقترحوا سيناء لولا أن ناهضت الحكومة المصرية هذا الرأى ، واقترح هرتزل الارجنتين وطنا قوميا ووافق على تخصيص أوغنده لهذا الغرض .

ويقول الدكتور بنسكر مؤسس جمعيات عشاق صهيون فى كتابه التحرر الذاتى «هدفنا ليس هو الارض المقدسة بل أية قطعة من الأرض تخصص لنا» .

وفى هذا المعنى أيضا يقول تيودور هرتزل «يكفى أن يعطونا أية قطعة من الأرض تتناسب وحاجات شعبنا وتكون لنا السيادة عليها» .

وتقديرا لهذا الاعتبار ، فقد كان البارون دى هيرش ، اليهودى النمساوى ، يدعو الى توطين اليهود فى الارجنتين أو كندا أو الولايات المتحدة الامريكية أو السودان أو جنوب أفريقيا أو استراليا .

واقترح تيودور هرتزل كذلك الارجنتين أو فلسطين وطنا قوميا دون تمييز أو تفضيل ، وقد حاول زانجويل ، الذى خلف هرتزل فى رئاسة المنظمة اليهودية ، انشاء مستعمرات يهودية يهاجر اليها اليهود فى أوغنده أو كندا أو استراليا أو انجولا ، لولا أن الحكومات المختصة رفضت هذه المحاولات .

هذا ، ومن ناحية أخرى ، فقد توفر الصهيونيون على توثيق اليهود بالارض لحملهم على الاستقرار فيها لخلق المناخ المناسب للنضج القومى ، ولهذا كان توفرهم على شراء أكبر قدر من الارض الزراعية فى فلسطين يحولونها الى مستعمرات يهودية تقوم الحياة فيها على أساس الزراعة ، مع أن اليهود لم يألفوا هذه الحياة قط ولم يكن لهم فى فلاحة الارض اى نشاط على مدى تاريخهم الطويل .

ولقد أنشأوا لهذا الغرض جمعيات ومؤسسات شتى ، تقوم بتسهيل الهجرة الى فلسطين وتمويل عملية شراء الاراضى بها ، لبث روح الاستقرار فى نفوس اليهود وربطهم بالاقليم الفلسطينى تمهيدا لاكتسابهم قومية متميزة يحملون العالم على الاعتراف بها .

ويخلص مما سبق أن المبادىء الصهيونية ليست أثرا من آثار قومية يهودية محققة، وانما تسعى الصهيونية — عن طريق المبادىء التى تعتنقها وتدعو لها — الى انشاء قومية يهودية غير متوفرة أصلا لليهود ، فانهم — رغم جهودهم المتصلة — ليسوا فى اسرائيل سوى مجتمع استيطانى متباين الى حد التنافر — لا يتمتع بسمات قومية موحدة ، وانما يمثل مزقا جنسية متباينة الأورمة ، لن تغير من الوضع الراهن شيئا ولن تسعف الصهيونية فى تلفيق جنسية موحدة ، وكما يقول المؤرخ بارون فى كتابه «التاريخ الاجتماعى والدينى لليهود (١)» «ان صهر الاجناس اليهودية المتعددة الموجودة فى دولة اسرائيل لخلق شعب واحد ذى قومية موحدة انما هى معضلة تاريخية يصعب تصور نجاحها » .

---

(١) أنظر كتاب : A Social and Religious History of the Jews, by S.W. Baron, 5 vols.

# الباب الرابع

## المقومات القانونية

## المبحث الثالث

## الباب الرابع

# الفصل الأول

## بحث مشروعية قيام دولة اسرائيل

### وعد بلفور وصك الانتداب البريطاني على فلسطين

لا مراء فى أن العوامل الدينية هى أساس العقيدة الصهيونية وملاك مقوماتها فيما تضمنت من نوازع مختلفة وأهداف قريبة وبعيدة .

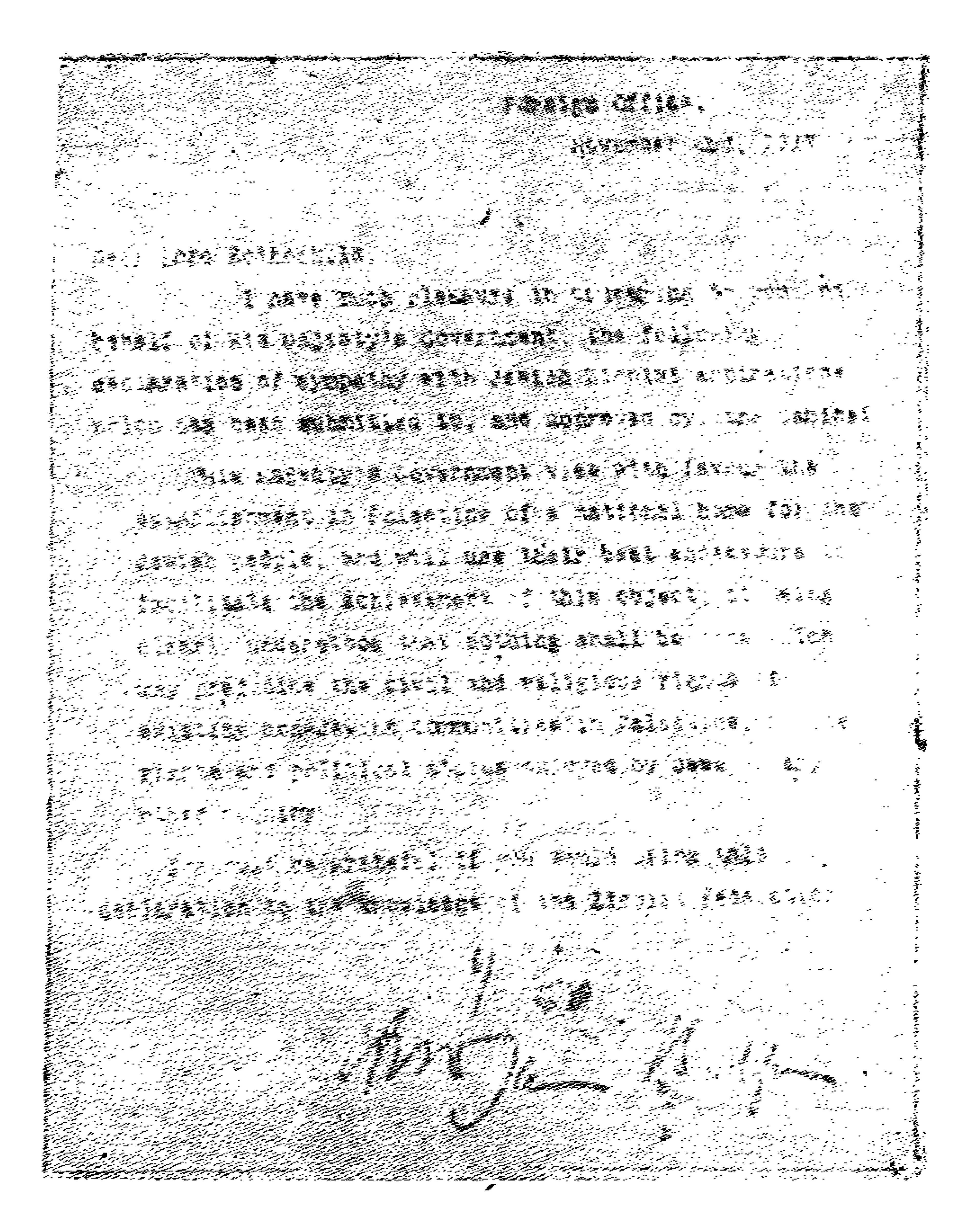
أما ماطرأ عليها من أفكار سياسية واجتماعية ـ على مافصلنا ـ فانما هى ذرائع فحسب ، استحدثها أنصارها لاخفاء ما يعروها من صبغة عنصرية ودينية صارخة يعافها الرأى العام العالمى ، وما تستهدف من أطماع بعيدة تهوى بالعالم أجمع فى مهواة من الويل والثبور ، ثم لتسويغ أهدافها القريبة تجاوبا مع الافكار والفلسفات السائدة فى أوروبا المسيحية .

وقد انتهز اليهود فرصة الحرب العالمية الاولى لتهيئة جو ملائم لاعمال مقرراتهم السياسية ، فصانعوا جبهة الحلفاء لكسب تأييدها وأمدوها بالاموال الطائلة ، كما تطوعوا فى صفوف الانجليز وساعدوهم فى حملة غاليبولى .

ومن جهة أخرى، فقد عمل الدكتور حاييم وايزمان ـ وكان يعمل أستاذا للكيمياء بجامعة مانشستر ـ على التقرب الى الانجليز واكتساب عطفهم بوضع جهوده وخبرته الفنية فى خدمة مجهودهم الحربى ، لمضاعفة انتاج مادة الاسيتون التى تعتمد عليها صناعة المتفجرات فى الحرب الناشبة وقتذاك ، وبهذا ظفر بثقة الانجليز وأمكن تعيينه رئيسا لمعامل الاميرالية البحرية فى لندن عام ١٩١٦ وكان اللورد بلفور آنذاك وزيرا للبحرية البريطانية .

ولقد مهدت هذه السياسة الصهيونية الانتهازية لاكتساب عطف الانجليز وتأييدهم الرسمى ، حتى تبنت انجلترا الحركة الصهيونية وكفلتها برعايتها

وحدبها ، واصدرت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ تصريحها المشهور الذى وجهه اللورد آرثر جيمس بلفور Balfour — الذى تولى وزارة الخارجية البريطانية فى ذلك الوقت — الى المليونير اليهودى اللورد ليونيل والتر روتشيلد نائب رئيس الاتحاد الصهيونى البريطانى ، يعد فيه اليهود باقامة وطن قومى لهم فى فلسطين حيث يقول :



خطاب اللورد آرثر جيمس بلفور وزير الخاجية البريطانى الى اللورد ليونيل والتر روتشيلد نائب رئيس الاتحاد الصهيونى البريطانى يعد فيه اليهود باقامة وطن قومى لهم فى فلسطين

**عزيزى اللورد روتشيلد**

يسرنى أن ابعث اليكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالى الذى ينم عن روح العطف على الأمانى اليهودية ، والذى رفع الى مجلس الوزراء ووافق عليه ، وهو أن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل افضل جهودها لتسهيل ادراك هذه الغاية ، مع العلم بأن لايعمل شىء يجحف بما للمجتمعات غير

اليهودية القائمة فى فلسطين من حقوق مدنية أو دينية ، أو بما يتمتع به اليهود فى أى بلاد غيرها من الحقوق أو المركز السياسى» .

والواقع ان مشروع هذا التصريح من اعداد اللجنة السياسية الصهيونية برئاسة سوكولوف ، ولقد حظى هذا التصريح بتأييد كل من فرنسا فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ وايطاليا فى ٧ مايو سنة ١٩١٨ والولايات المتحدة الأمريكية فى ٣١ أغسطس سنة ١٩١٨ . ثم توالى تأييده من دول الحلفاء شرقا وغربا .

ولم يكن لتصريح بلفور حين اصداره ذلك المغزى السياسى العميق الذى انتهى اليه فيما بعد ، غير ان الصهيونيين استطاعوا منذ اللحظة الأولى أن يستغلوا هذا التصريح بمفهومه المحدود فى توطيد أقدامهم فى فلسطين واستقدام أفواج اليهود اليها ، حتى اذا ما رسخت أقدامهم واشتد ساعدهم عملوا على تحويل هذا المأوى القومى الى وطن قومى واقامة دولة يهودية خاصة .

وعلى اثر ماأصاب الدكتور حاييم وايزمان من نجاح فى استصدار وعد بلفور فقد عين رئيسا للهيئة التنفيذية للمؤتمر الصهيونى المنعقد فى لندن فى فبراير سنة١٩١٩ وواصل وايزمان جهوده فقدم لمؤتمر الصلح فى باريس بتاريخ ٣ فبراير سنة ١٩١٩ مذكرة المؤتمرالصهيونى التى يطلب فيها من مؤتمرالصلح الاعتراف بوعد بلفور على أساس الحق التاريخى لليهود فى فلسطين ، وتحديد الوطن القومى لليهود فيها ليضم فلسطين والمنطقة الجنوبية من لبنان وجبل ميرمون والعقبة والاردن ، على أن يوضع هذا الوطن تحت الانتداب البريطانى ويقام فيه مجلس يمثل يهود فلسطين ، مع تسهيل هجرة اليهود اليه من أنحاء العالم .

وبتاريخ ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٠ قرر مجلس الحلفاء الاعلى لمؤتمر الصلح المنعقد فى سان ريمو بايطاليا ادماج وعد بلفور فى صلب معاهدة الصلح مع تركيا ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى مع التزام بريطانيا بتنفيذ تصريح بلفور ، - وبتاريخ ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ قررت عصبة الامم اعتماد قرار مجلس الحلفاء الأعلى وأقرت وثيقةالانتداب التى تحدد قواعده وأحكامه ، والتى أعترف الدكتور حاييم وايزمان فى مذكراته (صفحة ٣٤٧ و ٣٤٨) ان بنجامين . ف. كوهين اشترك مع سكرتير اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانى فى اعداد مواده وصياغة نصوصه .

وتنفيذا لقرار مجلس الحلفاء الاعلى عين السير هربرت صاموبل - اليهودى الصهيونى - فى أول يوليو سنة ١٩٢٠ أول مندوب سام بريطانى فى فلسطين، واتخذ الجنرال بيدز المعروف بنزعته الصهيونية مساعدا له ، وعين اليهودى الصهيونى نورمان بنتويتش Bentwich نائبا عاما لفلسطين وناط به الشئون التشريعية فيها ، وكأنما روعى فى تعيين هذا المندوب السامى اليهودى بالذات قواما على حكومة الانتداب فى البلاد التى قررت الدولة المنتدبة منحها لليهود - أن يكون معوانا لها على تنفيذ سياستها المبيتة أساسا على وعد بلفور ، وتثبيت دعائم الصهيونية فى فلسطين والتمهيد لتحقيق آمالها فيها .

ومصداقا لذلك فقد تم على يديه التمهيد لتوطين اليهود فى فلسطين وارساء قواعد الدولة الاسرائيلية فى ربوعها .

فسهل هجرة اليهود الى البلاد افواجا وبشتى الطرق وكان يمنح شهادات الهجرة بغير حساب ، كما أسند الى اليهود كثيرا من وظائف الدولة الهامة خصوصا فى دوائر الهجرة . وبالاضافة الى ذلك، فقد الغى جميع القوانين والانظمة التي وضعها العثمانيون وحرموا بها على اليهود امتلاك العقارات فى انحاء السلطنة العثمانية ، واستعاض عنها بقانون إنتقال الأراضى الصادر فى عام ١٩٢٠ والذى يسهل لليهود امتلاك الأراضى ، بل انه امعانا من حكومة الانتداب فى توطيد أقدام اليهود فى فلسطين وافقت على بيع اثنين وعشرين الف دونم من أوقاف المسيحيين لليهود ، وقدمت للوكالة اليهودية نصف مليون دونم من أملاك الدولة منحة لاستغلالها لصالح المهاجرين اليهود .

وتنفيذا للمادة الثانية والعشرين من صك الانتداب، قررت حكومة الانتداب استعمال اللغة العبرية لغة رسمية ثالثة مع اللغتين : الانجليزية لغة حكومة الانتداب والعربية اللغة القومية فى فلسطين .

وفى اول ابريل سنة ١٩٢٥ فى عهد المندوب السامى السير هربرت صامويل افتتح اللورد بلفور الجامعة العبرية بالقدس حيث تولى ادارتها الدكتور يهوذا ماجنس .

ولقد انعقد مؤتمر الحلفاء فى سان ريمو فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ من قبل توقيع معاهدة الصلح بين الحلفاء وتركيا ـ لتقرير مصير الاقطار التى كانت تابعة للدولة العثمانية ـ وقرر هذا المؤتمر أن يعهد الى بريطانيا بالانتداب على فلسطين ولكنه لم يحدد شروط الانتداب ، وفى ٢٤ يونية سنة ١٩٢٤ أقرت عصبة الامم انتداب بريطانيا على فلسطين .

ويتكون صك الانتداب من ٢٩ مادة تنص المادة الرابعة منها على أن الدولة صاحبة الانتداب تعترف رسميا بهيئة يهودية مناسبة يكون لها الحق فى ابداء الرأى وبذل المعونة للادارة المدنية فى جميع المسائل الاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يمس اقامة الوطن القومي اليهودى فى فلسطين او مصالح اليهود فيها ـ وذلك تحت اشراف الادارة المدنية .

وتنص هذه المادة أيضا على أن الهيئة التى يتعين الاعتراف بها هى المنظمة الصهيونية .

كما تنص المادة السادسة على أنه مع عدم المساس بحقوق ومراكز الطوائف الأخرى ، تعمل حكومة الانتداب على تيسير الهجرة وتشجيعها بالاتفاق مع الوكالة اليهودية مع توطين المهاجرين اليهود فى أملاك الحكومة والأراضى البور غير المستغلة فى المرافق العامة .

وتنص المادة الحادية عشرة من صك الانتداب على أنه يجوز لحكومة الانتداب كلما رات تعذر قيامها بالعمل وحدها أن تتفاهم مع الوكالة اليهودية بشأن تنفيذ المشروعات الانشائية والاستغلالية والمرافق العامة لانماء الموارد الطبيعية فى البلاد ، على أن يراعى العدل والأمانة فى ذلك .

وتنص المادة الثانية والعشرون على جعل اللغة العبرية لغة رسمية .

ويعترف الصك فى المادة الثالثة والعشرين منه بأعياد اليهود وعطلاتهم أعيادا رسمية فى فلسطين .

وهكذا حدد صك الانتداب مقومات الدولة اليهودية فى فلسطين .

وقد استغلت الصهيونية العالمية فترة الانتداب فى التمهيد الرتيب لتوطيد أقدامها فى فلسطين ووضع الأساس لدولة يهودية فيها ، واستطاعت بالفعل أن تحمل هيئة الأمم المتحدة على الاعتراف بوجهة النظر الصهيونية فى انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، فأصدرت فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قرارا يقضى بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما يهودية والأخرى عربية على أن تتكون من مدينة القدس منطقة دولية .

الا أن الصهيونيين لم يقنعوا بالمنطقة التى أقرها لهم مشروع التقسيم فرفضوا تنفيذه ــ وما زالت دولة اسرائيل تتجاوز فى حدودها هذه المنطقة بل وتحاول باعتداءاتها المتكررة على المناطق العربية المتاخمة توسيع رقعتها بالاستيلاء عليها عنوة .

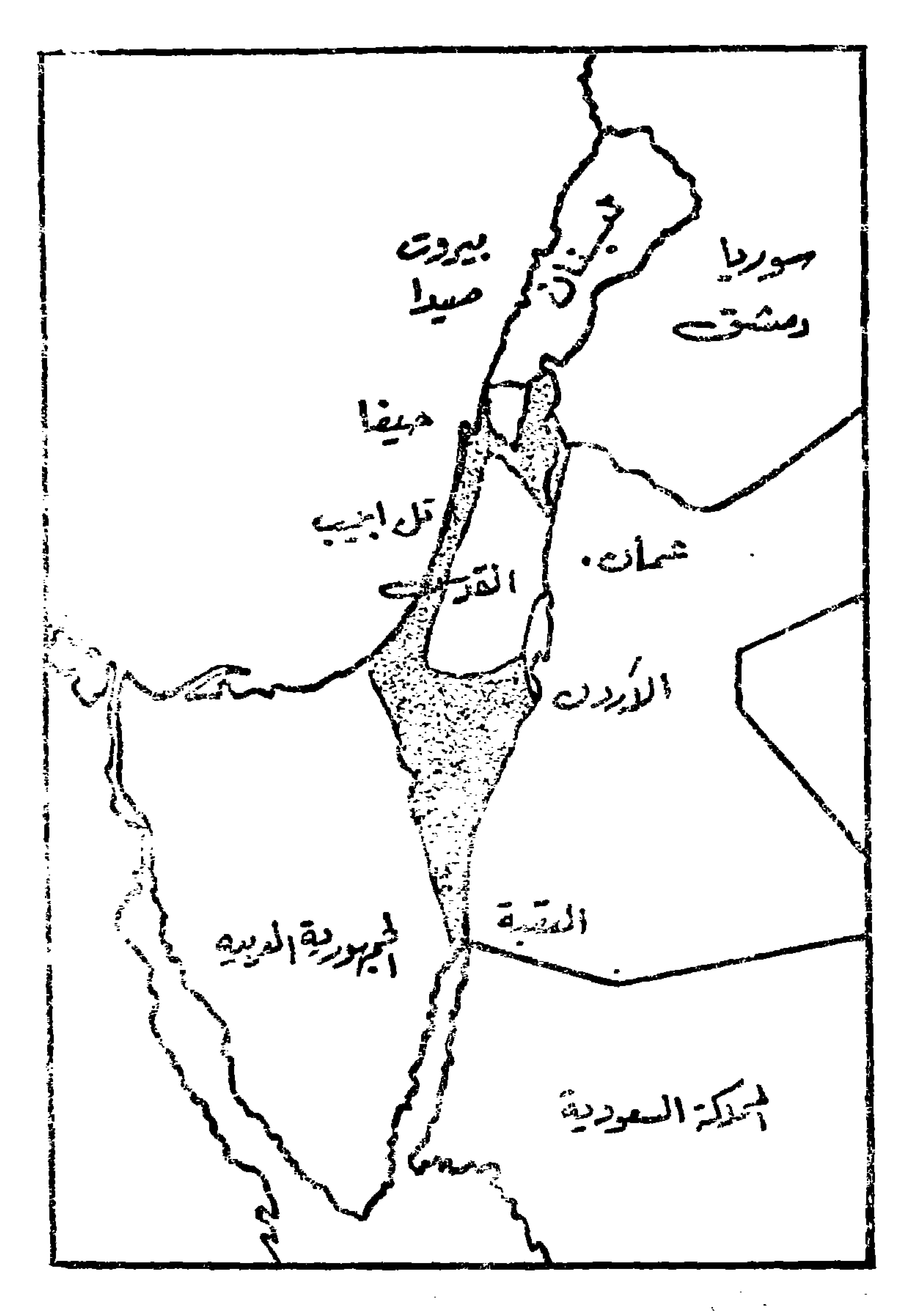
★★★

ولقد اعتبر اليهود التصريح البريطانى وصك الانتداب الذى صدر مؤيدا له ــ وهو تصريح غير مشروع صادر ممن لا يملكه ــ سندا شرعيا يخولهم الحق فى الاستيلاء على فلسطين وتأسيس دولتهم اسرائيل فى ربوعها والتى أعلن قيامها فعلا فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ فور انتهاء الانتداب البريطانى عليها .

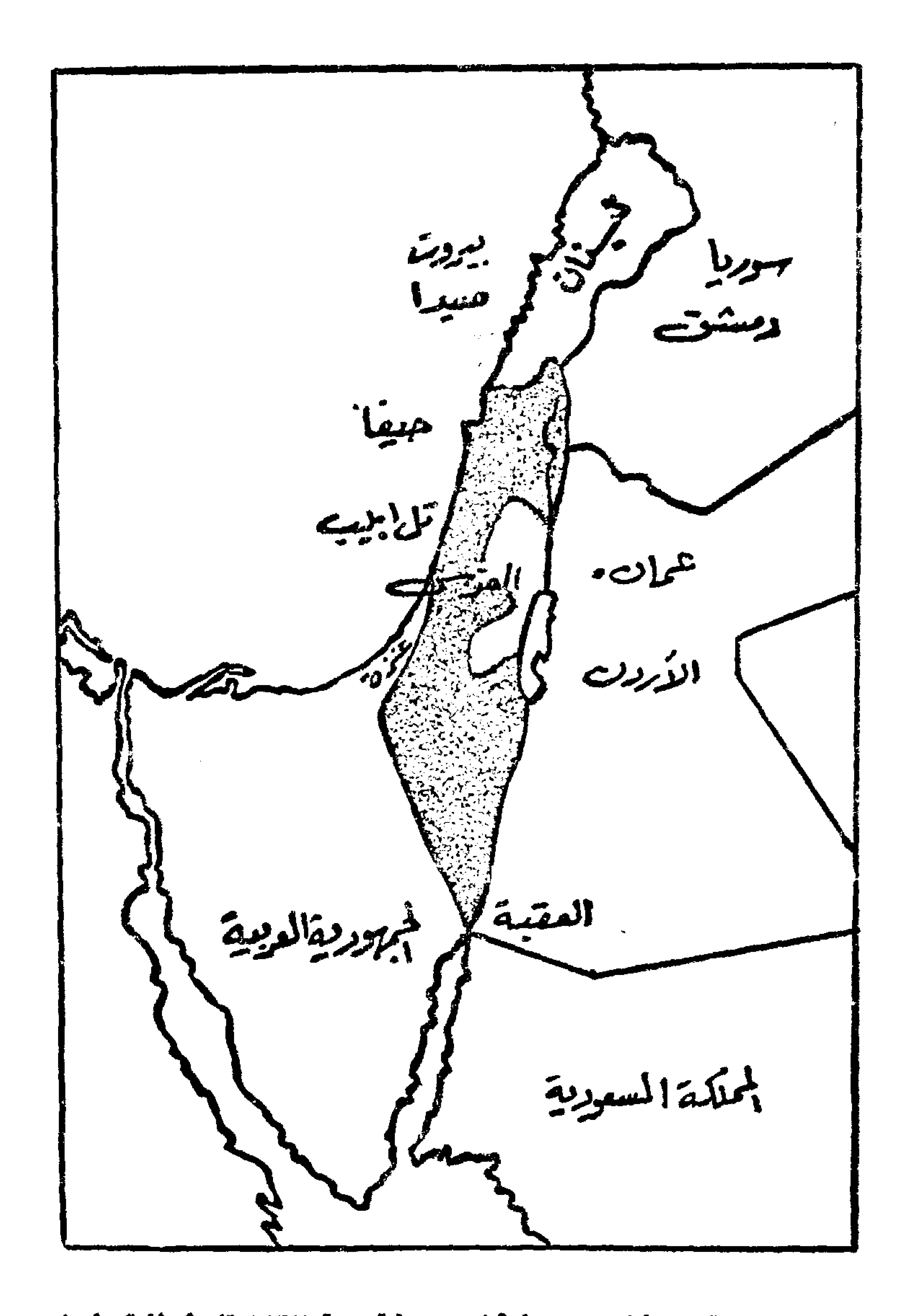
ذلك زعمهم الذى يريدون أن يلبسوا به الحق وهو زعم داحض يعقب عليه المؤرخ الكبير أرنولد جوزيف توينبى (١) بقوله « ان اسرائيل بكاملها مازالت من الوجهة الشرعية ملكا لعرب فلسطين الذين نزحوا منها » .

---

(١) يعتبر ارنولد جوزيف توينبى أعظم المؤرخين الأحرار فى العصر الحديث ؛ وكان أستاذا بجامعات انجلترا ؛ كما عمل بوزارة الخارجية البريطانية واشترك فى مؤتمر الصلح فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ؛ كما اشترك فى مؤتمر الصلح فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . وقد توفر على دراسة التاريخ من خلال الحضارات الانسانية ؛ووضع فى ذلك كتابه « دراسة فى التاريخ » فى اثنى عشر مجلدا انتهى به الى نظريته الفلسفية القائلة بأن مجرى التاريخ تضبطه وتسيره قوى نفسية أكثر من القوى المادية ــ وقد بلغ من شجاعته الفكرية أن جاهر فى أعقاب انتصار اسرائيل على العرب فى حرب عام ١٩٦٧ ــ بأن مآل اسرائيل الحتمى الى الاندحار والجلاء عن الشرق الأوسط استنتاجا من النظرية التاريخية التى استنبطها من مجريات التاريخ على من العصور .




تقسيم فلسطين بين العرب واليهود كما أقرته
هيئة الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧




خريطة دولة اسرائيل بحدودها قبل ٥ يونية سنة ١٩٦٧ تاريخ غارتها على الأقطار العربية المجاورة واحتلالها لشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان السورية والضفة الغربية لنهر الأردن

## أولا ـ تقييم وعد بلفور وصك الانتداب البريطانى على فلسطين

### تمهيد

يستند الصهيونيين أخيرا ـ فى صدد امتلاك فلسـطين وانشاء دولتهم فيها ـ الى حق قانونى مستمد من تصريح اللورد آرثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطانية ثم من وثيقة الانتداب الصادرة من عصبة الأمم مؤيدة له .

غير أن الواقع أن هذا الحق المزعوم انما هو افتئات غير مشروع لا سند له من القانون .

وانه لما يدعو الى التساؤل ويستثير الحيرة حقا كيف اختلبت السياسة الصهيونية عصبة الأمم فتداعت لها مستجيبة مسلمة ، مع مافى هذه الاستجابة من غض من القيم الانسانية واغضاء عن الحق والعدل وتنكر للمبادىء القانونية السامية التى اشترعتها العصبة وصاغت منها ميثاقها .

ولعلنا لا نجد أبلغ فى استظهار علة هذا التهافت والتسليم ، من مغزى تصريح الزعيم الصهيونى ناحوم زوكونوف فى المؤتمر الصهيونى المنعقد فى مدينة كارلساد فى عام ۱۹۲۲ مشـيراً الى علاقة عصبة الأمم بالصهيونية العالمية حيث يقول :

« (۱) ان عصبة الأمم فكرة يهـودية خلقناها بعـد صراع دام خمسـة وعشرين عاما » .

كما يلقى لوسيان وولف مزيدا من الضوء على تصرفات هذه العصبة ـ وقد كان مندوبا عن الجمعيات اليهودية فى اجتماع مجلس عصبة الأمم فى جنيف ـ حيث يقول « ان هذه العصبة تتفق قراراتها مع انبـل التقـاليد اليهودية واقدسها ، وان واجب اليهود المقدس ان يؤيدوا هذه العصبة بجميع الوسائل الممكنة (۲) » .

وسنعالج فيما يلى مشروعية الحق الذى يزعمه الصهيونيون فى كل من شقيه : وعد بلفور ، ثم وثيقة انتداب الحـكومة البريطانيـة من لدن عصبة الأمم لادارة شئون فلسطين .

---

(۱) عن كتاب «فلسطين والضمير الانسانى» تأليف الأستاذ محمد على علوبة صفحة ١٦٥ .
(۲) المرجع السابق صفحة ۱۳۰ .

## تقييم وعد بلفور

١ ــ ان أول ما يبده النظرة الفاحصة لوعد بلفور انه يعتبر من الناحية الشكلية البحتة خطابا شخصيا محضا مجــردا من الصفة الرســمية فاقدا لعناصر الالتزام الدولي لا ينبغي التعويل عليه ولا يجوز الاعتــداد به فى علاج مشكلة دولية ، ذلك لأنه صــادر من غير ذى صفة تخوله الحق فى اصــداره كما سنبين فى الفقرة التالية ــ ثم انه موجه الى اللود روتشيلد الذى لا يتمتع بأية صفة رسمية على الاطلاق .

٢ ــ صدر وعد بلفور لليهود ممن لا يملكه بالمخالفة للقاعدة القانونيــة المشهورة « ان فاقد الشيء لا يعطيه » فحين أصدرته الحكومة الانجليزية لم يكن لها بفلسطين صلة مشروعة ، فما كانت تملكها وبالتالى ما كان لهــا من حق شرعي يجيز لها التصرف فيها .

وانما كانت فى حرب قائمة مع الحكومة التركية العثمانيــة التى كانت فلسطين جزءا من امبراطوريتها ولها وحدها الولاية المشروعة عليها ، ولم يكن مصير فلسطين وسائر أقطار الامبراطورية العثمانية قد تحدد بعد بأية وسيلة من الوسائل التى يعترف بها القانون الدولى .

ذلك أنه بينما صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ فان اعتراف الحكومة العثمانية بانتداب الحكومة البريطانية لادارة شئون فلسطين لم يصدر الا فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ بمقتضى معاهدة سيفر Sèvres (١)

ولم تتنازل تركيا عن سيادتها على فلسطين الا فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣ بمقتضى معاهدة لوزان ، وحتى على اعتبار أن وثيقة الانتداب قد تضمنت فى ديباجتها نفس العبارات الواردة فى وعد بلفور فان ذلك لا يصحح بطلان ذلك الوعد ، لأن نظام الانتداب لا يترتب عليه نقل سيادة الشعوب الى عصبة الأمم او الى الدولة المنتدبة .

فواقع الأمر اذن أن انجلترا سرقت فلسطين فى ٢ نوفمبر ســنة ١٩١٧ وباعتها دون أن يكون لها حق أو شبه حق فى هذا البيع (٢) .

٣ ــ يتعارض التصريح بانشاء وطن قومى لليهود فى فلســطين مع حق تقرير المصير ، وهو الحق الثابت للشــعب الفلســطينى العربى الذى أيده تصريح الرئيس ولسن سنة ١٩١٧ ، والذى نص فيه على تحرير الشعوب غير التركية الخاضعة للحكم العثمانى .

كما صرح فيه ولسن أيضا بأن «الشرط الأساسى لتحقيق السلم مستقبلا

---

(٢) كتاب اسرائيل من صنع الاستعمار للدكتور طه أحمد شرف صفحة ٣١ .

(٢) كتاب اسرائيل من صنع الاستعمار الدكتور طه أحمد شرف صفحة ٣١ .

هو أن تطمئن جميع الشعوب الى انه لا يجوز أن يحكم شعب برغم ارادته او أن تفرض حكومة سلطانها على شعب لا يعترف بهـا (١) » وقد ردد مسيو بوانكاريه Poincaré رئيس جمهورية فرنسا ومسيو ارستيد بريان Aristide Briand رئيس وزرائها والمستر اسكويث Asquith رئيس وزراء بريطانيا فى تصريحات علنية انهم انما خاضوا الحرب العالمية الأولى دفاعا عن الحرية وضمانا لاستقلال الشعوب الصغيرة وتحريرها واحترام حقوقها ، ولقد صرح عرب فلسطين بجلاء ومنذ البداية برفضهم مبدأ الانتداب وسياسة انشاء وطن قومى لليهود فى بلادهم ، وتمسكوا بحقهم فى تقرير مصيرهم ، وأعلنوا رأيهم هذا رسميا للجنة الاستفتاء التى أوفدها الرئيس ولسن سنة ١٩١٩ والمعروفة بلجنة كنج كرين King Crane .

٤ — يناقض تصريح بلفور ايضا ميثاق عصبة الأمم الصادر فى عام ١٩١٩ الذى ينص على أن المستعمرات والاقاليم التى تخلصت من سيادة الدول التى كانت تحكمها يجب أن يطبق عليها المبدأ الذى ينص على أن خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة فى عنق المدنية .

ولا شك ان حرية الشعوب فى تقرير مصيرها واحتفاظها بالسيادة لنفسها هى أساس كل خير يمكن أن تنعم به الشعوب ، ويقصد بالشعب الأغلبية التى تعترف لها القوانين الدولية بحقوقها الثابتة فى السيادة على اقليمها .

٥ — صدر وعد بلفور مناقضا لاتفاقات الحكومة البريطانية مع الشريف حسين شريف مكة . فلقد قام السير ارثر مكماهون A. Mac Mahon والمندوب السامى البريطانى فى مصر بمفاوضة الشريف حسين فى مكاتبات متبادلة فى شأن استقلال العرب بحكم بلادهم والتى انتهت بتلاقى وجهات النظر وتعهد انجلترا بضمان هذا الاستقلال ، واطمئنان الشريف حسين الى هذا التعهد وذلك الضمان واعلانه الحرب على تركيا فى التاسع من شهر يونيو عام ١٩١٦ .

وقد طلب الشريف حسين فى كتابه المؤرخ فى ١٤ يوليه سنة ١٩١٥ اعتراف الانجليز باستقلال المنطقة التى تحد شمالا بمرسين واطنه حتى الدرجة ٣٧ من خط العرض الى حدود فارس ، وشرقا بحدود فارس حتى خليج البصرة ، وجنوبا بالمحيط الهندى باستثناء منطقة عون التى تبقى كما هى ، وغربا بالبحر الاحمر والبحر المتوسط حتى مرسين .

وقد تعهدت انجلترا بالاعتراف باستقلال تلك المنطقة فيما عدا سنجق مرسين والاسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة فى غرب مناطق دمشق وحمص وحماه وحلب ، بزعم انه لا يمكن أن يقال انها عربية محضة — وهى الأقاليم التى كانت فرنسا تتمسك بوضعها تحت نفوذها المباشر ، وقد أبلغ هذا التعهد رسميا الى شريف حسين فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ ونص على :

« ان انجلترا مستعدة على أساس التعديلات المشار اليها أعلاه ان تعترف

---

(١) كتاب الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس الجزء الثانى فى عدوان للغرب تأليف الأستاذ محمد على الغتيت صفحة ٢٢١ .

باستقلال العرب ضمن البلاد المشمولة فى الحدود والتخوم التى اقترحهـــا شريف مكة ، وان تؤيد ذلك الاستقلال – وتضمن بريطانيا العظمى حمـاية الأراضى المقدسة من كل اعتداء خارجى . »

ثم تقاربت وجهتـا النظر وانحصر الخلاف فى ولايتى حلب وبيروت اللتين تمســك بهما الشريف حسين بينما استثناهما مكماهون من مشروع المملكة العربية .

وبغض النظر عما ثار من خلاف حول تعيين المقصـود بالموافقـة التى تضمنها كتاب الســير مكماهون المؤرخ فى ١٠ ينـــاير سـنة ١٩١٦ فى قوله « تلقيت أمرا من حكومتي لاعلمكم أن جميع مطالبكم مقبولة » وهل كانت هذه الموافقة تقتصر على المطالب المالية التى أشار اليها الشريف حسـين فى خطابه السابق المؤرخ فى أول يناير سنة ١٩١٦ أم تنصرف الى الحدود التى إقترحها وتمسك بها فى ذلك الخطاب .

فان منطقة فلسطين تدخل ضمن الحدود المتفق عليها من الطرفين والتى لم يتناولها الجانب البريطانى بأى تحفظ صريح أو ضمنى .

كما أنه يلاحظ ان التعهد البريطانى ينصب على إستقلال العرب فى تلك الحدود ، مما يناقض وعد بلفور من المنافضــة الذى يمـكن الأقلية اليهودية من السيطرة على الأغلبية العربية .

ولقـد اعترف الشريف حسين أمير مكة بأنه أبرم فعـلا مع الحـكومة البريطانية فى يناير سنة ١٩١٦ اتفاقا تعهدت له فيه بالعمل على انشاء دولة عربية تعترف به ملكا على عرشها فى مقابل استغلال نفوذه الروحى – باعتباره من الأسرة الهاشمية الشريفة – فى تأليب الشعوب العربية ضـد الحـكومة العثمانية ومناصرتها للانجليز فى حربها معها . وتنص تلك الاتفاقية فى مادتهـا الأولى على أن : (١) « تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معانى الاستقلال فى داخليتها وخارجيتها ، حدودها شرقا خليج فارس وغربا بحر القلزم ( الاحمر ) والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالا حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجتمعه مع الدجلة الى مصبهما فى خليج فارس ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التى أجرتها بريطانيـا العظمى مع أى شخص كان من العرب فى داخل هذه الحدود بأنها تحل محلهـا فى رعاية وصيانة تلك الاتفاقيات مع أربابها أميرا كان أو من الأفراد » .

كما تنص المادة الثانية من تلك الاتفاقية على أن (٢) :

« تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أى تدخل كان بأية صورة كانت فى داخليتها ، وبسلامة حدودها البرية والبحرية من كل معتد أيا كان الشكل ، حتى لو وقعت فتنة داخلية من دسائس الأعداء

---

(١) و (٢) – تراجع نصوص هذه المعاهدة – بموادها الخمس – فى كتاب « ملوك العرب » تأليف الأستاذ أمين الريحانى طبعة سنة ١٩٢٤ .

او من حسد بعض الأمراء تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع تلك الفتنة ، وهذه المساعدة في الفتن والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة ، أى الى حين تتم للحكومة العربية تنظيماتها المادية . »

وفضلا عن ذلك ، فقد أعلن المارشال اللنبى رسميا فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٨ بيانا أكد فيه للعرب أن « الدولتين ( انجلترا وفرنسا ) تعملان على تحرير الأمة العربية من ظلم وطغيان الدولة العثمانية ، وعلى اقامة حكومات وادارات وطنية يتم اختيارها وتكوينها على أساس من الحرية (١) . »

### ٣ ـ مضمون وعد بلفور :

لم يكن لتصريح بلفور حين اصداره المغزى السياسى العميق الذى انتهى اليه فيما بعد ، ذلك أن عبارته كانت مشوبة باللبس والغموض .

وذلك أن عبارة National Home التى تضمنها النص ـ والتى وردت بنصها فى وثيقة الانتداب كذلك ، ـ تنصرف الى معنى دار أو ماوى قومى ، كما قد تنصرف الى معنى « وطن قومى » وشتان ما بين المعنيين وما يرتبان من حقوق لا تعدو فى المأوى أو الدار أكثر من مجرد الايواء دون انشاء أى حقوق سياسية خاصة ، بينما قد يخول الوطن القومى الحق فى تحويل هذا المأوى الى دولة يهودية

فقد أجاب اللورد بلفور نفسه على ما أثير من تساؤل حول المعنى المقصود من عبارة National Home فقال انه « نوع من الحماية تبسطها بريطانيا أو أمريكا على فلسطين ، وفى ظل هذه الحماية يمنح اليهود جميع التسهيلات التى تمكنهم من انقاذ انفسهم ومن اقامة مركز حقيقى لثقافتهم القومية ومركز لحياتهم القومية عن طريق التعليم والزراعة والصناعة ؛ وان هذا لا يعنى ضرورة التبكير باقامة دولة يهودية مستقلة ، اذ أن هذا الأمر يجب أن يترك للتطور الطبيعى وفقا للقوانين العادية للتطور السياسى بل وفقا للتكوين الأخلاقى (٢) » .

كما فسرها اللورد روتشيلد Rotchild الذى كان يتحدث باسم اليهود بقوله «انه ذلك المكان الذى يستطيع فيه اليهود أن يتحدثوا بلغتهم ويمارسوا طقوسهم الدينية وتكون لهم فيه حضارتهم ومعاهدهم العلمية ، وكل ذلك تحت حماية الدول المتحالفة (٣) » .

وبهذا المعنى صرح الدكتور حاييم وايزمان أمام مجلس الحلفاء الأعلى ، فقد نفى القول بأن المقصود بعبارة Home اقامة حكومة يهودية مستقلة . ذاتيا ، مقررا بأن المقصود هو « مجرد اقامة ادارة تحت سلطة الدولة المنتدبة ـ وليس من الضرورى أن تكون هذه الادارة يهودية ـ تمكن على قدر الامكان

---

(١) عن كتاب الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس الجزء الثانى فى عدوان الغرب تأليف الأستاذ محمد على الغتيت صفحة ٣٧٥

(١) و (٢) كتاب الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس الجزء الثانى فى عدوان الغرب بقلم الأستاذ محمد على الغتيت ص ٣٠٠ الى ٣٠٤ ـ اصدار الدار القومية للطباعة والنشر العدد ٣٩ من سلسلة « من الشرق والغرب ـ نافذة على الفكر العالمى الحر » .

من ارسال ما بين ٧٠ و ٨٠ ألف يهـودى الى فلســطين ، كما يؤذن للمنظمة الصهيونية بأن تقيم مدارس يهودية تدرس فيها اللغة العبرية (١) » .

وبالاضافة الى ذلك ــ ومن الناحية الرسمية البحت ــ فانه فى أعقاب المؤتمر الذى أوصت انجلترا بعقده من العرب واليهود فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ برئاسة المستر مالكولم وزير المستعمرات البريطانى ــ أصدرت انجلترا كتابا أبيض فصلت فيه السياسة التى قررتها حلا للقضية الفلسطينية ، وبينت بوضوح أن مضمون وعد بلفور هو انشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين وليس انشاء دولة يهودية بها ، وأن هــذا الوطن القومى قد تحقق للمهــاجرين من اليهود الذين نزحوا اليها من كل صوب ، وان حسب البلاد ما اســتوعبت من هؤلاء المهاجرين حتى ذلك الحين بما ترى معه وجوب ايقاف هجرة اليهود الى فلســطين ومنح البلاد استقلالها فى غضون عشر سنوات ، على أن يكون لسكانها ، وثلثاهم حينذاك من العرب ، حق تقرير المصير .

غير أن نشوب الحرب العالمية الثانية قد حال دون تنفيذ هذه السياسة ، بالاضافة الى الضغوط الصهيونية الدائبة استغلالا لحاجة بريطانيا الى أموال اليهود لمواصلة القتال .

---

(١) كتاب الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس الجزء الثــانى فى عدوان الغرب بقلم الأستاذ محمد على الغتيت ص ٣٠٤ .

## تقييم صك الانتداب البريطاني

### ( ا ) مخالفة نصوص صك الانتداب لميثاق عصبة الأمم

١ ـ تنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم الصادر سنة ١٩١٩ على الاعتراف للشعوب التى كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية ( فى فلسطين وسورية والعراق ) ـ بكيانها كأمم مستقلة ـ على أن تكون لرغبات هذه الشعوب المقام الأول فى ادارة بلادها .

بينما تخول المادة الاولى من صك الانتداب ـ السلطة التامة فى التشريع والادارة للدولة المنتدبة ، كما نصت المادة ١٢ منه على سلطاتها المطلقة فى السياسة الخارجية كذلك .

ولا مراء ان الخلاف بين النصين واضح جلى وفى غنى عن كل تعقيب .

على أن العرب لم تفتهم المطالبة بحقوقهم التى خولها لهم ميثاق عصبة الأمم فى صدد تحملهم مسئولية الحكم الذاتى فى بلادهم ، فقد طلب المؤتمر العربى الفلسطينى من لجنة الانتداب التابعة لعصبة الأمم وجوب انشاء هيئات للحكم الذاتى فى فلسطين يمثل فيها العرب حسب اغلبيتهم العددية ـ غير أن لجنة الانتداب قررت فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٢٤ عدم اختصاصها بالفصل فى هذا الطلب بحجة أنه ذو طابع عام غير محدد .

٢ ـ تنص الفقرة الأولى من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم فى شأن المستعمرات والأقاليم التى تخلصت من سيادة الدول التى كانت تحكمها على أن « حسن حال هذه الشعوب وتطورها يشكلان أمانة مقدسة » .

وليس من مظاهر هذه الأمانة اهدار حقوق الاغلبية العربية فى حكم بلادها ، وتسليمها لأقلية يهودية ولمهاجرين يهود يستجلبون من اقطار الارض لحكمها والسيطرة عليها ، وليس من هذه الأمانة كذلك منح أراضى الدولة للاقلية اليهودية والمهاجرين اليهود اذ باعت لهم ٢٢ الف دونم (١) من الأوقاف المسيحية كما قدمت نصف مليون دونم من أملاك الدولة منحة للوكالة اليهودية لاستغلالها لصالح المهاجرين اليهود .

### (ب) النص على انشاء حقوق جديدة لليهود واهدار حقوق العرب الثابتة :

١ ـ ان مقتضى نظام الانتداب الاحتفاظ للشعوب بسيادتها ، ولا يترتب عليه نقل السيادة الى عصبة الأمم أو الى الدولة المنتدبة ، وانما القصد منه

---

(١) الدونم يساوى الف متر مربع .

مقصور على تدريب هذه الشعوب كما جاء فى الفقرة الثانية من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم - ( على أن تسدى لها الدول المنتدبة النصح والارشاد فى ادارتها ريثما تستطيع القيام منفردة بشئونها ) كما تنص على ذلك الفقرة الرابعة من تلك المادة .

وبناء على ذلك فلم يكن ثم مسوغ قانونى يخول انجلترا الحق فى تسليم حقوق السيادة للاقلية اليهودية وانكارها على الأغلبية العربية على ما تضمنته المادة الرابعة من صك الانتداب ، التى تنص على الاعتراف رسميا بالمنظمة الصهيونية كهيئة رسمية تسهم مع الادارة المدنيــة فى ابداء الرأى فى مختلف المسائل الادارية ، وتؤكد ذلك أيضا المادة الحادية عشرة من صــك الانتــداب التى تجيز للحكومة المنتدبة اشراك تلك المنظمة فى أعمال التنفيذ بالاضافة الى ابداء الرأى .

٢ - استعملت وثيقة الانتداب اصطلاح الوطن القومى National Home وهو اصطلاح غير مألوف فى القانون الدولى (١) .

كما تضمن صك الانتداب تحفظا على انشاء وطن قومى لليهــود حيث ينص على أن « لا يعمل شيء يجحف بما للمجتمعات غير اليهــودية القائمة فى فلسطين من حقوق مدنية أو دينية ، أو بما يتمتع به اليهود فى أى بلاد غيرها من الحقوق أو المركز السياسى» وهى تحفظات يصعب التوفيق بينها وبين فكرة الوطن القومى اليهودى لما تتضمن من التزامات متعارضة (٢) .

٣ - استند صك الانتداب الى الحقوق التاريخية للشعب اليهودى فى فلسطين وقد سبق أن اثبتنا بطلان هذا الزعم بطلانا مطلقا .

٤ - مع أن المفروض فى الانتداب أنه يستهدف رفاهة الشعب - كمــا نصت على ذلك الفقرة الأولى من المادة ٢٢ من ميثــاق عصبة الأمم - الا أن صك الانتداب قد ركز فى نصوصه على رعاية مصــالح اليهــود وعلى اغداق حقوق لهم على حساب العرب ، كتسهيل هجرة اليهــود وتســليمهم أراضى الحكومة والأراضى الموات (٣) .

٥ - قررت المادة الرابعــة الاعتراف بوكالة يهــودية تشــترك فى ادارة فلسطين ورعاية مصالح اليهود ، وانشاء وتسيير الاشغال والمصالح والمنــافع العمومية .

بينما لم تنفذ ما نصت عليه المادة الثانية من اقامة مؤسسات للحــكم الذاتى ، لأن ذلك سوف يتوقف عليه نهوض الأغلبية العربية بأعباء الحكم . ولقد علل المستر تشرنشل ذلك فى بيان له أعلنه فى سنة ١٩٢٢ بأن « تشكيل حكومة وطنية سيحول دون تنفيذ العهد الذى قطعته الحــكومة البريطانيــة للشعب لليهودى بانشاء الوطنى القومى » .

---

(١) و (٢) كتاب العلاقات الدولية العربية تاليف الدكتــور محمد حافظ غانم الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ صفحة ٢٥٠ .

(٣) الأراضى الموات هى التى لا يملكها احد ولم يتعلق بها حق أحد ولا تستثمر لأى سبب من الأسباب .

## ثانيا ـ تقييم مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود

صدر قرار الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بالموافقة على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود وتدويل مدينة القدس مخالفا أحكام القانون الدولى والمواثيق الدولية المستقرة من عدة أوجه منها :

١ ـ يتنافى قرار التقسيم مع مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ذلك الحق المقدس الذى حرصت هيئة الأمم المتحدة على تأكيده فى الفقرة الثانية من المادة الأولى من الفصل الاول من ميثاقها ، لما أنه من أجلى مظاهر الحرية الجماعية للانسان، فقد أهدر ذلك القرار ارادة المواطنين العرب ـ وهم الغالبية العظمى لسكان فلسطين آنذاك ـ وكان ينبغى الاعتداد برأيهم فى صورة استفتاء عام حر ـ ومع ذلك فهم قد عارضوا فكرة التقسيم من اساسها وثاروا ضدها ثورة عاتية دامية .

٢ ـ يخالف التقسيم ما تقضى به الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم الذى وضع فى ظله وعلى هداه قرار انتداب انجلترا لحكم فلسطين .

اذ تقضى تلك الفقرة بأن تكون لرغبات الشعوب التى كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية المقام الاول فى ادارة بلادها ، وقد كان الشعب العربى هو الشعب السائد فى فلسطين ، وفكرة التقسيم تمس هذه الادارة بالغبن والاجحاف بالنسبة له .

٣ ـ يتعارض التقسيم مع مقتضى المادة الخامسة من صك الانتداب التى لا تبيح للدولة المنتدبة التنازل عن جزء من الأراضى الفلسطينية أو تأجيره أو وضعه تحت حكومة دولة أجنبية .

٤ ـ تقضى المادة السادسة من صك الانتداب بضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الأهالى الأخرى غير اليهود فى فلسطين ـ ولا جدال فيما حاق بالعرب من ضرر بالغ من تقسيم بلادهم وانتزاع شطر منها ـ ثم من وضع بعضهم تحت الحكم الاسرائيلى فى القسم اليهودى من التقسيم .

٥ ـ بناء على نص المادة العاشرة من ميثاق هيئة الأمم المتحدة فان قرار التقسيم يعتبر من الناحية القانونية مجرد توصية غير ملزمة ، فلم يزد عن كونه محاولة للتوفيق بين العرب واليهود ، واقتراحا مبدئيا يلزم لنفاذه من الناحية القانونية قبوله من الأطراف المعنية بناء على استفتاء حر ، ثم صدور قرار من مجلس الأمن باعتماده ونفاذه .

غير ان الواقع ان محاولات التقسيم على تعددها لم تنته الى مشروع مقبول من طرفى النزاع ، ومن الغريب أن اليهود أنفسهم لم يوافقوا على ما انتهت اليه لجان التوفيق من مشروعات التقسيم .

ولقد تجاوز اليهود بدولتهم بالفعل التخوم التى حددها مشروع التقسيم ، ضاربين عرض الحائط بقرار هيئة الأمم المتحدة الذى أوصى بذلك المشروع .

وفى سبيل اعمال التقسيم فقد طلبت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى قرارها أن يتخذ مجلس الأمن التدابير الضرورية لتنفيذ المشروع

الذى أقرته حتى تكون له الصفة القانونية الملزمة ، غير أن ذلك لم يتم حتى الآن .

وبذلك فان قرار هيئة الأمم المتحدة بالتقسيم ما برح مجرد توصية غير ذات أثر منتج لا من الناحية القانونية ولا من الناحية الفعلية ، لا يجوز الاحتجاج بها أو ترتيب حقوق عليها .

## ثالثا ـ قبول اسرائيل عضوا فى هيئة الأمم المتحدة

ان قرار هيئة الأمم المتحدة الصادر فى ١١ مايو سنة ١٩٤٩ بقبول اسرائيل فى عضويتها لا يعتبر وحده دليلا قاطعا على شرعية قيام هذه الدولة على النحو الذى قامت به ـ فان هذا الدليل مغموز من وجوه أهمها :

١ ـ أن هيئة الأمم المتحدة منظمة سياسية تصدر قرارتها عن دوافع سياسية بحتة كثيرا ما تجانب فيها القانون والواقع ، وليس أدل على ذلك من أنها لم تقبل دولة الصين الشعبية عضوا فيها آلا فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٧١ رغم وجودها الفعلى والقانونى من قبل ، ورغم ضخامتها فى المساحة والسكان ضخامة قد تعادل مجموع الدول الاوربية مساحة وسكانا .

ومن المفارقات المغربة ان هيئة الأمم المتحدة اكتفت فى تمثيل الشعب الصينى فى مجلس الأمن باقليم تايوان ( فرموزا ) الذى يخضع لحكومة الصين الوطنية ، وآثرته على دولة الصين الشعبية التى تضم أقطار الصين الشاسعة بحيث تربو عليه بحوالى ثلثمائة ضعف فى المساحة وحوالى ثمانين ضعفا فى عدد السكان ، مما تنتفى معه الصورة الصادقة أو المقبولة لتمثيل شعب الصين فى المنظمة الدولية .

فان عدم الموافقة على عضوية هذه الدولة العريقة العتيدة لا يعنى أبدا انكار وجودها ، كما أن عدم اعتراف بعض الدول بها حينا ما ـ كالولايات المتحدة الامريكية أعظم الدول المعاصرة ـ لم يؤثر على كيانها الفعلى ونشاطها القانونى فى المحيط الدولى ، وان كان من شأن الاعتراف التمتع ببعض المزايا الدولية فى مقابل الالتزام ببعض الواجبات .

وبالمثل فان سويسرا ليست عضوا فى تلك المنظمة الدولية ، ومع ذلك فانها تتمتع باعتراف العالم أجمع بها ، ولم ينقص ذلك من مكانتها الدولية ، بل انها تتمتع رغم ذلك بمكانة دولية ممتازة .

٢ ـ ان اسرائيل تنقصها مقومات الدولة حتى يجوز الاعتراف بها وقبول عضويتها فى المجتمع الدولى ، لأنها غير ذات حدود معينة حتى الآن ، فانها لم تلتزم حتى بالحدود التى وضعها مشروع التقسيم الذى أقرته هيئة الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ لأنها لم تعترف بذلك التقسيم .

أما الحدود الحالية والتى تجاوز مشروع التقسيم ذاك ـ فقد احتفظت بها اسرائيل بناء على اتفاقية الهدنة الموقعة فى رودس بينها وبين مصر والاردن ولبنان وسوريا فى ٢٤ فبراير و ٤ ابريل و ٢٠ يوليو و ٢٣ يوليو من عام ١٩٤٩ على التوالى ، وهذه الاتفاقية ليست اتفاقية دائمة ولكنها هدنة حربية تحدد خطوط وقف اطلاق النار بالنسبة للحرب التى نشبت بين اسرائيل وبين هذه الدول حينذاك ، ومعيارها مواقف الجيوش المتحاربة وقت توقيعها .

٣ ـ ان مسلك اسرائيل فى المجتمع الدولى وتجاه هيئة الأمم المتحـدة بالذات لا يجعلها جديرة بالانتساب الى هذه الهيئة . ذلك لأنها لا تلتزم ـ عن عمد ـ بما تصدره من قرارات لا تتفق مع سياستها وأطماعها ، وفى ذلك من معانى الاستخفاف بالهيئة والاستهانة بآرائها والخروج على الاجماع الدولى الذى ما انتظمتها صفوفه الا لتنزل على حكمه وتصـدع بكلمته ـ مما يؤدى أخيرا الى رميها بالمروق والعقوق وانتباذ هيئة الأمم بتعويق رسالتها ومقاطعة نشاطها .

ومن أهم القرارات التى تعنينا فى بحثنا والتى لم تمتثل لها اسرائيل ـ القرار الصـادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسـطين بين العرب واليهود ، والقرارات الصادرة فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ وفى ١١ ديسـمبر سنة ١٩٤٨ وفى ٨ ديسـمبر سنة ١٩٤٩ وفى ١٤ ديسـمبر سنة ١٩٥٠ وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ وفى ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٣ والقاضية بعودة اللاجئين الفلسطينيين الذين طردهم اليهود من ديارهم واغتصبوا أملاكهم ـ مع تعويض من لا يرغب منهم العودة الى فلسطين .

كما انها رفضت الاذعان لقرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ والقاضى بانسحابها من المناطق التى احتلتها من البلاد العربية فى أعقاب عدوانها الغادر عليها فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

## الفصل الثانى

## تشريعات القومية اليهودية والجنسية الصهيونية

### اولا ـ مضمون تشريعات القومية والجنسية

### ١ ـ قانون العودة الاسرائيلى

لقد رأى الصهيونيون فى انشاء دولة اسرائيل فرصة متاحة لاسباغ القومية اليهودية على أوسع نطاق ، باعتبار أن عنصر الموطن ـ وهو أهم عناصرها ـ قد تحقق فعلا بانشاء هذه الدولة فى صعيد معترف به دوليا .

فعملوا على استجلاب اليهود الى فلسطين ـ من شتى الأجناس ومن مختلف الاقطار ـ واغرائهم بالمقام فيها بتهيئة أسباب التوطن لهم وتيسير اكتسابهم الجنسية الاسرائيلية ضمانا لرعايتهم واستقرارهم .

واعمالا لهذا المبدأ الصهيونى وتحقيقا لأهدافه ، فقد صدر تشريع فى اسرائيل بتاريخ ٥ يولية سنة ١٩٥٠ بتنظيم هذه الهجرة عرف باسم «قانون العودة» حظى بالموافقة الاجماعية من البرلمان الاسرائيلى (الكنيست) .

ويرسم هذا القانون القواعد الآتية : ـ (١)

١ ـ كل يهودى له الحق فى الهجرة الى اسرائيل .

٢ ـ ( أ ) والهجرة تكون على أساس اعطاء تأشيرة بالموافقة عليها .

(ب) وتأشيرة الموافقة على الهجرة تعطى لأى يهودى يطلبها راغبا فى الاقامة فى اسرائيل ، ويستثنى من ذلك الحالات التى يقتنع

(١) كتاب «الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين» تأليف الدكتور احمد سويلم العمرى ـ طبع القاهرة فى مايو سنة ١٩٥٤ صفحة ٢٥١ و ٢٥٢ .

بمقتضاها الوزير المختص بأن اليهودى يعمل ضد الشعب اليهودى أو أن هجرته تهدد الصحة العامة أو سلامة الدولة .

٣ - (أ) كل يهودى يهبط أرض اسرائيل وبعد وصوله يبدى رغبته فى الاقامة فيها يمنح شهادة الهجرة أثناء اقامته فيها .

(ب) الاستثناء الوارد فى الفقرة ب من البند ٢ يمكن تطبيقه أيضا فيما يختص بمنح شهادة الهجرة ، غير ان الفرد لايعتبر خطرا على الصحة العامة اذا كان قد أصبح فى هذه الحالة نتيجة اصابته بمرض حل به بعد وصوله الى اسرائيل .

٤ - كل يهودى هاجرالى اسرائيل قبل صدور هذا القانون ، وكذا كل يهودى ولد فيها قبل أو بعد صدور القانون ، له أن يتمتع بنفس الحقوقالتى يتمتع بها اليهودى الذى هاجر فى ظل هذا القانون .

وان فى تسمية هذا القانون باسم «قانون العودة» ثم فى منح حق الهجرة لكل يهودى يؤمن بتقيم الصهيونية - لما يفصح عن المبادىء الصهيونية التى تستهدفها اسرائيل والتى تعتبر اليهود جميعا مواطنين اسرائيليين مغتربين عن وطنهم المزعوم فلسطين ، وأن عودتهم الى هذا الوطن حق مشروع لم يسع ذلك القانون الا اقراره والعمل على تحقيقه ، بصرف النظر عن قوميتهم الحالية او ما كان عليه أصلهم القومى فى الماضى أو رعويتهم الحاضرة ، وبحسبهم من الاسانيد القانونية فكرة الحق الدينى والتاريخى الذى يدعيه اليهود .

وقد أصدرت الحكومة الاسرائيلية فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢ قانون الأحوال الشخصية مؤكدا هذه المبادىء والمعانى البعيدة التى تتضمنها، حيث ينص على أن (١) « تعتبر دولة اسرائيل نفسها من صنع الشعب اليهودى بأجمعه ، وبمقتضى القوانين التى تتبعها هذه الدولة فان أبوابها مفتوحة على مصراعيها لكل يهودى يرغب فى الهجرة اليها » .

وفى عام ١٩٧١ وافق الكنيست على تعديل قانون العودة بحيث يعتبر مواطنا اسرائيليا كل يهودى - أينما كان - يتقدم بطلب يبدى فيه رغبته فى «العودة» الى اسرائيل ، وحينذاك يمنح الجنسية الاسرائيلية تلقائيا وبمجرد ابدائه هذه الرغبة ، حتى من قبل مغادرته الدولة التى يقيم فيها ويحمل جنسيتها ، بعد أن كان منح الجنسية الاسرائيلية مرهونا بوصوله فعلا الى اسرائيل .

وبهذا يموه الصهيونيون على العالم ويلبسون الحق بالباطل فى تشريع مسنون ليبدو قانون العودة مقررا لحق مسلم به يدعونه فى فلسطين ، وليس منشئا لحق جديد لمن شاء من اليهود التمسك به واستعماله كما يشهد به الحق والواقع .

---

(١) كتاب اليهودية دين لا قومية تأليف ألمر برجر صفحة ١٠٤ .

## ٢ ـ الجنسية الاسرائيلية الصهيونية

لقد كانت فكرة القومية اليهودية حينما نادى بها الصهيونيون وسيلة لتجميع اليهود فى اطار موحد وبمظهر وطنى شامل كأمة متماسكة متميزة ، تبريرا لمطالبتهم بوطن قومى يستقرون فيه ويمارسون فيه حياتهم الاجتماعية والسياسية الخاصة .

فلما أن تحقق لهم الوطن فى اسرائيل ، انبثقت فكرة الجنسية الاسرائيلية فى نطاقها العالمى الشامل ، تعزيزا للقومية اليهودية واعمالا لآثارها القانونية ، ينضوى تحت لوائها أوزاع اليهود ـ من هاجر منهم الى اسرائيل ومن ضاقت دونه ومن ضاق بها فنأى عنها بجانبه وفضل عليها الوطن الذى أخلد اليه واطمأنت به الحياة فى أفيائه .

وكان الباعث على فكرة الجنسية الاسرائيلية بفحواها الصهيوني الشامل، انها ـ من جهة ـ المظهر القانونى للقومية المشتركة ـ ثم ـ من جهة أخرى ـ باعتبارها صورة تنفيذية للفكرة العالمية التى تنطوى عليها النظرية الصهيونية، ثم باعتبارها حافزا على الهجرة الى اسرائيل الوطن القومى الأم ـ واخيرا باعتبارها سبيلا لربط اليهود فى انحاء العالم برابطة سياسية وقانونية رسمية، تجمعهم تحت لواء واحد يخضعون لتوجيهه وتكسب بهم الصهيونية أعوانا فى مختلف الدول يعملون لها وينفذون أهدافها فى ظل حماية سياسية رسمية توفر لهم حرية لم تكن مكفولة لهم من قبل .

فالجنسية الاسرائيلية ليست نظاما سياسيا محليا اقتضاه قيام دولة اسرائيل ، وانما هى مخطط صهيونى مدروس يهدف الى تحقيق غرض أصيل من اغراض الصهيونية العالمية .

فلقد كشف الصهيونيون عن نواياهم الاستعمارية العالمية بمجرد انشاء دولتهم اسرائيل ، فأعلنوا أن هذه الدولة تمثل يهود العالم وانها الوطن الأم لأوزاعهم اجمعين ، فأما من ظل منهم خارج حدودها فانما يعتبر مواطنا مغتربا فى مهجر موقوت وما برحت صلته الشرعية باسرائيل دائمة موصولة ، فهو يستظل ابدا بحمايتها القانونية وينتمى اليها برابطة الولاء والجنسية السياسية .

ولقد تضمنت وثيقة اعلان دولة اسرائيل فى عام ١٩٤٨ فى فقراتها الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة مايؤكد هذا المعنى .

ولما لم يكن فى مستطاع الهيئات الاسرائيلية الرسمية متابعة تطبيق الجنسية الاسرائيلية وتتبع حملتها من اليهود فى انحاء العالم ـ فقد أعتبرت المنظمة الصهيونية العالمية ـ وهى المنظمة التى كان لها فضل انشاء دولة اسرائيل ـ الواسطة بين يهود العالم ودولة إسرائيل والقوامة على شئونهم وتوطينهم فيها ، ونصت على ذلك المادة الثالثة من القانون الصادر فى اسرائيل

فى ٥ مايو سنة ١٩٥٢ (١) كما أكده البيان المشترك الذى أصدرته حكومة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية فى ١٩ مارس سنة ١٩٦٤ .

ويفصح هذا الاجراء عن حقيقة تلك الجنسية والمعانى البعيدة التى ترمى اليها وأصالتها بالنسبة للسياسة الصهيونية ومدى تبعية اسرائيل للمنظمة الصهيونية العالمية وترسمها لمناهجها .

ويعتبر قانون العودة الذى أصدرته حكومة اسرائيل فى ٥ يوليو سنة ١٩٥٠ اعترافا ضمنيا بهذه الجنسية الشاملة وتطبيقا عمليا لها على نحو ما ـ حال دون اكتماله كما يأمل الصهيونيون ـ مخافة ما قد يثيره من مشكلات قانونية دولية .

فهذا القانون يستجيب وشيكا لكل راغب فى الهجرة الى اسرائيل أيا كان مقامه وأيا كانت جنسيته ، فحسبه أنه يهودى وبالتالى ينضوى تحت لواء الجنسية الاسرائيلية الشاملة ، ولم يشترط لاعتماد هذه الهجرة سوى صفة اليهودية واعتناق المبادىء التى تدين بها اسرائيل ـ وهى مبادىء صهيونية خالصة ـ ولم يستثن سوى من كانت هجرته تهدد الصحة العامة أو سلامة الدولة .

ولئن اخفيت هذه المعانى فى صلب القانون ـ فقد أسفر عنها عنوانه «قانون العودة» .

فان العودة الى اسرائيل لاتكون الا لمن كان ينتمى اليها بالفعل والا كان مجرد مهاجر عادى .

وتأييدا للاغراض التى يستهدفها قانون العودة ـ فى موضوع الجنسية بالذات ـ فقد نص المنشور الرسمى الذى أصدرته الحكومة الاسرائيلية بعنوان «كيف تصبح مواطنا اسرائيليا» على ان :

« اليهودى الذى يهاجر الى اسرائيل يعتبر عائدا الى وطنه ، وبذلك يكون له الحق فى الحصول على الرعوية الاسرائيلية (٢) » .

كما ينص «قانون القومية الاسرائيلى الصادر فى عام ١٩٥٢ على امكان الحصول على الرعوية الاسرائيلية عقب الهجرة التى قامت على اساس « قانون العودة (٣) » .

وأخيرا ، وبناء على التعديل الذى طرأ على قانون العودة فى عام ١٩٧١ اصبحت الجنسية الاسرائيلية حقا مسلما به لكل يهودى يرغب فى حملها ، ويبدى استعداده للعودة الى اسرائيل ، ودون تعليق منحها له على حضوره اليها فعلا .

وهكذا تسعى اسرائيل لاحتواء جميع اليهود فى العالم وانتظامهم فى سلكها ، حتى أولئك الذين لاينتوون الاقامة فى ربوعها ويفضلون عليها البلاد التى تؤويهم وتضفى عليهم جنسيتها وتبسط عليهم حمايتها .

---

(١) ويعرف بالقانون رقم ٥٧١٢ لسنة ١٩٥٢

(٢) و (٣) كتاب اليهودية دين لا قومية تاليف المر برجر صفحة ١١١ .

ولا جدال فى أن الجنسية الاسرائيلية بهذا الشمول وبهذا التيسير انما هى فى الواقع جنسية صهيونية ، تدعمها حوافز صهيونية وتضم جميع من يعتنق المذهب الصهيونى فى بقاع الارض .

ولقد نصبت اسرائيل نفسها قيمة على يهود العالم ، وفرضت عليهم وصايتها ، وادعت حمايتها لكل من يعتنق الدين اليهودى أينما أقام وأيا كانت جنسيته التى يدين بها — حماية قانونية وسياسية .

بل انها على هدى من ذلك الحق المزعوم مدت ولايتها القضائية الى ما وراء تخومها الاقليمية لتشمل المجتمع اليهودى كافة ، ولو عن وقائع يرجع تاريخها الى ماقبل انشاء دولة اسرائيل . كما حدث مع الالمانى النازى أدولف ايخمان الذى اتهم بتعذيب اليهود واعدام أعداد منهم فى المانيا فى عهد هتلر ، فلقد تعقبه رجال المخابرات الاسرائيلية فى مخبئه بالارجنتين ودبروا اختطافه ثم نقلوه الى بلادهم حيث حوكم امام المحاكم الاسرائيلية فى عام ١٩٦١ وصدر الحكم باعدامه فعلا فى ٣١ مايو سنة ١٩٦٢ .

## ثانيا : تقييم الجنسية الاسرائيلية الصهيونية

ان الجنسية الاسرائيلية المفروضة على اليهود خارج اسرائيل موضع نظر من الناحية القانونية ومن الناحية التطبيقية كذلك ، فلقد استقر فقه القانون والعرف الدولى الحديث على أن اكتساب الجنسية يخضع لاعتبارات ثلاثة على سبيل الحصر :

١ — الارتباط باقليم الدولة سواء بالميلاد على أرضها أو بالتوطن فيها .
٢ — التبعية العائلية حيث تتبع الزوجة جنسية زوجها والاولاد القصر جنسية آبائهم .

٣ — الارادة الشخصية الصحيحة المعبرة عن الرغبة فى اكتساب جنسية معينة .

هذا ، اما اعتبار الدين فلم يأخذ به أى من التشريعات الدولية لاكتساب جنسية بعينها منذ أن عرفت الجنسية بمدلولها القانونى ، فضلا عن منافاة ذلك المبدأ لميثاق الامم المتحدة الصادر سنة ١٩٤٥ وماتقضى به المادة الثانية من الاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى اصدرته الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة فى دورتها المنعقدة فى باريس فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

ولقد تأكدت الصفة الدينية للجنسية الاسرائيلية فى التطبيق العملى ، متحدية مايقضى به قانون الجنسية الصادر سنة ١٩٥٢ بالمخالفة لهذه الصفة .

ذلك ان المادة الرابعة من ذلك القانون تنص على أن «كل فرد يولد من أبوين أحدهما اسرائيلى يصبح اسرائيليا منذ مولده» ولم يحدد القانون أيا من الأبوين يشترط أن يكون يهوديا وهو نص واضح صريح يتسع ليشمل المدلول الدينى اليهودى ومن يتجاوزهم هذا المدلول .

الا ان العرف المستقر فى اسرائيل اطرد على الاعتداد بالمفهوم الدينى

وحده ، وأخذ بالتعريف الذى تحـدده الشريعة اليهودية فى التلمود (قانـون الحاخامات) والذى يعرف اليهودى بأنه من يولد من أم يهودية أو يتحول الى الدين اليهودى طبقا للطقوس الدينية اليهودية .

ولقد حدث ان قضت المحكمة الاسرائيلية العليا بجلسة ١٣ يناير سـنة ١٩٧٠ فى الدعوى المرفوعة من الضابط البحرى بنجامين شاليه ــ الاسرائيلى الملحد ــ ضد وزارة الداخلية الاسرائيلية بأحقية أبنائه من زوجته البريطانية المسيحية فى اكتساب الجنسية الاسرائيلية تطبيقا لقانون الجنسية ــ وكانت وزارة الداخلية قـد رفضت اعتبـارهم اسرائيليين اسـتنادا الى أن قانـون الحاخامات الدينى لايعتبرهم يهودا لأن امهم مسيحية وليست يهودية . هذا اما عن والد الاطفال فانه يعتبر يهوديا مادام انه لم يعتنق ديانة أخرى غـير اليهودية دينه قبل الحادثة .

وكان رائد المحكمة فى حكمها اعتبارات عملية اجتماعية وسياسية ؛ منها توسيع مفهوم القومية اليهـودية والتخفف من مظـاهر التعصب الدينى أمام المجتمع العالمى ، ثم حل مشـاكل الزواج المختلط التى يثيرها المهاجرون اليهود من روسيا ومن الولايات المتحدة الامريكية .

بيد ان النعرة الدينية ظلت هى الطابع الغـلاب الذى تتسـم به الدولة وتستوحى منه مقوماتها : ولهذا فقد بادرت الحكومة الاسرائيلية فور صدور هذا الحكم بالنعى عليه تناقضه مع الشرائع الدينية . وأعلنت معارضتها له واتخاذ الاجراءات الكفيلة بابطاله وسيطرة القانون الدينى وحده .

وان هذا النهج الذى التزمته اسرائيل ــ فضلا عن مخالفته لمبادىء القانون الدولى الحديث، يثير مشكلات عملية حادة ، فمن ناحية ــ لو ان المجتمع الدولى أخذ بهذا السنن العنصرى فكيف يكون وضع المسلمين والمسيحيين فى انحاء العالم ــ شعوبا وافرادا ــ بين العديد من الدول الاسلامية والمسيحية والى أية دولة منها ينتمون !؟

ومن ناحية أخرى فان للجنسية الوطنية اهمية بالغة فى تحديد صـفة العضوية فى مجتمع الدولة بما ينشأ عنها من حقوق والتزامات ، سواء بالنسبة للدولة أو بالنسبة للفرد ، فعلى الدولة أن تحمى المواطنين فى داخلها وأن تيسر لهم ممارسة الحقوق التى تخولها قوانينها ، ثم عليها أن ترعاهم فى خارجها عن طريق ممثليها السياسيين . كما أن لها على هؤلاء المواطنين حـق الولاء لهـا والخضوع لقوانينها وماتفرض من تكاليف أينما حلوا .

وتيسيرا على اليهود فى مقارهم فقد أباحت اسرائيل لليهـود الاحتفاظ بجنسياتهم الأصلية الى جانب الجنسية الاسرائيلية ماداموا يتمسكون بتلك الجنسيات ويؤثرون المقام فى بلادهم الأصلية .

ولقد نشأ عن انتماء اليهود فى شتى الاقطار لجنسيات الدول التى تؤويهم ويمارسون حياتهم فيها ، ثم فرض الولاء لاسرائيل فى نفس الوقت ــ مشكلات معقدة ، ــ فان الازدواج فى الجنسية قد أوقع اليهود فى حرج بالغ بما يلقى على عواتقهم من التزامات وتبعات باهظة قد تتضارب كلما تعارضت مصالح اسرائيل مع دولهم التى يحرصون على جنسياتها .

ولايكون ثم ندحة من الخيانة لأوطانهم التى استقروا فيها ومحضتهم خيرها ، ـ أو التمرد على اسرائيل التى لايبغون المقام فيها ـ وكلا الامرين قد تحقق فعلا وفى أعقابه من المساوىء والمفاسد ماينوء به المجتمع الدولى .

ذلك بالاضافة الى انه يترتب على انتماء اليهود خارج اسرائيل لجنسية مزدوجة ـ تحملهم بالضرورة تبعات السياسة التى تنتهجها الحكومة الاسرائيلية ، وتضامنهم مع يهود اسرائيل فى مسئولياتهم الوطنية والدولية ، ذلك فى حين انه لم يكن لهم حظ فى ممارسة عناصر هذه المسئولية ولم يسهموا فى توجيه تلك السياسة ، ولا يسعهم قط الاشراف عليها نظرا لبعدهم عن اسرائيل وممارستهم نشاطهم الانسانى خارجها فى الدول التى يقيمون فيها ويحملون جنسياتها بالاضافة الى الجنسية الاسرائيلية .

ونظرا للصلة الوثيقة بين اسرائيل وبين الولايات المتحدة الامريكية وارتباطهما بسياسة موحدة ، مؤداها تثبيت الوجود الامريكى فى الشرق الاوسط ، فقد أقرت الولايات المتحدة مبدأ ازدواج الجنسية بينها وبين اسرائيل ، وأصدرت محكمتها العليا فى ٢٩ مايو سنة ١٩٦٧ حكما يقضى بحق المواطن الامريكى اليهودى فى أن يدلى بصوته فى الانتخابات العامة فى اسرائيل دون أن يفقد تبعا لذلك جنسيته الامريكية (١) .

وبهذا فانه يحق لليهودى الامريكى أن يساهم فى النشاط السياسى الامريكى وفى النشاط السياسى الاسرائيلى كليهما ، مما يتيح له فرصة التنسيق بين السياستين وتحقيق الاهداف الصهيونية التى يؤمن بها ويعنو لها .

وفى ظل هذا المبدأ المدعم بحكم القضاء الامريكى توفرت لليهود الامريكيين حرية الانخراط فى الجيش الاسرائيلى والاشتراك فى الحرب التى شنها على البلاد العربية فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ دون اخلال بجنسيتهم الامريكية الاصيلة التى يحملونها ويحتفظون بها .

---

(١) أشارت مجلة الايكونومست البريطانية الى هذا الحكم فى عددها الصادر بتاريخ ٣ يونية سنة ١٩٦٧ .

المبحث الرابع

# مكانة الصهيونية فى المجتمعات العالمية

الباب الأول ــ معارضة طوائف يهودية للدعوة الصهيونية

الباب الثانى ــ أسباب التأييد الدولى للاطماع الصهيونية فى فلسطين

الباب الثالث ــ الصهيونية تهدد الأمن العالمى والتعايش السلمى



**المبحث الرابع**

# الباب الأول

# معارضة طوائف يهودية للدعوة الصهيونية

**الفصل الاول ـ الجماعات اليهودية**

**الفصل الثانى ـ المفكرون اليهود الأحرار**

## تمهيد

لا مشاحة فى أن الصهيونية عقيدة جانحة غير سوية ، اشتطت بأصحابها فى الآمال والمطامع ، وهى وان دان لها كثير من الانصار ، بيد انها ليست المنهج اليهودى الحاتم الذى تعنو له الملة اليهودية جمعاء ويدين به يهود العـــالم أجمعين .

ولعل الفيصل بين الصهيونيين وغيرهم من طوائف اليهود أن الصهيونيين فى فهمهم لنصوص التوراة يأخذون بما يبدو لعباراتها من معان حرفية مادية ، فلايؤمنون بما تستشفه طوائف اليهود الاخرى من خلالها من معان مجازية أو دلالات روحانية .

ثم هم يعتمدون على التعاليم المتوارثة عن حكمـاء اليهـود وحاخاماتهم وينزلونها منزل القداسة ، خصوصا ماجاء فى التلمود والبروتوكولات المعروفة التى يستمدون منها عقائدهم وشرائعهم الدينية والدنيوية ، فهـم يـرون أن التلمود رسالة سماوية منزلة على سيدنا موسى ولاتختلف عن التوراة الا فى انها نزلت عليه مشافهة ، بينما كتبت التوراة بيد القدرة الالهية على الالواح الحجرية ثم دونها سيدنا موسى فى حياته فى كتاب أودعه تابوت العهد ، وهو مايعتقد به اليهود الربانيون خلافا لطائفة القرائين من اليهود .

كما أنهم يرون — على ماجاء فى التلمود — ان الحاخامات هم الواسطة بين الله وسائر خلقه ، وأن من يجادل حاخامه فقد أثم وكأنه يجادل العزة الالهية. وعلى هذا فان القرارات والبروتوكولات التى وضعها حاخاماتهم وحكماؤهم فوق كل تعقيب ، ولها من القداسة ما للكتب السماوية سواء بسواء .

ومن ثم كان من طوائف اليهود من ينكر ما يذهب اليه الصهيونيون من افراط فى الاطماع ، ومايستندون اليه من نصوص مقدسة يفسرونها تفسيـرا ماديا حرفيا وان جانب الواقع ومساق الاحداث ، ثم مايعتقدون من تعاليم وشرائع لم ترد فى أسفار التوراة وان وردت فى التلمود أو فى البروتوكولات أو فى غيرها من تعاليم حكمائهم وكهنتهم .

بل ان اليهود الاوائل فى مستهل العصر اليهودى لم يكونوا مؤمنين بفكرة الوطن القومى — فان سبايا اليهود فى بابل قد آثر معظمهم المقام فى المنفى على العودة الى أورشليم مدينتهم المقدسة حينما اذن لهم بالعودة اليها .

كما أن كثيرا من يهود فلسطين نزح عنها طواعية فى ركاب القائد الاغريقى بطليموس عند عودته الى مصر بعد أن تم له غزو فلسطين فى عام ٣٢٠ قبل الميلاد، وآثر هؤلاء المهاجرون اليهود رحاب مصر على وطنهم المقدس فلسطين، واستقر بهم المقام فى مدينة الاسكندرية وطنا دائما وكان لهم فيها شأن مشهود .

غير ان الواقع الملحوظ انه رغم هذا الخلاف فى الراى وفى العقيدة ـ فان اليهود على اختلاف نحلهم ومذاهبهم وتباين وجهات نظرهم ، وان لم يدعوا الى ما يدعو اليه الصهيونيون ـ فانهم حين استشعروا ما لاقت الدعوة الصهيونية من تأييد وما تردد لهم من أصداء مستجيبة ، وما لاح لها من تباشير النجاح فقد تغاضوا عن أوجه الخلاف التى نشبت بينهم حينا فى مستهل الجهر بالدعوة الصهيونية وتقطعت بهم سبل المحاجة والملاحاة ، وكأنما قد انسوا الى التعاليم الصهيونية واستساغوا اهدافها ، ولم يروا فى تحقيقها من ضير يتحفظون دونه أو بأس يتعارض مع أصول العقيدة اليهودية أو مع ما يتردد بين جوانبهم من آمال عريضة يحول ضعف الشوكة دون تحقيقها ، فسلموا بما انتهى اليه الواقع وخفت معارضتهم حتى استنامت وركد ريحها الا من نسائم خفيفة عليلة ، والتزموا دون الدعوة الصهيونية الحيدة المطلقة فيما عدا قلة من صفوة المفكرين الاحرار الذين لم يستأسروا لتعاليم الحاخامات الجامدة المستبدة ولم يستسلموا للتعصب الذميم المقيت.

حتى لكأنما حقيقة الخلاف بين الصهيونية وبين سائر طوائف اليهود يدور حول وسيلة التنفيذ وليس حول الهدف الذى يتوقون جميعا الى تحقيقه وتهفو اليه نفوسهم على اختلاف طوائفهم . باعتباره النتيجة الحتمية والنهاية المرتقبة .

فالتعاليم اليهودية تنبع جميعها من معين واحد وان اختلفت طرائقها الى ذلك المعين المشترك . فنجد مثلا أن منظمة « أغودات اسرائيل » ـ وهى احدى المنظمات الدينية اليهودية ـ تؤمن بأن عودة اليهود الى فلسطين مرهونة بارادة الله وحده ، غير انها ما لبثت بعد قيام دولة اسرائيل أن استسلمت للصهيونية وأصبحت تؤلف اليوم أحد الأحزاب الدينية الهامة فى اسرائيل (١) .

***

ومع ذلك فما زالت طوائف من اليهود تقف من المبادىء الصهيونية موقف المعارضة السافرة وتأبى السلبية المنطوية ، عن ايمان دينى راسخ وعقيدة صلبة واقتناع لم تنل منه الدعاية الخالبة ولم يؤثر فيه ترغيب أو ترهيب .

ومما يؤكد جدية المعارضة اليهودية واصالتها فى العصر الحديث ، لاتصالها بالمبادىء وبأصول العقيدة دون التأثر بالظروف الطارئة ، انها تصدت للصهيونية رغم ما أحاط بها من ظروف عززت دعوتها وأحسنت الصهيونية استغلالها فى توطيد دعامتها .

---

(١) كتاب « اسرائيل جريمتنا » تأليف مللر بوروز أستاذ الدراسات التوراتية بجامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية ـ طبع بيروت سنة ١٩٥٢ صفحة ٨٧ .

وعلى كل حال ، فان أقطاب الصهيونية الذين اسسوا دولة اسرائيل وظاهروها لا يدعون انهم يمثلون اليهود جميعا ، ويقرون بوجود خلافات جوهرية فى المبادىء الأساسية تباعد بينهم فى العقيدة ، غير انهم يعتمدون فى تسويةهذه الخلافات على تحقيق آمال اليهود المشتركة بقيام دولة إسرائيل، ويعترف بن جوريون فى خطاب له القاه فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٢ بأن (١) « الوفا كثيرة من اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل لم يكونوا صهيونيين » .

كما يعترف بوجود خلاف بين اليهود فى تقبلهم للمبادىء الصهيونية حيث يقول فى خطاب له فى يونيو سنة ١٩٦٢ :

« (٢) ـ ان الصهيونية هى الهجرة الى اسرائيل واعادة بنائها وقد كانت اختلافات وجهات النظر بين صفوف اليهود فى العالم لها ما يبررها قبل تأسيس اسرائيل .. وكانت تدور حول ضرورة الوطن القومى أو عدم ضرورته اما الآن وقد قامت اسرائيل وباركها اليهود اجمعون يحدوهم الحب لها والاعتزاز والفخر بها ـ فلم يعد هنالك موضع لخلاف » .

على انه يعنينا فى نطاق بحثنا ان نشير الى طرف من آراء المعارضين للصهيونية من طوائف اليهود أفرادا وجماعات ، للتدليل على مدى شذوذ الصهيونية وجموحها ، ولنقيم الحجة عليها فيما تدعى من استمداد مبادئها من الأصول الدينية اليهودية المقدسة لا معقب عليها ولا سبيل الى النظر فيها بالراى الثاقب والفكر الحر الحصيف .

---

(٢) و (٣) عن كتاب القومية العربية فى مواجهة الاستعمار والصهيونية للدكتور عميد نوفل صفحة ٣٢ .

## المبحث الرابع

## الباب الاول

### الفصل الاول

### الجماعات اليهودية

ان من طوائف اليهود من لم يقتنع بأهداف الصهيونية الاستعمارية البعيدة أو القريبة ، ولم يؤمن بأساليبها العدوانية الغاشمة ، فلم يضع فى مناهجه التوفر على انشاء دولة يهودية فى فلسطين وان رأى تحقيق هذا الأمل على أى وجه لا يتعارض مع جوهر العقيدة الدينية اليهودية .

ويجدر بنا أن ننوه ابتداء الى أن التلمود وهو دستور الصهيونية وميثاقها الذى يلتزم به أشياعها لا تؤمن به كافة الطوائف اليهودية ، « وان عددا كبيرا من اليهود ينكرون انهم يهود التلمود او انهم يشعرون بالولاء له ، ومع هذا فان عددا قليلا من « القرائين » فى روسيا والنمسا وعددا أقل من السامريين فى فلسطين هم حقا ليسوا من يهود التلمود ، بل ان المتزمتين والمصلحين على السواء لا يجدون فى التلمود ما يحتاجون اليه ، بل انهم لا يتبعون الى حد كبير التعاليم التى جاءت فى التلمود (1) » .

فاليهود المحافظون ـ وهم الذين ينزلون على حكم التوراة ويتمسكون بتعاليمها وبالتقاليد الموروثة ـ مع انهم مقتنعون بأن الله قد اختار لهم فلسطين مآبا ومقاما الا انهم يرون أن تحقيق هذا الوعد مرهون بمشيئة الله سبحانه وتعالى وبوسائله ومعجزاته وحده ، فهو الزعيم بازلافها موطأة الاكناف وازجائها اليهم فيئا سائغا وانعاما دون عمل ايجابى من جانبهم ولو اقتضاهم أيسر الجهد ، ذلك انهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد غضب عليهم لما ترديوا فيه من مآثم ومباذل وتنكب عن الطريق السوى الذى رسمته تعاليم الدين ـ ومظهر هذا الغضب ما يحيق بهم من عذاب واضطهاد اينما حلوا ، ولن يزالوا مشردين منبوذين حتى تخلص عقيدتهم من الادران وتصلح نفوسهم من الشوائب ويتوب الله عليهم ويظهر من بينهم « المسيح » ـ أى المنقذ أو المخلص ـ فينصرهم على أعدائهم ويجمع شملهم فى فلسطين أرض المعاد .

وعلى هذا فأمر العودة الى فلسطين اجراء دينى ربانى بحت ليس لهم

---

(1) عن كتاب « تلمود بل » طبع جمعية بوستون للتلمود سنة ١٩١٨ صفحة ١١ و ١٢ وأشير اليه فى كتاب مؤامرة فلسطين تأليف ب . جنسين طبع القاهرة سنة ١٩٥٩ صفحة ١١ .

ان يتعجلوه باجراء سياسى أو حربى ، ومن الممكن استقرار اليهود حيث يوجدون الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا .

كما أن الفيلسوف اليهودى الالمانى موسى مندلسون ــ وكان متأثرا بمبادىء الثورة الفرنسية ــ قد نادى فى القرن التاسع عشر بأن خلاص اليهود من ويلات الاضطهاد العنصرى الذى يتعرضون له أينما حلوا لا يكون بانشاء دولة يهودية وانما ينحصر أساسا فى الخروج من عزلتهم الاجتماعية التى اخذوا أنفسهم بها والاندماج مع شعوب الدول التى تضمهم والتى يشاركونها الحياة .

وتزعم مندلسون « حركة التنوير » ( الهاسكالاه ) التى قامت فى ألمانيا لتشجيع اليهود ــ الذين عانوا من وطأة الاضطهاد حتى ضاقت بهم بلادهم ذرعا ــ على الهجرة الى فلسطين مع العمل على توفير أسباب الحياة لهم ، ودون أن يكون من وراء هذه الهجرة أى هدف سياسى سوى الطمأنينة والاستقرار .

***

ولقد ظهر فى المانيا جماعة من المجددين اليهود عرفوا باليهود البروتستانت (١) ، ناهض حاخاماتهم الحركة الصهيونية فى مبتدأ ظهورها وتصدوا لها بالتعقيب والمعارضة ، واجبروا هرتزل على العدول عما كان يزمع من عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة ميونيخ فاضطر الى عقده فى مدينة بال ، واستند هؤلاء اليهود المعارضون فى مناوأتهم للحركة الصهيونية الى ما يحتج به اليهود المحافظون من أن تحقيق الوعد الالهى بالعودة الى فلسطين وامتلاكها مهمة دينية موكول تنفيذها الى الله وحده ، فهو الذى وعد بها وهو الذى يحققها بمعجزاته دون تدخل من البشر .

وهم يرون الاقتصار فى نشاطهم العمرانى على توطئة السبيل لمن يشاء من اليهود الاقامة فى فلسطين ، وأن يهيئوا لهم فيها مستعمرات زراعية توفر لهم حياة مستقرة واقامة دائمة انتظارا لتحقيق الوعد الالهى ، على أن يركزوا جهدهم فى العمل على تحسين المجتمع اليهودى اينما وجد واحياء التراث الثقافى اليهودى ، مع المحافظة على ولاء اليهود للدول التى تقيم فيها جالياتهم ، والعمل على اكتسابهم حقوق المواطنين فيها والحفاظ عليها .

وبعد حركة موسى مندلسون نادى صموئيل هولديم وازهام جيجر وغيرهم من دعاة الاصلاح اليهودى فى المانيا ــ بالعدول عن فكرة الخلاص على يدى المسيح المنتظر وتجميع شتات اليهود من أقطار الارض تحت زعامته ، وحذف ما يشير الى ذلك فى صلواتهم وتراتيلهم الدينية ، لان هذا التجمع فى نظرهم يصدهم عن هدف دينى أسمى وهو تغلغلهم فى المجتمعات البشرية والتبشير بدينهم فيها .

ولقد صرح المؤتمر اليهودى الدولى المنعقد فى باريس عام ١٨٠٧م بأنه ليست لليهود اية حقوق شرعية اقليمية أو سياسية فى فلسطين ، وأن على

---

(١) The Jewish State, by Ben Halpern edit. Harvard 1961, p. 144.

اليهود ان يلغوا من صلاتهم كل ما يشير الى العودة الى فلسطين أو يدعو الى تأسيس دولة يهودية فيها .

وقد لقى هذا التصريح تأييدا تاما من المؤتمرات اليهودية التى انعقدت فى سائر العواصم الاوربية حينذاك .

وحتى جمعيات « عشاق صهيون » ( شيبات زيون Chibbath Zion (1) التى انشئت فى روسيا فى عام ۱۸۸۲ م تحت وطأة الاضطهاد العنصرى لليهود وامتدت شعبها فى انجلترا وفرنسا ، كانت ترى دفع الاضطهاد عن اليهود بالهجرة عن مواطنه والاقامة فى مستعمرات زراعية فى فلسطين حيث يمارسون حياة هادئة مستقرة بمنجاة من الاضطهاد مجردة من اى هدف سياسى .

فلم يدر فى خلدهم انشاء دولة يهودية فى فلسطين او السيطرة السياسية عليها ، وانما كان همهم تجنيب اليهود ويلات الاضطهاد والتعذيب ، ثم احياء التراث اليهودى الدينى والثقافى وافساح المجال لتداول لغتهم العبرية ، وبث روح التضامن بين اشتات اليهود بغية تحسين احوالهم الاجتماعية والثقافية .

ولقد انشق عن جمعية عشاق صهيون فريق من المعارضين وكونوا « جمعية أبناء موسى » وكانت ترمى الى الأخذ بفكرة الصهيونية الفكرية والروحية دون الافكار المادية والاستعمارية التى كانت تدين بها جمعية عشاق صهيون .

ويضاف الى هذه الطوائف جاليات اليهود الذين اطمأنت بهم الحياة فى غرب أوروبا وفى أمريكا بمفازة من ويلات الاضطهاد ، حيث مضت بهم خطوات التحرر حثيثا ونالوا حقوقهم المدنية بالمساواة مع سائر المواطنين ، فتركزت فيها مصالحهم وتشابكت وشدتهم اليها وشائجها الوثيقة .

وهؤلاء لهم يكن يلائمهم قط انتباذ أوطانهم ومصالحهم والهجرة الى فلسطين أو غيرها من الأقطار ، ومن ثم فقد عارضوا انشاء دولة يهودية أيا كان مقرها . وكانوا يرون حلا لمشكلة اليهود وما يعانون من اضطهاد وتعصب — الخروج عن حياة العزلة والتجاوب مع الأوطان التى يتفيأون ظلالها ويعيشون فى اكنافها اجمعين اقلية كانوا أم اغلبية ، ومنحهم حقوق المواطنين كاملة بغض النظر عن جنسياتهم الأصلية وما تضم من مفارقات — مما يساعد على هذا الاندماج وعلى تذويب الفوارق العنصرية .

كما انهم يرون أن تجميع اليهود فى دولة يسيطرون عليها ويدين لها سائر اليهود بالولاء مما يزيد مشكلتهم تفاقما وتعقيدا ، لما انه يذكى أوار الاضطهاد العنصرى ضد اليهود فى بلاد العالم ، ولما يؤدى اليه ازدواج الولاء للدولة التى يقيمون فيها ثم لدولتهم العنصرية — من اضعاف للثقة فيهم ، فضلا عن انه يحد من انتشار اليهود فى العالم ويعوق أداء رسالتهم الدينية التى يؤمنون بأن الله بعثهم لاتمامها .

ويفسر فريق من معتدلى اليهود الوعد الالهى بالعودة الى فلسطين وامتلاكها تفسيرا اقل عنتا وايسر فى التأويل ، فهم لا يرون فيه وعدا باقامة

---

(1) المرجع السابق صفحة ١٥ و ٢٧ .

مملكة يهودية وانما هو وعد بدخول اليهود أرض فلسطين والاقامة فيها ابان صدور هذا الوعد ، اذ كانت حينذاك ممتنعة عليهم .

وهذا الفريق يعارض اقامة دولة يهودية اينما كانت هذه الدولة ، ويرى أن حسبه من فلسطين ــ باعتبارها أرض الميعاد ــ ان تكون موطنا يأوى اليه اليهود المشردون ــ او على حد تعبير وعد بلفور National Home بمعنى دار قومية او مأوى قومى ــ من قبل أن يحور الصهيونيون مدلوله الفعلى الى وطن قومى ودولة يهودية .

وقد أصدر المؤتمر اليهودى الذى عقد فى مدينة بتسبرج بأمريكا فى عام ١٨٨٥ م قرارا ينكر دعوى القومية اليهودية ويعارض فيه انشاء دولة يهودية حيث يقول :

« اننا اليهود لا نعتبر انفسنا امة بل مجرد جماعة دينية . وعلى هذا فنحن لا نفكر فى العودة الى فلسطين ولا نرغب فى احياء أية قوانين متعلقة بالدولة اليهودية (١) » .

ويعتبر المجلس اليهودى الامريكى المؤسس سنة ١٩٤٣ اشد الهيئات اليهودية مناهضة للصهيونية .

وقد اسس مبادئه على انكار القومية اليهودية ، ولئن كان انشاؤه فى غضون الاضطهاد النازى لليهود فى المانيا وما تمخض عنه من اثارة للمشكلة اليهودية ، بيد انه كان يرى حلها عن طريق المبادىء الانسانية ، وأن يسمح لمن شاء من مهاجرى اليهود باستيطان فلسطين كأفراد وبغير اعتبار لأية فكرة سياسية أو قومية بالقدر الذى تسمح به امكانيات البلاد السياسية والاقتصادية .

وقد أصدر المؤتمر العام لذلك المجلس الذى عقد فى مدينة شيكاغو فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٦٦ قرارات يندد فيها بالتشريعات الاسرائيلية الصهيونية التى تعتبر جميع اليهود خارج دولة اسرائيل فى منفى حتى يعودوا اليها ومطالبتهم بالمحافظة على الولاء لها اينما حلوا . ذلك لأنها تضع اليهود الامريكيين فى مأزق بالغ الحرج والخطورة يتسم بالعقوق والخديعة حيث لا صلة بين الدين الذى تعتنقه طوائف اليهود وبين القومية التى تدعيها الصهيونية وتتزعمها اسرائيل . وذكر المؤتمر فى قراره أن يهود امريكا يؤيدون الصهيونية بسذاجة ، لأن اهدافها السياسية مصاغة فى عبارات ذات طابع انسانى ، ولان الاجراءات القانونية فى امريكا ضد من يعدون علنا عملاء للصهيونية اجراءات ناقصة ، واتهم المؤتمر الصهيونيين بأنهم يجمعون المال فى الولايات المتحدة باسم الاحسان بينما هم لا يخصصون منه للاعمال الخيرية الا نسبة ضئيلة لا تجاوز العشر ، ويرسل الباقى الى اسرائيل لانفاقه فى أغراض أخرى لا تمت بسبب للغرض الذى جمعت من أجله منها شراء الأسلحة والمعدات العسكرية (٢) .

---

(١) كتاب العلاقات الدولية العربية تاليف الدكتور محمد حافظ غانم الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٥ صفحة ٢١٩ .

(٢) انظر جريدة الأهرام الصادرة فى القاهرة فى ١٩٦٦/٤/٢٨ و فى ١٩٦٦/٥/٣ .

وهناك فى جنوب الهند تقيم طائفة « بنى اسرائيل » وهى فرقة يهودية تنكر الدعوة الصهيونية من اساسها ، وترى ان الدولة اليهودية المنشودة لا يمكن ان تنشأ بصنع البشر لأن قيامها مرهون بارادة الله ومشيئته وحده ، وليس على اليهود الا انتظار قيامها . ولذلك فقد رفضت هذه الطائفة ان تستجيب لدعوة هرتزل لحضور المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى بال عام ١٨٩٧ .

وتضم اسرائيل الحالية منظمات يهودية لا تقر الصهيونية فى مبادئها اصالة . ولقد كان اختلاف وجهات النظر حيال السياسة الصهيونية سببا فى انشقاق الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، اذ خرج عليه الأعضاء الأحرار المعارضون للصهيونية بزعامة ماير فلنر وكونوا لهم حزبا مستقلا تحت اسم « راكاح » أو «القائمة الشيوعية الجديدة فى اسرائيل» ــ يناهض الصهيونية على أساس انها حركة عنصرية رجعية مرتبطة بالاستعمار ومصالحه فى المنطقة . وان اليهود ليسوا امة واحدة لفقدانهم مميزات الأمة ، كما ان الصهيونية ليست حركة تحرر قومى بل هى تيار سياسى رجعى . وحركة عرقية متعصبة ، واداة هامة للبرجوازية اليهودية . يستغلها الاستعمار فى صراعه ضد القوى الثورية فى العصر الراهن .

ولقد أعلن حزب « راكاح » هذه الآراء الجريئة فى مفتتح جلساته فى ٣١ يناير عام ١٩٦٩ مندداً بالعدوان الاجرامى الذى شنته اسرائيل على العرب فى يونية عام ١٩٦٧ (١) .

وحزب راكاح هو الحزب الوحيد فى اسرائيل الذى يعارض الصهيونية ويطالب للعرب المقيمين فى اسرائيل ــ وهم يعتبرون فيها مواطنين من الدرجة الثانية ــ بحرية العمل والتعبير عن آرائهم على قدم المساواة مع اليهود .

وبالاضافة الى حزب راكاح فانه توجد فى اسرائيل طائفة « ناتورى كارتا » أو « حماة المدينة » ــ وهى ليست حزبا سياسيا وانما هى طائفة دينية يهودية تؤمن بأن قيام الدولة الاسرائيلية لا ينبغى أن يكون بارادة البشر ، وان الله هو الكفيل بقيامها على يدى المسيح المنتظر ، ولذلك فانها تتعاطف مع مطالب الشعب الفلسطينى العربى . وقد أعلنت هذه الطائفة اخيرا أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى ، وطالبت بدعوة هذه المنظمة للاشتراك فى مفاوضات رسمية تستهدف اقامة نظام معترف به لحكم فلسطينى فى المنطقة (٢) . وذلك على خلاف ما أعلنته الحكومة الاسرائيلية من رفضها الاعتراف بهذه المنظمة أو اشراكها فى اية مباحثات خاصة بتسوية مشكلة فلسطين قد تجريها اسرائيل مع الحكومات العربية المتاخمة والمعنية بتصفية هذه المشكلة بغية احلال سلام عادل ودائم فى المنطقة .

---

(١) جريدة الأهرام العدد ٣٠٠٠٨ الصادر فى ٦ فبراير سنة ١٩٦٩ صفحة ٥ و ٩ .

(٢) جريدة الأهرام العدد الصادر فى ١٤ فبراير سنة ١٩٧٥ صفحة ٢ .

## الفصـــل الثانى

## المفـكرون اليهـود الأحـرار

لقد عارض الفكرة الصهيونية كثير من أقطاب اليهود فى انحاء العالم ، وكانت القومية اليهودية بحسبانها مناط الفكرة الصهيونية من صميمها ــ الهدف الأول لحملات المعارضين لها .

ففى عام ١٨٧٨ م جاهر هرمان ادلر حاخام انجلترا الأكبر بانكار القومية اليهودية التى يدعيها اليهود الصهيونيون ويبنـــون عليها أطماعهم الاقليميـــة ، وأثر عنه قوله :

(١) منذ غزو فلسطين بواسطة الرومان أصبح اليهود لا يكونون مجتمعا سياسيا ، اننا كيهود ننتمى سياسيا الى البلاد التى نعيش فيها ، اننـــا بكل بساطة انجليز أو فرنسيون أو المان ، اننـــا نمارس بالضرورة بعض العقـــائد الدينية الخاصة بنا ، ولكننا لانختلف فى هذا الشأن مع المواطنين الذين يعتنقون أى دين آخر ، كما اننا نشاركهم فى المساهمة فى رفاهية الوطن ونطالب بحقوق وواجبات المواطنين » .

ولقـــد برز بعض أقطاب الجمعيـــات المناهضـــة للصهيونية بجهـــودهم المتحمسة الدائبة وحملاتهم الدعائية القوية ، مثل موسى مونتيفورى رئيس الجمعية البريطانية اليهودية والكسندر رئيس مجلس ممثلى اليهود البريطانيين ، وشيف ومارشال وسولز برجر من زعماء اللجنة اليهودية الامريكية فى الولايات المتحدة ، وقد استندوا فى معارضتهم الى مخالفة الصـــهيونية لمبـــادىء الدين اليهودى الأساسية ، والى بطلان القومية اليهودية المدعاة (٢) .

---

(١) كتاب العلاقات الدولية العربية تأليف الدكتور محمد حافظ غانم الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٥ صفحة ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢) The Middle East, by George Lenczowski, New York, edi. 1957, p. 314.

وممن عارضوا المبادىء الصـــهيونية من كبار المفكرين اليهودية العلامة آنشتاين اليهودى ، وقد قرر صراحة امام لجنة التحقيق الامريكية البريطانيـة فى عام ١٩٤٦ انه :

« (١) من الخطأ التفكير فى انشاء هذه الدولة اليهودية التى كنت ومازلت ضدها » .

ومنهم كذلك السير هنرى مورجانتو سفير الولايات المتحدة الامريكيـة فى تركيا العثمانية ابان الحرب العالمية الاولى ، واحد كبار زعماء اليهود وعلماء الأمريكان ، حيث يقول فى كتابه « كل هذا فى حياة واحدة » :

« (٢) الصهيونية هى أعجب خدعة فى تاريخ اليهود . انهـا خاطئة من حيث المبدأ الذى تقوم عليه ، وهى من الناحية الاقتصادية والسياسية محض خيال ، ومن الوجهة الروحية عقيمة لا ثمر لها » .

ويفسر السـير هنرى مورجانتو ــ ما ورد فى التوراة على لسان الانبياء من وعود الهية ، بأن الأنبياء ارادوا المعنى الرمزى الروحى لها ؛ ولم يقصدوا معناها الحرفى المادى ــ الذى بنى عليـه الصهيونيون اسـاس دعوتهم « لأن هؤلاء الأنبياء كانوا يهتمون بالحيـاة الروحيـة فقط فلم يتحدثوا عن القـوة الارضية العالمية وعن البركات العادية (٣) » .

ولقد لقيت الفكرة الصهيونية معارضة رسمية عنيفة فى مجلس الوزراء البريطانى بمناسبة عرض النص الاول لتصريح بلفور فى ١٨ يوليو سنة ١٩١٧ الذى كان يقرر جعل القطر الفلسطينى بأكمله وطنا قوميا لليهود (٤) فلقـد عارض اليهود البريطانيون هذا النص ، وحمل لواء المعارضة الرسمية الوزير البريطانى اليهودى أودينى مونتاجيو وزير شئون الهند ، واودع آراء المعارضة وثيقة رسمية قدمها للحكومة البريطانية فى ٢٣ اغسطس سنة ١٩١٧ (٥) ندد فيها بالقومية اليهودية المزعومة وانكر توافر قيمها وجدوى الادعاء بهـا ، بل ونوه بضررها على اليهود انفسهم الذين استقرت بهم الحياة الهادئة فى شتى

---

(١) كتاب الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار تأليف الأستاذ فتحى الرملى الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٥٦ صفحة ٢٣٧ .

(٢) كتاب « الصراع السياسى بين الصهيونية والعرب » تاليف العميد محمد فايز القصرى الطبعة الأولى لدار المعرفة بالقاهرة سنة ١٩٦١ صفحة ٤٤ .

(٣) كتاب الصراع السياسى بين الصهيونية والعرب للعميد محمد فايز القصرى صفحة ٤٥ .

(٤) راجع فى ذلك كتاب قضية فلسـطين للدكتور نجيب صدقة الطبعة الأولى فى بيروت سنة ١٩٤٦ من صفحة ١٩ الى ٤٢ وقد نوه الدكتور وايزمان بهذه المعارضة فى كتابه فى الصفحات من ٢٥٢ الى ٢٦٢ .

(٥) هذه الوثيقة هى احدى الوثائق السريه البريطانية الخاصة بالقضية الفلسطينية فى عامى ١٩١٧ و١٩١٨ ، التى رفع مكتب الوثائق فى لندن الحظر عنها لمرور خمسين عاما عليها ، وقد حصلت عليها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ونشر بعضها فى جريدة الأخبار الصادرة فى القاهرة فى ١١ مايو سنة ١٩٦٦ فى صفحة ٨ كما نشرت صور زنكوغرافية لهذه الوثائق فى مجلة آخر ساعة الصادرة فى القاهرة فى ١٨ مايو سنة ١٩٦٦ فى صفحتى ١١ ، ١٢ .

الدول ، من حيث زعزعة أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من أثر تعدد جنسياتهم وما يترتب عليه من عقوق لأوطانهم التى اطمأنوا اليها واطمأنت بهم الحياة فيها .

وانتقد اقامة وطن قومى على اساس دينى . لما انه ان كان لفلسطين دور هام فى التاريخ اليهودى فان لها دورا لايقل اهمية فى التاريخ الاسلامى والتاريخ المسيحى ايضا .

ثم ان تجميع اليهود كما يعتقد المتدينون منهم لا يتم الا بارادة الهية و « ان مستر بلفور ولورد روتشيلد ـ بمشروعهما المقترح ـ يود كل منهما أن يبرهن على أنه المسيح المنتظر » .

« ذلك فضلا عن أن فلسطين اليوم لا علاقة لها باليهود ، ومؤدى حشد اليهود فيها من شتى الجنسيات من انحاء المعمورة تجميع افراد لا يملكون القدرة على أن يخاطب بعضهم بعضا الا عن طريق مترجم ، فأننا نبنى برج بابل » .

وقد ردد المستر مونتاجيو هذه الأقوال فى اجتماع مجلس وزراء الحرب البريطانى فى ٤ اكتوبر سنة ١٩١٧ وكان من اثر هذه المعارضة القوية ان اضطرت الحكومة البريطانية الى تعديل النص المقترح الى النص الذى أعلن أخيرا فى يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو ـ على ما فيه من اعتساف وتجن ـ أضيق حدودا واخف وطأة من النص المقترح .

ولقد كان أحد هاعام (١) ( ١٨٥٦ ـ ١٩٢٧ م ) من زعماء جمعية عشاق صهيون البارزين ، بيد انه كان يرى ان تقتصر اهدافها على الناحية الثقافية البحتة ، وكان لذلك من غلاة المناكرين للاهداف الصهيونية الاقليمية ، الكافرين بالمبادىء الكهنوتية التى تسوغ هذه الأهداف وتدعو لها ؛ وقد انكر فكرة المسيح المنتظر وما يتصل بها من حق اليهود فى العودة الى ارض الميعاد لاقامة دولة يهودية عليها ، وقصر الغرض من هجرة اليهود الى فلسطين على انشاء مراكز للثقافة اليهودية بها ، بحسبانها مثابة مقدساتهم ومناط وجدانهم الدينى ، وكان يرى أن آراء هرتزل مجرد أوهام سياسية ، وان انقاذ اليهود سيأتى عن طريق الانبياء وليس الدبلوماسيين ، ولذلك فقد انسحب من المؤتمر الصهيونى الاول احتجاجا على مبادئه وقراراته .

كما كانت أساليب الصهيونية الدموية التى انتهجها انصارها موضع سخطه وازدرائه ، ولقد حمل عليهم حملة قاسية فى عام ١٩٢٢ عندما الجاهم التطرف فى دعوتهم العنصرية الى اغتيال أحد المواطنين العرب ، فكتب فى احدى صحف تل ابيب يندد بهم ويسخر بمبادئهم حيث يقول :

« هل هذا هو حلم العودة الى صهيون الذى ينتظره شعبنا منذ آلاف السنين ، ان نأتى الى صهيون ونلطخ أرضها بدماء بريئة ، اذا كان ذلك هو المسيح المنتظر فليأت وانا لن أراه » .

---

(١) أحد هاعام هو الاسم المستعار الذى انتحله آشر زفى جينزبورج ويعنى فى اللغة العبرية « واحدا من الشعب » وكان ينشر به آراءه ويوقع به كتاباته حتى غلب عليه وعرف به .

ومن اليهود الاحرار الذين تمردوا على المبادىء الصهيونية وتناولوها جهرة بالنقد الموضوعي الجارح ، جاك ستينر زوريك ، اليهودى البولندى الاصل والارجنتينى الجنسية ، فقد وضع ثماني مؤلفات تندد فيها بالانماط الفكرية والعملية للصهيونية ، وادان السياسة الاسرائيلية فى نطاق حكمها ، لما تنطوى عليه من مجافاة للمبادىء الانسانية المسلمة ، وخطورة على التعايش السلمى بين الشعوب والدول .

ومنهم كذلك الدكتور اسرائيل شاهاك استاذالكيمياء العضوية بالجامعة العبرية بالقدس ، فلقد هالته مظاهر الحكم العنصرى المتاث الذى تمارسه الدولة الاسرائيلية فى فلسطين المحتلة ، واشفق على العرب مما يعانون من ضروب العسف والنكال والهوان ، فحملته غيرته على القيم الانسانية من هذه المناكير المروعة على ان يضع فى أواخر عام ١٩٧٥ كتابه «عنصرية دولة اسرائيل « Le racisme de l'Etat d'Israël » حمل فيه بعنف على المبادىء الصهيونية الجائرة ، وهاجم الحكم الاسرائيلى العنصرى بغلظة ، وكشف عن سوءاته وأهدافه حيال الاغيار بصفة مطلقة ، ثم حيال العرب بخاصة ـ المسلمين منهم والمسيحيين على السواء ـ بل وحيال اليهود الشرقيين الذين يعتبرون فى نظر الصهيونية جبلة غريبة أدنى منزلا واحط درجة .

وقد أوضح ان ما تنتهجه السياسة الصهيونية من تشديد النكير على العرب والاغلاظ لهم ليس مجرد التشفى واشباع غريزة الحقد العدوانى المسيطرة على الوجدان الصهيونى الجانح ، وانما تستهدف الصهيونية فى النهاية أن يقدح الرعب نفوس العرب حتى يتخرمها اليأس والخور . ويروا فى ديارهم مثابة البؤس ومزدرع الضيم ، فيهرعوا بالفرار منها شرودا فى الآفاق ، يلتمسون مفزعا يخلدون فيه الى الامن والسلامة ، ويذرون وطنهم من ورائهم خالصا لليهود نهبا ومغنما .

وكان طبيعيا أن تحظر الحكومة الاسرائيلية تداول الكتاب ، وان تتعقبه أجهزة الصهيونية بالمصادرة حيثما استطالت أيديها للحيلولة دون ذيوعه فى سائر الاقطار ، بالنظر الى مايتمتع به مؤلفه من مكانة علمية بارزة بوصفه استاذا جامعيا ، ثم بما له من منزلة انسانية مرموقة باعتباره «رئيسا لجمعية حقوق الانسان والمواطن» وأخيرا بحسبانه يهوديا يعتز بعقيدته ، يشهد بما عاينه بنفسه ، وبما تأيد لديه بالاسانيد الدامغة والوثائق الرسمية المفحمة التى حرص على الاستشهاد بها فى سياق بحثه .

ومن احدث المؤلفات اليهودية التى تناولت العقائد والافكار الصهيونية بجراة بالغة منكرة ومستنكرة ، كتاب «القبيلة الثالثة عشرة» الذى وضعه الكاتب اليهودى « آرثر كيسلر » وعرض فيه لتلك العقائد من خلال تقصيه لتاريخ قبائل الخزر التى تنتمى الى الجنس التترى التركى والتى اقامت دولتها فيما بين البحر الاسود وبحر قزوين فى القرن التاسع الميلادى واعتنقت الدين اليهودى منذ ختام القرن السابع وتكونت منها العناصر اليهودية الحالية فى شرق اوروبا ووسطها .

فقد انتهى المؤلف من دراسته وتحليله الى أن الجنس السامى ليس هو الارومة التى ينتمى اليها اليهود عامة ، وأنهم كذلك ليسوا من سلالة داود

وسليمان كما يدعون ، كما ينكر المؤلف فرية الشعب المختار وانتماء اليهود الى فلسطين وينفى أى حق تاريخى لهم فيها .

ويعتبر الحاخام اليهودى الامريكى الدكتور ألمر برجر من أشـد المناهضين للحركة الصهيونية فى العصر الحديث ، ولقد كان من الشجاعة الفكرية والايمان العميق برأيه بحيث تصدى بالمعارضة للرأى العام الصهيونى وللسياسة الامريكية الموالية للصهيونية .

وقد وضع كتابا بعنوان « اليهودية دين لا قومية » ضمنه آراءه المناوئة للصهيونية وفند فيه مزاعمها عن القومية اليهودية التى تعتبر منطلق الحركة الصهيونية الحديثة .

ولقد تولى الدكتور ألمر برجر رئاسة المجلس اليهودى الامريكى حينا ما ــ وهو المجلس الذى حمل على الصهيونية حملة شعواء مسفها مبادئها ومناوئا مناهجها الفكرية والسياسية .

وفى أعقاب العدوان الاسرائيلى على الدول العربية فى يونيو سنة ١٩٦٧ طاف ألمر برجر بأقطار العالم فى حملة دعائية جريئة ، مطالبا اسرائيل فى اصرار وعناد بالانسحاب من الاراضى التى احتلتها عنوة ، ومنددا بالسياسة الامريكية المؤيدة لاسرائيل ، لأنها ــ فيما يرى ــ « لا تجعلها جزءا من الشرق الأسط وانما تجعلها جسرا للغرب الى هذه المنطقة» أو بعبارة أوضح«ان تأييد أمريكا لاسرائيل يرمى الى تهيئتها لتكون مركزا للاستعمار وركيزة لمصالحه فى الشرق الأوسط .

وهو يقول فى حديث له نشر بجريدة الأهرام فى يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ــ يدحض دعوى القومية اليهودية فى بساطة وايجاز «ان الصهيونية تحرص على التحدث عن الشعب اليهودى وفى رأيى ان فى هذا شيئا من التضليل والمغالطة ، فأى شعب لابد من أن يكون بين أفراده مايربطهم تاريخيا وحضاريا ولغة ومصالح اقتصادية على أرض معينة ، وهذا أمر غير متوافر لدى يهود العالم » .

« ليس هناك شيء اسمه الشعب اليهودى ، والمثل اسرائيل نفسها ، ان ٥٥٪ من يهود اسرائيل يهودا عربا وكانوا منذ فترة يهددون سيطرة الغرب على الحكم فى اسرائيل ، وهناك تفرقة واضحة بين النوعين من اليهود ، هذا الموقف كان يشتد ويتزايد قبل حرب يونيو (سنة ١٩٦٧) وان كان قد توارى فى الوقت الحاضر ولكنه باق » ثم يستطرد : ــ

« ماذا بينى وبين يهودى يمنى مثلا ؟ لاشيء لا لغة ولا مصلحة ولا تاريخ ولا حضارة » .

ومن المفكرين الاحرار المحدثين الكاتب اليهودى الامريكى موشيه منيوحين. وقد تصدى للصهيونية فى كتابه «انحطاط اليهودية فى عصرنا» يمزق أستارها الزائفة ويبرزها للملأ فى صورتها العارية الشائهة وحقيقتها المجردة النكراء .

ولقد أجمل مضمون كتابه حيث يقول فى مقدمته انه كان يفضل أن يكون عنوانه «القومية اليهودية جريمة تاريخية وحشية ولعنة» ذلك لأنه عنى بتبيان

فساد فكرة القومية اليهودية ومجافاةالصهيونية لروح الدين اليهودى باعتبارها جناية على البشرية تزرى بالفضائل الاسانية والقيم الروحية جميعا .

ومن اليهود الاحرار المعاصرين كذلك . الزعيم الاشتراكى والقائد النقابى البريطانى «سوللى ساكس» وقد نشر رسالة مفتوحة فى مجلة الشرق الاوسط الدولية البريطانية (١) . حمل فيها بجراة وشجاعة على السياسة الصهيونية فى الشرق الاوسط ، وندد بالعدوان الاسرائيلى الغاشم على البلاد العربية فى يونيو سنة ١٩٦٧ .

ومن الزعماء اليهود الذين ينعون على الصهيونية ماتدعو له من تعصب عنصرى جانح ، السياسى اليهودى «برونو كرايسكى» زعيم الحزب الاشتراكى بالنمسا ومستشار الحكومة النمسوية الاخير . وقد بنى سياسة حكومته ازاء النزاع الصهيونى العربى على أساس اقتناعه الشخصى — من الناحية العلمية المجردة — بعدم وجود شعب يهودى كجنس مستقل من البشر يتميز بصفاته العنصرية الخاصة (٢) . ولذلك فقد كان يخالف الصهيونية فى كثير من أساليبها واهدافها . واحتفظ لبلاده فى هذا النزاع بموقف يتسم بالحيدة والموضوعية، وعارض اتخاذ النمسا نقطة ارتكاز لأفواج المهاجرين اليهود فى طريقهم مناوروبا الشرقية الى اسرائيل والغى بالفعل معسكر تجمعهم بالنمسا ، مما دعا سيمون ديزينتال مدير مركز التوثيق اليهودى فى فينا — الى اتهامه بالتخلى عن واجبه القومى كيهودى حيال الدولة اليهودية فى اسرائيل .

على انه من ناحية اخرى ، فان سياسة كرايسكى قد حظيت فى بلاده بتأييد شعبى كبير أسفر عن فوز حزبه فى الانتخابات الاخيرة التى تمت فى عام ١٩٧٥ .

***

هذا . ويزكو بنا أن نلفت الاذهان — فى اعتدادنا بآراء المفكرين اليهود الاحرار — الى أن هذه الآراء لاتمثل آراء فردية منغلقة بحسبانها خلجات وجدانية أو ذهنية شخصية . وانما هى فى الواقع تعبير عن قطاعات من الفكر الخصب المزدهر ، يترجمون لها ويحملون الويتها ؛ ثم باعتبارهم روادا وزعماء لمدارس فكرية وزعماء لاحزاب سياسية لها انصارها وتلامذتها ومشايعوها .

---

(١) انظر العدد الرابع من مجلة Middle East International الصادر فى انجلترا فى يوليو سنة ١٩٧١

(٢) أعلن برونو كرايسكى رأيه هذا فى تصريح له أذاعته وكالة الأنباء الفرنسية فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٧٥ ونشرته جريدة الأهرام فى الصفحة الثانية من عددها الصادر فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٥ .



# الباب الثانى

# أسباب التأييد الدولى للأطماع الصهيونية فى فلسطين

الفصل الأول ـ النفوذ الصهيونى

الفصل الثانى ـ المصالح الدولية الخاصة

الفصل الثالث ـ الصهيونية تهدد الأمن العالمى والتعايش السلمى

## المبحث الرابع

## الباب الثانى

## الفصل الاول

## النفوذ الصهيونى

لقد سبق أن بينا ان مناهج الصهيونية تتحصل فى ركائز أربع : السيطرة الفكرية والسيطرة المالية والسيطرة السياسية ثم ـ واخيرا ـ السيطرة العسكرية .

وكان القصد من هذه الركائز فى مواجهة المجتمع الدولى ـ فيما عدا السيطرة العسكرية بالطبع ـ هو تطويع الدول للمآرب الصهيونية وانتزاع تأييدها لتحقيق هذه المآرب .

ولقد وفرت هذه المناهج للصهيونية بالفعل نفوذا ضاغطا استأسرت له كثرة من الدول حتى أغراها بالعزوف عن الجادة وحملها على تنكب الحق الواضح الجلى .

وكانت مظاهر هذا النفوذ تتمثل أساسا فى ضواغط خمسة : ـ

**١ ـ الدعاية العريضة المركزة :**

وأداتها وسائل الاعلام القوية التى يملكها اليهود او يشرفون عليها فى اوروبا وامريكا خاصة ، كالصحافة والاذاعة والسينما ، بالاضافة الى الجمعيات والمنظمات والمحافل التى تمارس نشاطها لصالحهم الخاص ، والتى يثوها فى أنحاء العالم وأمكنها التغلغل فى شتى مرافقه .

ولقد ثبت من احصاء أجرى فى عام ١٩٥٦ أن اليهود يصدرون ٨١٩ جريدة ومجلة بمختلف اللغات فى أنحاء العالم (١). فكيف بها الآن وقد تضاعف نشاطها الدعائى أضعافا مضاعفة ، ولليهود فى نيويورك وحدها ـ وهى مقر هيئة الامم المتحدة وملتقى وفودها من شتى أنحاء العالم ـ خمس وكالات للانباء وثلاث جرائد يومية و ١٨ مجلة اسبوعية و ٤٩ مجلة شهرية .

---

(١) كتاب الصهيونية العالمية وأرض الميعاد تاليف الأستاذ على امام عطية الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٣ صفحة ٢٣٧ .

ويوضح تيودور هرتزل فى مذكراته أهمية الدعاية الصاخبة في قوله « الضجة هى كل شيء . والحق ان الضجيج يؤدى الى الأعمال الكبيرة .

ولقد مهد للصهيونية السبيل الى المسرح العالمى لتمارس نشاطها العنصرى على مشهد من الملأ كله فى مبتدأ الاسفار عن دعوتهم ـ ماحظى به يهود غرب أوروبا فى غضون القرن التاسع عشر من حقوق وطنية نتيجة للافكار التحررية والفلسفات الثورية التى اجتاحت العالم حينذاك والتى أخذت بها الدساتير الدولية وكفلت لليهود حرية الراى ومزاولة اوجه النشاط الاجتماعى والسياسى اسوة بسائر المواطنين الذين يعيشون فى اكنافها .

وكما كانت محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى دريفوس من أسباب اضطهاد اليهود لاتهامه بالخيانة العظمى ، فقد كانت من ناحية اخرى من اسباب العطف عليهم بعد ان قضت المحكمة ببراءته . فقد استغل الصحفى النمساوى تيودور هرتزل هذه الفرصة وتزعم حركة دعائية ضخمة تدافع عن اليهود وتستدر الرثاء والأشفاق عليهم وتنعى على العالم تحامله عليهم ورميهم بالخيانة .

ثم كان لاشتداد وطأة الاضطهاد العنصرى ضد اليهود فى روسيا ثم فى المانيا النازية من بعد ـ الفضل الاول فى تهيئة الراى العام العالمى لاستقبال صرخة اليهود بآذان مصغية والانصات الى طلبهم الهجرة من مواطن العذاب الى حيث يامنون على انفسهم واموالهم .

وساعدت الدعوة المنظمة المتسعة الآفاق على تجويف هذه الصرخة وامتصاص الاصوات المعارضة ، لتبدو صيحتهم مدوية مؤثرة تصك المسامع وتهز المشاعر وتمس شغاف القلوب .

## ٢ ـ التقارب المذهبى بين اليهودية والبروتستانتية : ـ

لقد كانت امريكا وانجلترا ـ من دون سائر الدول المسيحية ـ اكثر احتفالا بالدعوة الصهيونية وارحب صدرا ، ويرجع ذلك الى أن المذهب المسيحى البروتستانتى هو المذهب الشائع فى هاتين الدولتين ، والتوراة لديه هى المصدر الدينى الأصيل وتفسيره لنصوصها أدنى الى التفسير الذى يأخذ به اليهود بعامة .

ومنذ دعوة مارتن لوثر فى القرن السادس عشر للمذهب البروتستانتى ـ اى مذهب المحتجين ـ فقد واكب انتشاره روح التعاطف مع اليهود والحدب عليهم (كأصحاب ديانة تعتمد على نصوص التوراة التى يعتد بها البروتستانت) حتى اذا ماوافى القرن السابع عشر وقد تعمقت جذوره فى أرجاء القارة الاوروبية نلاحظ ان انجلترا وهولنده ـ بعد اعتناقهما للمذهب الجديد وتشيعهما له ـ لم تقتصرا على اخماد وقدة الاضطهاد فيهما قبل اليهود بل انهما رحبتا بعودتهم اليهما وذللتا لهم أسباب الحياة الآمنة الرخية فيهما وخاصة فى انجلترا التى طالما أمعنت فى القسوة عليهم وتعقبتهم بالاضطهاد والطرد من ربوعها .

ولما ان قرر المؤتمر الصهيونى العالمى المنعقد فى نيويورك فى ١١ مايو سنة ١٩٤٢ وجوب تحويل فلسطين الى دولة يهودية فى نطاق الكومنولث البريطانى

والعمل على اخلائها من سكانها العرب ، أعلن عدد كبير من رجال الدين البروتستانت فى أمريكا تأييدهم لذلك القرار واستعدادهم للعمل على تحقيقه .

كما أعلن مؤتمر القساوسة البروتستانت المنعقد فى أمريكا فى فبراير سنة ١٩٤٥ عطفه على المطالب الصهيونية فى فلسطين ورفع قراراته الى الكونجرس والى هارى ترومان رئيس الولايات المتحدة الامريكية آنذاك الذى كان أول من اعترف بدولة اسرائيل بعد دقائق من اعلان قيامها رسميا .

ويقول وايزمان فى مذكراته (١) «ان الانجليز ـ لاسيما من كان منهم من المدرسة القديمة ـ هم أشد الناس تأثرا بالتوراة ، وتدين الانجليز هو الذى ساعد فى تحقيق آمالنا لان الانجليزى المتدين يؤمن بماجاء فى التوراة من وجوب عودة اليهود الى فلسطين ، وقد قدمت الكنيسة الانجليزية فى هذه الناحية أكبر المساعدات» .

## ٣ ـ النفوذ المالى والاقتصادى :

لقد كان المال أدنى الوسائل التى استطاع بها اليهود التغلغل فى المجتمع والنفاذ الى مختلف مرافقه ، حيث يمهد لهم أسباب السيطرة والنفوذ القوى .

ذلك لأن جمع المال واستثماره كان حرفتهم المفضلة منذ القدم ، فكانت البيوت المالية اليهودية تسيطر على المشروعات الاقتصادية فى الدول ، وبالنظر الى اتصال هذه المشروعات بالدخل القومى والعمالة خصوصا فى الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة الامريكية وانجلترا فقد كان لرجال المال فيها ـ وجلهم من اليهود ـ نفوذ سياسى طاغ فى شئون الحكم ، لارتباط هذه المشروعات بالسياسة العامة للدولة وسيطرتها على قدراتها ومقدراتها الاستراتيجية الهامة كالبترول وصناعة الاسلحة وغيرها من مواطن القوة والثروة .

بل انه فى مقدور الرأسماليين اليهود التحكم فى الاقتصاد الوطنى وتعريضه للانهيار عن طريق الاحتكار والمضاربات والطرق الملتوية التى يجيدونها ويستعينون بها عند الحاجة .

وذلك فضلا عن أن حاجة الدول الى القروض المالية كانت تقسر الحكام على الخضوع للنفوذ اليهودى وتنسيق سياسة الدول مع المصالح اليهودية .

ولعل أهم البيوت المالية اليهودية التى كان لها دور كبير فى هذا المجال ـ بيت روتشيلد وبيت فيرتهيم وبيت أوبنهير فى اوربا ولجنة فيدرال ريزرف فى الولايات المتحدة الامريكية ، ولقد استطاعت هذه البيوت المالية السيطرة الفعالة على المصارف المالية ومؤسسات الاستثمارات الكبرى وشركات التأمين فى أنحاء العالم .

ويكفى لتقدير سلطانها المالى أن نعلم أن مصرف روتشيلد وحده تتبعه

---

(١) من كتاب مقارنة الأديان (اليهودية ) تاليف الدكتور أحمد شلبى صفحة ٨٦ .

خمس مؤسسات مالية واربع شركات تأمينية وتسع شركات خطوط حديدية وستة مشروعات صناعية ، كما يشرف على أربع وعشرين شركة ملاحة ويدير اربع شركات كيماوية وشركتين للبترول ، فضـلا عن اشتراكه فى مئات المؤسسات المالية والتجارية والعقارية الاوروبية والافريقية ، كما يملك فى اسرائيل وحدها عشرين مشروعا من أهم مشروعاتها الاقتصادية .

ولقد اتاحت سيطرة اليهود المالية والاقتصادية لهم نفوذا سياسيا عانيا رحيبا عن طريق استحواذهم على ثقة ولاة الامـور ، اذ كانت حاجـة الملوك والحكام الى المال ــ خصوصا فى أوقات الحرب ــ باعثا على حرصهم على مرضاة اليهود وتملقهم لامـدادهم بالقروض ، حتى ان البابا حين لجأ الى مصرف روتشيلد يستقرضه سمح لشارل روتشيلد بتقبيل يده تكريما له ، وأعفـاه من تقبيل قدميه كما جرت العادة بذلك .

ولقد كان لمصرف روتشيلد يد طولى فى انتصار الانجليز على نابليون . اذ مكن القائد الانجليزى ولنجتون من تموين جيوشه رغم الحصار المضروب على بلاده .

واخيرا فقد كان من مظاهر التهالك على أعتاب المصارف اليهودية ابان الحرب العالمية الاولى أن تنافس الفريقان المتحاربان ــ المانيا وانجلترا ــ فى مداهنة اليهود وبذل الوعود لهم لتحقيق آمالهم فى انشـاء وطن قومى لهم فى فلسطين ، تلك الوعود التى انتهت بوعد بلفور من جانب الانجليز والذى كان اللبنة الأولى فى مخططهم الصهيونى .

## ٤ ــ النفوذ السياسى :

لم يكتف اليهود بسيطرتهم المالية والاقتصادية يهيمنون بها على مقدرات الدول ويقسرونها على التماس رضائهم وتحرى صوالحهم ، بل انهم حرصوا على السيطرة على المراكز القيادية التى توطىء لهم دفة الحكم والتوجيه السياسى والادارى ، سواء دانت لهم هذه السيطرة عن طريق أعوانهم فى مناصب الحكم أو فى الاحزاب السياسية ، الذين حملوهم على الانقياد لهم تحت تأثير المال أو غيره من طرق الاغراء أو الضغط .

او كان سبيلهم الى هذه السيطرة السياسية توليهم المناصب التى تهيئها لهم فى يسر وطمأنينة .

ولقد زاد اهتمام اليهود بالسيطرة المباشرة على مواطن التوجيه والسياسة فى الدول منذ قيام الحركة الصهيونية الحديثة ، فنجد مثلا فى ابان الحرب العالمية الاولى ان وزراء الداخلية والخارجيـة والماليـة فى المانيا كانـوا من اليهود ، كما كان وزراء روسيا جميعا من اليهود برئاسة اليهودى برونشتين المعروف باسم تروتسكى ، وكان حاكما بافاريا والمجر يهـوديين ، كمـا كان اعضاء الوفد الالمانى فى مؤتمر الصلح جميعا من اليهود .

ولم يكن غريبا ــ فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ــ أن تنقاد السياسة البريطانية للنفوذ الصهيونى ، فتحرص على الاستجابة لمطالب اليهود استجابة استسلام وتسليم حتى منحتهم وعدا رسـميا بانشـاء وطن قـومى لهم فى

فلسطين ، ذلك الوعد المعروف باسم وعد بلفور كما ساعدتهم باخلاص على توطين المهاجرين اليهود فى فلسطين .

ذلك أن اليهود كانوا يشغلون حينذاك كثيرا من المناصب السياسية الهامة ، فضمت وزارة لويد جورج الوزيرين اليهوديين السير الفريد والاونورايل ادوين مونتاجو كما كان مجلس العموم ومجلس اللوردات يضمان أعضاء من اليهود ، ذلك بالاضافة الى أن المجلس الاستشارى الخاص كان يشترك فى عضويته ستة من اليهود .

ولقد كان النفوذ اليهودى متغلغلا ومؤثرا فى السياسة الأمريكية بفضل اليهود الرسميين فى الدولة ، فقد كان المستشار الخاص للرئيس وودرو ولسن يهوديا ، وقد شغل المالى اليهودى الكبير كوهين عضو المنظمة الصهيونية الامريكية منصب مساعد وزير الخارجية الأسبق جيمس . ف . بيرنز .

كما كان دافيد نايلز اليهودى مستشارا للبيت الابيض فى عهد الرئيس ترومان الذى كان أول من اعترف بقيام دولة اسرائيل الحالية فور اعلان مولدها ، وكان والت روستو اليهودى أيضا مستشارا للرئيس ليندون جونسون لشئون الامن القومى من سنة ١٩٦٤ الى سنة ١٩٦٨ هذا . وقد تولى أرثر جولدبرج رئيس اللجنة اليهودية الامريكية رئاسة وفد الولايات المتحدة الأمريكيه فى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ابان عدوان اسرائيل على مصر وسوريا والأردن واحتلال أجزاء من أراضيها فى يونيو سنة ١٩٦٧ .

وقد استغل آرثر جولدبرج منصبه فى ممارسة نشاطه الصهيونى واشباع ميوله العنصرية ، فانحاز علانية لاسرائيل - الدولة المعتدية - متحديا الارادة الدولية المندد بالعدوان فى ذاته ، ومفتاتا على ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى يحظر ضم الاراضى عن طريق الغزو والافادة من العدوان ، وجاهد بالضغط حينا وبالمخادعة أحيانا للحيلولة دون اصدار قرار دولى بات بادانة اسرائيل واجبارها على الجلاء عن الاراضى العربية التى احتلتها نتيجة للعدوان .

وأخيرا ، وبالاضافة الى كل هذه الظروف التى اخذت بتلابيب السياسة الامريكية ، فقد أضاف اليها ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية منذ مطلع عام ١٩٦٩ اتخاذه الداهية اليهودى الدكتور هنرى كيسنجر أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد مساعدا خاصا ومستشارا لشئون الأمن القومى ، وهو منصب خطير وضع فى يده دفة السياسة الامريكية الداخلية والخارجية ومنذ أكتوبر سنة ١٩٧٣ أضيفت اليه أعباء وزارة الخارجية الامريكية ، ذلك ، مع أن الدكتور كيسنجر ليس أمريكى الأرومة ، فهو لاجىء المانى فر من الاضطهاد النازى الى الولايات المتحدة الامريكية حيث لقى من الترحيب ماشجعه على المقام فيها ، وصادف من التجاوب الفكرى ماحمله على الاخلاد اليها والحدب على تحقيق الاهداف اليهودية الامريكية المشتركة .

تدمير فندق الملك داود بالقدس - مقر السكرتير العام لحكومة الانتداب البريطاني على فلسطين .

## ٥ ـ الارهاب والعنف :

ورغبة من اليهود فى ارغام كل من يلى لهم امرا على ان يصانعهم وينصاع لرغباتهم ويلتزم صالحهم ولو جانب الحق والصواب ، فقد اصطنعوا الاغتيال سبيلا مرهوبا يتخلصون به ممن يضطره الحق والانصاف الى معارضتهم والوقوف فى سبيل اطماعهم ومآربهم ، ثم ليكون عبرة لغيره ممن يلى لهم امرا .

ومن أجل ذلك فقد عمد الصهيونيون الى ارهاب حكومة الانتداب البريطانى ابان ولايتها على فلسطين .

فكانوا يغتالون رجال الجيش البريطانى ويجلدونهم علانية معلقين فى جذوع الشجر ويستذلونهم بهتك اعراضهم ، وقد حدث أن شنقوا جنديين بريطانيين فى ضاحية مستعمرة ناثانيا اليهودية وحرقوهما بعد ان مثلوا بهما انتقاما لاعدام ارهابى يهودى ، ونسفوا مبنى فندق الملك داود بالقدس حيث كانت ادارة السكرتير العام لحكومة الانتداب ، وكانوا يقبضون على الجنود والضباط والقضاة البريطانيين كرهائن لارغام حكومة الانتداب على عدم اتخاذ اجراءات مضادة ضد اليهود .

وفى ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٤ اغتال عضوان من « جماعة المحاربين عن حرية اسرائيل (١) » اللورد والتر موين وزير الدولة البريطانى فى الشرق الاوسط فى مقر عمله بالقاهرة ، وكان قد اقترح قبل مصرعه بعام توطين اليهود فى جزيرة مدغشقر .

وهكذا عمد اليهود الى تطويع سلطات الانتداب المحلية فى فلسطين لمشيئتهم بالتنكيل برجالها وبث الرعب فى قلوبهم ، مستغلين تراخى قبضة الحكومة على أزمة الامور بالنسبة لليهود ـ عن سياسة مرسومة منذ وعد بلفور ـ اذلالا لرجال الحكم الفلسطينى وتوهينا لسلطانهم وسلبا لارادتهم ، ثم ترويعا للآخرين من أندادهم حتى ينصاعوا مسلمين مستسلمين .

ولم تتوقف عمليات الارهاب بعد قيام دولة اسرائيل ، فقد اغتيل الكونت فولك برنادوت فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ وكان رئيسا لجمعية الصليب الاحمر السويدية ووسيط مجلس الأمن لحل المشكلة الفلسطينية ـ وكان اغتياله فى الطريق العام بالقدس وفى رابعة النهار على اثر تقدمه بمقترحات تقضى بتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب فى مناطق محددة ـ على غير مايبتغى اليهود ، اذ انها رغم ما تضمنت من تأييد لباطل اليهود على حساب العرب كانت تحد من سياسة التوسع اليهودى التى يدين بها الصهيونيون .

---

(١) قضية الجناية العسكرية العليا رقم ٧٠ ( ٩٤ عابدين ) سنة ١٩٤٥ .

## المبحث الرابع

## الباب الثانى

## الفصل الثانى

## المصالح الدولية الخاصة

لم يكن ما حظى به الصهيونيون من تأييد ايجابى من بعض الدول راجعا الى الاقتناع بحججهم وأسانيدهم ، أو اعترافا منها بحق لهم مهـــدد تستقضيه لهم ؛ وانما كانت تتوخى دائما فى تأييدها للمطالب الصهيونية مصلحتها هى وتتخذ من الصهيونية تكأة لها ومخلب القط فى تحقيق سياستها .

وتخلص هذه المصالح الذاتية فيما يلى :

### ١ ـ الحاجة الى المال والى النفوذ اليهودى :

لقد استتبع النفوذ اليهودى فى قوته ورسوخه أن جنح الى اليهود كل من الحت عليهم الحاجة للاستعانة بهذا النفوذ .

ولقد حاول نابليون بونابرت استغلال وعود التوراة فى أستمالة اليهود اليه والاستعانة بهم فى تحقيق اطماعه الامبراطورية فى الشرق .

ذلك ان بلاد الشام كانت بمثابة محط الانطلاق فىالشرق الأوسط والباب الرحيب الذى يستطيع أن يدلف منه الى الهند ليـدهم فيهـا مركز القـوة للامبراطورية البريطانية فيقضى عليها ويشيد على انقاضها احلامه الامبراطورية

ولقد كان نابليون فى مسيس الحاجة الى من يظاهره ويشـد من أزره ويحمي مؤخرته فى زحفه العريض الحثيث فى تلك الاصقاع المترامية الاطراف، خاصة بعد أن وجد من حوله شعوبا تكن له الكراهيـة وتناصبه العـداء ، ولا يأمن انتقاضها عليه اذا ما استدبرها فى زحفه ، وقد لمس كيف قلب له المصريون ظهر المجن وثاروا عليه ثورة جريئة عاتية .

وكان الكونت اليهودى بول باراراس عضو حكومة الديركتوار فى فرنسا ـ قد أوعز اليه أن يكتسب عطف اليهود بالعمل على اعادتهم الى أرض الميعاد فى فلسطين ليكونوا نقطة ارتكاز يعتمد عليها وعيونا مخلصة له ـ وصادفت هذه الفكرة هوى فى نفس نابليون ورأى فيها فرصة ثمينة لشد اليهود الى ركابه بدافع المصلحة المشتركة ، فانتهز فرصة قرعه الابواب الى القدس بحصاره أسوار عكا وأصدر بيانا فى ٤ ابريل سنة ١٧٩٩ نشر فى جريدة لومونيتور أونيفرسال ـ وهى لسان حال الثورة الفرنسية ـ فى عددها الصادر بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٧٩٩ يدعو اليهود فى افريقيا وآسيا الى مناصرته والالتفاف حوله ، ويغريهم بمرافقة جيوشه عند دخولها مدينة القدس حاضرتهم الروحية حيث يوطىء لهم المقام .

وسرعان ما لقيت هذه الدعوة صدى عميقا لدى اليهود فاصدر حاخام القدس بيانا يباركها فيه ويدعو اليهود الى تلبيتها والالتفاف حول نابليون حتى تتحقق لهم به وعود التوراة .

بيد أن التوفيق جانب نابليون فارتد عن عكا خاسئا وفشلت حملته فى المشرق وطاشت وعوده وتبددت معها أحلام اليهود .

★★★

كما كانت فترة الحرب العالمية الأولى فترة حاسمة فى تاريخ الصهيونية فقد تمخضت أحداثها وملابساتها عن تصريح بلفور بالعطف على مطالب اليهود الاقليمية .

ثم أسفرت الحرب العالمية الثانية عن الاستجابة لهذه المطالب استجابة كاملة ومولد دولة اسرائيل فى فلسطين .

فحينما استعرت وقدة الحرب العالمية الأولى وتلهف كل فريق من المتحاربين على عون يرجح كفته فى نضاله ، تسابقت الدول الى كسب ود اليهود وتأييدهم بعد أن كانت تناصبهم العداء وتمعن فى ازدرائهم واضطهادهم .

ولقد تلقفت الحكومة الالمانية العرض الذى تقدم به زعماء اليهود فى عام ١٩١٦ لمعاونتها فى حربها ضد جبهة الحلفاء فى مقابل موافقة الحكومة العثمانية على انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ـ وتوسط الامبراطور ولهلم الثانى لدى حلفائه العثمانيين لتأييد هذا المطلب ، الا ان مجلس المبعوثان التركى لم يوافق عليه . فبادرت بريطانيا الى اليهود متهالكة تسترضيهم وتتبنى مطالبهم الاقليمية التى رفضتها من قبل لمجافاتها لقواعد الحق والعدل، وبلغ من حرصها على مرضاتهم انها أشركت أقطاب الصهيونيين رسميا فى وضع الصيغة التى ترضيهم للتصريح الذى أعلنه اللورد بلفور ، يضمن فيه لليهود وطنا قوميا فى فلسطين والذى وضع به اليهود حجر الأساس للدولة الاسرائيلية .

وقد بيتت انجلترا هذه النية مع حليفتها فرنسا وضمنتها مشروعها الذى أعدته سنة ١٩١٦ لتنظيم الفصل فى مصير البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية والمعروف بمشروع سير مارك سايكس ومسيو جورج بيكو، وبعث وزير الخارجية البريطانى هذا المشروع الى الحكومة الروسية لاقراره

وقد جاء فيه (١) « انه اذا قمنا باستغلال الفكرة الصهيونية استطعنا تحقيق نتائج سياسية هامة ، ومن بين هذه النتائج احتمال تحويل موقف العناصر اليهودية المقيمة فى المانيا وفى الولايات المتحدة وفى شتى البلاد التى تقف منا حاليا موقف العداء الى موقف مؤيد ومساند للحلفاء » .

وكانت انجلترا تبغى ـ فضلا عن معاونة اليهود المادية ـ الاستعانة بنفوذهم فى امريكا على حمل حكومة الولايات المتحدة على دخول الحرب فى صف الحلفاء .

وبالفعل فما ان تلاقت السياسة البريطانية مع الآمال الصهيونية فى الاجتماعات التمهيدية بين ممثلى الطرفين . حتى امكن لليهود الامريكيين ـ وخاصة القاضى لويس برنديس Louis Brandeis عضو المحكمة العليا الامريكية ـ اقناع الرئيس ولسن بالمساهمة فى المجهود الحربى مع الحلفاء واستدراجه لمؤزرة المطامع الصهيونية . متناسيا مبادئه السياسية والانسانية التى اعلنها من قبل . وكان لدخول الولايات المتحدة الحرب نقطة تحول حاسم فى المعركة لصالح الحلفاء .

فاما عن السياسة الامريكية واندفاعها فى الموكب الصهيونى تحميه وتؤازره وتمده بالعون المادى والادبى بغير حدود . فان هارى ترومان رئيس الولايات المتحدة الامريكية واول من اعترف بدولة اسرائيل . يعزوها الى المصلحة الشخصية من ناحية . ثم الى الدهاء الصهيونى والتخاذل الامريكى من ناحية اخرى .

فهو قد اعترف بدولة اسرائيل فور اعلان قيامها ثم شفع هذا العون السياسى بمعونة مالية سخية قدرها مائة مليون دولار تدعم بها كيانها ـ كل ذلك بدافع من المصلحة الشخصية التى كان يرجوها من استرضاء اليهود الامريكيين وكسب اصواتهم فى الانتخابات . وقد صرح هو بذلك فى رده على احد السفراء الامريكيين فى الشرق العربى حين راجعه فى امر هذا الاعتراف منبها الى ما له من اثر سيىء فى البلاد العربية . حيث اجابه ترومان مستنكرا « كم عدد الأصوات العربية فى انتخابات الرئاسة فى أمريكا ؟ »

وفضلا عن ذلك فان ترومان يعترف فى مذكراته بما كان للاساليب الصهيونية الدعائية المخادعة وضغوطها السياسية المريبة من اثر حاسم على السياسة الدولية عامة وعلى السياسة الامريكية بوجه خاص ، حيث سلبته ارادته وارغمته على توجيه السياسة الامريكية قسرا وجهة يعترف بأن ارادته لم تكن حرة فى انتهاجها ، لأنها دون ريب كانت على حساب الحق والعدل ، وذلك حيث يقول : « والحقيقة ان محاولات الضغط التى استخدمها اليهود على وفود الأمم المتحدة لم تتفوق على كل نشاط دبلوماسى آخر عرفته المنظمة الدولية فقط بل ان البيت الابيض ذاته كان يتعرض للضغط المستمر من قبلهم . اننى لا أعتقد أننى تعرضت فى حياتى الى مثل الضغط وقوة الدعاية اللذين تعرضت لهما من قبل الصهيونيين ، فقد الح على قادتهم فى أمريكا

---

(١) كتاب الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس الجزء الثانى فى عدوان الغرب تأليف الاستاذ محمد على الغتيت صفحة ٢٩٠ .

الحاحا لا مثيل له كى أضع القوة السياسية والعسكرية الامريكية فى خدمة أهدافهم فى فلسطين » (١) .

ويقرر دين أتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية السابق فى مذكراته ــ منذ كان مساعدا لوزير خارجيتها ــ أن الرئيس هارى ترومان كان شديد الاهتمام بمطالب اليهود وانه أصر على توطينهم فى فلسطين مع ما فى هذه السياسة من تعارض مع « المصلحة الامريكية الشاملة » .

ويعزو دين أتشيسون هذه السياسة المتحيزة الجائرة الى وقوع ترومان تحت تأثير صديقه اليهودى ايدى جاكوبسون الذى كان شريكا له حينا ما فى تجارة الخردوات بمدينة كنساس ، مما حمله على الغض من حقوق العرب والتغاضى عن سياسة أمريكا التقليدية فى منطقة الشرق الأوسط .

★★★

يضاف الى ذلك كله ــ ولعله بيت القصيد فيه ــ رغبة الجبهة الامبريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة الامريكية ــ فى استغلال اسرائيل كقاعدة عسكرية لها فى المشرق، تتمكن بها من احكام تطويق الجبهة الاشتراكية الشرقية خاصة بعد انسحاب انجلترا من تلك المنطقة وتخلخل الكيان الامبريالى ونفوذه فيها ، ــ ثم بعد أن اضطرت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا الى اخلاء قواعدهما العسكرية فى ليبيا فى عام ١٩٧٠ تحت ضغط الثورة التحررية الليبية ؛ وما ترتب على ذلك من تصدع فى استراتيجية حلف الأطلنطى فى حوض البحر الأبيض المتوسط وفى الشرق الأوسط عامة .

ولا يفتأ الامريكان ينوهون بالعلاقات الوثيقة التى تربطهم باسرائيل وبما لها من أهمية بالغة فى السياسة التى ينتهجونها فى الشرق الأوسط .

وفى ذلك يقول ستيوارت سيمنجتون عضو الشيوخ الامريكى (٢) : « ان اسرائيل بالنسبة لنا حاملة طائرات غير قابلة للغرق » .

كما يعتز الصهيونيون بمكانتهم لدى الولايات المتحدةالامريكية ويشيدون بها فى كل مناسبة من قبيل الاعتداد بالنفس والترهيب لأعدائهم .

ويصف الجنرال حاييم بارليف رئيس هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى ــ مكانة اسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ــ فى خطاب القاه فى ميامى بيتش بولاية فلوريدا الامريكية بتاريخ ٢٩ فبراير سنة ١٩٧٢ بقوله :

« ان اسرائيل هى الخط الاستراتيجى الأمامى فى منطقة البحر الابيض المتوسط » .

---

(١) كتاب اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية تأليف الأستاذ ايليا أبو الروس طبع بيروت سنة ١٩٦٩ صفحة ١٣٢ .

(٢) ستيوارت سيمنجتون أحد أعضاء مجلس الشيوخ البارزين عن الحزب الديموقراطى بالولايات المتحدة الأمريكية ؛ وهو مرشح سابق لرئاسة الجمهورية وقد تولى وزارة الطيران فيما بين عامى ١٩٤٧ و ١٩٥٠

وبالنسبة لموقف الثورة البلشفية فى تجاوبها مع الحركة الصهيونية بعامة ، ومع قيام دولة اسرائيل بالذات ، فان امتزاج الصهيونية بالشيوعية امتزاجا عضويا منذ اندلاع الثورة البلشفية ، واضطلاع كثير من اليهود الصهيونيين بحظ سخى من عبء الثورة ومناصبها القيادية ، كان حريا بن يسفر عن مشيج وجدانى متعاطف وسياسة متسقة ومتجاوبة .

ولطالما اشادت الصحافة اليهودية المعاصرة للثورة البلشفية فى روسيا بالاواصر الوثيقة التى تربط بين المبادىء البلشفية والمبادىء الصهيونية . وبما كان لكل منهما من تاثير عميق متبادل .

فقد نوهت مجلة جويش كرونيكل Jewish Chronicle فى عددها الصادر فى ٤ ابريل سنة ١٩١٩ بفضل اليهود على الثورة البلشفية واعتمادها اساسا على المبادىء الصهيونية العليا ، وعلى جهود طائفة غير يسيرة من قادتها الصهيونيين .

كما اكدت ذلك مجلة امريكان هيبرو American Hebrew فى عددها الصادر فى نيويورك بتاريخ ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٠ ، حيث صرحت بأن الثورة البلشفية وليدة الفكر اليهودى .

ولقد كان مؤدى هذا الانسجام الفكرى والعملي بين الصهيونية والبلشفية ، ان حظيت الحركة الصهيونية وآمالها العريضة بتأييد روسى مطلق ، تجلى فى مبادرة الحكومة الروسية بالاعتراف بدولة اسرائيل بمجرد اخطارها رسميا بقرار قيامها على ارض فلسطين المغتصبة ، ولم يسبقها فى ذلك سوى الولايات المتحدة الامريكية التى أعلنت اعترافها بعد نصف ساعة من ابلاغها بقيام الدولة الجديدة .

ولم تكتف الحكومة الروسية بهذا الاعتراف العاجل تعبيرا عن حماسها للآمال الصهيونية ، بل انها تطوعت لاستصدار قرار هيئة الأمم المتحدة بقبول اسرائيل عضوا فيها ، وسعت حثيثا لاستجماع تأييد دولى لهذا الغرض حتى صدر قرار هيئة الامم المتحدة رقم ٢٧٣ (٣) بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٤٩ بقبول اسرائيل عضوا فى تلك الهيئة وبالتالى فى سائر المنظمات المتفرعة عنها .

هذا ، ولم تكبح روسيا جماحها فى المنطلق الصهيونى وتضع معايير نسبيةلتأييدها للسياسة الصهيونية الا بعد استتباب النظام السوفيتى وتطوير السياسة الروسية الدولية ــ وفى المشرق خاصة ــ على ضوء مصالحها المتجددة ، ثم بعد افتضاح النوايا اليهودية الخاتلة على الصعيد الروسى

فان ما ظفر به اليهود من امتيازات سياسية وادارية سخية فى الاتحاد السوفيتى قد استجاش فى اخلادهم سعار الشره واوار التمرد والغرور اعتدادا بقوتهم واعتزازا بنفوذهم ، فاغراهم باحتواء الثورة البلشفية وابتزازها ، باستقطاب السلطة فى أيديهم واستغلالها لصالحهم الطائفى الخاص ، لولا أن بادر جوزيف ستالين رئيس الوزراء الروسى فقمع الفتنة بحزم وصرامة قبل أن تستشرى ، وأوسع زعماءها قتلا وتشريدا حتى قضى على رؤوس الفتنة وخضد شوكة اليهود الى أن فاءوا واستكانوا .

## ٢ ـ خدمة الأهداف الاستعمارية

ثم هدف آخر سعت اليه الدول الاستعمارية من وراء مؤازرتها للصهيونيين فى تحقيق اطماعهم فى فلسطين .

فان السياسة الاستعمارية تعتمد على مبدأ اساسي مبناه « فرق تسد » لتضمن توطيد نفوذها والحيلولة دون كل مناهضة قد تثور فى وجهها او تفجأها فى أعقابها .

ولذلك فقد حرصت الدول الاستعمارية منذ ان عرفت طريقها الى المشرق العربى على أن تظل شعوبه شيعا ممزقة الأوصال موزعة الرأى ، وكان الحرص على تلك الأوضاع يقتضى منها يقظة وجهدا دائمين ودائبين .

فلما ان فتح محمد على بلاد الشام فى عام ١٨٤٠ م واحست انجلترا بالخطر يهدد اطماعها من توحيد البلاد العربية تحت لواء واحد ، رات الفرصة سانحة لغرس أسباب الفرقة الدائمة بين البلاد العربية لتحول دون تجمعها ابدا ، وتوفر كثيرا من الجهد الذى أعياها والذى تبذله فى بث ذرائع الشقاق من آن لآخر ، فاقترح اللورد بالمرستون رئيس وزراء انجلترا على السلطان العثمانى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين يحول دون التئام القوى العربية فى مصر والشام ويؤمن السلطان خطر انتفاضها عليه .

وفى غضون الحرب العالمية الأولى حين استشعر الانجليز يقظة الوعى القومى العربى فى مفاوضاتهم مع الشريف حسين ، استبان لهم حرصه على توحيد شعوب المشرق العربى تحت لواء واحد ، فخشوا مغبة هذه السياسة التى تهدد المصالح الاستعمارية فى آسيا وافريقيا وتقضى على نفوذهم فى الشرق الأوسط . فقصدوا الى ايجاد حليف لهم يربض فى مفترق الطريق بين البلاد العربية يمزق أوصالها ولا يفتأ يثير بينها أسباب الخلف فلا تتم لها الوحدة التى يخشى الاستعمار التئامها .

ثم ان وجود اسرائيل عدوة للعرب بين ظهرانيهم مما يحول نشاط العرب عن مناواة الاستعمار الى مناواة اسرائيل ، ويبتز جهودهم ويمتص طاقاتهم المادية التى قد يوجهونها للقضاء على النفوذ الاستعمارى فى المنطقة . ولقد نهضت اسرائيل فى الشرق العربى ركيزة للاستعمار ومحطا لتوفير جهوده وربيبة له يتوفر عليها بالحدب والرعاية ويمدها بالسلاح والمال تثبيتا لها وحماية لمصالحه .

ومن ناحية اخرى فان انشاء دولة اسرائيل والتوفر عليها بالحدب والرعاية والحماية من الدول الاستعمارية بعامة ومن انجلترا بخاصة ، كان تنفيذا لسياسة استعمارية مدروسة قررتها وزارتا الخارجية والمستعمرات فى انجلترا منذ مستهل القرن العشرين بناء على ما أشارت به اللجنة التى شكلها كامبل بترومان رئيس الوزارة البريطانى فى عام ١٩٠٧ ـ من كبار العلماء العالميين المتخصصين فى التاريخ وفى القانون وفى السياسة ، لاقتراح الوسائل التى تحول دون سقوط الامبراطورية البريطانية ـ بعد ان طال العهد بها

أسوة بسائر الامبراطوريات التى ازدهرت على مدى التاريخ ثم انتهت الى المصير الحتمى فخارت قواها واصابها الانحلال (١) .

وقد رات تلك اللجنة ان الخطر ضد الاستعمار فى آسيا وفى افريقية ضئيل ولكن الخطر الجاثم المحق يكمن فى البحر المتوسط . وهذا البحر هو همزة الوصل بين الغرب والشرق ، وحوضه مهد الأديان والحضارات ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان وكل مقومات التجمع والترابط . هذا فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية فاذا « نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وامكانيات الثورة الصناعية الأوربية وانتشر التعليم فيها فستحل الضربة القاضية بالاستعمار الغربى » .

ومن ثم فقد اقترحت اللجنة حفاظا على قوى الاستعمار الأوروبى وللحيلولة دون انهيارها (٢) « ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى عن الجزء الآسيوى فى منطقة البحر المتوسط ـ باقامة حاجز بشرى قوى وغريب يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا بافريقيا ـ بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة »

ومن اجل ذلك فقد حرصت وزارتا الخارجية والمستعمرات فى انجلترا على أن تكون هذه التوصيات أساسا للسياسة البريطانية الاستعمارية فى الشرق حفاظا على امبراطوريتها العريضة من الانهيار والانحلال .

ولهذا نلاحظ أن كل عدوان مسلح شنته اسرائيل على البلاد العربية المتاخمة مرتبط بأهداف محددة تبتغى الدول الاستعمارية تحقيقها ، أو موقوت بحدث سياسى يمت الى استراتيجية هذه الدول فى الشرق الأوسط بالسبب الوثيق .

فالاعتداءات الاسرائيلية بهذا النظر بمثابة حملات تأديبية تستهدف تخضيد شوكة العرب واذعانهم ، ـ كلما أنست دول الاستعمار تمردا من البلاد العربية على سياستها أو مناهضة لمشروعاتها أو تهديدا لمصالحها الاستعمارية دفعت اسرائيل الى الوثوب عليها بغيا وامدتها بالعون المادى والتأييد الأدبى الكامل .

واسرائيل بهذا الاعتبار مجرد قناع صفيق يتنكر فيه الاستعمار ويستخفى من دونه ، وهى ـ الى ذلك ـ مخالبه المشرعة ـ فهى تتولى عنه مواجهة العرب بوحى من سياسته وكيده وعدة من ماله وعتاده .

ويؤكد هذا النظر أن فرنسا حين تخلت عن سياستها الاستعمارية مؤخرا فى عهد رئيسها شارل ديجول ثم فى عهد خليفته بومبيدو ـ تخلت بالتالى عن اسرائيل كقاعدة استعمارية وتنكرت لمطامعها الصهيونية ، كما هو باد من موقفها حيال العدوان الاسرائيلى على البلاد العربية فى يونيو سنة ١٩٦٧ حيث اتخذت فى استنكاره ومناهضته موقفا ايجابيا صريحا متعاطفا مع العرب وحقوقهم المشروعة .

---

(١) و (٢) كتاب مقارنة الأديان ( ١ ـ اليهودية ) للدكتور أحمد شلبى صفحه ٧٨ و٧٩ وكذلك ملف وثائق فلسطين اصدار الهيئة العامة للاستعلامات المصرية ـ الجزء الأول من عام ٦٣٧ الى عام ١٩٤٩ صفحة ١٥٣ .

وهكذا يبين السر فيما حظيت به الآمال الصهيونية فى فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى من حدب ورعاية وتأييد من الدول الاستعمارية وعلى رأسها انجلترا وفرنسا وسائر الدول الضالعة معهما ثم ـ وبصفة خاصة ـ من الولايات المتحدة الامريكية بعد انتهاجها السياسية الامبريالية ، حتى أن أقطاب الاستعمار الثلاثة ـ انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ـ أصدرت فى مايو سنة ١٩٥٠ تصريحا ثلاثيا بضمان سلامة اسرائيل .

فليس السر فى تلك الحظوة هو فرط التوافق الوجدانى الذى يدعو الى الاستجابة المطلقة لوجهة النظر الصهيونية سواء استندت الى الأسباب الاجتماعية أو السياسية ، وهو كذلك ليس مصلحة اليهود المجردة أيا كانوا ولكن السر الأثير يكمن فى مصلحة الحلفاء أولا فى وقت عصيب كانوا يتلهفون فيه على عون مادي ومعنوى فى حومة الوغى ووطيس القتال ، ثم مصلحة الدول الاستعمارية عامة ضمانا لبقاء نفوذها وتأمينا لمصالحها المهددة فى الشرق الأوسط .

ويهدر الدكتور جورج هنرى ويتمن أستاذ علم الاجتماع الامريكى (١) اى اعتبار خلا المصالح الذاتية ـ قد يعزى اليه توجيه سياسة الولايات المتحدة الامريكية فى الشرق الأوسط .

فالمصالح الامريكية ـ فى رأيه ـ هى وحدها المحور الذى تدور حوله سياستها وان بدت مظاهرة للصهيونية مندفعة فى تيارها . ومناط هذه المصالح الأسس الرأسمالية الامبريالية التى أخذت الولايات المتحدة بزمامها بعد تخلخل النفوذ الاستعمارى فى الشرق الاوسط ، على اثر تقرير الحكومة البريطانية اخلاء قواعدها الاستراتيجية فى المنطقة .

وبهذا التأصيل المتزمت يقرر « ان الولايات المتحدة الامريكية تؤيد دولة اسرائيل لنفس السبب الذى دعا الامبريالية البريطانية الى خلق وطن يهودى فى العالم العربى » .

أما النفوذ اليهودى ـ فى رأيه ـ فلا أثر له اطلاقا فى تكييف هذه السياسة وهو ليس الا علة ساذجة يبديها الامريكيون ذرا للرماد فى أعين العرب ـ حيث لا يوجد للعرب نفوذ فى أمريكا مقابل للنفوذ الصهيونى ـ ومن ناحية أخرى ، ارضاء لغرور اليهود واستغلالا لنفوذهم المالى والسياسى فى الانتخابات الامريكية واستدرارا لأموالهم فى المشروعات الاقتصادية الامريكية ـ وبذلك يعتبر النفوذ الصهيونى نتيجة للسياسة الامريكية وليس سببا لها .

وعلى هذا الأساس يصور الدكتور جورج هنرى ويتمن ـ اليهود الامريكيين بالنسبة لسياسة الولايات المتحدة الامريكية بقوله « وهكذا يتبين لنا أن اليهودى الامريكى الذى يعمل فى الميدان السياسى ليس سوى «الديك الأحمق » الذى يعتقد أن صياحه هو الذى يجعل الشمس تشرق » .

---

(١) أنظر مقال الدكتور جورج هنرى ويتمن أستاذ علم الاجتماع بجامعة هيربرت لهمان ـ برونكس ـ نيويورك ـ المنشور بالصفحة التاسعة من عدد جريدة الأهرام الصادرة فى القاهرة فى يوم ٢ يوليو سنة ١٩٧٠ .

ومع تقديرنا لهذا الرأى فاننا نرى ان المصالح الامريكية وان يكن لهـا القسط الأوفر فى توجيه سياسة الولايات المتحدة الا أن هـذه السياسـة ـ دون ريب ـ حصيلة النفوذ الصهيونى والمصالح الامريكية معا ـ متكاملين ومتكافلين ـ يدفعانها حثيثا فى المسـار الذى تنتهجه الصهيونية وصـولا لأهدافها غير المشروعة .

### ٣ ـ التخلص من مشكلات اليهود

لقد كانت بعض الدول التى تضم جاليات يهودية كبيرة تعـانى الكثير من المشاكل المحلية التى لا يفتأ هؤلاء اليهود يثيرونها بحكم طبيعتهم العنصرية المستغلة ـ ولقد كانت الحكومات المحلية تضيق بها ذرعا ولا تجد لمشـاكلهم حلا حاسما .

بيد انها وجدت فى الاستجابة الى مطالب اليهود بالهجرة الى فلسطين فرصة متاحة للتخلص منهم ، فمالأتها وزكتها بحماس، وكسب الصهيونيون بذلك أصواتا غالية كان لها اعتبارها المؤثر دون ريب فى رجحان كفة اليهود فى الهيئات الدولية ، وما حظوا به من تعضيد وتأييد ، وخاصة فى المانيـا وبولونيا .

وقد بلغ من حرص أدولف هتلر زعيم المانيا النازية على التخلص من اليهود وتطهير بلاده منهم أن حبذ فكرة انشاء وطن قومى لهم فى فلسـطين وشجعهم على النزوح اليها بتيسير هجرتهم وتسهيل اجراءات نقل أموالهم معهم الى ذلك المهجر .



# خـــاتـــمة

## الصهيونية تهدد الأمن العالمى والتعايش السلمى

## خاتمـة

### الصهيونية تهدد الأمن العالمى والتعايش السلمى

تختلف المغامرة الصهيونية عن الحركات القومية فى ان هذه تقوم بهـا أمم تتمتع بقومية وطنية كاملة المقومات تنتمى الى جنسـية دولية معينـة تستظل بكنفها وتضفى عليها حمايتها ، وتستهدف هذه الحركات القوميـة اجلاء الفاتحين عن أراضيها وتطهيرها من أدران الاحتلال الأجنبى ، ومن ثم كانت حركاتها الاستقلالية تحررية مشروعة لا تبتغى الافتئات والعسـف ، وانما ترمى الى دفع الضر وكف الأذى ورد كيد الغاصبين واسترداد الحقوق السليبة المشروعة .

أما الحركة الصهيونية فانها ترمى ـ بالنسبة لاقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين وهو أبسط أحلامها وادنى صورها ـ الى استـصفاء القوميـة العربية ذات الحق التاريخى الشرعى فى فلسطين الذى اكتسبته على مدى آلاف السنين ـ واحتلال البلاد بغيا وعدوانا واهتبال اموال العرب غصبا وانتهابا .

ولعل ابلغ تعبير يكشف بصدق ووضوح عن نوايا اليهود حيال العرب اصحاب فلسطين الشرعيين ، بعد ان يستتب لهم الأمر فيها ، ما قاله أحد اليهود لصديقه المسيحى « عندما نستولى على الأمر فعندئذ تستطيعون ان تأخذوا مسيحكم الميت وترجعوا الى بلادكم » (١)

فالواقع ان استقرار اليهود فى شتى دول العالم هذه الأحقاب الطوال قد اعطاهم صفة المواطنين فيها واكسبهم حقوقهم واصبح عليهم حق الولاء

---

(١) عن كتاب اسرائيل جريمتنا تاليف ميلو بوروز أستاذ الدراسات التوراتية فى جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية ـ طبع بيروت سنة ١٩٥٢ صفحة ٧٥ .

لها ، مما عمل على تذويب عنصريتهم فى القومية الوطنية التى اندمجوا فيها . ولئن هضمت بعض الدول حقوق اليهود كمواطنين فيها انعكاسا لتصرفاتهم المريبة وسلوكهم الجانح وانعزالهم دون الاندماج فى شعوبها — على ما بينا — فان المآل الحتمى لسيادة مبادىء المساواة التامة بين المواطنين جميعا فى الحقوق والواجبات يهودا وغير يهود اقليات واغلبيات .

ولقد يسرت دول العالم على اليهود بالذات أسباب الدعة والحياة الرخية فيها ، ووطأت لهم أكنافها فتوالى اعترافها لهم تباعا بحقوق المواطنين وأقرت لهم بذلك قوانينها المحلية ، حتى ان الكثيرين منهم قد اطمأنوا الى هذه الوطنية التى اكتسبوها واخلدوا الى ربوعها ، وآثروا رحاب أوطانهم التى أظلتهم على النزوح الى فلسطين والهجرة اليها .

وبهذا كانت فعلة اليهود باغتصاب فلسطين قهرا عودا لشرعة الغاب البربرية . فليس من مسوغ مشروع ينهض مبررا لاقتراف السطو على ديار العرب الآمنين الوادعين وانتزاعها منهم وتشريدهم ومعاملتهم بالقسوة والظلم على النحو الذى يزعم اليهود أنهم مازالوا يعانون وطأته ويحملون مرارته رغم كر الدهور ومر العصور منذ كانوا هدفا للمظالم الاجتماعية اينما حلوا . مما كان مثارا لانتفاضتهم الصهيونية الجائرة .

فلئن أجزنا فعلة اليهود الصهيونيين تجاوزا فلن يكون ثم جناح على العرب مثلا لو انهم انتهجوا سياسة اليهود واستوحوا منطقهم وطالبوا بطرد الاسبان والبرتغال عا بلادهم فى شبه جزيرة ايبريا واسترداد دولتهم الأندلسية العافية ، بله تسويغ استخدام القوة الغاشمة لذلك لو اتيحت العرب واوتوها احقاقا لحقهم التاريخى على ما يسيغه المنطق الصهيونى الجائر .

وهؤلاء الهنود الحمر أصحاب أمريكا الأصليون — لا يمترى احد فى خضوع الأقطار الامريكية جمعاء لسلطانهم الكامل من قبل الاستعمار الاوروبى — ومع ذلك فليس من يطاوعه القول بأحقيتهم المطلقة فى استردادها لحوزتهم وطرد المستعمرين منها أو حتى بالاكتفاء ببسط سلطانهم عليها وخضوع المستعمرين الاوروبيين لحكمهم فيها ، بعدما عمروها لبضعة قرون خلت منذ اكتشافها ، حظوا خلالها بالاغلبية العددية الساحقة .

بل ان الأدهى من ذلك أن هؤلاء الهنود الحمر محرومون حتى من حق الانتخاب ومن حرية التنقل فى مهدهم الاول وموطنهم الحالى — الولايات المتحدة الامريكية حصن الصهيونية الركين ومصدر قوتها ومثابة الدعوة لها.

**١ — مشكلة اللاجئين الفلسطينيين :**

ما ان استقر المقام باليهود فى اسرائيل ورحب فيها المجال لممارسة نشاطهم العنصرى بنجوة مما كان يعتاقه من التزامات تفرضها المجتمعات التى كانوا يعايشونها من قبل ، حتى اخذتهم العزة بالاثم واحتدم فى أعماقهم ما كان يكظها من رواسب غليل كظيم يمضهم ويحتز أطواءهم، بكنونه للمجتمع البشرى بأسره لما سامهم — على مدى التاريخ — من وبال ونكال ، منذ ضياع اسلافهم فى متاهات الحياة وتمزقهم فى شعاب الأرض بددا .

ومن ثم فقد أحنثتهم لهفة لاهبة على الثأر من البشرية متمثلة فى عرب فلسطين ، وهم — من دون البشر — أولئك الذين كبا بهم الجد العاثر فى حظار الأسر اليهودى، تنفيسا لما يؤودهم من تراث حاقد ، وتشفيا من سعار عنصرى عارم يؤزهم ونسعر ضرامه تعاليم الدين اليهودى فيزداد قسـوة وضراوة .

فانطلقوا متكالبين يجترحون مع العرب الذين نكبوا باحتلالهم ذات المأساة التى رزئوا هم بها من قبل ، وبصورة أنكى فى البشاعة والبطش وأمعن فى الفظاظة والوحشية بجراءة بالغة الاستهانة بالقيم الانسانية كافة .

ولقد استثار هـذا البغى اليهودى الجائر مشكلات معقدة كلما تعاقب عليها الحدثان استعصت وتفاقمت ، أعتاها مشكلة اللاجئين من عرب فلسطين ، الذين طردوا من ديارهم بغيا وعدوانا ، واغتصبت أملاكهم وأهدرت حقوقهم وشردوا فى العراء عرضة للفحات القيظ ونفحات الزمهرير وعصف الريح وغمرات المطر ، نهبا للمسغبة ومباءة للعلل والادواء ومثابة للبؤس والمتربة .

ولقد أعضل هيئة الامم المتحدة — ازاء عناد اسرائيل واصرارها على عتوها — توفير العلاج الناجع لهذه المشكلة الملحة وضاقت بها ذرعا ، وجانبها التوفيق فى حسمها حتى حملها العجز والاعياء على التماس اى من الحلول ولو جانف العدل واهتضم الحقوق المشروعة المؤكدة مادام يرفع عن عاتقها أعباءها وأوقارها .

ولقد تصدت لجنة التوفيق الفلسطينية المنبثقة من الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة للمشكلة من ناحيتها الانسانية التى استثارت الضمير العالمى ، فرأت أن تضع توصيتها لحلها على أسس تكفل للاجئين المأوى المستقر وتوفر لهم أسباب العيش ، بما يقضى على مثار الاشفاق من ناحية ويعفى المنظمة الدولية من نفقات اغاثتهم وجهد اعالتهم من الناحية الأخرى .

ومن ثم فقد عهدت الى لجنة فنية خاصة يرأسها المستر « كلاب » — رئيس مجلس ادارة وادى تنسى بالولايات المتحدة الامريكية — فحص المشكلة واقتراح المشروعات الاقتصادية التى تكفل تحقيق تلك الأهداف .

وفى عام ١٩٤٩ رفعت لجنة « كلاب » تقريرها واقترحت فيه استصفاء اللاجئين الفلسطينيين بتوطينهم فى البلاد العربية المجاورة وتيسير اندماجهم فى شعوبها حتى تستأصل شأفتهم كشعب له كيانه ومقوماته ، مع تمكين هذه البلاد من استيعابهم باقامة مشروعات اقتصادية فيها على أساس استغلال مياه أنهارها استغلالا علميا نظيما يحسن أوضاعها الاقتصادية .

وبناء على ذلك راحت هيئة الأمم المتحدة تحاول عبثا تنفيذ هـذه التوصية ، اذ أصر اللاجئون على العودة الى بلادهم لا يبغون عنها حولا .

وغريب حقا أن تتبنى هيئة الامم المتحدة ذلك الحل — الانسانى ! — الجائر على حساب الضحايا العرب — اللاجئين منهم وأصحاب البلاد التى يقبع اللاجئون على مشارفها ، مغفلة الحقوق القومية والسياسية لهؤلاء اللاجئين ، مما ينافى المبادىء الأساسية التى وضعتها هـذه المنظمة الدولية ذاتها ، وعملت على رعايتها وكفلت لها الحماية القانونية الدولية .



جانب من مخيمات اللاجئين التى تضم نحو مليون من عرب فلسطين طردهم اليهود من ديارهم لتمكين المهاجرين اليهود من اغتصابها واقامة دولتهم اسرائيل مكانها



جانب من مخيمات اللاجئين من عرب فلسطين الذين شردهم اليهود من ديارهم وطردوهم فى العــراء

## ٢ ـ مشكلة الأقلية العربية فى اسرائيل :

ان مشكلة الأقلية العربية فى اسرائيل لا تقل عنتا وعتوا عن مشكلة اللاجئين خارجها . تلك الأقلية التى بقيت فى اسرائيل شجى فى حلقها ترزح تحت النير اليهودى، واختصها المغتصبون اليهود بألوان من الانتقام والاضطهاد فى ظل أحكام عرفية يمليها تعصب عنصرى جائر . يفتات على حرياتها ويتنكر لآدميتها وينكر حقوقها الانسانية والسياسية المشروعة .

فيا ويح هذه الأقلية المهضومة ـ وهى من طبقة الجوييم ـ تحت وطأة العرف اليهودى الغاشم ، ثم الويل لها تحت طائلة القوانين الاسرائيلية المدنية لو قد طبقت عليها كما ينبغى أن تطبق على « الجوييم » .

ذلك أن وثيقة استقلال اسرائيل التى أعلنت فى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ قد كيفت هذه القوانين بالنسبة لغير اليهود ـ المعروفين بالجوييم ـ فنصت على أن « الدولة سوف تبنى على مبادىء الحرية والعدل كما يفهمها انبياء اسرائيل » .

ولقد سبق أن بينا كيف ميز واضعو التوراة والشرائع اليهودية من الانبياء والكهنة ـ بين اليهود وغيرهم من الشعوب فى المعاملة وفى الحقوق ، تمييزا اساسه العنصرية المجحفة وعماده الاستعلاء المتعسف المستوحى من دعوى اليهود انهم شعب الله المختار ، وأن من عداهم من الشعوب أدنى منزلا قد سخرهم الله لخدمتهم ، ومن ثم فهم أبهظ فى الواجبات وابخس فى الحقوق ، ليس لهم منها الا ما قد يتفضل به السادة اليهود طولا وانعاما .

فبينما تحرص الحكومة الاسرائيلية على اسباغ الجنسية الاسرائيلية على كل يهودى يهبط اسرائيل أو حتى يزمع النزوح اليها مهاجرا دون شرط أو قيد كى تيسر له التمتع بحقوق المواطن الكاملة ، اذ بها تضن بهذه الحقوق على المواطنين العرب أصحاب البلاد ، وتبنى معاملتهم على أساس من التمييز العنصرى المجحف، باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية ودون اليهود فى المنزلة فتحظر عليهم تكوين الأحزاب السياسية أو انشاء نقابات عمالية عربية ، وتميز اليهود عليهم فى تولى وظائف الدولة وفى تلقى الخدمات العامة التعليمية والصحية . ثم راحت تتعقبهم بالمطاردة وتتخذ كل وسيلة للتخلص منهم ، فاشترطت للترخيص لهم بمغادرة البلاد ـ أيا كان الغرض من المغادرة ـ التنازل عن حق العودة اليها ، وذلك لتأخذ عليهم سبيل الرجعة وتستأصل شأفتهم أصالة .

هذا ، فضلا عما اختصتهم به من ضروب الحيف والابتزاز ، فاستصفت املاكهم بالمصادرة ، كما ألزمتهم بالاقامة فى مناطق معينة تخضع لأحكام عسكرية لا تسرى على المواطنين اليهود .

وليس من شأن هذه المعاملة الجائرة للاقلية العربية التى آثرت الاقامة فى بلادها وربطت مصيرها بوطنها ولو فى ظل الاحتلال الاسرائيلى ، الا أن توغر الصدور فوق ايغار ، وتعبئها بالحقد الممض ، وتحفزها على الانتقاض والتمرد والثورة للحفاظ على حقوقها المشروعة ، والكفاح الفدائى الدائب لاسترداد وطنها السليب وتطهيره من الغاصب المحتل .

ولقد تصدت اللجنة الاجتماعية التابعة لهيئة الامم المتحدة لتقييم الحركة الصهيونية فى ظل ماتكشفت عنه مناهجها العقائدية وسياستها العملية فى اسرائيل على وجه الخصوص وأصدرت قرارها بجلسة ١٨ أكتوبر عام ١٩٧٥ بادانتها باعتبارها شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى التى تستهدف اهدار العدالة الاجتماعية والقيم الانسانية الخالدة ، وقد ايدت الجمعية العامة للامم المتحدة هذا القرار بجلستها المنعقدة فى ١٠ نوفمبر عام ١٩٧٥ ، ثم شفعت هذا القرار بقرار آخر فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٧٥ نعت فيه على اسرائيل ما تنتهجه فى ممارستها لسياستها العنصرية فى الأراضى العربية المحتلة من انتهاكات لحقوق الانسان بطرد المواطنين العرب من مساكنهم وتدميرها واقامة مستعمرات اسرائيلية مكانها ، ومصادرة ممتلكاتهم واعتقالهم زرافات ووحدانا ، ذلك بالاضافة الى مصادرة حرياتهم والاعتداء على مقدساتهم وطقوسهم الدينية خصوصا بعد الاعتداء على مسجد الحرم الابراهيمى فى مدينة الخليل واستباحته لليهود . كما نعى ذلك القرار على اسرائيل نهب التراث الأثرى والثقافى واستغلال الثروات والموارد الطبيعية والقوى البشرية استغلالا غير مشروع ، مما يعتبر انتهاكا لميثاق الامم المتحدة ويعوق اقرار سلام عادل ودائم فى المنطقة . ثم يؤكد القرار « ان جميع هذه الاجراءات باطلة وليس لها اى أساس شرعى » كما « يطالب جميع الدول بالامتناع عن الاعتراف بها » .

٣ ـ مشكلة المهاجرين اليهود فى اسرائيل

يضاف الى مشكلة الأقلية العربية المواطنة فى اسرائيل، مشكلة المهاجرين اليهود ذاتهم، الذين تضيق حدودالقطاع المغتصب من فلسطين دوناستيعابهم وتوفير أسباب الحياة الرخية لهم ، مما تفرعت عنه مشكلات التطلع العاجل الى التوسع الاقليمى الاسرائيلى على حساب البلاد العربية المتاخمة ، والعمل على مضاعفة الطاقة الانتاجية للبلاد بتحويل مياه نهر الأردن الى صحراء النقب لتعميرها وتوسيع الرقعة الزراعية بالمياه المغتصبة ابتغاء مضاعفة موارد اسرائيل الاقتصادية وبالتالى قدراتها العسكرية ـ وذلك على حساب جيرانها العرب الذين يحرمون من هذه المياه ، ويتعرضون ـ فضلا عن ذلك ـ لمزيد من العدوان الاسرائيلى المسلح الذى تتضاعف قدراته وتدعم امكانياته .

وفضلا عن ذلك ، فان تجمع أوزاع اليهود فى اسرائيل من كل صوب وحدب ومن كل جنس ولون قد أستثار فى المجتمعالاسرائيلى مشكلة اجتماعية بالغة الخطر وبثت فى أوصاله أسباب الفرقة والتنافر ، وأخذت تنخر بنيانه وتهدد تماسكه بالانحلال والانهيار .

ذلك أن الدولة الاسرائيلية مارست سياستها العنصرية مع مواطنيها من اليهود انفسهم ، فاحتضنت اليهود الغربيين الذين وفدو اليها من الاقطار الغربية التى بلغت من الحضارة شأوا بعيدا وآثرتهم بالمناصب المرموقة وأسبغت عليهم امتيازات اجتماعية فى العمل وفى الأجور وفى الحقوق والخدمات العامة ، بينما حرمت اليهود الشرقيين الملونين الذين استدعتهم من الاقطار الشرقية النامية والمتخلفة من كثير من المزايا والحقوق بما يحيلهم مواطنين من الدرجة الثانية ، مع انهم يمثلون نصف المجتمعاليهودى فى اسرائيل، فخصتهم

بالأعمال المتواضعة والوضيعة التى يتعالى اليهود الغربيون عن القيام بها والتى قد يتعفف العرب عن أدائها بالاجور المفروضة . وبذلك فقد انصدع المجتمع اليهودى فى اسرائيل الى طائفتين متناحرتين متناوئتين : طائفة حظية محظوظة وطائفة مهدرة منبوذة ، لا يفتأ اوار الحقد يستعر بينهما ويتلظى فيهدد المجتمع الاسرائيلى بالتمزق والانهيار .

ولقد كان من شأن هذه التفرقة العنصرية ايغار صدور اليهود الشرقيين وازكاء روح التمرد والاضطغان فى نفوسهم وحملهم على التعبير عن سخطهم بأساليب عدوانية عنيفة ، فانخرطوا فى تشكيلات ارهابية تهدد الأمن والأنظمة الاجتماعية السائدة ، ومنها حركة « الفهود السود » التى قامت فى القدس ومارست نشاطها الارهابى ضد الدولة عن طريق الاجرام الخفى تارة وعن طريق التظاهر الجماعى السلبى تارة أخرى .

وقد دفعت مرارة التميز العنصرى اليهود الشرقيين المنبوذين الى الانشقاق على المجتمع الاسرائيلى والعمل على تقويض النظام القائم كلية ، حتى انهم لجأوا الى التقارب مع العرب المقيمين فى اسرائيل الذين يشاركونهم ويلات الظلم والبؤس .

***

ولا مراء ان سياسة التمييز العنصرى بين اليهود تدحض القول بوحدة الشعب اليهودى وتتجافى مع الزعم بالقومية اليهودية المشتركة ، ذلك الزعم الذى يمثل جوهر الفلسفة الصهيونية ومبادئها السياسية .

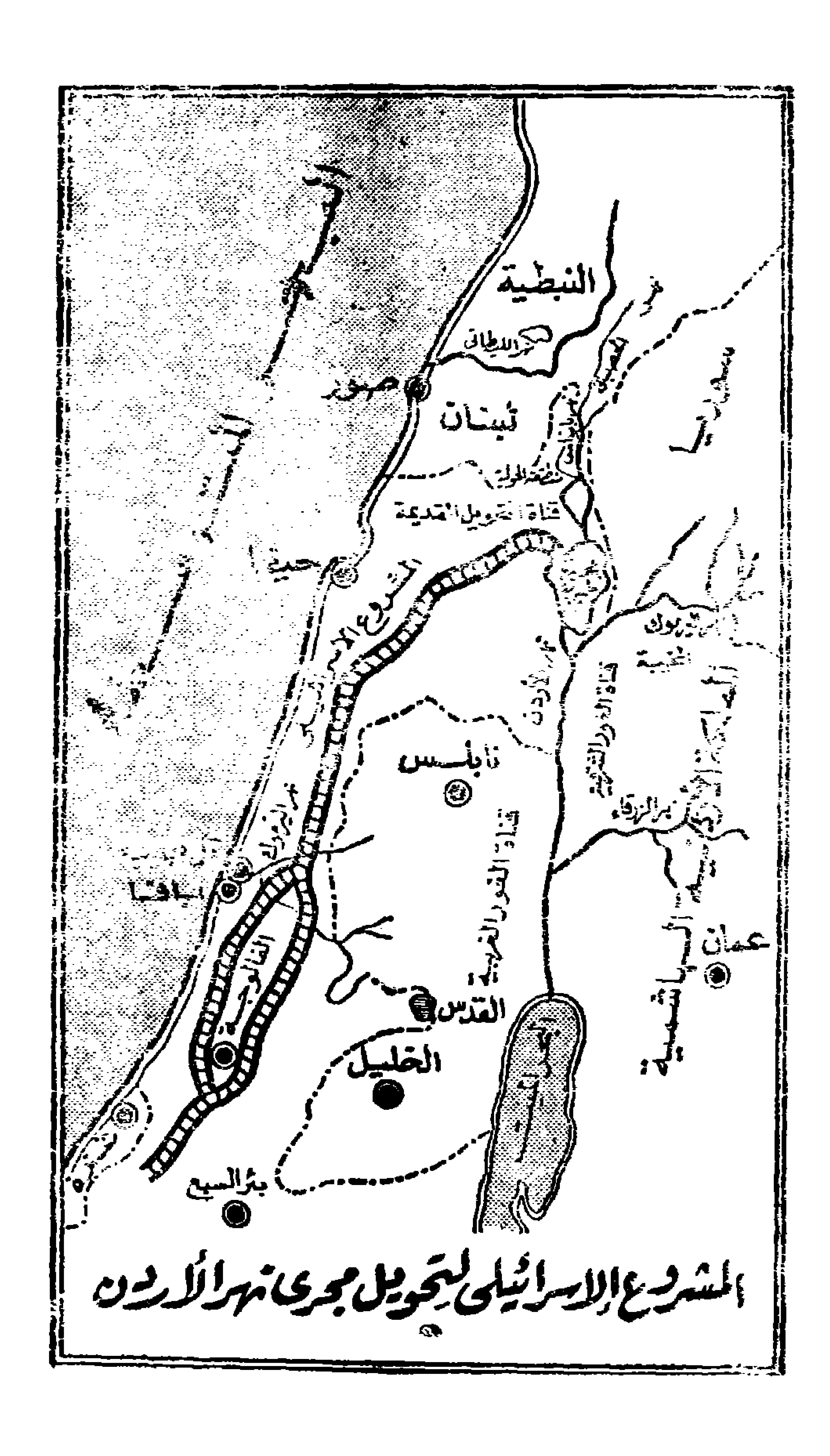
### ٤ ــ مشاكل اليهود فى ارجاء العالم :

لقد نشأ عن اصرار اسرائيل على اضفاء ولايتها على كل من يدين باليهودية فى كافة انحاء العالم تعقيد أوضاعهم ، وحيرتهم بين الولاء لاسرائيل والولاء لأوطانهم التى تؤويهم ويمارسون حياتهم ونشاطهم فيها ، ثم معاناة التوفيق بين الالتزامات الوطنية المفروضة عليهم بناء على هذا الولاء المزدوج . فهى فى البلاد التى يقيمون فيها ويحملون جنسياتها قد تتعارض تعارضا بينا مع ولائهم لاسرائيل ومع المصالح الاسرائيلية بعامة ، ومن ادق هذه الالتزامات واخطرها الالتزام بالخدمة العسكرية خصوصا اذا توترت العلاقات السلمية بينهما أو نشبت بينهما الحرب فعلا .

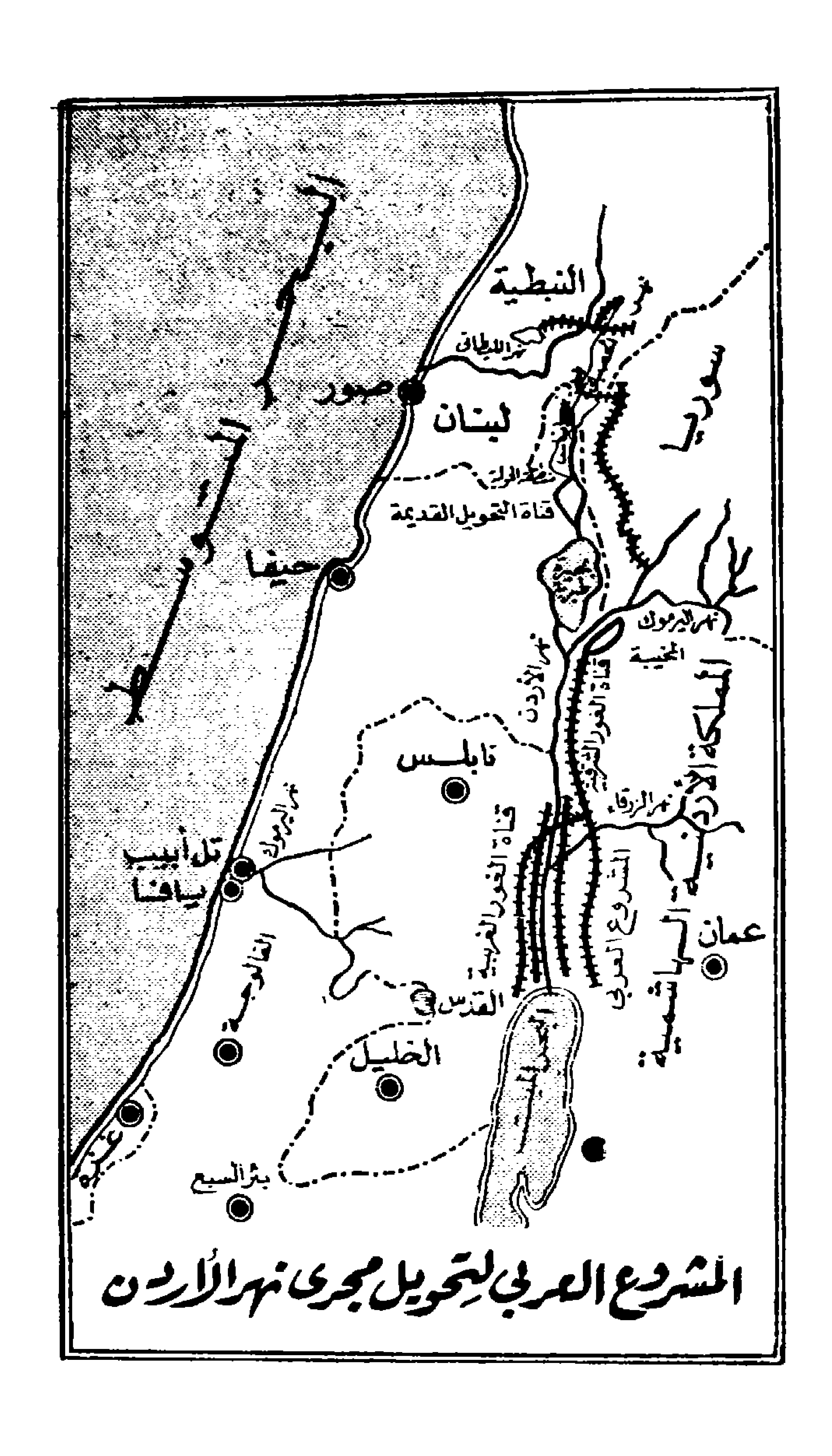
### ٥ ــ الصراع الدائم بين اسرائيل والبلاد العربية :

من شأن تمركز الصهيونية فى اسرائيل وفى قلب العالم العربى مناط أطماعها ومجال نشاطها العدوانى ، اشاعة التوتر الدائم بين اسرائيل والبلاد العربية المجاورة ، وما يصاحب هذا التوتر من تسعير المنافسة السياسية والاقتصادية المشروعة وغير المشروعة ، كابتزاز مياه نهر الاردن من جانب اسرائيل ومحاولة العرب ــ فى مقابل ذلك ــ تحويل روافده الممتدة فى سوريا وفى لبنان لحرمان اسرائيل من مياهها .

ثم ما يلازم الأطماع الاسرائيلية من جهة ويحتمه الدفاع عن الكيان العربى من جهة أخرى من تسابق فى التسلح والاستعداد الحربى وتبادل الاستفزازات




المشروع الإسرائيلى لتحويل مجرى نهر الأردن




المشروع العربي لتحويل مجرى نهر الأردن

والاحتكاكات العدوانية ، مما يفضى الى استنزاف القوى واستهلاك القدرات ويعوق التقدم الحضارى ، وكان يمكن الافادة منه لخير البشرية فى المنطقة .

واذ كانت اسرائيل مثابة الصهيونية واداتهـا فى المشرق ، فان تحقيق اطماعها الاقليمية مابرحت من واجباتها الحاتمة ووظيفتها التى تلتزم بممارستها دابا ، ولقد انتهجت لذلك سياسة دموية ضارية مناطها العدوان المسـلح على الدول العربية المجاورة ، ومؤداها افتلاذ قطع عزيزة من جسومها غصبا لا ريب انها تذر مكانها جروحا غائرة لا تندمل ولا تفتأ تمض بالبرحاء والألم وتستثير كوامن الاحن وتوغر الصدور بالثأر والترة .

ولقد شهد الشرق الأوسط نزوات عدوانية عارمة شنتها اسرائيـل على البلاد العربية ــ مكمن اطماعها ــ فى أعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ــ اشاعت الأسى والدمار وضاعفت من نوازع الحقد والانتقام ، واقضت مطمأن الأمن والسلام فى المنطقة . وكان طبيعيا أن تقفى مصر وسوريا على هـذه الغـارات بكرة مضادة فى أكتوبر عام١٩٧٣ لاستخلاص ما اهتبلته اسرائيل من اراضيهما فى غارتها الأخيرة .

كل هذه منازع للشر ونوازع للخطر مستشرية قد خلفتهـا السياسـة الصهيونية الباغية ، وكأنما ينـكىء اليهـود بذلك جراحا قديمـة فى قلوبهم يعزونها الى المجتمع البشرى كافة ــ أوشكت أن تندمل وتبرأ تماما بعـد أن وضعت لها الدول فى دساتيرها الحلول الناجعة لبأسائها والقاضية على مواطن العلة فيها .

ومن ناحية أخرى ، فان من شأن هذه المنازع تكثيف الحقد واسـتثارة اللدد فى قلوب العرب، فلا تفتأ تجتر مرارة الأسى المبرح فتذكى فى الأعماق اوار الثأر يتلظى كظيما ممضا لتنوارثه الأجيال تربصـا وحدبا ، تتحين الفرص للانفجار بالانتقام المروع الجائح ، فتعود الترة والموجدة ويتعاور الثأر كل من العرب واليهود دواليك ابدا .

### ٦ ــ تهديد السلام العالمى :

لاجدال فى أن اسرائيـل انما اسـتوت على كواهل الدول الراسـمالية والاستعمارية ونهضت فى كنفها ورعايتها ، سواء لأغراض سياسية ــ حفاظا على نفوذها الآفل فى منطقة الشرق الأوسط ، وحصرا للمـد الاشـتراكى أن يجتاح هذه المنطقة ــ أم لأغراض استراتيجية مؤداها حصار روسيا ــ معقل الاشـتراكية العالمية فى مسلاخها الشيوعى القانى ــ بالقـواعد العسـكرية من جنوبها الغربى .

وبهذا اصطخبت منطقة الشرق الأوسط بالسياسات الدولية المتناوحة ، وفى اعقابها تمور الاستفزازات اللاهبة التى توشك أن تنزلق بها الى المواجهـة السـافرة فتستحيل المنطقة مصطرعا رهيبا للقوى العالمية العظمى، تلك الضالعة مع اسرائيل الحفية بها والأخرى المناهضة لها والمؤيدة للعرب فى محنتهم ، ولو قد احتدم أوار الصراع فلن يبقى ولن يذر بما تعتد من أسباب الدمار الذرى الماحق .

**٧ ــ تبديد جهود هيئة الأمم المتحدة :**

بهذه المشكلات المستعصية التى يثيرها اليهود فى أعقابهم الى فلسطين يلقون على عواتق المجتمع الدولى عبئا باهظا لالتماس العلاج لها، مما يحول دون تفرغ الهيئات الدولية لوضع الحلول لما ترزح دونه من اعباء المشكلات العالمية الأخرى المستفحلة والملحة . فهم بذلك يعوقون رسالة المنظمة الدولية بما يبدد من جهدها ووقتها حين ينبغى تكريسهما لتوفير الرفاهة والرخاء والأمن للبشرية ، والنهوض بالمجتمع الانسانى وتثبيت قيمه المثلى واشاعة مبادىء العدل والاخاء والمساواة .

**٨ ــ النيل من مكانة هيئة الأمم المتحدة وقراراتها ومبادئها :**

**ثم ــ وعلى الصعيد الدولى ــ فانه يستشف من الوجود الاسرائيلى فى فلسطين اقرار ضمنى لمبادىء جائرة توشك أن تستقر فتهدد المجتمع الدولى وتقوض نظمه وتزرى بقيمه المثالية وتودى بمبادئه السامية التى تواضع عليها.**

**فان اغضاء هيئة الأمم المتحدة عن آثار العدوان الصهيونى على فلسطين،** وتراخيها فى اعادة اللاجئين العرب الى ديارهم ، **غضا من حقوقهم وتجميدا** لوضعهم ، نيفا وعشرين عاما ــ ثم ــ وفى مداورات مجحفة ــ التماسها الحلول لتصفيتهم بايوائهم فى الأقطار المجاورة اشفاقا عليهم من الهلاك ــ ان ذلك يعتبر تسويغا لجريمة دولية نكراء ، وسابقة دولية خطيرة تؤكد ثلاثة مبادىء جائرة :

١ ــ اباحة الاستيطان الاستعمارى عن طريق الغزو المسلح .

٢ ــ تسويغ جريمة ابادة الجنس والطرد الجماعى للشعوب وتصفية وجودها لمن يملك القدرة على الاجلاء والاحتلال .

٣ ــ اقرار سياسة الأمر الواقع ولو كان مبنيا على الجور والعسف .

ولا مراء فى أن اشاعة هذه المبادىء اشتراع جرىء لعرف دولى خطير ، واسوة سيئة تأتسى بها الشعوب الباغية فى انتهاج سياستها العدوانية .

وتلك ــ دون ريب ــ نذر سيئة للفوضى الدولية ، وامارات نكراء لعودة البربرية وشرعة الغاب .

***

هذا بالنسبة لما تم فى المرحلة الاولى من احلام الصهيونية فى انشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين .

اما عن الشق العالمى من البرنامج الصهيونى ، فلئن وصم بأنه حديث خرافة وضرب من الخيال المغرب يستحيل تنفيذه ، الا ان مجرد تحرى طرائقه وممارسة اسبابه بغض النظر عن نجاحها او اخفاقها ــ مؤداة أوخم العواقب للانسانية جمعاء ، فيكفى انه يعتمد على افساد الحكومات والشعوب فى شتى الدول ، واستنزافها حتى تخور قواها وتستسلم للارادة الصهيونية ، ودون أن يجنى الصهيونيون من ذلك الخراب الشامل نفعا أو تؤدى بهم الى مايبتغون

ذلك أنهم يغفلون سطوة الوعى القومى ونموه المطرد وتغلغله فى أطواء الشعوب التى أصبحت مصدر السلطات جميعا ومنها يستمد الحكام السلطات المشروعة .

ولا نخال أن فى وسع اليهود ـ وهم قلة ضئيلة فى خضم العالم الزاخر ـ أن يفسدوا شعوب العالم طرا فسادا جائحا ماحقا، ويجتثوا ضمائرها ويلغوا عقولها ووعيها حتى يسيطروا على الرأى العام ويخرسوه الى الأبد ليدين لهم بالطاعة العمياء ويقبل الخضوع للضيم ويستسلم للطغيان .

فلئن استطاعوا اشاعة الفوضى وبث الفساد وتقويض دعائم المجتمع البشرى على ما يشتهون ـ رغم اليقين باستحالته ـ فلن يستطيعوا أبدا اقامة ملكهم العالمى غير المحدود على أسس منهارة ودعائم نخرة متهاوية ، ولن يتأتى لخوارق القوى أن تسيطر على دنيا عريضة من الفوضى والفساد .

ولئن تذرع الصهيونيون ـ فيما يمارسون من تنكيل وحشى بشعب فلسطين وما يشيعون من دمار ومآس حيثما حلوا ـ بما ورد فى بعض أسفار التوراة من اصطناع البطش والقسوة ، فاننا نذكرهم بما توعدهم به نبيهم ميخا جزاء وفاقا لمثل ما يقترفون من بغى وعدوان ونكال ، حتى ولو كان ذلك فى سبيل تأسيس دولتهم وبناء مقدساتهم ـ حيث يقول فى الاصحاح الثانى من سفره من رقم ١ الى ٤ :

« ويل للمفتكرين بالبطل والصانعين الشر على مضاجعهم . فى نور الصباح يفعلونه لأنه فى قدرة يدهم ، فانهم يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها ، ويظلمون الرجل وبيته والانسان وميراثه . لذلك هكذا قال الرب ها أنذا افتكر على هذه العشيرة بشر لا تزيلون منه أعناقكم ولا تسلكون بالتشامخ لأنه زمان ردىء » .

ثم يقول ميخا فى الاصحاح الثالث من سفره من رقم ٩ الى ١٢ : وكأنما هو يوجه نذره الى الصهيونيين بالذات ويدحض حججهم ويبطل معاذيرهم :

« اسمعوا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت اسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم الذين يبنون صهيون بالدماء وأرشليم بالظلم .. وهم يتوكلون على الرب قائلين أليس الرب فى وسطنا لا يأتى علينا شر . لذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل (١) وتصير أورشليم خربا وجبل البيت شوامخ وعر » .

**تم والحمد لله بعونه تعالى وتوفيقه**

---

(١) أى تدمر كحقل محروث .

## مراجع البحث

فيما يلي اهم المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث ، ما أشرنا الى بعضه في الهوامش وما لم نشر اليه ـ مرتبة بحسب الحروف الأبجدية لأسماء مؤلفيها .

### أولا ـ مراجع باللغة العربية


| اسم المؤلف | اسم الكتاب |
|---|---|
| ابراهيم العابد | الموشاف . القرى التعاونية فيإسرائيل اصدار منظمة التحرير الفلسطينية |
| ابن الأثير أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني | الكامل . الجزء الثاني |
| ميزرا / أبو الفضل محمد بن محمد رضى الجرفادقاني الايراني | الدرر البهية في جوابالاسئلة الهندية ـ القاهرة سنة ١٣١٨ هجرية . |
| أبو جعفر محمد بن جرير الطبري | تاريخ الامم والملوك . الجزء الثالث |
| احمد بهاء الدين | اسرائيليات . الطبعة الثانية طبع مؤسسة دار الهلال بالقاهرة |
| الدكتور / أحمد سويلم العمري | الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين القاهرة مايو ١٩٥٤ . |
| الدكتور/أحمد شلبي | مقارنة الاديان ( ١ ـ اليهودية ) طبع القاهرة سنة ١٩٦٦ . |
| دكتور / أحمد غلوش | الجمعية الماسونية ـ حقائقها وخفاياها القاهرة ١٩٦٦ . |
| ادولف هرمان | مصدر مصري لأمثال سليمان . |
| اسرائيل كوهين | هذه هي الصهيونية ـ القاهرة سنة ١٩٥٩ |
| الدكتور/اسرائيل ولفنسون (أبوذؤيب) | تاريخ اللغات السامية ـ القاهرة سنة ١٩٢٩ |

| اسم المؤلف | اسم الكتاب |
|---|---|
| الدكتور/أسعد رزوق | اسرائيل الكبرى ـ اصدار منظمة التحرير الفلسطينية |
| الدكتور / اسماعيل صبرى عبد الله | فى مواجهة اسرائيل ـ العدد ٣١٩ من سلسلة اقرأ ـ دار المعارف بمصر ـ يوليو سنة ١٩٦٩ |
| الحاخام الدكتور/ المر • برجر | اليهودية دين لا قومية ـ سلسلة اخترنا لك العدد ٥٤ دار المعارف بمصر |
| الياهو بشياصى وتلميذه يشوعاه | شعار الخضر فى الاحكام الشرعية الاسرائيلية ( للقرائين ) ترجمة مراد فرج ـ القاهرة سنة ١٩١٧ |
| اميل الخورى حرب | مؤامرة اليهود على المسيحية ـ طبع بيروت سنة ١٩٤٧ |
| أمين الريحانى | ملوك العرب |
| الخورى / انطون يمين | المقررات الصهيونية |
| انيس القاسم | نحن والفاتيكان واسرائيل ـ بيروت سنة ١٩٦٦ |
| أوتو شتراسر | أنا وهتلر ـ ترجمة عبد الحليم سليمان كساب • القاهرة |
| ايليا أبو الروس | اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية طبع بيروت سنة ١٩٦٤ |
| بيتر • ف • وينر | من لوثر الى هتلر ـ ترجمة رمزى يسى القاهرة • |
| **بيران وولف** | كيف تكون سعيداً |
| **جامعة الدول العربية** | العالم العربى • مقالات وبحوث فى بعض شئونه السياسية والعلمية ـ الكتاب الأول القاهرة سنة ١٩٤٩ • |
| الدكتور / جمال الدين حمدان | اليهود انثروبولوجيا ـ المكتبة الثقافية العدد ١٦٩ فى سنة ١٩٦٧ ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر • |
| ب • جنسين | مؤامرة فلسطين ـ جزءان من سلسلة كتب سياسية • |
| جورج تاوزند | موعود كل الأزمنة ـ ترجمة بهية فرج الله سنة ١٩٤٦ |

| اسم المؤلف | اسم الكتاب |
| --- | --- |
| الدكتور / جورج حنا | معنى القومية العربية ـ بيروت سنة ١٩٥٧ |
| جوستاف لوبون | اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى ترجمة عادل زعيتر ـ القاهرة سنة ١٩٥٠ . |
| جون بيتى | الستار الصهيونى حول أمريكا ـ طبع بيروت |
| السير / جون هامرتون | تاريخ العالم ـ الجزآن الأول والثانى الطبعة العربية . |
| حسن خليفة | تاريخ النظريات السياسية وتطورها الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٩٢٩ |
| الدكتور / حسين فوزى النجار | أرض الميعاد ـ الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٩٥٩ . |
| حسين اللاز واحمد مختار نجا | كيف أنشىء المحفل الاكبر الوطنى السورى اللبنانى ـ بيروت سنة ١٩٤٦ . |
| رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى | اظهار الحق ـ جزآن طبع الدارالبيضاء سنة ١٩٦٤ |
| الدكتور / روهلنج | الكنز المرصود فى قواعد التلمود . ترجمة الدكتور يوسف نصر الله . |
| ساطع الحصرى | آراء وأحاديث فى القومية والوطنية . |
| ساطع الحصرى | حول القومية العربية ـ بيروت الطبعة الاولى سنة ١٩٦١ . |
| ساطع الحصرى | ما هى القومية ـ بيروت |
| سليمان مظهر | قصة العقائد . |
| السموءل بن يحيى بن عباس المغربى | بذل المجهود فى افحام اليهود . طبع القاهرة |
| الدكتور / سيد نوفل | القومية العربية فى مواجهة الاستعمار والصهيونية |
| شاهين بك مكاريوس | الدستور الماسونى العام للطريقة الأورشليمية . مطبعة المقطم سنة ١٩٠٧ |
| صبرى ابو المجد | نهاية اسرائيل ـ القاهرة ١٩٦٠ |
| الدكتور / طه احمد شرف | اسرائيل من صنع الاستعمار |
| طه باقر | مقدمة فى الحضارات القديمة ـ القسم الاول تاريخ العراق . |

| اسم المؤلف | اسم الكتاب |
| --- | --- |
| عارف باشا العارف | تاريخ القدس . طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١ |
| عباس محمود العقاد | أبو الأنبياء الخليل ابراهيم سلسلة كتاب اليوم . القاهرة أغسطس سنة ١٩٥٣ |
| عباس محمود العقاد | الصهيونية العالمية . سلسلة اخترنا لك العدد ٢٧ دار المعارف بمصر |
| عباس محمود العقاد | الله |
| الدكتور / عبد الحميد متولى | المفصل فى القانون الدستورى ـ الجزء الأول القاهرة سنة ١٩٥٢ |
| عبد الرحمن الجزيرى | أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين فى الاسلام ـ الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٩٣٤ |
| عبد الرحمن سامى | الصهيونية والماسونية . الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ |
| عبد الوهاب كيالى | الكيبوتز أو المزارع الجماعية فى اسرائيل |
| على امام عطية . | الصهيونية العالمية وأرض الميعاد ـ الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٣ |
| الدكتور / على صادق أبو هيف | القانون الدولى العام ـ الطبعة الرابعة . مطبعة نصر مصر بالاسكندرية |
| عوض الخورى | تبديد الظلام أو أصل الماسونية ـ بيروت سنة ١٩٢٩ |
| سلسلة / كتب سياسية الكتاب ١٨ | التلمود شريعة اسرائيل ـ القاهرة فى ١٩٥٧/٧/٦ |
| الدكتور / فؤاد حسنين على | المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٦ |
| الدكتور / فؤاد حسنين على | المجتمع الاسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٧ |
| الدكتور / فؤاد حسنين على | التوراة الهيروغليفية . طبع دار الكاتب العربى بالقاهرة سنة ١٩٦٨ |
| الدكتور / فيليب حتى | تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ النسخة العربية بيروت سنة ١٩٥٧ الجزء الأول ترجمة الدكتور جورج حداد وعبد الكريم رافق . |

| اسم المؤلف | اسم الكتاب |
| --- | --- |
| فتحى الرملى | الصهيونيــة أعلى مراحـل الاسـتعمار الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٦ |
| مجمع كنيسة الانجليز الأسقفية | مرشد الطالبين الى الكتـاب المقـدس الثمين ـ طبع مدينة فالتة بجزيرةمالطة سنة ١٨٤٠ |
| المحفل الأكبر الوطنى المصرى | دستور المحافل المصرية الوطنية التابعة لعشيرة البنائين الاحرار ذوى العهد القديم والراية العامة ـ القاهرة سـنة ١٨٩٣ ٠ |
| السيد/محمد أمين الحسينى | حقائق عن قضية فلسطين ـ اصـــدار مكتب الهيئة العربية العليالفلسطين بالقاهرة سنة ١٩٥٧ |
| الدكتور/محمد أنيس | دراسات فى العالم العربى ـ اصـــدار معهد الدراسات العربية العاليةالتابع لجامعة الدول العربية سـنة ١٩٥٨ |
| محمد بكر خليل | مقدمة اجتمـاعية لدراســات النظرية العامة للقومية ـ اصـدار معهـد الدراسات العربية ٠ |
| الدكتور/محمد حافظ غانم | مبادىء القانون الدولى العام |
| الدكتور/محمد حافظ غانم | العلاقات الدولية العربية ـ الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٩٦٥ |
| محمد خليفة التونسى | بروتوكولات حكماء صهيون |
| الدكتور/محمد طلعت الغنيمى | قضية فلسطين أمام القانون الدولى |
| الدكتور/محمد عبد المعز نصر | الصهيونية فى المجال الدولى ـ مجموعة اخترنا لك العدد ٣٦ ـ القاهرة ٠ |
| محمد عزة دروزة | تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ـ ٢ أجزاء القاهرة سنة ١٩٥٨ |
| الدكتور/محمد عوض الزغبى | دفائن النفس اليهودية من خلال الكتب المقدسة ٠ طبع بيروت سنة ١٩٦٨ |
| محمد على الغتيت | الشرق والغرب من الحروب الصليبيـة الى حرب السويس ـ الجزء الثانى فى عدوان الغرب |
| محمد فاضل | الحراب فى صدر البهاء والباب ٠القاهرة سنة ١٩١١ |

| اسم المؤلف | اسم الكتاب |
| --- | --- |
| محمد على علوبه | فلسطين والضمير الانسانى • سلسلة كتاب الهلال العدد ١٥٦ مارس سنة ١٩٦٤ |
| محمد على علوبه | فلسطين وجاراتها • أسباب ونتائج ـ لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٤ |
| الدكتور/محمد عوض محمد | الاستعمار والمذاهب الاستعمارية |
| العميد/محمد فايز القصرى | الصراع السياسى بين الصهيونيةوالعرب الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦١ |
| مسعود حاى بن شمعون | الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للاسرائيليين ـ ٣ أجزاء القاهرة سنة ١٩١٢ |
| مصطفى السعدنى | أضـواء على الصهيونية ـ طبع المجلس الأعلى للشئون الاسـلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٩ |
| منظمة التحرير الفلسطينية | من الفكر الصهيونى المعاصر ( مجموعة مقالات لكبار الكتاب اليهود ) بيروت سنة ١٩٦٨ |
| ميلر بورروز | اسرائيل جريمتنا ـ بيروت سنة ١٩٥٢ |
| هرتس/ج • هـ | فى الفكر اليهودى ـ ترجمة الدكتـور الفريد بلوز |
| هرمان راوشننج | هتلر قال لى ـ ترجمة صادق راشـد ومحمد كامل حسن وعبد الحميد فايق |
| الدكتور/نجيب صدقه | قضية فلسطين ـ الطبعة الأولى بيروت سنة ١٩٤٦ |
| وديع تلحوق | دولة اسرائيل ـ دمشق سنة ١٩٥٠ |
| ول ديورانت | قصة الحضارة الجزء الثانى |
| يوسف الحاج | فى سبيل الحق ـ هيكل سـليمان أو الوطن القومى لليهود • |

## ثانيا – مراجع باللغات الافرنجية


| اسم الكتاب | اسم المؤلف |
| --- | --- |
| What Price Israel | Alfred Lilienthal |
| The Body, Penguin Books, 1970 | Anthony Smith |
| Judaism | Arthur Hertzberg |
| The Jewish State | Ben Halpern |
| The Theory of the State | Bluntschli |
| Have the Jews a Racial Identity | C. S. Coon |
| Races and Civilization | Fredrich Herz |
| The Middle East Edit., New York 1964 | George Lenczewski |
| The Jewish World in the time of Jesus | Ch. Guignebert |
| Bases Scientifiques d'une Philosophie de l'Histoire, Edit. 1931 | Gustave Le Bon |
| The Races of Man, Cambridge 1924 | A. C. Haddon |
| The Jews | James Hosmer |
| The Odyssey of American Zionist | Julius Haber |
| Glimpses of World History, London 1945. | J. Nehru |
| The Races of Europe, London 1900 | W. Z. Ripley |
| Israel's Crime Record | Dr. Sayed Nofal |
| Moses and Monotheism. | Sigmund Freud |
| God and Man in Early Israel | J. W. D. Smith |
| The Jewish State, Edit. Cohen 1943 | Dr. Theodor Hertzel |
| Civilization of the Near East. | E. H. Weech |
| The Outline of History | H. G. Wells |

**ثالثا ـ مراجع عامة ودوريات**


١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ العهد القديم ـ التوراة · طبع جمعية التوراة الأمريكية

٣ ـ العهد الجديد ـ الانجيل · طبع جمعية التوراة الأمريكية ·

٤ ـ جريدة الأخبار ـ القاهرة

٥ ـ جريدة الأهرام ـ القاهرة

٦ ـ مجلة آخر ساعة ( أسبوعية ) القاهرة

٧ ـ مجلة الكاتب ( شهرية ) القاهرة

٨ ـ مجلة الهلال ·

٩ ـ **دائرة المعـــارف البريطانية طبعة** سنة ١٩٣٦

Encyclopaedia Britannica

١٠ ـ دائرة المعارف اليهودية The Jewish Encyclopaedia.

# مُحتويات الكِتاب

الصفحة

## المبحث الثالث

## مقـومات الصهيونية السياسـية .. ..

## المبحث الرابع

## مكانة الصهيونية فى المجتمعات العالمية ..







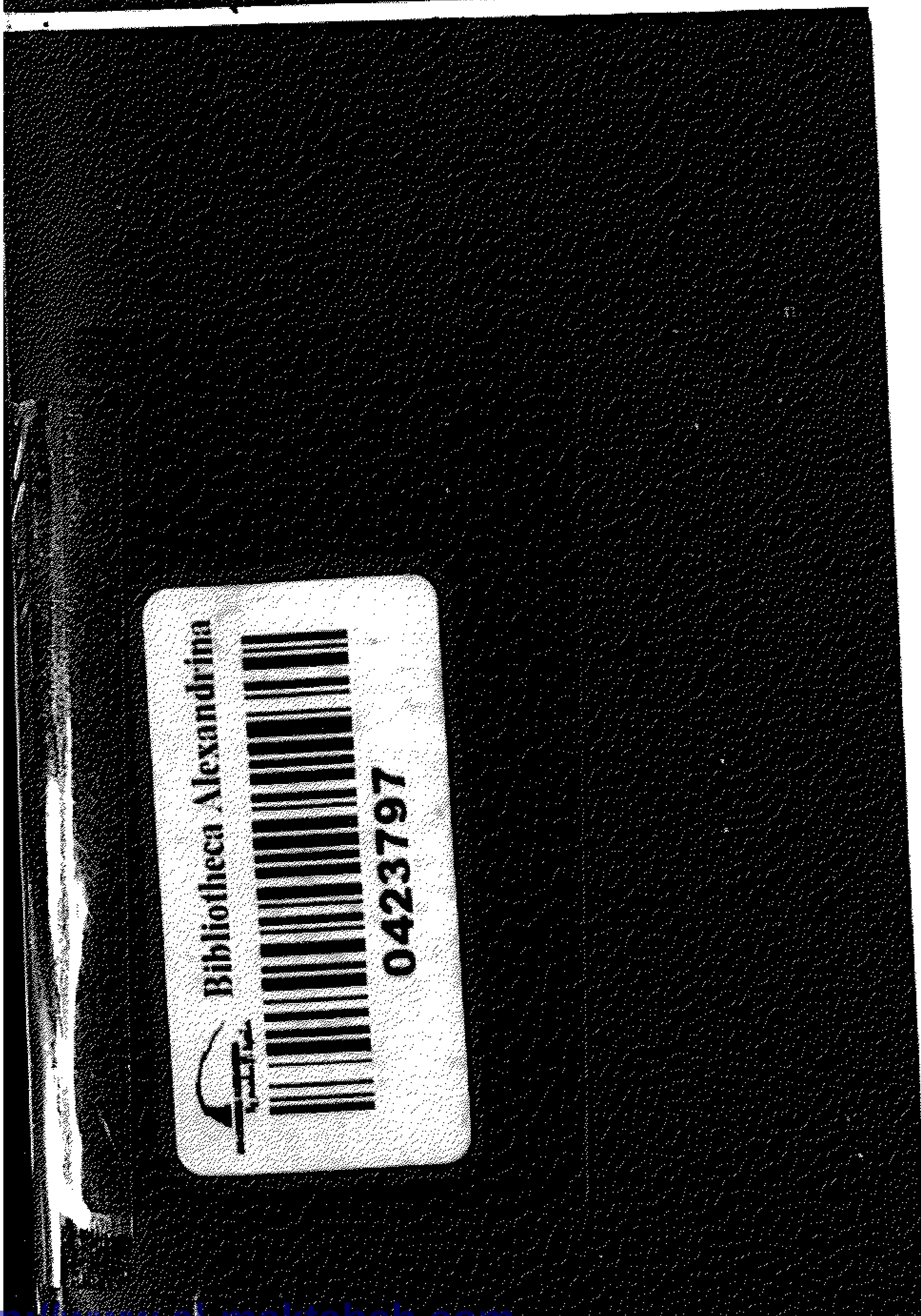

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/٣٢٧٧

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٢٩٣ ٦


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين






١٢٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب